COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0044122268

BP
130.4
.T28
v. 9 - 11

Ø9289666

JAN 31 1973

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

DUE DATE

ILL/Rec DEC 1 2 1995
AUG 2 2 2000
JAN 2 5 2001

Printed in USA

75-963503

(Vol. 9-11)

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء التاسع

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

BP
130.4
.T28
v. 9-11

JAN 12 1973

فهارس الجزء التاسع من جامع البيان، عن تأويل آى القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٨	قال الملأ الذين استكبروا . . .	١
٨٩	قد افترينا على الله كذبا . . .	١
٩٠	وقال الملأ الذين كفروا . . .	٣
٩١	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا . . .	٣
٩٢	الذين كذّبوا شعيبا . . .	٥
٩٣	فتولى عنهم وقال يا قوم . . .	٦
٩٤	وما أرسلنا فى قرية من نبىّ . . .	٦
٩٥	ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة . . .	٧
٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا . . .	٩
٩٧	أفأمن أهل القرى أن يأتيهم . . .	٩
٩٨	أوَأمن أهل القرى أن يأتيهم . . .	٩
٩٩	أفأمنوا مكر الله . . .	٩
١٠٠	أو لم يهد للذين يرثون الأرض . . .	٩
١٠١	تلك القرى نقصّ عليك . . .	١٠
١٠٢	وما وجدنا لأكثرهم من عهد . . .	١٢
١٠٣	ثم بعثنا من بعدهم موسى . . .	١٣
١٠٤	وقال موسى يا فرعون . . .	١٣
١٠٥	حقيق على أن لا أقول على الله . . .	١٣
١٠٦	قال إن كنت جئت بآية . . .	١٣
١٠٧	فألقى عصاه فإذا هى ثعبان . . .	١٤
١٠٨	ونزع يده فإذا هى بيضاء . . .	١٦
١٠٩	قال الملأ من قوم فرعون . . .	١٦
١١٠	يريد أن يخرجكم من أرضكم . . .	١٦
١١١	قالوا أرجه وأخاه . . .	

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١٢	يأتوك بكل ساحر عليم . . .	١٨
١١٣	وجاء السحرة فرعون . . .	١٨
١١٤	قال نعم وإنكم لمن المقرّبين . . .	١٩
١١٥	قالوا يا موسى إما أن تُلْقِىَ . . .	١٩
١١٦	قال ألقوا فلما ألقَوْا . . .	٢٠
١١٧	وأوحينا إلى موسى أن ألق . . .	٢١
١١٨	فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . . .	٢٢
١١٩	فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . . .	٢٢
١٢٠	وأُلْقِىَ السحرة ساجدين . . .	٢٢
١٢١	قالوا آمنا بربّ العالمين . . .	٢٢
١٢٢	ربّ موسى وهارون . . .	٢٢
١٢٣	قال فرعون آمنتم به . . .	٢٣
١٢٤	لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم . . .	٢٣
١٢٥	قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . . .	٢٣
١٢٦	وما تنقم منا إلا أن آمنا .	٢٣
١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون . . .	٢٤
١٢٨	قال موسى لقومه استعينوا . . .	٢٧
١٢٩	قالوا أوذينا من قبل أن . . .	٢٧
١٣٠	ولقد أخذنا آل فرعون . . .	٢٨
١٣١	فإذا جاءتهم الحسنة قالوا . . .	٢٩
١٣٢	وقالوا مهما تأتنا به من آية . . .	٣٠
١٣٣	فأرسلْنا عليهم الطوفان . . .	٣٠
١٣٤	ولما وقع عليهم الرِّجز قالوا . . .	٤٠
١٣٥	فلما كشفنا عنهم الرجز . . .	٤١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣٦	فانتقمنا منهم فأغرقناهم . . .	٤٢	١٦٤	وإذ قالت أمة منهم . . .	٩٢
١٣٧	وأورثنا القوم الذين كانوا . . .	٤٣	١٦٥	فلما نسُوا ما ذُكّروا به . . .	٩٩
١٣٨	وجاوزنا ببنى إسرائيل . . .	٤٤	١٦٦	فلما عتَوا عما نُهوا عنه . . .	١٠١
١٣٩	إن هؤلاء مُتَبّر ما هم فيه . . .	٤٦	١٦٧	وإذ تأذّن ربك ليبعثنّ . . .	١٠١
١٤٠	قال أغيرَ الله أبغيكم إلها . . .	٤٦	١٦٨	وقطعناهم فى الأرض أمما . . .	١٠٣
١٤١	وإذ أنجيناكم من آل فرعون . . .	٤٧	١٦٩	فخلف من بعدهم خَلْف . . .	١٠٤
١٤٢	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة . . .	٤٧	١٧٠	والذين يمسكون بالكتاب . . .	١٠٨
١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا . . .	٤٩	١٧١	وإذ نتقنا الجبل فوقهم . . .	١٠٨
١٤٤	قال يا موسى إنى اصطفيتك . . .	٥٦	١٧٢	وإذ أخذ ربك من بنى آدم . . .	١١٠
١٤٥	وكتبنا له فى الألواح من كل شىء . . .	٥٦	١٧٣	أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا . . .	١١٨
١٤٦	سأصرف عن آياتى الذين . . .	٥٩	١٧٤	وكذلك نفصل الآيات . . .	١١٩
١٤٧	والذين كذّبوا بآياتنا . . .	٦١	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذى آتيناه . . .	١١٩
١٤٨	واتخذ قوم موسى من بعده . . .	٦٢	١٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها . . .	١٢٤
١٤٩	ولما سُقِط فى أيديهم . . .	٦٢	١٧٧	ساء مثلا القوم الذين كذّبوا . . .	١٣٠
١٥٠	ولما رجع موسى إلى قومه . . .	٦٣	١٧٨	من يهد الله فهو المهتدى . . .	١٣٠
١٥١	قال ربّ اغفر لى ولأخى . . .	٦٩	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا . . .	١٣١
١٥٢	إن الذين اتخذوا العجل . . .	٦٩	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه . . .	١٣٣
١٥٣	والذين عملوا السيئات ثم تابوا . . .	٧٠	١٨١	وممن خلقنا أمة يهدون بالحقّ . . .	١٣٥
١٥٤	ولما سكت عن موسى الغضب . . .	٧١	١٨٢	والذين كذّبوا بآياتنا . . .	١٣٥
١٥٥	واختار موسى قومه سبعين رجلا . . .	٧١	١٨٣	وأُملى لهم إن كيدى متين . . .	١٣٥
١٥٦	واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة . . .	٧٧	١٨٤	أو لم يتفكروا ما بصاحبهم . . .	١٣٦
١٥٧	الذين يتبعون الناس . . .	٨١	١٨٥	أو لم ينظروا فى ملكوت السموات ...	١٣٦
١٥٨	قل يأيها الناس . . .	٨٦	١٨٦	من يُضلل الله فلا هادى له . . .	١٣٧
١٥٩	ومن قوم موسى أمة . . .	٨٧	١٨٧	يسألونك عن الساعة . . .	١٣٧
١٦٠	وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا . . .	٨٨	١٨٨	قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرّا . . .	١٤٢
١٦١	وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية . . .	٨٩	١٨٩	هو الذى خلقكم من نفس واحدة . . .	١٤٣
١٦٢	فبدّل الذين ظلموا منهم . . .	٩٠	١٩٠	فلما آتاهما صالحا . . .	١٤٥
١٦٣	واسألهم عن القرية التى كانت . . .	٩٠	١٩١	أيشركون ما لايخلق شيئا . . .	١٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٩٢	ولا يستطيعون لهم نصرا . . .	١٥٠
١٩٣	وإن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم . . .	١٥٠
١٩٤	إن الذين تدعون من دون الله . . .	١٥١
١٩٥	ألهم أرجل يمشون بها . . .	١٥١
١٩٦	إن ولـيّى الله الذى . . .	١٥٢
١٩٧	والذين تدعون من دونه . . .	١٥٢
١٩٨	وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا . . .	١٥٢
١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف . . .	١٥٣
٢٠٠	وإما ينزغنك من الشيطان . . .	١٥٦
٢٠١	إن الذين اتقوا . . .	١٥٧
٢٠٢	وإخوانهم يمدونهم فى الغىّ . . .	١٥٩
٢٠٣	وإذا لم تأتهم بآية قالوا . . .	١٦٠
٢٠٤	وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له . . .	١٦٢
٢٠٥	واذكر ربك فى نفسك . . .	١٦٦
٢٠٦	إن الذين عند ربك . . .	١٦٨
	سورة الأنفال	
١	يسألونك عن الأنفال . . .	١٦٨
٢	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله . . .	١٧٨
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٨٠
٤	أولئك هم المؤمنون حقا . . .	١٨٠
٥	كما أخرجك ربك من بيتك . . .	١٨١
٦	يجادلونك فى الحقّ . . .	١٨١
٧	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين . . .	١٨٤
٨	ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل . . .	١٨٩
٩	إذ تستغيثون ربكم . . .	١٨٩
١٠	وما جعله الله إلا بشرى . . .	١٩٢
١١	إذ يغشيكم النعاسَ أمنة . . .	١٩٣
١٢	إذ يوحى ربك إلى الملائكة . . .	١٩٣
١٣	ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله . . .	١٩٩
١٤	ذلكم فذوقوه وأن للكافرين . . .	٢٠٠
١٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم . . .	٢٠٠
١٦	ومن يُوَلّهم يومئذ دُبُره . . .	٢٠٠
١٧	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . . .	٢٠٣
١٨	ذلكم وأن الله مُوهن كيد الكافرين . . .	٢٠٦
١٩	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح . . .	٢٠٦
٢٠	يأيها الذين آمنوا أطيعوا . . .	٢١٠
٢١	ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا . . .	٢١٠
٢٢	إن شرّ الدوابّ عند الله . . .	٢١١
٢٣	ولو علم الله فيهم خيرا . . .	٢١٢
٢٤	يأيها الذين آمنوا استجيبوا . . .	٢١٣
٢٥	واتقوا فتنة لاتصيبنّ . . .	٢١٧
٢٦	واذكروا إذ أنتم قليل . . .	٢١٩
٢٧	يأيها الذين آمنوا لاتخونوا . . .	٢٢١
٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم . . .	٢٢٣
٢٩	يأيها الذين آمنوا إن تتقوا . . .	٢٢٤
٣٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا . . .	٢٢٦
٣١	وإذا تُتلى عليهم آياتنا . . .	٢٣٠
٣٢	وإذ قالوا اللهمّ إن كان . . .	٢٣٢
٣٣	وما كان الله ليعذبهمْ وأنت فيهم . . .	٢٣٣
٣٤	وما لهم ألاّ يعذبهم الله . . .	٢٣٣
٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت . . .	٢٤٠
٣٦	إن الذين كفروا ينفقون . . .	٢٤٤
٣٧	ليميز الله الخبيث من الطيب . . .	٢٤٦
٣٨	قل للذين كفروا إن ينتهوا . . .	٢٤٧
٣٩	وقاتلوهم حتى لاتكونَ فتنة . . .	٢٤٨
٤٠	وإن تولوا فاعلموا أن الله . . .	٢٥٠

٢ — فهرس الموضوعات

الصفحة

١ من أُرسل إليهم شعيب عليه السلام .
٣ العذاب الذى عذّبوا به .
١٣ طَرَف من أمر فرعون حين أرسل إليه موسى عليه السلام وألقى عصاه .
١٨ مافعله فرعون من تعليم طائفة السحر ، ليناظروا موسى .
٢٧ ما قالته بنو إسرائيل لموسى حين أدركهم فرعون
٣٠ ما أُرسل على فرعون وقومه من الآيات ، وما عذّبوا به .
٣٤ المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الآيات ، والسبب الذى من أجله أحدثها الله فيهم .
٤٣ بيان أن بنى إسرائيل لم تملك مصر بعد فرعون ، وأن مشارق الأرض ومغاربها التى ملكتها هى الشأم .
٤٤ بيان أن بنى إسرائيل حين خرجوا من البحر مروا على قوم لهم تماثيل بقر يعبدونها ، فتمنوا أن يكون لهم منها ما يُعبَد .
٤٧ خروج موسى إلى مناجاة ربه بعد غرق فرعون .
٤٩ السبب فى سؤال موسى رؤية الله .
٥٠ طَرَف مما يقوله أهل الكتاب فى قصة موسى عند طلب الرؤية .
٥٢ ما تمّ للجبل حين التجلّى .
٥٧ ما قاله موسى لآدم ، وما قاله آدم له .

الصفحة

٦٢ ما فعلته بنو إسرائيل من اتخاذ العجل بعد مفارقة موسى لهم .
٦٥ طرف مما كان فى ألواح موسى من صفات هذه الأمة .
٦٦ ما قيل فى : من أىّ شىء كانت الألواح ؟
٦٩ ما يجب تعميمه من آى الكتاب .
٧١ خبر خروج موسى للميقات ، واختياره السبعين من قومه .
٨٢ ما أخبر الله أن يجعله لبنى إسرائيل ، فاختاروا غيره ، فجعله لهذه الأمة .
٩٠ القرية التى مُسِخ أهلها بعدوانهم فى السبت ، وسَوْق قصتهم .
١٠١ ما وعدت به اليهود من الذلة والصغار إلى يوم القيامة .
١٠٤ ما كانت عليه اليهود من أخذهم الرُّشا ، وحكمهم بغير الحقّ .
١٠٨ ما فعلته بنو إسرائيل مع موسى حتى رُفِع فوقهم الجبل .
١١٠ إخراج ذُرّيّة آدم من ظهره .
١١٩ قصة الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها .
١٣١ صفة من خلقه للنار .
١٤٥ قصة إبليس مع حوّاء فى أوّل حملها .
١٥٣ الأخلاق التى أمر النبىّ أن يأخذ بها .

الصفحة

١٥٧ ما عليه أهل التقوى من تذكرهم عقاب الله ، عند ما يطرأ لهم طيف من غضب أو غيره .

١٦٢ المحالّ التى يجب الإنصات فيها لقراءة القرآن، والخلاف فيها .

١٦٨ (تفسير سورة الأنفال)

١٧١ الصواب فى معنى الأنفال ، وما كان لهم من الاختلاف فى أمر الغنائم يوم بدر ، وكيف قسمة رسول الله لها .

١٨٩ غزوة بدر ، وما تمّ فيها من إمداد الملائكة .

الصفحة

٢٠٠ مايجب على المحارب من المصابرة ، وما يجوّز له الفرار .

٢٠٣ معجزة الرمى الذى فعله النبىّ فى بدر .

٢٢١ مافعله بعض المنافقين فى مكاتبة المشركين حتّى نزل «يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا» ... الآية .

٢٢٦ ما اتفق عليه المشركون فى دار النّدوة من أذية رسول الله أو قتله .

٢٣٢ ما كان يدعو به المشركون .

٢٣٣ فوائد الاستغفار .

٢٤٠ ما كان تفعله المشركون فى صلاتهم .

٣ ــ فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
عوازبِ	٥٧
مُجابِ	٦٨
نَشَبِ	٧٤
الأجربِ	١٠٥
تثوبا	٢٦
ت	
ظَلهْرَتِ	٢٦
ح	
صُباحِ	١٥٣
يصبحا	٧١
وربحا	٢٠٠
د	
والزُّوُدُ	٣٢
فأخْلَدُوا	١٢٨
شَدّادِ	٤
الوادى	٤
أنجاد	٤
شديدِ	٦٧
المُخْلِدِ	١٢٨
وبَدَا	١٧
أفسدا	١٧
غَدَا	١٧
مَدَدا	٣٢
بَرَدَا	٣٢
مُؤْصَدَا	٣٣
ر	
المَطَرْ	٣٢
الشجَرْ	٧٥
كسَرْ	٢٤٣
السُّتُرْ	١٣٢
وقَبْرِ	١٣٢
العَشْرِ	٨٨
مِذْكارِ	١١٠
عامِرِ	١٥١
الأنْهارِ	٢٤٠
حاذِرا	٢٣٩
عُمَرَا	٢٣٩
بتَلْس	١٠٠
بتَنيسَا	١٠٠
القَوْنَسا	١٠٠
ع	
فاضْطَجِعْ	١٧
الزعازعُ	٧٤
تابعُ	١٠٤
سَميعُ	١٣٢
الضلوعُ	١٣٢
ومُقَنَّعُ	٢٤٤
فَأَرْبَعُ	٢٤٤
بضَلْفَعا	٥
ف	
وشُعُوفُ	١٥٨
مَأْلوفِ	١٠٩
ق	
تَنَقَّا	١٠٩
ل	
وعَجَلْ	١٧١
السُولُ	٧٤
ووِصالِ	٥
الأثاقلا	١١٠
المَحِلَّهْ	٤
ظُلَّهْ	٤
كالمُضْمَحِلَّهْ	٤
م	
الأرُومُ	١٦
النَّسِيمُ	٤٢
الرومُ	٤٢
عَظِيمِ	٢٢٢
بَهِيمَهْ	٥٤
كُومِ	٧
الأعلمِ	٢٤٠
ن	
مماتينُ	١٣٦
مُتَواسينُ	١٤٢
إبانَا	١٣٨
الظَّنُونا	١٩١
سَمينة	٧٥
سَمينة	٧٥
ى	
غَنِىْ	٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ، قَالَ : أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره (قالَ المَلأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا) يعنى بالملأ : الجماعة من الرجال ، ويعنى بالذين استكبروا : الذين تكبَّروا عن الإيمان بالله ، والانتهاء إلى أمره ، واتباع رسوله شعيب ، لما حذَّرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمرَ ربهم وكفرَهم به : (لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ) ومن تبعك وصدَّقك وآمن بك ، وبما جئت به معك ، من قريتنا (أوْ لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتِنا) يقول: لترجِعَنَّ أنت وهم فى ديننا وما نحن عليه . قال شعيب مجيبا لهم : (أوَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ) ؟

ومعنى الكلام : أن شعيبا قال لقومه : أتخرجوننا من قريتكم ، وتصدُّوننا عن سبيل الله ، ولو كنا كارهين لذلك ؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو « ولو » .

القول فى تأويل قوله

قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ، عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ، وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ (٨٩)

يقول جلَّ ثناؤه : قال شعيب لقومه ، إذ دَعَوه إلى العَود إلى ملتهم ، والدخول فيها ، وتوعَّدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم : (قَدِ افْتَرَيْنا على اللهِ كَذِباً) يقول : قد اختلقنا على الله كذبا ، وتخرَّصنا عليه من القول باطلا ، إن نحن عدنا فى ملتكم ، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها ، بأن بَصَّرَنا خطأها ، وصواب الهُدَى الذى نحن عليه ، ومايكون لنا أن نرجع فيها ، فندينَ بها ، ونترك الحقَّ الذى

نحن عليه (إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّنا) : إلاَّ أن يكون سبق لنا فى علم الله أنا نعود فيها ، فيمضىَ فينا حينئذ قضاء الله ، فيُنفذ مشيئته علينا (وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) يقول : فإنَّ عِلْم ربنا وسع كلَّ شىء ، فأحاط به ، فلا يخفى عليه شىء كان ، ولا شىء هو كائن ، فإن يكن سبق لنا فى علمه أنا نعود فى ملتكم ، فلا يخفى عليه شىء كان ، ولا شىء هو كائن ، فلا بد من أن يكون ماقد سبق فى علمه ، وإلا فإنا غير عائدين فى ملتكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانا اللهُ مِنْها ، وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّنا ، وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا ، رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بالحَقِّ) يقول : ماينبغى لنا أن نعود فى شِرْكِكم بعد إذ نجانا الله منها ، إلا أن يشاء الله ربنا ، فالله لايشاء الشرك ، ولكن يقول : إلا أن يكون الله قد علم شيئا ، فإنه وسع كلَّ شىء علما ، وقوله (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا) يقول : على الله نعتمد فى أمورنا ، وإليه نستند ، فيما تَعِدُونا به من شرِّكم أيها القوم ، فإنه الكافى من توكل عليه . ثم فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه ، إذ أَيِس من فلاحهم ، وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة ، والإقرار له بالرسالة ، وخاف على نفسه ، وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه ، من فسقتهم ، العطبَ والهلكةَ ، بتعجيل النقمة ، فقال : (رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بالحَقِّ) يقول : احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذى لاجَوْر فيه ولاحَيْف ولا ظلم ، ولكنه عدل وحقّ (وَأَنْتَ خَيْرُ الفاتِحِينَ) : يعنى : خير الحاكمين ؛ ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضى : الفاتح ، والفتاح . وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب ، أنه من لغة مراد ، وأنشد لبعضهم بيتا ، وهو :

أَلا أَبْلِغْ بَنِى عُصْمٍ رَسُولاً ... فَإِنِّى عَنْ فُتاحَتِكُمْ غَنِىُّ [١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مِسْعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : ما كنت أدرى ما قوله : (رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بالحَقِّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول : تعالَ أفاتحك ، يعنى : أقاضيك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بالحَقِّ) يقول : اقض بيننا وبين قومنا .

(١) البيت (فى اللسان : فتح) منسوبا للأشعر الجعفى ، شاهدا على أن الفتاحة ، بكسر الفاء وضمها ، بمعنى الحكم بين خصمين . وقال الأزهرى : الفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك ، كما قال سبحانه مخبرا عن شعيب : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » . قال : والفتاح : الحكومة . وأهل اليمن يقولون للقاضى : الفتاح ، ويقول أحدهم لصاحبه : تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح . ويقول : افتح بيننا : أى احكم . والرواية فى الشطر الأول : « ألا من مبلغ عمرا رسولا » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبودُكَين ، قال : ثنا مِسْعَر ، قال : سمعت قتادة يقول : قال ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول : تعالَ أفاتحكْ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (افْتَحْ بَيْنَنا وبين قَوْمِنا بالحَقّ) : أى اقض بيننا وبين قومنا بالحقّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ) : اقض بيننا وبين قومنا بالحقّ .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما قوله (افْتَحْ بَيْنَنا) فيقول : احكم بيننا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الحسن البصرىّ : افتح : احكم بيننا وبين قومنا ، وإنا فتحنا لك فتحا مبينا : حكمنا لك حكما مبينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : افتح : اقض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد محمد بن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : لم أكن أدرى ما (افْتَحْ بَيْنَنا وَبينَ قَوْمِنا بالحَقّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها : انطلق أفاتحك .

القول فى تأويل قوله

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ : لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ، إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَسِرُونَ (٩٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقالت الجماعة من كَفَرَة رجال قوم شعيب ، وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله ، وكذّبوا رسوله ، وتمادَوا فى غَيِّهم ، لآخرين منهم : لئن أنتم اتبعتم شعيبا على مايقول ، وأجبتموه إلى مايدعوكم إليه ، من توحيد الله ، والانتهاء إلى أمره ونهيه ، وأقررتم بنبوّته (إنَّكُمْ إذَنْ لَخاسِرُونَ) يقول : لمغبونون فى فعلكم ، وترككم ملتكم التى أنتم عليها مقيمون ، إلى دينه الذى يدعوكم إليه ، وهالكون بذلك من فعلكم .

القول فى تأويل قوله

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ، فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩١)

⁂ يقول : فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرَّجْفة ، وقد بينت معنى الرجفة قبل ، وأنها الزلزلة المحرّكة لعذاب الله ، (فأصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جاثِمِينَ) على رُكَبهم ، موتَى هلْكَى .

وكانت صفةُ العذاب الذى أهلكهم الله به كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ،

قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْبًا) قال : إن الله بعث شعيبا إلى مدين ، وإلى أصحاب الأَيْكة ، والأيكة : هى الغيضة من الشجر ، وكانوا مع كفرهم يبخَسُون الكيل والميزان ، فدعاهم فكذّبوه ، فقال لهم ماذكر الله فى القرآن ، وماردّوا عليه ، فلما عتَوْا وكذّبوه، سألوه العذاب، ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه، فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء، ثم إنه بعث سحابة فيها ريح طيبة، فوجدوا برد الريح وطيبها، فتنادوا: الظُّلَّة، عليكم بها، فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالُهم ونساؤهم وصبيانُهم ، انطبقت عليهم، فأهلكتْهم ، فهو قوله (فأخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبى إسحاق ، قال : كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ، ماذكر الله فى القرآن . كانوا أهل بَخْس للناس فى مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله، وتكذيبهم نبيَّهم، وكان يدعوهم إلى الله وعبادته، وترك ظلم الناس، وبخسهم فى مكاييلهم وموازينهم، فقال نصحا لهم وكان صادقا: (ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أَنهاكُمْ عَنْهُ، إِنْ أُرِيدُ إلاَّ الإصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ، وَما تَوْفِيقِى إلاَّ بِاللهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) . قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لى يعقوب بن أبى سلمة إذا ذكر شعيبا ، قال « ذاكَ خَطِيبُ الأَنْبِياءِ » لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم، فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفى من بلادهم، وعتَوْا على الله، أخذهم عذاب يوم الظُّلة، إنه كان عذاب يوم عظيم ، فبلغنى أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جَلْهاء لما رآها قال :

يا قَوْمِ إنَّ شُعَيْباً مُرْسَلٌ فَذَرُوا عَنْكُمْ سُمَيرًا وعِمْرَانَ بْنَ شَدّادِ
إنِّى أَرَى غَيْمَةً ياقومِ قد طَلَعَتْ تَدْعُو بصَوْتٍ على صَمَّانَةِ الوَادِى
وإنَّكم إنْ تَرَوْا فِيها ضَحاةَ غَدٍ إلاَّ الرَّقِيمَ يُمَشِّى بينَ أنْجادِ[1]

وسُمير وعمران : كاهناهم ، والرقيم : كلبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال: ثنى أبو إسحاق ، قال: فبلغنى والله أعلم: أن الله سلط عليهم الحرّ، حتى أنضجهم، ثم أنشأ لهم الظُّلة، كالسحابة السوداء ، فلما رأوها ابتدروها، يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحرّ، حتى إذا دخلوا تحتها، أُطبقت عليهم، فهلكوا جميعا، ونجّى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثنى أبو عبد الله البَجَلِىّ ، قال : أبو جاد ، وهوز ، وحُطّى ، وسعفص ، وقرشت: أسماء ملوك مدين ، وكان ملكهم يومَ الظلة فى زمان شعيب « كلمون » ، فقالت أخت كلمون تبكيه :

كَلَمُونُ هَدَّ رُكْنِى هُلْكُهُ وَسْطَ المَحِلَّهْ

(١) الأبيات الثلاثة أوردها الثعلبى فى كتابه : « عرائس المجالس » المعروف « بقصص الأنبياء » ، وفيها « شمير » بالتصغير ، وبالشين فى موضع « سمير » بالسين ، و « حنانة » فى موضع : « صمانة » . ورواية البيت الثانى فيه (ص١٦٦) طبعة الحلبى ، فى قصة شعيب عليه السلام :

فإنَّهُ لَنْ يَرَى فِيها ضُحاءَ غَدٍ إلاَّ الرَّقِيمَ يُمَشِّى بينَ أنْجادِ

وقوله : « إنه » الضمير فيه راجع إلى شعيب . يريد أنه سيصيبهم الزلزال ، وقد لاحت أماراته ، وستصبح ديارهم مدمرة، لايرى فيها شعيب إلا الرقيم . . . الخ .

سَيِّدُ القَوْمِ أتاهُ الحَتْفُ : نارٌ وَسْطَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ نارًا عَلَيْهِمْ دارُهُمْ كالمُضْمَحِلَّهْ[1]

القول فى تأويل قوله

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) ﴾

يقول تعالى ذكره : فأهلك الذين كذّبوا شعيبا فلم يؤمنوا به ، فأبادهم ، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول : كأن لم ينزلوا قطّ ، ولم يعيشوا بها حين هلكوا ، يقال : غَنِىَ فلان بمكان كذا ، فهو يَغْنَى به غِنًى وغُنِيًّا : إذا نزل به ، وكان به ، كما قال الشاعر :

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرانُكِ الْـ ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ[2]

وقال رُؤْبة : وَعَهْدُ مَغْنًى دِمْنَةٍ بِضَلْفَعا[3]

إنما هو مَفْعَل من غَنِىَ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) : كأن لم يعيشوا ، كأن لم ينعَموا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) : كأن لم يكونوا فيها قطّ .

وقوله (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الخَاسِرِينَ) يقول تعالى ذكره : لم يكن الذين اتبعوا

---

(١) وهذه الأبيات الثلاثة أيضا رواها الثعلبى فى « عرائس المجالس » ص ١٦٦) فى قصة شعيب عليه السلام . وفى روايته : « كلمن هدد ركنى » . ونسبها إلى أخت كلمون تبكيه .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٥٨) . وروايته بأسباب الوصال و « أصحابك » فى مكان : « جيرانك » . وهو من شواهد النحويين (الخزانة ٣ : ٢٣٧ ، ٢٣٨) من قصيدة له . قال : وهو شاهد على أن الخليل استدل على أن حرف التعريف (أل) لااللام وحدها ، بفصل الشاعر إياها من المعرف بها ؛ ولو كانت اللام وحدها حرف تعريف ، لما جاز فصلها من المعرف ، لاسيما واللام ساكنة . قال : وقد تقدم بيانه ونقضه فى البيت قبله . . . . والممسكو : أصله : الممسكون ، حذفت نونه تخفيفا . قال ابن جنى فى المنصف : قوله « الممسكو » : أراد الممسكون ، ولكنه حذف النون لطول الاسم ، لا للإضافة . اهـ .

وفى (اللسان : غنا) : وغنى القوم بالدار غنى : أقام . وتقول : غنى بالمكان يغنى . والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله . ولم ينقل صاحب اللسان من مصادره غير الغنى والمغنى . وقال المؤلف : غنى وغنيا .

(٣) البيت من مشطور الرجز ، وهو الرابع فى أرجوزة له مطولة (٢١٣ بيتا) وفى ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٨٧) وعهد : مرفوع عطفا على حمامة فى قوله قبله : « هاجت حمامة » . والدمنة : ما بقى من آثار الديار كالنؤى والطلل والأثافى . . . الخ وضلفع : بوزن جعفر : قارة ببلاد بنى أسد . وفى معجم ما استعجم البكرى فى رسم « لبنى » : ضلفع : ماء لبنى عبس . اهـ .

شعيبا الخاسرين ، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين ، لأنه أخبر عنهم جلّ ثناؤه : أن الذين كذّبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه: (لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ) فكذّبهم الله، بما أحلّ بهم من عاجل نكاله ، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما خسر تُبَّاع شعيب ، بل كان الذين كذّبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين ، دون الذين صدّقوا وآمنوا به .

القول فى تأويل قوله

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره: فأدبر شعيب عنهم، شاخصا من بين أظهرهم، حين أتاهم عذاب الله، وقال: لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذّبوه حزنا عليهم (ياقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى) وأدّيت إليكم مابعثنى به إليكم، من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به، وظلم الناس أشياءهم (وَنَصَحْتُ لَكُمْ) بأمرى إياكم بطاعة الله، ونهيكم عن معصيته (فَكَيْفَ آسَى؟) يقول: فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله، وكذّبوا رسوله، وأتوجع لهلاكهم؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَيْفَ آسَى) يعنى : فكيف أحزن ؟ .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَكَيْفَ آسَى) يقول : فكيف أحزن ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصاب شعيبا على قومه حزن، لما يرى بهم من نقمة الله ، ثم قال يعزّى نفسه فيما ذكر الله عنه (يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كافِرِينَ) ؟

القول فى تأويل قوله

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرّفه سنته فى الأمم التى قد خلت من قبل أمته، ومذكر من كفر به من قريش، ليتزجروا عما كانوا عليه مقيمين، من الشرك بالله، والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ) قبلك (إِلاَّ أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ) وهو البؤس، وشظف المعيشة وضيقها . والضراء: وهى الضرّ وسوء الحال، فى أسباب دنياهم (لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ):

يقول : فعلنا ذلك ، ليتضرّعوا إلى ربهم ، ويستكينوا إليه وينيبوا ، بالإقلاع عن كفرهم ، والتوبة من تكذيب أنبيائهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَخَذْنا أَهْلَها بالبَأْساءِ والضَّرَّاءِ) يقول : بالفقر والجوع ، وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا فى معنى البأساء والضرّاء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ؛ وقيل : يضَّرّعون ، والمعنى : يتضرّعون ، ولكن أدغمت التاء فى الضاد ، لتقارب مخرجهما .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ، فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم بدّلنا أهل القرية التى أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء ، مكان السيئة ، وهى البأساء والضرّاء ؛ وإنما جعل ذلك سيئة ، لأنه مما يسوء الناس ، ولا تسوءهم الحسنة ، وهى الرخاء والنعمة والسعة فى المعيشة . (حتّى عَفَوْا) : يقول : حتى كثروا ، وكذلك كلّ شىء كثر ، فإنه يقال فيه : قد عفا ، كما قال الشاعر :

ولكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْها ... بأسْوُقِ عافياتِ الشَّحْمِ كُومِ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) قال : مكان الشدّة رخاء (حتّى عَفَوْا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) قال : السيئة : الشرّ ، والحسنة : الرخاء والمال والولد .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) قال : السيئة : الشرّ ، والحسنة : الخير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ) يقول : مكان الشدة الرخاءَ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ

(١) نعض : نجعل السيف يعض . . . الخ . والبيت قد تقدم إنشاده وشرحه فى ص ٣٦٦ من الجزء الثانى .

الحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا) قال : بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا فى الدنيا ، حَتّى عَفَوْا من ذلك العذاب (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) .

واختلفوا فى تأويل قوله (حَتّى عَفَوْا) فقال بعضهم : نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حَتّى عَفَوْا) يقول : حتّى كثُروا وكثُرت أموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (حَتّى عَفَوْا) قال : جَمُّوا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَتّى عَفَوْا) قال : كثُرت أموالهم وأولادهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حَتّى عَفَوْا) حتّى كثُروا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (حَتّى عَفَوْا) قال : حتى جَمُّوا وكثُروا . قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (حَتّى عَفَوْا) قال : حتّى جَمُّوا ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (حَتّى عَفَوْا) يعنى جَمُّوا وكثُروا ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (حَتّى عَفَوْا) قال : حتّى كثُرت أموالهم وأولادهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَتّى عَفَوْا) : كثُروا كما يكثُر النبات والريش ، ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لايشعرون .

وقال آخرون : معنى ذلك : حتّى سُرّوا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتّى عَفَوْا) : يقول : حتّى سُرّوا بذلك ، وهذا الذى قاله قتادة فى معنى عَفَوا ، تأويل لاوجه له فى كلام العرب ، لأنه لايعرف العفو بمعنى السرور فى شىء من كلامها ، إلا أن يكون أراد حتّى سُرّوا بكثْرتهم وكثْرة أموالهم ، فيكون ذلك وجها وإن بعُد .

وأما قوله (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ) : فإنه خبر من الله عن هؤلاء القوم ، الذين أبدلهم الحسنة السيئة ، التى كانوا فيها ، استدراجا وابتلاء ، أنهم قالوا : إذ فعل ذلك بهم : هذه أحوال قد أصابت مَنْ قبلنا من آبائنا ، ونالت أسلافنا ، ونحن لانعدو أن نكون أمثالهم ، يصيبنا ما أصابهم من الشدّة فى المعايش ، والرخاء فيها ، وهى السرّاء ، لأنها تسرّ أهلها ، وجهل المساكينُ شكر نعمة الله ، وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله

بالإنابة إلى طاعته ، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة ، حتى أتاهم أمره وهم لايشعرون ، يقول جل جلاله (فأخذناهم بغتةً وهم لايشعرون) يقول : فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة ، أتاهم على غرّة منهم بمجيئه ، وهم لايدرون ، ولايعلمون أنه يجيئهم ، بل هم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويروه ٭.

القول فى تأويل قوله

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا ،وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨)

٭٭

القول فى تأويل قوله

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ، فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)

٭٭ يقول تعالى ذكره : أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله ويجحدون آياته ، استدراجَ الله إياهم ، بما أنعم به عليهم فى دنياهم ، من صحة الأبدان ، ورخاء العيش ، كما استدرج الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم ، فإن مكر الله لايأمنه ، يقول : لايأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم ، إلا القوم الخاسرون ، وهم الهالكون .

القول فى تأويل قوله

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ، وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)

٭٭ يقول : أو لم يُبين للذين يُستخلفون فى الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وعتوا عن أمر ربهم (أنْ لَوْ نَشاءُ أصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، فأخذناهم بذنوبهم ، وعجّلنا لهم بأسنا ، كما عجلناه لمن كان قبلهم ، ممن ورثوا عنه الأرض ، فأهلكناهم بذنوبهم (وَنَطْبَعُ على قلُوبِهِمْ) يقول : ونختم على قلوبهم (فهم لايَسْمَعُونَ) موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

٭ إلى هنا جاء بآخر صفحة ١٤١ من المجلد العاشر من المخطوطة رقم ١٠٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية . وتبتدئ صفحة ١٤٢ منها بالقول فى تأويل قوله تعالى (أفأمنوا مكر الله) ، وسقط من الناسخ تأويل الآيات الثلاث التى قبلها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوَلَمْ يَهْدِ) قال : يبين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوَلَمْ يَهْدِ) أو لم يبين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا) يقول : أو لم يبين لهم ؟

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا) يقول : أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها : هم المشركون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا) أو لم تبين لهم ؟ (أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) قالوا : والهدى : البيان الذى بعث هاديا لهم : مبينا لهم ، حتى يعرفوا ، ولولا البيان لم يعرفوا .

القول فى تأويل قوله

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ، وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ، فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ، كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠١)

❊ يقول تعالى ذكره : هذه القرى التى ذكرت لك يامحمد أمرها وأمر أهلها ، يعنى : قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب ، نقصّ عليك من أنبائها ، فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها ، وما كان من أمرهم ، وأمر رسل الله التى أرسلت إليهم ، لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، على أعدائنا وأهل الكفر بنا ، ويعلم مكذّبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذّب رسل الله ، فيرتدعوا عن تكذيبك ، ويُنيبوا إلى توحيد الله وطاعته (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : ولقد جاءت أهلَ القرى التى قصصت عليك نبأها ، رسلُهم بالبينات ، يعنى بالحجج البينات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ، ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذّبوا من قبل ذلك ، وذلك يوم أخذ ميثاقهم ، حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل، بما سبق فى علم الله أنهم يكذّبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب (فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كان فى علمه يوم أقرّوا له بالميثاق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : يحقّ على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبْدَى لهم ربهم والأنبياء ، ويدَعوا علم ما أخْفَى الله عليهم ، فإن علمه نافذ فيما كان، وفيما يكون، وفى ذلك قال (وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّناتِ، فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ، كذلكَ يَطْبَعُ اللهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ) قال : نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصى ، حيث خلقهم فى زمان آدم، وتصديق ذلك حيث قال لنوح (اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ). وقال فى ذلك (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) وفى ذلك قال (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَى نَبْعَثَ رَسُولاً) ،وفى ذلك قال (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ، ولا حجة لأحد على الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ، ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل هلاكهم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِمَا كَذَّبوا مِنْ قَبْلُ) قال : كقوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .

۞ قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية، وأولاها بالصواب : القول الذى ذكرناه عن أبىّ بن كعب والربيع ، وذلك أن من سبق فى علم الله تبارك وتعالى أنه لايؤمن به ، فلن يؤمن أبدا ، وقد كان سبق فى علم الله تعالى ، لمن هلك من الأمم التى قصّ نبأهم فى هذه السورة، أنه لايؤمن أبدا ، فأخبر جلّ ثناؤه عنهم ،أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذّبون، فى سابق علمه، قبل مجيء الرسل، وعند مجيئهم إليهم، ولو قيل تأويله: فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض يامحمد من مشركى قومك، من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود ، ليؤمنوا بما كذّب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ، ووعده ووعيده ، كان وجها ومذهبا، غير أنى لاأعلم قائلا قاله، ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن . وأما الذى قاله مجاهد من أن

معناه : لو ردّوا ما كانوا ليؤمنوا ؛ فتأويل لادلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر عن الرسول صحيح . وإذ كان ذلك كذلك ، فأولى منه بالصواب ، ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل .

وأما قوله (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ) فإنه يقول تعالى ذكره : كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم ، وعصَوا رسله من هذه الأمم التى قصصنا عليك نبأهم يا محمد فى هذه السورة ، حتى جاءهم بأس الله ، فهلكوا به ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ، الذين كُتِب عليهم أنهم لايؤمنون أبدا من قومك .

القول فى تأويل قوله

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ، وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التى أهلكناها ، واقتصصنا عليك يامحمد نبأها ، من عهد ، يقول : من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله ، واتباع رسله ، والعمل بطاعته ، واجتناب معاصيه ، وهجر عبادة الأوثان والأصنام . والعهد : هو الوصية ، وقد بيّنا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته (وَإِنْ وَجَدْنا أكْثَرَهُمْ لفاسِقِين) يقول : وما وجدنا أكثرهم إلا فسقَة عن طاعة ربهم ، تاركين عهده ووصيته . وقد بيّنا معنى الفسق قبل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (وَإِنْ وَجَدْنا أكْثَرَهُمْ لفاسِقِينَ) قال : القرون الماضية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) . . . الآية ، قال : القرون الماضية ، وعهده الذى أخذه من بنى آدم فى ظهر آدم ولم يَفوا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب (وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) قال : فى الميثاق الذى أخذه فى ظهر آدم عليه السلام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وَإِنْ وَجَدْنا أكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ) ، وذلك أن الله إنما أهلك القُرى ، لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِئَايَـٰتِنَـآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُواْ بِهَا، فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ؟ (١٠٣)

❁ يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، موسى بن عمران، والهاء والميم اللتان فى قوله (مِنْ بَعْدِهِمْ) هى كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام، التى ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضع. (بآياتنا) يقول: بحججنا وأدلتنا. (إلى فرْعون وملئه): يعنى: إلى جماعة فرعون من الرجال، (فَظَلَمُوا بِها) : يقول : فكفروا بها ، والهاء والألف اللتان فى قوله « بها » : عائدتان على الآيات. ومعنى ذلك : فظلموا بآياتنا التى بعثنا بها موسى إليهم، وإنما جاز أن يقال: فظلموا بها، بمعنى: كفروا بها، لأن الظلم : وضع الشيء فى غير موضعه . وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه، بما أغنى عن إعادته ؛ والكفر بآيات الله: وضع لها فى غير موضعها، وصرف لها إلى غير وجهها الذى عُنيت به . (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ ؟) : يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظر يامحمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا فى الأرض ، يعنى فرعون وملأه ، إذ ظلموا بآيات الله التى جاءهم بها موسى عليه السلام ، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا فى البحر .

القول فى تأويل قوله

وَقَالَ مُوسَىٰ : يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (١٠٤)

❁ يقول جلّ ثناؤه : وقال موسى لفرعون : يا فرعون إنى رسول من ربّ العالمين :

القول فى تأويل قوله

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ، قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ : إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ ، فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٠٦)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حَقِيقٌ عَلَى أن لا أقُولَ على اللهِ إلاَّ الحَقَّ) فقرأه جماعة من قرّاء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة، حقيق عَلَى أن لاأقول، بإرسال الياء من على، وترك تشديدها، بمعنى : أنا حقيق بأن لاأقول على الله إلا الحقّ ، فوجهوا معنى على إلى معنى الباء ، كما يقال : رميت بالقوس وعلى القوس ، وجئت على حال حسنة ، وبحال حسنة . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فمعناه : حريص على ألا أقول إلا بحقّ . وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة (حَقِيقٌ عَلَىَّ أنْ لاأقُولَ) بمعنى : واجب علىّ أن لاأقول ، وحُقّ علىّ أن لاأقول .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، فبأيّهما قرأ القارئ ، فمصيب فى قراءته الصوابَ .

وقوله (قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول: قال موسى لفرعون وملئه: قد جئتكم ببرهان من ربكم، يشهد أيها القوم على صحة ما أقول، وصدق ما أذكر لكم، من إرسال الله إياى إليكم رسولا، فأرسل يافرعون معى بنى إسرائيل . فقال له فرعون : (إن كنت جئت بآية) : يقول : بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول . فأت بها إن كنت من الصادقين .

القول فى تأويل قوله

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ ، فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ ، فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨)

يقول جلّ ثناؤه (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ ، فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) قال حية . مبين : يقول : تتبين لمن يراها أنها حية .

وبما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) قال : تحوّلت حية عظيمة ، وقال غيره : مثل المدينة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) يقول: فإذا هى حية كادت تتسوّره ، يعنى كادت تثب عليه .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) والثعبان : الذكَر من الحيات ، فاتحة فاها ، واضعة لَحيها الأسفل فى الأرض ، والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذُعر منها ، ووثب فأحدث ، ولم يكن يُحدث قبل ذلك، وصاح : ياموسى ،خذها وأنا مؤمن بك، وأُرْسلُ معك بنى إسرائيل، فأخذها موسى، فعادت عصا .

حدثنى عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) قال: ألقى العصا فصارت حية ، فوضعت فَقَمًا لها أسفل القبة ، وفَقَمًا لها أعلى القبة . قال عبد الكريم: قال إبراهيم: وأشار سفيان بأصبعه الإبهام والسبابة هكذا ، شبه الطاق ؛ فلما أرادت أن تأخذه ، قال فرعون : يا موسى خذها ، فأخذها موسى بيده ، فعادت عصا، كما كانت أوّل مرّة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم ابن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ألقى عصاه ، فتحوّلت حيَّة عظيمة

فاغرة فاها ، مسرعة إلى فرعون ؛ فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه ، اقتحم عن سريره ، فاستغاث بموسى أن يكفّها عنه ، ففعل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) قال : الحية الذّكر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما دخل موسى على فرعون ، قال له موسى : أعرفك؟ قال : نعم ، قال : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) ؟ قال : فردّ إليه موسى الذى ردّ ، فقال فرعون : خذوه . فبادره موسى ، فألقى عصاه ، فإذا هى ثعبان مبين ، فحملت على الناس فانهزموا ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ، قتل بعضُهم بعضا ، وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) قال : ما بين لَحييها أربعون ذراعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) قال : الحية الذّكر .

قال أبو جعفر : وأما قوله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ) فإنه يقول : وأخرج يده ، فإذا هى بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس ، وكان موسى فيما ذكر لنا ـ آدم ، فجعل الله تحوّل يده بيضاء من غير برص ، له آية ، وعلى صدق قوله (إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حُجَّة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أخرج يده من جيبه ، فرآها بيضاء من غير سوء ، يعنى : من غير بَرَص ، ثم أعادها إلى كمه ، فعادت إلى لونها الأوّل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) يقول : من غير بَرَص .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) قال : نزع يده من جيبه بيضاء من غير بَرَص .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنَزَعَ يَدَهُ) : أخرجها من جيبه ، (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله

(وَنَزَعَ يَدَهُ) قال : نزع يده من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) وكان موسى رجلا آدم ، فأخرج يده ، فإذا هي بيضاء أشدّ بياضا من اللبن ، من غير سوء ، قال : من غير برَص ، آية لفرعون .

القول في تأويل قوله

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ : إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)

❊ يقول تعالى ذكره : قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم : (إنّ هذا) : يعنون موسى صلوات الله عليه (لَساحِرٌ عَليمٌ) يعنون : أنه يأخذ بأعين الناس ، بخداعه إياهم ، حتى يخيل إليهم العصا حية ، والآدم : أبيض ، والشيء بخلاف ما هو به . ومنه قيل : سَحَر المطر الأرض : إذا جادها ، فقطع نباتها من أصوله ، وقلب الأرض ظهرًا لبطن ، فهو يَسْحَرُها سحرا ، والأرض مسحورة إذا أصابها ذلك ، فشبه سحر الساحر بذلك ، لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ماهو به ؛ ومنه قول ذي الرُّمَّة في صفة السَّراب :

وَساحِرَةُ العُيُونِ مِنَ المَوامِي تَرَقَّصُ في نَوَاشِزِها الأُرُومُ [1]

وقوله (عَلِيمٌ) يقول : ساحر عليم بالسحر ، يريد أن يخرجكم من أرضكم : أرض مصر معشر القبط السحرة ؛ وقال فرعون للملأ (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) يقول : فأيّ شيء تأمرون أن نفعل في أمره ، بأيّ شيء تُشيرون فيه ؛ وقيل : فماذا تأمرون ، والخبر بذلك عن فرعون ، ولم يذكر فرعون . وقلّما يجيء مثل ذلك في الكلام ، وذلك نظير قوله (قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ) فقيل : ذلكَ ليعلم أني لم أخنه بالغيب ، من قول يوسف ، ولم يذكر يوسف . ومن ذلك أن يقول : قلت لزيد : قم ، فإني قائم ، وهو يريد : فقال زيد : إني قائم .

القول في تأويل قوله

قَالُوٓا۟ : أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١)

❊ يقول تعالى ذكره : قال الملأ من قوم فرعون لفرعون : أرجئه : أي أخره . وقال بعضهم : معناه : احبس . والإرجاء في كلام العرب : التأخير ، يقال منه : أرجيت هذا الأمر وأرجأته : إذا أخرته ، ومنه قول الله تعالى (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) : تؤخر ، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس ، يقولون : أرجأت هذا الأمر ، وترك الهمز من لغة تميم وأسد ، يقولون : أرجيته .

(١) البيت في (اللسان : أرم) قال ابن سيده : الإرم (بكسر ففتح) والأرم (بفتح فكسر) : الحجارة ، والآرام : الأعلام. وخص به بعضهم أعلام عاد . والأروم أيضا : الأعلام ، وقيل : هي قبور عاد ، وعم به أبو عبيدة في تفسير قول ذي الرمة . . . البيت ، فقال : هي الأعلام . ومعنى ترقص : ترتفع وتنخفض ، وفي بيت الراعي : « ترقصت المفازة » : أي ارتفعت وانخفضت ، وإنما يرفعها ويخفضها السراب . اه . وفي (اللسان : سحر) : قال الأزهري : وأصل السحر : صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة ، وبعض العراقيين (أرْجِهِ) بغير الهمز ، وبجر الهاء ، وقرأه بعض قرّاء الكوفيين (أرْجِهْ) بترك الهمز ، وتسكين الهاء ، على لغة من يقف على الهاء فى المكنىّ فى الوصل إذا تحرّك ما قبلها ، كما قال الراجز :

أنْحَى عَلَىَّ الدَّهْرُ رِجْلا وَيَدَا　　يُقْسِمُ لا يُصْلِحُ إلاَّ أفْسَدَا
فَيُصْلِحُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهْ غَدَا[1]

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث ، فيقولون : هذه طلحهْ قد أقبلت ، كما قال الراجز :

لَمَّا رأى أنْ لا دَعَهْ وَلا شِبَعْ　　مالَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فاضْطَجَعْ[2]

وقرأه بعض البصريين (أرْجِئْهُ) بالهمز ، وضمّ الهاء ، على لغة من ذكرت من قيس .

وأولى القراءات فى ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها فى كلام العرب ، وذلك ترك الهمز ، وجرّ الهاء ، وإن كانت الأخرى جائزة ، غير أن الذى اخترنا أفصح اللغات ، وأكثرها على ألسن فصحاء العرب .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (أرْجِهْ) فقال بعضهم : معناه : أخره .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى عطاء الخراسانىّ عن ابن عباس ، قوله (أرْجِهْ وأخاهُ) قال : أخره .

وقال آخرون : معناه : احبسه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أرْجِهْ وأخاهُ) : أى احبسه وأخاه .

---

(١) الأبيات الثلاثة لدريد بن زيد بن نهد ، أحد المعمرين (ابن قتيبة : كتاب الشعر والشعراء ص ٣٦ طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) وأمالى السيد المرتضى (١ : ١٧٢) . والبيت الأول والثانى فيهما :

ألْقَى عَلَىَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا　　والدَّهْرُ ما أصْلَحَ يَوْماً أفْسَدَا

والبيت الثالث فى الشعر والشعراء :

يُصْلِحُهُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهْ غَدَا

وفى أمالى السيد المرتضى :　　يُصْلِحُ ما أفْسَدَهُ اليَوْمَ غدا

(٢) البيت فى (اللسان : ضجع) ونسبه للراجز . وروايته فيه : « فالطجع » أراد : فاضطجع ، فأبدل الضاد لاما ، وهو شاذ . وقد روى : فاضطجع ، ويروى : فاطجع ، على إبدال الضاد طاء ، ثم إدغامها فى الطاء ، ويروى أيضا : فاضجع ، بتشديد الضاد . أدغم الضاد فى التاء ، فجعلهما ضادا شديدة على لغة من قال : مصبر فى مصطبر ، وقيل : لا ، يقال : اطجع ، لأنهم لا يدغمون الضاد فى الطاء . وقال المازنى : إن بعض العرب يكره الجمع بين حرفين مطبقين ، فيقول : الطجع ، ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها ، وهو اللام ، وهو نادر . واستشهد المؤلف بقوله : (لادعه) على إجراء الوصل مجرى الوقف ، بقلب تاء التأنيث هاء ، وإسكانها ، وأصله : (لادعة) .

وأما قوله (وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) يقول: مَنْ يَحْشُرُ السحرة، فيجمعهم إليك، وقيل: هم الشُّرَط .

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدىّ ، عن ابن عباس (وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) قال : الشُّرَط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد (وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) قال: الشُّرَط . قال: ثنا حميد ، عن قيس ، عن السدىّ (وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) قال : الشُّرَط .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) قال : الشُّرَط .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ) قال : الشُّرَط .

القول في تأويل قوله

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ، قَالُوا : إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ؟ (١١٣)

❋ وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مَشُورة الملأ من قوم فرعون على فرعون ، أن يرسل في المدائن حاشرين ، يحشرون كلّ ساحر عليم . وفي الكلام محذوف ، اكتفى بدلالة الظاهر من إظهاره ، وهو : فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة ، فجاء السحرة فرعون (قالُوا إنّ لَنا لَأجْرًا) يقول : إن لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك (إنْ كُنَّا) يا فرعون (نَحْنُ الغَالِبِينَ) .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثني سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فأرسلْ في المدائن حاشرين ، فحشر له كلّ ساحر متعالم ؛ فلما أتوا فرعون ، قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات ، قالوا : والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصىّ أعلم منّا ، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتي وحامّتي[١] ، وأنا صانع إليكم كلّ شيء أحببتم .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال فرعون : لا نغالبه ، يعني موسى ، إلا بمن هو منه ، فأعدّ علماء

(١) في اللسان : الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده وذوى قرابته . وفي الأصل : حاميى . تحريف .

من بنى إسرائيل ، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها الفرَما، يعلمونهم السحر ، كما يُعلَّم الصبيان الكِتابَ فى الكُتّاب ، قال : فعلموهم سحرا كثيرا ، قال : وواعد موسى فرعون موعدا ؛ فلما كان فى ذلك الموعد بعث فرعون ، فجاء بهم، وجاء بمعلمهم معهم ؛ فقال له : ماذا صنعت ؟ قال : قد علمتهم من السحر سحرا لايطيقه سحرُ أهل الأرض ، إلا أن يكون أمرا من السماء ، فإنه لاطاقة لهم به . فأما سحر أهل الأرض ، فإنه لن يغلبهم ؛ فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون (إنَّ لَنا لَأجْرًا إنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ ، قالَ : نَعَمْ وَإنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي المَدائِنِ حاشِرِينَ) فحشروا عليه السحرة، فلما جاء السحرة فرعون (قالُوا . إنَّ لَنا لَأجْرًا إنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ) يقول: عطية تعطينا (إنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ ، قالَ :نَعَمْ وَإنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أرْجِهْ وأخاهُ وأرْسِلْ فِي المَدائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ) : أى كاثِرْه بالسحرة ، لعلك أن تجد فى السحرة من يأتى بمثل ما جاء به،وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه ، وبعث فرعون فى مملكته ، فلم يترك فى سلطانه ساحر إلا أتى به، فذكر لى والله أعلم، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ؛ فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، وقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قطّ ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم ، وقرّبتكم على أهل مملكتى ، قالوا : وإن لنا ذلك إن غلبناه ؟ قال : نعم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال : السحرة كانوا سبعين .

قال أبو جعفر : أحسبه أنا قال : ألفا ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن ابن المنذر ، قال : كان السحرة ثمانين ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن خيثمة ، عن أبى سودة ، عن كعب ، قال : كان سحرة فرعون اثنى عشر ألفا .

القول فى تأويل قوله

قَالَ: نَعَمْ، وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا : يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥)

ﷺ يقول جلّ ثناؤه : قال فرعون للسحرة إذ قالوا له : إن لنا عندك ثوابا إن نحن غلبنا موسى ؟ قال : نعم، لكم ذلك ، وإنكم لمن أقرّبه وأدنيه منى ، (قالوا : ياموسى) يقول : قالت السحرة لموسى : ياموسى اختر أن تلقى عصاك ، أو نلقى نحن عصينا ، ولذلك أدخلت «أن» مع إما فى الكلام، لأنها فى موضع أمر

بالاختيار ، فإن « أنْ » في موضع نصب لما وصفت من المعنى ، لأن معنى الكلام : اختر أن تلقى أنت ، أو نلقى نحن . والكلام مع « إما » إذا كان على وجه الأمر ، فلا بدّ من أن يكون فيه « أن » كقولك للرجل : إما أن تمضى ، وإما أن تقعد ، بمعنى الأمر : امض أو اقعد ، فإذا كان على وجه الخبر ، لم يكن فيه «أن» كقوله (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهذا هو الذى يسمى التخيير ، وكذلك كلّ ما كان على وجه الخبر ، وإما فى جميع ذلك مكسورة .

القول فى تأويل قوله

قَالَ أَلْقُوا ، فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ، وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : قال موسى للسحرة : (أَلْقُوا) ما أنتم ملقون ، فألقت السحرة ما معهم (فَلَمَّا أَلْقَوْا) ذلك (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) : خيّلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع ، أنها تسعى ، (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) يقول : واسترهبوا الناس بما سحروا فى أعينهم ، حتى خافوا من العصىّ والحبال ، ظنا منهم أنها حيات (وَجَاءُوا) كما قال الله (بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) : بتخييل عظيم كثير ، من التخييل والخداع .

وذلك كالذى حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) يقول : فرّقوهم ، فأوجس فى نفسه خيفة موسى .

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبوسعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا ، قال : فأقبلت تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صف خمسة عشر ألف ساحر ، مع كلّ ساحر حباله وعصيه ، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون فى مجلسه مع أشراف مملكته ، ثم قالت السحرة (يامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) قال : بل ألقوا ، فإذا حبالهم وعصيهم ، فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بَصَرَ موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كلّ رجل منهم ما فى يده من العِصىّ والحبال ، فإذا هى حيات كأمثال الحبال ، قد ملأت الوادى ، يركب بعضها بعضا ، فأوجس ، فى نفسه خيفة موسى ، وقال : والله إن كانت لَعِصِيًا فى أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو هذه ، أو كما حدّث نفسه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا القاسم بن أبى بَزّة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، وألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

القول فى تأويل قوله

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقاها ، فإذا هى تلقم وتبتلع مايسحرون ، كذبا وباطلا ، يقال منه : لَقِفْتُ الشىء ، فأنا أَلْقَفُه لَقْفا ولَقَفَانا .

وذلك كالذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، (وأَوْحينا إلى مُوسى أنْ ألقِ عصَاك) ، فألقى موسى عصاه ، فتحولت حية ، فأكلت سحرهم كله .

حدثنا عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبوسعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فألقى عصاه فإذا هى حية تلقفُ مايأفِكون لاتمرّ بشىء من حبالهم وخشبهم التى ألقوها إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرّوا سجدا و (قالوا : آمَنَّا بِرَبِّ العالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وهارُونَ) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أوحى الله إلى موسى : لاتخَف ، وألْقِ ما فى يَمِينِك تَلْقَفْ ما يَأفِكونَ . فألقَى عَصَاهُ فأكلت كلّ حية لهم ، فلما رأوا ذلك سجدوا ، وقالوا : آمنا بربّ العالمين ، ربّ موسى وهارون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أوحى الله إليه أن ألق ما فى يمينك ، فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، وهى حيات ، فى عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها : تبتلعها حية حية ، حتى مايُرَى بالوادى قليل ولاكثير مما ألقوه ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصاه فى يده كما كانت ، ووقع السَّحَرة سجدا ، (قالوا : آمَنَّا بِرَبِّ العالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهارُونَ) : لو كان هذا سحرا ما غلبنا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن هشام الدستوائىّ ، قال : ثنا القاسم بن أبى بَزَّة ، قال : أوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فألقى عصاه فإذا هى ثعبان فاغر فاه ، فابتلع حبالهم وعصيهم ، فأُلْقِى السحرة عند ذلك سُجَّدا ، فما رفعوا رءُوسهم ، حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَأْفِكُونَ) قال : يكذبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فإذَا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ) قال : يكذبون .

حدثنا إبراهيم بن المستمر ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا قُرَّة بن خالد السَّدوسىّ ، عن الحسن (تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ) قال : حبالهم وعصيهم تسترِطُها استراطا .

القول فى تأويل قوله

فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : فظهر الحقّ، وتبين لمن شهده وحضره فى أمر موسى، وأنه لله رسول، يدعو إلى الحقّ (وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) من إفك السحر وكذبه ومخايله.

وبنحو ما قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (فَوَقَعَ الحَقُّ) قال : ظهر.

حدثنى الحارث، قال : ثنا عبد العزيز، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن مجاهد فى قوله (فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : ظهر الحقّ، وذهب الإفك الذى كانوا يعملون.

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، فى قوله (فَوَقَعَ الحَقُّ) قال : ظهر الحقّ.

حدثنا المثنى، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (فَوَقَعَ الحَقُّ) ظهر موسى.

القول فى تأويل قوله

فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ، وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ (١١٩)

يقول تعالى ذكره : فغَلَب موسى فرعونَ وجموعه (هُنالِكَ) عند ذلك (وَانْقَلَبُوا صاغِرِينَ) يقول : وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصُغْر مقهورين، يقال منه : صَغُر الرجل يصغُر صِغَرا وصُغْرا وصَغَارا.

القول فى تأويل قوله

وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : وألقى السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم، سجدًا لربهم، يقولون : آمنا بربّ العالمين، يقولون : صدّقنا بما جاءنا به موسى، وأن الذى علينا عبادته هو الذى يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، ويدبِّر ذلك كله، ربّ موسى وهارون، لا فرعونُ.

كالذى حدثنى عبد الكريم، قال : ثنا إبراهيم بن بشار، قال : ثنا سفيان، قال : ثنا أبوسعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : لما رأت السَّحَرة ما رأت ؛ عرفت أن ذلك أمر من السماء، وليس بسحر، خرّوا سجدا، وقالوا : آمنا بربّ العالمين : ربّ موسى وهارون.

القول فى تأويل قوله

قَالَ فِرْعَوْنُ : ءَامَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ، إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣)

يقول تعالى ذكره : (قال فرعون) للسحرة إذ آمنوا بالله ، يعنى صدّقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه : (آمنتم) يقول : أصدقتم بموسى ، وأقررتم بنبوّته (قبل أن آذن لكم) بالإيمان به . (إن هذا) يقول : تصديقكم إياه ، وإقراركم بنبوّته (لمكر مكرتموه فى المدينة) ، يقول : لخُدْعة خدعتم بها من فى مدينتنا ، لتخرجوهم منها . (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم ، وتلقون من عقابى إياكم على صنيعهم هذا .

وكان مكرهم ذلك فيما حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى حديث ذكره عن أبى مالك وعلىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : التقى موسى وأمير السَّحَرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك ، أتؤمن بى ، وتشهد أن ما جئتُ به حقّ ؟ قال السَّاحر : لآتينّ غدا بسحر لايغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتنى لأومننّ بك ، ولأشهدنّ أنك حقّ ؛ وفرعون ينظر إليهم ، فهو قول فرعون : (إنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِى المَدِينَةِ) إذ التقيتما لتظاهرا ، فتخرجا منها أهلها .

القول فى تأويل قوله

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ، ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله ، وصدّقوا رسوله موسى ، (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ) وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فيخالف بين العضوين فى القطع ، فمخالفته فى ذلك بينهما هو القطع من خلاف . ويقال : إن أوّل من سنّ هذا القطع فرعون . (ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) وإنما قال هذا فرعون ، لما رأى من خذلان الله إياه ، وغلبة موسى عليه السلام ، وقهره له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفرىّ وحَبُّويه الرازىّ[١] ، عن يعقوب القمىّ ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ، ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : أوّل من صلب ، وأوّل من قطع الأيدى والأرجل من خلاف فرعونُ .

القول فى تأويل قوله

قَالُوٓا۟ : إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ، رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)

(١) فى خلاصة الخزرجى : إبراهيم بن المختار التميمى ، أبو إسماعيل الرازى ، حبويه . . . صالح الحديث .

❊ يقول تعالى ذكره : قال السحرة مجيبة لفرعون ، إذ توعدهم بقطع الأيدى والأرجل من خلاف ، والصلب (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) يعنى بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير . وقوله (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا) يقول : ماتنكر منا يا فرعون وما تجد علينا ، إلا من أجل أن آمنا : أى صدّقنا بآيات ربنا ، يقول : بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التى لايقدر على مثلها أنت ، ولا أحد سوى الله ، الذى له ملك السموات والأرض ، ثم فزعوا إلى الله ، بمسئلته الصبر على عذاب فرعون ، وقبض أرواحهم على الإسلام ، فقالوا : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) يعنون بقولهم : أفرغ : أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك ، عند تعذيب فرعون إيانا (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) يقول : واقبضنا إليك على الإسلام ، دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، لا على الشرك بك ، فحدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) فقتلهم وصلّبهم ، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) قال : كانوا فى أوّل النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن عبيد بن عمير ، قال : كانت السحرة أوّل النهار سحرة ، وآخر النهار شهداء .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) قال : ذكر لنا أنهم كانوا فى أوّل النهار سحرة ، وآخره شهداء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) قال : كانوا أوّل النهار سحرة ، وآخره شهداء .

القول فى تأويل قوله

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ : أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ : سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)

❊ يقول تعالى ذكره : وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون : أتَدَعُ موسى وقومه من بنى إسرائيل ليفسدوا فى الأرض ، يقول : كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك فى أرضك من مصر (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) يقول : ويذرك : ويدع خدمتك موسى ، وعبادتك وعبادة آلهتك .

وفى قوله (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) وجهان من التأويل : أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك ؟ وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل ، كان النصب فى قوله (وَيَذَرَكَ) على الصرف ، لا على العطف به على قوله ليفسدوا . والثانى : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وليذرك وآلهتك ، كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين ، وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان نصب (وَيَذَرَكَ) على العطف على ليفسدوا .

* والوجه الأوّل : أولى الوجهين بالصواب ، وهو أن يكون نصب (وَيَذَرَكَ) على الصرف ، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء .

وبعد ، فإن فى قراءة أُبىّ بن كعب الذى حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج عن هارون ، قال فى حرف أُبىّ بن كعب (وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك) دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف ، وقد رُوِى عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرأ ذلك (وَيَذَرُكَ وآلِهَتَكَ) عطفا بقوله (وَيَذَرُكَ) على قوله (أَتَذَرُ مُوسَى) كأنه وجَّه تأويله إلى : أتذرُ موسى وقومه ويذرُك وآلهتك ليفسدوا فى الأرض ، وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها : أتذرُ موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وهو يذرُك وآلهتك ، فيكون يذرُك مرفوعا على ابتداء الكلام .

وأما قوله (وآلِهَتَكَ) فإن قرّاء الأمصار على فتح الألف منها ومدّها ، بمعنى : وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التى تعبدها . وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان له بقرةٌ يعبدها . وقد رُوى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها (وَيَذَرَكَ وإِلَهَتَكَ) بكسر الألف ، بمعنى : ويذرك وعبُودتك .

والقراءة التى لانرى القراءة بغيرها : هى القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

ذكر من قال : كان فرعون يعبُد آلهة على قراءة من قرأ (وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ) :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ) وآلهته فيما زعم ابن عباس : كانت البقرة ، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلا وبقرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان لفرعون جُمَانة معلقة فى نحره ، يعبدها ويسجد لها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، قال : ثنا أبان بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : بلغنى أن فرعون كان يعبد إلها فى السرّ ، وقرأ (وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ) .

حدثنا محمد بن سِنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن أبى بكر ، عن الحسن قال : كان لفرعون إله يعبده فى السرّ .

ذكر من قال معنى ذلك : ويذرك وعبادتك ، على قراءة من قرأ : وإِلاهَتَكَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو ، عن الحسن ، عن ابن عباس (وَيَذَرَكَ وإِلاهَتَكَ) قال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد ، قال : ثنا أبى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (وَيَذَرَكَ وإِلاهَتَكَ) قال : وعبادتك ، ويقول إنه كان يُعبد ولا يَعبد .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَذَرَكَ وإِلاهَتَكَ) قال : يترك عبادتك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (وإلاهَتَكَ) يقول : وعبادتك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) قال : عبادتك .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازيّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن حسين ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) وقال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد .

وقد زعم بعضهم : أن من قرأ (وإلاهَتَكَ) إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ (وآلِهَتَكَ) ، غير أنه أنث ، وهو يريد إلها واحدا ، كأنه يريد (وَيَذَرَكَ وإلاهَكَ) ثم أنث الإله فقال : وإلاهتك .

وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سُئِل عن الإلاهة ، فقال : هي عَلَمَة ، يريد علما ، فأنث العلم ، فكأنه شيء نُصِب للعبادة يُعبد . وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعيّ :

تَرَوَّحْنا مِنَ اللَّعْباءِ عَصْرًا ... وأعْجَلْنا الإلاهَةَ أنْ تَئُوبا[1]

يعني بالإلاهة في هذا الموضع : الشمس ، وكأن هذا المتأوّل هذا التأويل ، وجه الإلاهة ، إذا أدخلت فيها هاء التأنيث ، وهو يريد واحد الآلهة ، إلى نحو إدخالهم الهاء في وِلْدَتِي وكَوْكَبَتِي وأَمَاتِي ، وهو أَهْلَةُ ذاك ، وكما قال الراجز :

يا مُضَرَ الحَمْرَاءِ أنْتِ أُسْرَتِي ... وأنْتِ مَلْجاتِي وأنْتِ ظَهْرَتِي[2]

يريد : ظهري . وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ماقرآ ، فلا وجه لقول هذا القائل ما قال ، مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا إليه من معنى ذلك .

وقوله (قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ) يقول : قال فرعون : سنقتّل أبناءهم الذكور ، من أولاد بني إسرائيل

---

(١) البيت في (اللسان : لعب وأله ، والمخصص : ١٧ : ١٣٧ ومعجم ما استعجم البكري ص ١١٥٦) وبعده في اللسان بيت آخر ، وهو :

عَلَى مثْلِ ابنِ مَيَّةَ فانْعَياهُ ... تَشُقُّ نَوَاعِمُ البَشَرِ الجُيُوبا

ومعنى تروحنا : سرنا بعد الزوال ، أي عصرا ، ويروى : قصرا ، ويروى قسرا . واللعباء ، كما قال ابن السكيت : موضع بين الربذة وأرض بني سليم ، وهي لفزارة وبني ثعلبة وبني أنمار بن بغيض . وقيل : أرض تنبت الغضاء لبني أبي بكر بن كلاب . والإلاهة والإلاهة : بكسر الهمزة : اسم للشمس . ويروى الألاهة بالفتح عن ابن الأعرابي . يريد أنهم مضوا مسرعين من اللعباء عند العصر ، لما علموا بوفاة هذا الرجل ، فأدركوا غرضهم قبل مغيب الشمس . واختلف في قائل البيت . قال ابن بري : هو لمية بنت أم عتبة بن الحارث . وقيل : هو لبنت عبد الحارث اليربوعي ، ويقال : لنائحة عتيبة بن الحارث . وقال أبو عبيدة : هو لأم البنين بنت عتيبة ابن الحارث ترثيه . وفي معجم ما استعجم البكري : وقالت مية ، ويقال آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب : تروحنا . . . البيت .

(٢) مضر بن نزار . في عمود النسب النبوي . ويقال فيه « مضر الحمراء » بالإضافة ، لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه ، والحمراء : الذهب ، يذكر ويؤنث . والأسرة : عشيرة الرجل ، وأهل بيته . وملجاتي : يريد ملجئي ، زاد فيه تاء التأنيث . وظهرتي قال المؤلف : هو مؤنث الظهر ، وهذا يقتضي أنه بفتح الظاء . وفي اللسان : الظهرة (بالضم) ، والظهرة (بالكسر) عن كراع كالظهر . وهم ظهرة واحدة : أي يتظاهرون على الأعداء . ولم أجد الظهرة بالفتح إلا في قول المؤلف .

(وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) يقول : ونستبقى إناثهم (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) يقول : وإنا عالُون عليهم بالقهر ، يعنى بقهر الملك والسلطان ، وقد بيّنا أن كلّ شيء عال بقهر وغلبة على شيء ، فإن العرب تقول : هو فوقه .

القول فى تأويل قوله

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه من بنى إسرائيل لما قال فرعون للملأ من قومه : سنقتل أبناء بنى إسرائيل ونستحيى نساءهم : (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ) على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم ، (وَاصْبِرُوا) على مانالكم من المكاره فى أنفسكم وأبنائكم من فرعون .

وكان قد تبع موسى من بنى إسرائيل على ما حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما آمنت السحرة ، اتبع موسى ست مئة ألف من بنى إسرائيل ، وقوله (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : إن الأرض لله ، لعلّ الله أن يُورثكم إن صَبَرتم على مانالكم من مكروه فى أنفسكم وأولادكم من فرعون ، واحتسبتم ذلك ، واستقمتم على السداد ، أرضَ فرعون وقومه ، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها ، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه ، فخافه باجتناب معاصيه ، وأدّى فرائضه .

القول فى تأويل قوله

قَالُوا : أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ : عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ، وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)

يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى حين قال لهم ، استعينوا بالله واصبروا : (أُوذِينَا) بقتل أبنائنا (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) يقول : من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا ، لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى ، على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا . وقوله (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) يقول : ومن بعد ماجئتنا برسالة الله ، لأن فرعون لما غُلبت سحرته ، وقال للملأ من قومه ما قال ، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم . وقيل : إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون ، وهم منه هاربون ، وقد تراءى الجمعان ، فقالوا له : ياموسى (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) كانوا يذبحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) اليومَ يدركنا فرعون فيقتلنا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) من قبل إرسال الله إياك وبعده .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : فلما تراءى الجمعان ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رَدِفهم ، قالوا : إنا لَمُدرَكون وقالوا : أُوذِينا من قبل أن تأتينا ، كانوا يذّبحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدرَكون .

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سار موسى ببنى إسرائيل ، حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا ، فإذا هم برهَج دوابِّ فرعون ، فقالوا : ياموسى ، أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا ، هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون بمن معه ، (قال : عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الأَرْضِ ، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) .

وقوله (قالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : قال موسى لقومه : لعلّ ربكم أن يهلك عدوّكم : فرعونَ وقومه . ويستخلفكم : يقول : يجعلكم تخلفونهم فى أرضهم بعد هلاكهم ، لاتخافونهم ، ولا أحدا من الناس غيرهم (فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يقول : فيرى ربكم ما تعملون بعدهم ، من مسارعتكم فى طاعته ، وتثاقلكم عنها .

القول فى تأويل قوله

وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ ، لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه ، على ما هم عليه من الضلالة بالسِّنين ، يقول : بالجُدوب سنة بعد سنة والقُحوط ، يقال منه : أسنَتَ القوم : إذا أجدبوا (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) : يقول : واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغَلاّتهم إلا القليل (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) يقول : عظة لهم ، وتذكيرا لهم ، لينزجروا عن ضلالتهم ، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) قال : سِنِى الجوع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِالسِّنِينَ) : الجائحة (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) : دون ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى القاسم بن دينار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبى إسحاق ، عن رجاء بن حَيْوة فى قوله (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : حيث لاتحمل النخلة إلا تمرة واحدة .

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن رجاء بن حَيْوة ، عن كعب قال : يأتى على الناس زمان لاتحمل النخلة إلا تمرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن رجاء بن حيوة (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) : أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) فأما السنين فكان ذلك فى باديتهم وأهل مواشيهم ، وأما بنقص من الثمرات ، فكان ذلك فى أمصارهم وقراهم .

القول فى تأويل قوله

فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ ، قَالُوا :لَنَا هَٰذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ، أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)

❊ يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت آلَ فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ، ورأوا ما يُحبون فى دنياهم ، (قالُوا : لَنا هَذِهِ) نحن أولى بها ، (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) يعنى : جُدوب وقُحوط وبلاء (يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) : يقول : يتشاءموا بهم ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا ، من الرخاء والخصب والعافية ، مذ جاءنا موسى عليه السلام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ) العافية والرخاء (قالُوا : لَنا هَذِهِ) نحن أحقّ بها (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) بلاء وعقوبة (يَطَّيَّرُوا) يتشاءموا (بِمُوسَى) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالُوا : لَنا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) قالوا : ما أصابنا هذا إلا بك يا موسى وبمن معك ، ما رأينا شرًّا ولا أصابنا حتى رأيناك ، وقوله (فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالُوا لَنا هَذِهِ) قال : الحسنة : ما يحبون ، وإذا كان ما يكرهون ، قالوا : ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء

الذين ظلموا، قال قوم صالح : (اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) فقال الله (إِنَّما طائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) .

القول فى تأويل قوله (أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) :

يقول تعالى ذكره : ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم ، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشرّ، إلاّ عند الله ، ولكن أكثرهم لايعلمون أن ذلك كذلك ، فلجهلهم بذلك كانوا يطّيرون بموسى ومن معه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ) يقول : مصائبهم عند الله ، قال الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس (أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ) قال : الأمر من قِبَل الله .

القول فى تأويل قوله

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : ياموسى ،مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا: يقول: لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون (فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) يقول: فما نحن لك فى ذلك بمصدّقين ، على أنك محقّ فيما تدعونا إليه . وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر، بما أغنى عن إعادته .

وكان ابن زيد يقول فى معنى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) ما حدثنى يونس ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) قال : إن ما تأتنا به من آية ، وهذه فيها زيادة «ما» .

القول فى تأويل قوله

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)

اختلف أهل التأويل فى معنى الطُّوفان ، فقال بعضهم : هو الماء .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى ابن وكيع ،قال: ثنا حبّويه، الرازىّ، عن يعقوب القمّىّ ، عن جعفر، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما جاء موسى بالآيات ، كان أوّل الآيات الطُّوفان ، فأرسل الله عليهم السماء .

حدثنا أبو هشام الرفاعيّ ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي مالك ، قال : الطُّوفان : الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الطُّوفان : الماء .

قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الطُّوفان : الغَرَق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الطوفان الماء والطاعون على كلّ حال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطوفان : الموت على كلّ حال .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الطوفان : الماء .

وقال آخرون : بل هو الموت .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا المنْهال بن خليفة ، عن الحجاج ، عن الحكَم بن ميناء ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطُّوفانُ المَوْتُ » .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء ما الطوفان ؟ قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عطاء عمن حدّثه ، عن مجاهد ، قال : الطوفان : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن عبد الله بن كثير (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِم الطُّوفانَ) قالَ : الموت .

قال ابن جريج : وسألت عطاء عن الطوفان ، قال : الموت . قال ابن جريج : وقال مجاهد : الموت على كلّ حال[1] .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنْهال بن خليفة ، عن حجاج ، عن رجل ، عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « الطُّوفانُ المَوْتُ » .

وقال آخرون : بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظَبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ) قال : أمر الله الطوفان ، ثم قال (فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ) . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، يزعم أن الطوفان من

(١) المراد بقوله « على كل حال » : أي بالغرق أو الوباء أو نحوهما مما يعمهم .

السيل البُعاق والدُّباش ، وهو الشديد ، ومن الموت المتتابع الذريع السريع . وقال بعضهم : هو كثْرة المطر والريح . وكان بعض نحوِيِّي الكوفيين يقول : الطوفان ، مصدر مثل الرُّجْحان والنُّقْصان لا يجمع . وكان بعض نحويِّي البصرة يقول : هو جمع ، واحدها فى القياس : الطوفانة .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى : ماقاله ابن عباس ، على مارواه عنه أبوظَبْيان : أنه أمر من الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول القائل : طاف بهم أمر الله يطوف طُوفانا ، كما يقال : نقص هذا الشىء ينقص نُقْصانا . وإذا كان ذلك كذلك ، جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد ، وجاز أن يكون الموت الذريع . ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا ، قول الحسن بن عُرْفُطة :

غَيَّرَ الجِدَّةَ مِنْ آيَاتِهَا خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفانُ المَطَرْ [١]

ويروى : خرق الريح بطوفان المطر ؛ وقول الراعى :

تُضْحِي إذا العِيسُ أدْرَكنا نَكائِثَها خَرْقاءَ يعْتادُها الطُّوفانُ والزُّؤُدُ [٢]

وقولُ أبى النجم :

قَدْ مَدَّ طُوفانٌ فَبَثَّ مَدَدَا شَهْرًا شَآبِيبَ وَشَهْرًا بَرَدَا [٣]

وأما القُمَّل ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : هو السُّوس الذى يخرج من الحنطة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب القُمِّيّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : القُمَّل : هو السوس الذى يخرج من الحنطة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بنحوه .

وقال آخرون : بل هو الدَّبَى ، وهو صغار الجراد ، الذى لاأجنحة له .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : القمل : الدَّبَى .

---

(١) البيت فى (اللسان : طوف) ولم ينسبه ، وخرق الريح : اشتداد هبوبها ، يقال : خرقت الريح من بابى ظرف وفرح ، فهى خرقاء . والخرق بضمتين : ضد الرفق ، وأصله بسكون الراء : اسم من خرق يخرق خرقا فهو أخرق : إذا حمق وجهل . وطوفان المطر : المطر الغالب ، الذى يغرق من كثرته . يريد أن الذى غير معالم هذه الدار ومحاها شيئان : شدة هبوب الريح ، ثم دوام تهطال المطر عليها .

(٢) البيت فى (اللسان : زأد) كرواية المؤلف . وفى (نكث) ونسبه للراعى فى وصف ناقته . وفيه : « تمسى » فى مكان « تضحى » . قال : ويقال : بلغت نكيثة البعير : أى أقصى مجهوده فى السير . والخرقاء هنا : التى لا تحسن السير ، أو لا قدرة لها عليه . والطوفان : لعله هنا العرق الكثير . والزؤد بسكون الهمزة وضمها مع ضم الزاى : الفزع . يريد أن ناقته تضحى أو تمسى غير قادرة على السير ، يغمرها العرق والفزع ، على حين أن غيرها من الإبل قد اشتد فى سيره ، وبلغنا أقصى مجهوده .

(٣) الطوفان : المطر الغزير المغرق . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفقة من المطر . والبرد بالتحريك : ما جمد من المطر ، ويسمى حب الغمام .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : الدَّبَى : القُمَّل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : القُمَّل : هو الدَّبَى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : القُمَّل : الدَّبَى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، قال : القُمَّل : هى الدَّبَى ، وهى أولاد الجراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : القُمَّل : الدَّبَى . قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس عمن ذكره ، عن عكرمة ، قال : القمل : بنات الجراد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : القمل : الدَّبَى ؛

وقال آخرون : بل القُمَّل : البراغيث .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ) قال : زعم بعض الناس فى القمل : أنها البراغيث ؛ وقال بعضهم : هى دوابّ سود صغار .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، قال : سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا : القُمَّل : دوابّ سود صغار . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة ، يزعم أن القُمَّل عند العرب : الحَمْنان ، والحَمْنان : ضرب من القِرْدان ، واحدتها : حَمْنانة فوق القَمْقامة ، والقُمَّل جمع ، واحدتها : قُمَّلة ، وهى دابّة تشبه القمل ، تأكلها الإبل فيما بلغنى ، وهى التى عناها الأعشى فى قوله :

قَوْماً يُعالِجُ قُمَّلاً أَبْناؤُهُمْ وَسَلاسِلاً أُجُداً ، وَبَاباً مُؤْصَداً[1]

وكان الفراء يقول : لم أسمع فيه شيئا ، فإن لم يكن جمعا فواحده : قامل ، مثل ساجد وراكع ، وإن يكن اسما على معنى جمع ، فواحدته : قُمَّلة .

---

(١) البيت فى ديوان الأعشى أبي بصير (طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢١) ، وفى (لسان العرب : قمل) . والرواية فيهما بنصب « قوما » . وقبل البيت :

لَسْنا كَمَنْ جَعَلَتْ إيادٌ دارَها تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّها أَنْ يُحْصَدا

الكاف هنا بمعنى مثل ، وقوما بالنصب بدل منها ، أو خبر بعد خبر ليس . يريد بهذا البيت : لسنا كإياد حراثين أذلاء ، قد اتخذوا تكريت مقاما لهم ، فهن لاصقون بأرضهم ، ينتظرون حصاد الحب . وينشأ أبناؤهم خاملين ، يتشاغلون بقتل القمل المنتشر فى أبدانهم ، وقد أوثقوا بالسلاسل المتينة الغليظة ، وغلقت دونهم أبواب مدينتهم ، من خوف أعدائهم . يعتز ببداوته ، وأنه لايعانى ما يعانيه أهل الحضر من الزراعة وما يتبعها .

ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب الذى من أجله أحدثها الله فيهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما أتى موسى فرعون ، قال له : أرسل معى بنى إسرائيل ، فأبى عليه ، فأرسل الله عليهم الطُّوفان ، وهو المطر ، فصبّ عليهم منه شيئا ، فخافوا أن يكون عذابا ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك ، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، فأنبت لهم فى تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ ، فقالوا : هذا ما كنا نتمنى ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فسلطه على الكلأ ، فلما رأوا أثره فى الكلأ، عرفوا أنه لايبقى الزرع ، فقالوا: ياموسى ادع لنا ربك، فيكشف عنا الجراد، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، فداسوا وأحرزوا فى البيوت ، فقالوا : قد أحرزنا ، فأرسل الله عليهم القُمَّل، وهو السوس الذى يخرج منه ، فكان الرجل يخرج عشرة أجْرِبة إلى الرحى ، فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة ، فقالوا : ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القُمَّل ، فنؤمنَ لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم ، فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل . فبينا هو جالس عند فرعون، إذ سمع نقيق ضفدع ، فقال لفرعون : ما تلقى أنت وقومك من هذا ، فقال : وما عسى أن يكون كيد هذا ، فما أمسَوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه فى الضفادع ،ويَهُمّ أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشف عنهم فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار ، أو ماكان فى أوعيتهم، وجدوه دما عبيطا ، فشكوا إلى فرعون، فقالوا : إنا قد ابتلينا بالدم ، وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم، فقالوا : من أين سحرنا ونحن لانجد فى أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا ، فأتوه فقالوا: ياموسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل، فدعا ربه ، فكُشِف عنهم ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حبويه الرازىّ ، عن يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن ابن عباس ، قال: لما خافوا الغرق ، قال فرعون: ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر، فنؤمن لك ، ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن يعقوب .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ثم إن الله أرسل عليهم ، يعنى على قوم فرعون الطوفان ، وهو المطر ، فغرق كلّ شىء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا، ونحن نؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشف الله عنهم، ونبتت به زروعهم، فقالوا : ما يسرّنا أنا لم نمطَر ، فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل حروثهم ، فسألوا موسى أن يدعوَ ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقى من زروعهم بقية ، فقالوا : لم تؤمنون وقد بقى من زرعنا بقيّة تكفينا ؟ فبعث الله عليهم الدّبَى، وهو القمل، فلحَسَ الأرض كلها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم

وبين جلده فيعضه ، وكان لأحدهم الطعام فيمتلئ دبى ، حتى إن إحدهم ليبنى الأسطوانة بالجص ، فيزلقها ، حتى لايرتقى فوقها شىء ، يرفع فوقها الطعام ، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دَبى ، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدَّبى ، وهو الرجز الذى ذكر الله فى القرآن أنه وقع عليهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه ، فيكشف عنهم ، ويؤمنوا به ، فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلىّ يأتى هو والقبطى يستقيان من ماء واحد ، فيخرج ماء هذا القبطىّ دما ، ويخرج للإسرائيلىّ ماء ؛ فلما اشتدّ ذلك عليهم ، سألوا موسى أن يكشفه ، ويؤمنوا به ، فكشف ذلك ، فأبوا أن يؤمنوا ، وذلك حين يقول الله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ) قال : أرسل الله عليهم الماء ، حتى قاموا فيه قياما ، ثم كُشف عنهم ، فلم يؤمنوا ، وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله ، فأرسل الله عليه الجراد ، فأكله إلا قليلا ، فلم يؤمنوا أيضا ، فأرسل الله القُمَّل وهى الدَّبى ، وهى أولاد الجراد ، فأكلت ما بقى من زروعهم ، فلم يؤمنوا ، فأرسل عليهم الضفادع ، فدخلت عليهم بيوتهم ، ووقعت فى آنيتهم وفُرُشهم ، فلم يؤمنوا ، ثم أرسل الله عليهم الدم ، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوّل ذلك الماء دما ، قال الله : (آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ) حتى بلغ مجرمين ، قال : أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ، فدعَوْا موسى فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ، ثم أنبتت أرضهم ، ثم أرسل الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم وثمارهم ، ثم دعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، هذا الدبى الذى رأيتم ، فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم ، فلحسه ، فدعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، ثم أرسل الله عليهم الضفادع ، حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم ، فدعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكانوا لايغترفون من مائهم إلا دما أحمر ، حتى لقد ذُكر أن عدوّ الله فرعون ، كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد ، القبطىّ والإسرائيلىّ ، فيكون مما يلى الإسرائيلىّ ماء ، ومما يلى القبطىّ دما ، فدعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشفه عنهم فى تسع آيات السنين ، ونقص من الثمرات ، وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ) وهو المطر ، حتى خافوا الهلاك ، فأتوا موسى ، فقالوا : ياموسى ادع لنا ربك ، أن يكشف عنا المطر ، فإنا نؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم المطر ، فأنبت الله به حرثهم ، وأخصب به بلادهم ، فقالوا : ما نحبّ أنا لم نمطر بترك ديننا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأسرع فى فساد ثمارهم وزروعهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم

الجراد ، وكان قد بقى من زروعهم ومعاشهم بقايا ، فقالوا : قد بقى لنا ماهو كافينا ، فلن نؤمن لك، ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم القُمَّل ، وهو الدَّبَى ، فتتبع ما كان ترك الجراد ، فجزعوا وأحسوا بالهلاك ، قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الدبى ، فقالوا : ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأ بيوتهم منها ، ولَقُوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله ، إنها كانت تثب فى قدورهم ، فتفسد عليهم طعامهم ، وتطفىء نيرانهم ، قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع ، فقد لقينا منها بلاء وأذى ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الضفادع ، فقالوا : لانؤمن لك ، ولا نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الدم ، فجعلوا لايأكلون إلا الدم ، ولايشربون إلا الدم ، فقالوا : ياموسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم الدم ، فقالوا : ياموسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فكانت آيات مفصَّلات ، بعضها على إثر بعض ، ليكون لله عليهم الحجة ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم فى اليم .

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبوسعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أرسل على قوم فرعون الآيات : الجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدم (آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) قال : فكان الرجل من بنى إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون فى السفينة ، فيغترف الإسرائيلى ماء ، ويغترف الفرعونىّ دما . قال : وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب ، فيكثر عليه القُمَّل والضفادع ، حتى لايقدر أن ينقلب على الجانب الآخر ، فلم يزالوا كذلك ، حتى أوحى الله إلى موسى (أنْ أسْرِ بِعبادِى ، إنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن ، وأن يرسل معه بنى إسرائيل ، فاستكبر ، قال : لن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، أمطر عليهم السماء ، حتى كادوا يهلكون ، وامتنع منهم كلّ شىء ، فقالوا : ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنا هذا لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل . فدعا الله ، فكشف عنهم المطر ، فأنبت الله لهم حروثهم ، وأحيا بذلك المطر كلّ شىء من بلادهم ، فقالوا : والله ما نحبّ أنا لم نكن أُمطرنا هذا المطر ، ولقد كان خيرا لنا ، فلن نرسل معك بنى إسرائيل ، ولن نؤمن لك يا موسى . فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل عامّة حروثهم ، فأسرع الجراد فى فسادها ، فقالوا : ياموسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد ، فإنا مؤمنون لك ، ومرسلون معك بنى إسرائيل . فكشف الله عنهم الجراد ، وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية ، فقالوا : قد بقى لنا من حروثنا ما كان كافينا ، فما نحن بتاركى ديننا ، ولن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل . فأرسل الله عليهم القُمَّل ، والقُمَّل : الدَّبَى ، وهو الجراد الذى ليست له أجنحة ، فتتبع مابقى من حروثهم وشجرهم ،

وكلّ نبات كان لهم ، فكان القمل أشدّ عليهم من الجراد ، فلم يستطيعوا للقمل حيلة ، وجزعوا من ذلك وأتوا موسى ، فقالوا : ياموسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا القُمَّل ، فإنه لم يبق لنا شيئا ، قد أكل ما بقى من حروثنا ، ولئن كشفت عنا القُمَّل لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، فكشف الله عنهم القُمَّل فنكثوا ، وقالوا : لن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فامتلأت منها البيوت ، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع ، فلقوا منها شيئا لم يلقوه فيما مضى ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، قال : فكشف الله عنهم فلم يفعلوا ، فأنزل الله (فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إذا هُمْ يَنْكُثُونَ) . . . إلى (وكانُوا عَنْها غافِلِينَ) .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا أبو تُمَيلة، قال : ثنا الحسن بن واقد، عن زيد عن عكرمة، عن ابن عباس، قال كانت الضفادع برّية ، فلما أرسلها الله على آل فرعون ، سمعت وأطاعت ، فجعلت تغرق أنفسها فى القدور وهى تغلى ، وفى التنانير وهى تفور ، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فرجع عدوّ الله ، يعنى فرعون ، حين آمنت السحرة مغلوبا مفلولا ، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر ، والتمادىَ فى الشرّ ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذه بالسنين ، فأرسل عليه الطُّوفان ، ثم الجراد ، ثم القُمَّل ، ثم الضفادع ، ثم الدم (آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) ، فأرسل الطوفان ، وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ، ثم ركد ، لايقدرون على أن يحرثوا ، ولا يعملوا شيئا ، حتى جَهِدوا جوعا ؛ فلما بلغهم ذلك ، قالوا : ياموسى ، ادعُ لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل، فدعا موسى ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفُوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر فيما بلغنى، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد، حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ماقالوا، فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، فذُكر لى أن موسى أمر أن يمشى إلى كَثيب، حتى يضربه بعصاه، فمضى إلى كثيب أهيل عظيم، فضربه بها، فانثال عليهم قملا، حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ؛ فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة والآنية ، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا إناء، إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دما ، لايستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء إلا عاد دما عَبيطا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، أنه حدّث أن المرأة من آل فرعون ، كانت تأتى المرأة من بنى إسرائيل، حين جَهَدَهُمُ العطش ، فتقول : اسقينى من مائك ، فتغرف لها من جرّتها ، أو تصبّ لها من قربتها ، فيعود فى الإناء دما ، حتى إن كانت

لتقول لها : اجعليه فى فيك ، ثم مجّيه فى فىّ ، فتأخذ فى فيها ماء ، فإذا مجّته فى فيها صار دما ، فمكثوا فى ذلك سبعة أيام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الجراد يأكل زروعهم ونباتهم ،والضفادع تسقط على فرُشهم وأطعمتهم ، والدم يكون فى بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم . قال : ثنا شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لما سال النيل دما ، فكان الإسرائيلى يستقى ماء طيبا ، ويستقى الفرعونى دما ، ويشتركان فى إناء واحد ، فيكون مايلى الإسرائيلىّ ماء طيبا ، ومايلى الفرعونىّ دما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الأربع : العصا : واليد ، ونقص من الثمرات ، والسنين ، قال : يا ربّ إن عبدك هذا قد علا فى الأرض ، وعتا فى الأرض ، وبغى علىّ ، وعلا عليك ، وعالى بقومه ، ربّ خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ، وتجعلها لقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ، فبعث الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة ، بعضها فى بعض ، فامتلأت بيوت القبط ماء ، حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم ، من حبس منهم غرق ، ولم يدخل فى بيوت بنى إسرائيل قطرة ، فجعلت القبط تنادى موسى : ادع لنا ربك بما عهد عندك : لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، قال : فواثقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهودهم ، وكان الماء أخذهم يوم السبت ، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر ، فدعا موسى ربه ، فرفع عنهم الماء ، فأعشبت بلادهم من ذلك الماء ، فأقاموا شهرا فى عافية ، ثم جحدوا وقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا ، وخصبا لبلادنا ، ما نحبّ أنه لم يكن ؛ قال : وقد قال قائل لابن عباس : إنى سألت ابن عمر عن الطُّوفان ، فقال : ما أدرى موتا كان أو ماء ، فقال ابن عباس : أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح ، فقال : (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) أرأيت لو ماتوا إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟ قال : فقال موسى : يا ربّ إن عبادك قد نقضوا عهدك ، وأخلفوا وعدى ، ربّ خذهم بعقوبة ، تجعلها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدهم آية فى الأمم الباقية ، قال : فبعث الله عليهم الجراد ، فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلا أكلها ، حتى لم يبق جَنَى ، حتى إذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب ، حتى أكل الأبواب ، وسقوف البيوت ، وابتُلِى الجراد بالجوع ، فجعل لايشبع ، غير أنه لايدخل بيوت بنى إسرائيل ، فعجّوا وصاحوا إلى موسى ، فقالوا : ياموسى هذه المرّة ادع لنا ربك بما عهد عندك : لئن كشفت عنا الرجز ، لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، فأعطوه عهد الله وميثاقه ، فدعا لهم ربه ، فكشف الله عنهم الجراد ، بعد ما أقام عليهم سبعة أيام ، من السبت إلى السبت ، ثم أقاموا شهرا فى عافية ، ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم ، ولأعمالهم أعمال السوء ، قال : فقال موسى : يا ربّ عبادك قد نقضوا عهدى ، وأخلفوا موعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية . فأرسل الله عليهم القُمَّل ، قال أبو بكر : سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان : كان إلى جنبهم كثيب

أعفر ، بقرية من قُرى مصر تدعى عين شمس، فمشى موسى إلى ذلك الكثيب، فضربه بعصاه ضربة صار قملا تدبّ إليهم ، وهى دوابّ سود صغار ، فدبّ إليهم القُمَّل ، فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ، ولزم جلودهم ، كأنه الجدرىّ عليهم ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى : إنا نتوب ولا نعود ، فادع لنا ربك، فدعا ربه فرفع عنهم القُمَّل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت ، فأقاموا شهرا فى عافية ، ثم عادوا وقالوا : ماكنا قطّ أحقّ أن نستيقن أنه ساحر، منا اليوم ، جعل الرمل دوابّ ، وعزّة فرعون لانصدّقه أبدا ، ولا نتبعه ، فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم . فدعا موسى عليهم ، فقال : يا ربّ إن عبادك نقضوا عهدى ، وأخلفوا وعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فكان أحدهم يضطجع ، فتركبه الضفادع ، فتكون عليه رُكاما ، حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشقّ الآخر ، ويفتح فاه لأكلته ، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ، ولا يعجن عجينا إلا تشدخت فيه ، ولا يطبخ قدرا إلا امتلأت ضفادع ، فعذّبوا بها أشدّ العذاب . فشكوا إلى موسى عليه السلام ، وقالوا : هذه المرّة نتوب ولا نعود ، فأخذ عهدهم وميثاقهم ، ثم دعا ربه، فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا ، من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا فى عافية، ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم ، وقالوا : قد تبين لكم سحره ، ويجعل التراب دوابّ ، ويجىء بالضفادع فى غير ماء ، فآذوا موسى عليه السلام . فقال موسى : يا ربّ إن عبادك نقضوا عهدى ، وأخلفوا وعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية . فابتلاهم الله بالدم ، فأفسد عليهم معايشهم ، فكان الإسرائيلىّ والقبطىّ يأتيان النيل فيستقيان ، فيخرج للإسرائيلى ماء ، ويخرج للقبطى دما ، ويقومان إلى الحُبّ فيه الماء ، فيخرج للإسرائيلىّ فى إنائه ماء ، وللقبطىّ دما .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن سعد ، قال : سمعت مجاهدا ، فى قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) قال : الموت والجراد، قال : الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم، والقُمَّل، هو الدَّبَى ، سلطه الله عليهم بعد الجراد ؛ قال : والضفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم .

وقال بعضهم : الدم الذى أرسله الله عليهم كان رُعافا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أحمد بن خالد ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا زهير ، قال : قال زيد بن أسلم : أما القُمَّل : فالقَمْل ؛ وأما الدم : فسلط عليهم الرعاف

وأما قوله (آيات مُفَصَّلاتٍ) فإن معناه : علامات ودلالات على صحة نبوّة موسى ، وحقية ما دعاهم إليه . مفصلات ، قد فُصِل بينها ، فجعل بعضها يتلو بعضا ، وبعضها فى إثر بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ،

عن ابن عباس ، قال : فكانت آيات مفصّلات ، بعضها فى إثر بعض ، ليكون لله الحجة عليهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم فى اليم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) قال : يتبع بعضها بعضا ليكون لله الحجة عليهم ، فينتقم منهم بعد ذلك ، وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترتفع عنهم شهرا ، قال الله عزّ وجلّ (فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ ، فأغْرَقْناهُمْ فى اليَمّ) ... الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) : أى آية بعد آية ، يتبع بعضها بعضا .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى المفصّلات ، ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول : فى آيات مفصلات ، قال : معلومات .

القول فى تأويل قوله (فاسْتَكْبَرُوا وكانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)

يقول تعالى ذكره : فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ماذكر فى هذه الآيات من الآيات والحجج ، عن الإيمان بالله ، وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما دعاهم إليه ، وتعظّموا على الله ، وعتَوا عليه (وكانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) يقول : كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصى والفسق عتُوًّا وتمرّدا .

القول فى تأويل قوله

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا : يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولما وقع عليهم الرجز : ولما نزل بهم عذاب الله ، وحلّ بهم سخطه .

ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك الرجز الذى أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم ، فقال بعضهم : كون ذلك طاعونا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : وأمر موسى قومه من بنى إسرائيل ، وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس : الطوفان ، وما ذكر الله فى هذه الآية ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، فقال : ليذبح كلّ رجل منكم كَبْشا ، ثم ليخضب كفه فى دمه ، ثم ليضرب به على بابه ، فقالت القبط لبنى إسرائيل : لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم ؟ فقالوا : إن الله يرسل عليكم عذابا ، فنسلم وتهلكون . فقالت القبط : فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات ؟ فقالوا : هكذا أمرنا به نبينا ، فأصبحوا وقد طُعِن من قوم فرعون سبعون ألفا ، فأمسوا وهم لايتدافنون ، فقال فرعون عند ذلك : (ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ : لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) وهو الطاعون

(لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ) فدعا ربه فكشفه عنهم ، فكان أوفاهم كلهم فرعون ، فقال لموسى : اذهب ببنى إسرائيل حيث شئت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حَبُّويه الرازىّ ، وأبو داود الحفَرىّ ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : حبويه عن ابن عباس (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) قال : الطاعون .

وقال آخرون : هو العذاب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الرجز العذاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ) أى العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) يقول : العذاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) قال : الرجز : العذاب الذى سلّط الله عليهم من الجراد والقُمَّل وغير ذلك ، وكلّ ذلك يعاهدونه ثم ينكثون . وقد بيَّنا معنى الرِّجز فيا مضى من كتابنا هذا ، بشواهده المغنية عن إعادتها .

⁂ وأولى القولين بالصواب فى هذا الموضع : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه : أنهم لما وقع عليهم الرجز ، وهو العذاب والسخط من الله عليهم ، فزعوا إلى موسى ، بمسألته ربه كشف ذلك عنهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطُّوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم ، لأن كل ذلك كان عذابا عليهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا ، ولم يخبرنا الله أىّ ذلك كان ، ولا صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأىّ ذلك كان خبر ، فنسلم له .

فالصواب أن نقول فيه كما قال جلّ ثناؤه (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) ولا نتعدّاه إلا بالبيان الذى لاتمانع فيه بين أهل التأويل ، وهو لما حلّ بهم عذاب الله وسخطه (قَالُوا : يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) يقول : بما أوصاك وأمرك به ، وقد بيَّنا معنى العهد فيا مضى (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) يقول : لئن رفعت عنا العذاب الذى نحن فيه (لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ) يقول : لنصدقنّ بما جئت به، ودعوت إليه، ولنقرّنّ به لك (وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ) يقول : ولنخلّينّ معك بنى إسرائيل، فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاءوا .

القول فى تأويل قوله

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥)

❊ يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه ، فأجابه ، فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم (إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ) ليستوفوا عذاب أيامهم التى جعلها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) يقول : إذا هم ينقضون عهودهم التى عاهدوا ربهم وموسى ، ويقيمون على كفرهم وضلالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ) قال : عدد مسمًّى لهم من أيامهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) قال : ما أُعْطُوا من العهود ، وهو حين يقول الله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) وهو الجوع (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) .

القول فى تأويل قوله

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٣٦)

❊ يقول تعالى ذكره : فلما نكثوا عهودهم ، انتقمنا منهم ، يقول : انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم ، وذلك عذابه ، فأغرقناهم فى اليمّ ، وهو البحر ، كما قال ذو الرُّمَّة :

داوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كأنَّهُما يَمٌّ تَراطَنُ فى حافاتِهِ الرُّومُ[1]

وكما قال الراجز : كباذِخِ اليَمِّ سَقاهُ اليَمّ[2]

(بأنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنا) يقول : فعلنا ذلك بهم ، بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التى أريناهموها . (وكانُوا عَنْها غافِلِينَ) يقول : وكانوا عن النقمة التى أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة ، والهاء والألف فى قوله (عَنْها) كناية من ذكر النقمة ، فلو قال قائل : هى كناية من ذكر الآيات ، ووجه تأويل الكلام إلى : وكانوا عنها معرضين ، فجعل إعراضهم عنها غفولا منهم ، إذ لم يقبلوها ، كان مذهبا ، يقال من الغفلة ، غَفَلَ الرجل عن كذا يَغْفُلُ عنه غَفْلَة وغُفُولا وغَفْلا .

(١) هذا البيت الخامس والثلاثون فى قصيدة ذى الرمة المشهورة التى مطلعها : « أأن توسمت من خرقاء منزلة » . والداوية ، ويروى الدوية : الفلاة . واليم : البحر . والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة . والرطانة : كلام العجم والروم وما ليس بعربى من اللغات . وحافاته : جوانبه ، شبه البرية وما تراكم عليه من سواد الليل بالبحر وأمواجه .

(٢) هذا البيت للعجاج ، هو الرابع والعشرون من أرجوزة له يذكر فيها مسعود بن عمر العتكى من الأزد (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٦٣) والباذخ : العالى ، يقال : شرف باذخ . واليم : يطلق على البحر الملح ، كما يطلق على النهر الكبير العذب ، كنهر النيل .

القول فى تأويل قوله

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ، وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ (١٣٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم ، فيذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويستخدمونهم تسخيرا واستعبادا من بنى إسرائيل ، مشارق الأرض : الشأم ، وذلك ما يلى الشرق منها ، ومغاربها التى باركنا فيها ، يقول : التى جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لأهلها . وإنما قال جلّ ثناؤه (وأَوْرَثْنا) ، لأنه أورث ذلك بنى إسرائيل ، بمهلك من كان فيها من العمالقة .

وبمثل الذى قلنا فى قوله (مَشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن فُرات القزّاز ، عن الحسن ، فى قوله (وأَوْرَثْنا القَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها التى بارَكْنا فيها) قال : الشأم

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فُرات القزاز ، قال : سمعت الحسن يقول ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن فُرات القزاز ، عن الحسن : الأرض التى باركنا فيها ، قال : الشأم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وأَوْرَثْنا القَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها التى بارَكْنا فيها) هى أرض الشأم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (مَشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها التى بارَكْنا فيها) قال : التى بارك فيها : الشأم . وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على المحلّ ، يعنى : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مشارق الأرض ومغاربها . وأن قوله (وأَوْرَثْنا) إنما وقع على قوله (التى بارَكْنا فيها) ، وذلك قول لا معنى له ، لأن بنى إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ، ولم يكن له سلطان إلا بمصر ، فغير جائز ، والأمر كذلك أن يقال : الذين يستضعفون فى مشارق الأرض ومغاربها .

فإن قال قائل : فإن معناه : فى مشارق أرض مصر ومغاربها ، فإن ذلك بعيد من المفهوم فى الخطاب ، مع خروجه عن أقوال أهل التأويل ، والعلماء بالتفسير .

وأما قوله (وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى) فإنه يقول : وفى وعد الله الذى وعد بنى إسرائيل

بتمامه، على ما وعدهم من تمكينهم فى الأرض، ونصره إياهم على عدوّهم فرعونَ . وكلمته الحسنى قوله جلّ ثناؤه (ونُرِيدَ أنْ نَمُنَّ على الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأرْضِ ، ونَجْعَلَهُمْ أئمّةً ، ونَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ، ونُمَكّنَ لَهُمْ فِى الأرْضِ ، ونُرِىَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ) .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وتَمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِى إسْرائيلَ) قال : ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم فى الأرض ، وما ورّثهم منها :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

وأما قوله (وَدَمّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) فإنه يقول : وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع (وما كانُوا يَعْرِشُونَ) يقول : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، وأخرجناهم من ذلك كله ، وخرّبنا جميع ذلك . وقد بيّنّا معنى التعريش فيما مضى بشواهده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانُوا يَعْرِشُونَ) يقول : يبنون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَعْرِشون) يبنون البيوت والمساكن ما بلغت ، وكان عنبهم غير معروش .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق (يَعْرِشُونَ) بكسر الراء ، سوى عاصم بن أبى النّجود ، فإنه قرأه بضمها ، وهما لغتان مشهورتان فى العرب ، يقال : عرَش يعرِش ويَعرُش ، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معنى ذلك ، وأنهما معروفان من كلام العرب ، وكذلك تفعل العرب فى «فَعَل» إذا ردّته إلى الاستقبال ، تضمّ العين منه أحيانا ، وتكسره أحيانا ، غير أن أحبّ القراءتين إلىّ كسر الراء ، لشهرتها فى العامّة ، وكثرة القراءة بها ، وأنها أصحّ اللغتين .

القول فى تأويل قوله

وَجُوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ، فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ، قَالُوا۟ : يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ، قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)

* يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببنى إسرائيل البحر، بعد الآيات التى أريناهموها، والعبر التى عاينوها، على يدى نبىّ الله موسى ، فلم تزجرهم تلك الآيات ، ولم تعظهم تلك العبر والبينات ، حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ، ما يحقّ أن يذكر معها البهائم ، إذ مرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، يقول : يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون الله : اجعل لنا يا موسى إلها ، يقول : مثالا نعبده ، وصنما نتخذه إلها ، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ، ولا تنبغى العبادة لشىء سوى الله الواحد القهار . وقال موسى صلوات الله عليه : إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله ، وواجب حقه عليكم ، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشىء سوى الله ، الذى له ملك السموات والأرض .

وذكر عن ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج (وَجاوَزْنا بِبَنِى إسْرائيلَ البَحْرَ ، فأتَوْا على قَوْمٍ يَعْكُفُونَ على أصْنامٍ لَهُمْ) قال ابن جريج : على أصنام لهم ، قال : تماثيل بقر ، فلما كان عجل السامرىّ شبه لهم أنه من تلك البقر ، فذلك كان أول شأن العجل ، (قالُوا : يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إلَهاً كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قال : إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) وقيل : إن القوم الذين كانوا عكوفا على أصنام لهم ، الذين ذكرهم الله فى هذه الآية ، قوم كانوا من لخم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا بشر بن عمر ، قال : ثنا العباس بن المفضل ، عن أبى العوّام ، عن قتادة (فأتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أصْنامٍ لَهُمْ) قال : على لخم ، وقيل إنهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ : أن أبا واقد الليثىّ ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل حنين ، فمررنا بسِدْرة ، قلت : يا نبىّ الله ، اجعل لنا هذه ذات أنواط ، كما للكفار ذات أنواط ؛ وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسِدْرة يعكفون حولها ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « اللهُ أكْبَرُ ، هَذَا كمَا قالَتْ بَنُو إسْرَائيلَ لِمُوسَى : اجْعَلْ لَنا إلَهاً كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، إنَّكُمْ سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن سِنان ابن أبى سنان ، عن واقد الليثىّ ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل حُنَيْن ، فمررنا بسِدْرة ، فقلنا : يا نبىّ الله اجعل لنا هذه ذات أنواط ، فذكر نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن سنان ابن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن صالح ، قال : ثنى الليث ، قال : ثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى سنان بن أبى سنان الدِّيلىّ ، عن أبى واقد الليثىّ ، أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، قال : وكان للكفار بسدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ؛ قال : فمررنا

بسدرة خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط ، قال : قُلْتُمْ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ما قالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أَنَّها السُّنَنُ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ » .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)

﴿ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بنى إسرائيل، يقول تعالى ذكره : قال لهم موسى : إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام، اللهُ مهلك ماهم فيه من العمل ومفسده، ومُخْسرهم فيه، بإثابته إياهم عليه العذابَ المهين ، وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم إياها ، فمضمحلّ، لأنه غير نافع عند مجىء أمر الله وحلوله بساحتهم ، ولا مدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم ، ولا منقذَهم من عذابه إذا عذّبهم فى القيامة ، فهو فى معنى ما لم يكن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، وحدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ابن حماد ، قالا جميعا : حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ (إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ) يقول : مهلك ما هم فيه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ) يقول : خسران .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ ، وَبَاطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : هذا كله واحد ، كهيئة غفور رحيم ، عفوّ غفور . قال : والعرب تقول : إنه البائس المتبَّر ، وإنه البائس المخسر .

القول فى تأويل قوله

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ (١٤٠)

﴿ يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه : أسوى الله ألتمسكم إلها ، وأجعل لكم معبودا تعبدونه ، واللهُ الذى هو خالقكم ، فضَّلكم على عالِمى دهركم وزمانكم، يقول : أفأبغيكم معبودا لا ينفعكم ولا يضرّكم ، تعبدونه وتتركون عبادة مَن فضلكم على الخلق ، إمنكم هذا لجهل .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ، يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ، وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)

يقول تعالى ذكره لليهود من بنى إسرائيل، الذين كانوا بين ظهرانَىْ مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذكروا مع قيلكم هذا الذى قلتموه لموسى، بعد رؤيتكم من الآيات والعبر، وبعد النعم التى سلفت منى إليكم، والأيادى التى تقدمت فعلكم ما فعلتم، (إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته فى الكفر بالله من قومه (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ) يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه، وقد بيَّنا فيما مضى من كتابنا هذا، ما كان العذاب الذى كان يسومهم سيئه (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) الذكور من أولادهم (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) يقول: يستبقون إناثهم (وَفِى ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) يقول: وفى سومهم إياكم سوءَ العذاب، اختبار من الله لكم وتعمد عظيم.

القول فى تأويل قوله

وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ، فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤٢)

يقول تعالى ذكره: وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة؛ وقيل: إنها ثلاثون ليلة من ذى القعدة. (وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال، تتمة أربعين ليلة. وقيل: إن العشر التى أتمها به أربعين، عشر ذى الحجة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) قال: ذو القَعدة وعشر ذى الحِجة، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) قال: ذو القعدة وعشر ذى الحجة، فى ذلك اختلفوا.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً) هو ذو القعدة وعشر من ذى الحجة، فذلك قوله (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

حدثنى محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمىٌّ أن الثلاثين التى كان واعد موسى ربه، كانت ذا القعدة والعشر من ذى الحجة، التى تم الله بها الأربعين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَوَاعَدْنَا

مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً) قال : ذو القعدة (وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة ، قال ابن جريج : قال ابن عباس ، مثله ؛

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول ، فى قوله (وَوَاعَدْنا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ) قال : ذو القعدة ، والعشر الأوّل من ذى الحجة. قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مسروق (وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ) قال : عشر الأضحى .

وأما قوله (فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) فإنه يعنى : فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ) قال : فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة .

القول فى تأويل قوله (وَقالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِى فى قَوْمِى وأَصْلِحْ ، وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ) .

يقول تعالى ذكره : لما مضى لموعد ربه ، قال لأخيه هارون : (اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى) يقول : كن خليفتى فيهم إلى أن أرجع ، يقال منه : خَلَفَه يَخْلُفُه خلافة . وأصلح : يقول : وأصلحهم، بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال موسى لأخيه هارون : (اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وأَصْلِحْ) وكان من إصلاحه ألاّ يدع العجل يُعبَد .

وقوله (ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسلك طريق الذين يفسدون فى الأرض بمعصيتهم ربهم ، ومعونتهم أهل المعاصى على عصيانهم ربهم ، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم ، فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ، ونجى منه بنى إسرائيل ، فيما قال أهل العلم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى الحجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَوَاعَدْنا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً) . . . الآية ، قال : يقول : إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون ، وقبل الطور لما نجّى الله موسى عليه السلام من البحر ، وغرق آل فرعون ، وخلص إلى الأرض الطيبة ، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى ، وأمره ربه أن يلقاه ، فلما أراد لقاء ربه استخلف هارون على قومه ، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ميعادا من قِبَله ، من غير أمر ربه ولا ميعاده ، فتوجه ليلقى ربه ، فلما تمت ثلاثون ليلة ، قال عدوّ الله السامرىّ : ليس يأتيكم موسى ، وما يصلحكم إلا إله تعبدونه ، فناشدهم هارون ، وقال : لاتفعلوا ، انظروا ليلتكم هذه ، ويومكم هذا ، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ؛ فقالوا : نعم ؛ فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى ، عاد السامرىّ لمثل قوله بالأمس ، قال : وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذى جعله بينهم عشرا ، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ، فعاد هارون فناشدهم إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضا ، فإن جاء ، وإلا فعلتم ما بدا لكم ، ثم عاد السامرىّ الثالثة لمثل قوله لهم ، وعاد هارون فناشدهم أن ينتظروا ؛ فلما لم يروه .

قال القاسم: قال الحسن: حدثنى حجاج، قال: ثنى أبو بكر بن عبد الله الهُذَلىّ، قال: قام السامرىّ إلى هارون حين انطلق موسى، فقال: يا نبىّ الله، إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليا كثيرا من زينتهم، وإن الذين معك قد أسرعوا فى الحلىّ يبيعونه وينفقونه، وإنما كان عاريّةً من آل فرعون، فليسوا بأحياء فنردّها عليهم، ولا ندرى، لعلّ أخاك نبىّ الله موسى إذا جاء، يكون له فيها رأى، إما يقرّبها قربانا فتأكلها النار، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء. فقال له هارون: نِعْمَ ما رأيت وما قلت! فأمر مناديا فنادى: من كان عنده شىء من حلىّ آل فرعون، فليأتنا به، فأتوه به، فقال هارون: يا سامرىّ، أنت أحقّ من كانت عنده هذه الخزانة، فقبضها السامرىّ، وكان عدوّ الله الخبيث صائغا، فصاغ منه عجلا جسدا، ثم قذف فى جوفه تُرْبة من القبضة التى قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام، إذ رآه فى البحر، فجعل يخور، ولم يخر إلا مرّة واحدة، وقال لبنى إسرائيل: إنما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا، هذا إلهكم وإله موسى فنسى، يقول: إن موسى عليه السلام نسى ربه.

القول فى تأويل قوله

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ: رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ: لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ، فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى، فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا، فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ: سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)

❊ يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذى وَعَدْنا أن يلقانا فيه، وكلّمه ربه وناجاه، قال موسى لربه: (أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ) قال الله له مجيبا (لَنْ تَرَانِى، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ).

كان سبب مسألة موسى ربه النظر إليه، ما حدثنى به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: إن موسى عليه السلام لما كلّمه ربه، أحبّ أن ينظر إليه (قالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قالَ: لَنْ تَرَانِى، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ، فإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى) فحفّ حول الجبل[1]، وحفّ حول الملائكة بنار، وحفّ حول النار بملائكة، وحفّ حول الملائكة بنار، ثم تجلى ربه للجبل.

حدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع، فى قوله (وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا) قال: ثنى من لَقِىَ أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم، أنه قرّبه الربّ، حتى سمع صريف القلم، فقال عند ذلك من الشوق إليه: (رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قالَ: لَنْ تَرَانِى: وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ).

حدثنا القاسم، قال: ثنى الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبى بكر الهُذَلىّ، قال: لمّا تخلف موسى

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ بدار الكتب. والذى فى عرائس المجالس للثعلبى من رواية السدى: فحف حول الجبل بالملائكة.

عليه السلام بعد الثلاثين ، حتى سمع كلام الله ، اشتاق إلى النظر إليه ، فقال : (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قالَ لَنْ تَرَانِي) وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلىّ فى الدنيا ، من نظر إلىّ مات ، قال : إلهى سمعت منطقك ، واشتقت إلى النظر إليك ، ولأن أنظر إليك ثم أموت ، أحبّ إلىّ من أن أعيش ولا أراك ، قال : فانظر إلى الجبل ، فإن استقرّ مكانه فسوف ترانى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) قال : أعطنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استخلف موسى هارونَ على بنى إسرائيل ، وقال : إنى متعجّل إلى ربى ، فاخلفنى فى قومى ، ولا تتبع سبيل المفسدين ؛ فخرج موسى إلى ربه متعجلا للقيه ، شوقا إليه ، وأقام هارون فى بنى إسرائيل ، ومعه السامرىّ ، يسير بهم على أثر موسى ، ليلحقهم به ؛ فلما كلم الله موسى ، طمع فى رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه ، فقال الله لموسى (إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) . . . الآية . قال ابن إسحاق : فهذا ما وصل إلينا فى كتاب الله عن خبر موسى ، لما طلب النظر إلى ربه ، وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة ، أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة ، لم تأتنا فى كتاب الله ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب ، إنهم يجدون فى تفسير ما عندهم من خبر موسى ، حين طلب ذلك إلى ربه ، أنه كان من كلامه إياه حين طمع فى رؤيته ، وطلب ذلك منه ، وردّ عليه ربه منه ما ردّ : أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه ، وصام للقاء ربه ؛ فلما أتى طور سينا ، ودنا الله له فى الغمام فكلمه ، سبّحه وحمده ، وكبره وقدّسه ، مع تضرّع وبكاء حزين ، ثم أخذ فى مدحته ، فقال : ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله ! من عظمتك أنه لم يكن شىء من قبلك ، فأنت الواحد القهار ، كان عرشك تحت عظمتك ، نارتوقد لك ، وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور ، فما أعظمك ربّ ، وأعظم ملكك ! جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمس مئة عام ، فما أعظمك ربّ وأعظم ملكك فى سلطانك ! فإذا أردت شيئا تقضيه فى جنودك الذين فى السماء ، أو الذين فى الأرض ، وجنودك الذين فى البحر ، بعثت الريح من عندك ، لا يراها شىء من خلقك إلا أنت إن شئت ، فدخلتْ فى جوف من شئت من أنبيائك ، فبلّغوا لما أردت من عبادك ، وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئا من عظمتك ، ولا من عرشك ، ولا يسمع صوتك ، فقد أنعمت علىّ ، وأعظمت علىّ فى الفضل ، وأحسنت إلىّ كلّ الإحسان ، عظمتنى فى أمم الأرض ، وعظمتنى عند ملائكتك ، وأسمعتنى صوتك ، وبذلت لى كلامك ، وآتيتنى حكمتك ، فإن أعدّ نعماك لا أحصيها ، وإن أردت شكرك لا أستطيعها ، دعوتك ربّ على فرعون بالآيات العظام ، والعقوبة الشديدة ، فضربت بعصاى التى فى يدى البحر ، فانفلق لى ولمن معى ، ودعوتك حين جزْتُ البحر ، فأغرقت عدوّك وعدوّى ، وسألتك الماء لى ولأمّتى ، فضربتُ بعصاى التى فى يدى الحجر ، فمنه أرويتنى وأمّتى ، وسألتك لأمّتى طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم ، فأمرتنى أن أدعوك من قِبَل المشرق ، ومن قِبَل المغرب ، فناديتك

من شرق أمتى ، فأعطيتهم المنّ من مشرق لنفسى ، وآتيتهم السلوى من غربيّهم من قِبَل البحر ، واشتكيت الحرّ فناديتك ، فظللت عليهم بالغمام ، فما أطيق نعماك علىّ أن أعُدّها ولا أحصيها ، وإن أردت شكرها لا أستطيعها ، فجئتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرّعا ، لتعطينى ما منعت غيرى ، أطلب إليك وأسألك ياذا العظمة والعزّة والسلطان، أن تريني أنظر إليك ، فإنى قد أحببت أن أرى وجهك الذى لم يره شىء من خلقك ، قال له ربّ العزّة : فلا ترى يابن عمران ما تقول، تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لايرانى أحد فيحيا ، أليس فى السموات معمرى ، فإنهن قدضعفن أن يحملن عظمتى ، وليس فى الأرض معمرى ، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندىّ ، فلستُ فى مكان واحد ، فأتجلّى لعين تنظر إلىّ . قال موسى : يا ربّ أن أراك وأموت ،أحبّ إلىّ من أن لا أراك ولا أحيا ،قال له ربّ العزّة :يابن عمران،تكلّمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق ، لايرانى أحد فيحيا ، قال : ربّ تمم علىّ نعماك ، وتمم علىّ فضلك ، وتمم علىّ إحسانك هذا الذى سألتك ، ليس لى أن أراك فأُقْبَضَ ، ولكن أحبّ أن أراك فيطمئنّ قلبى . قال له : يابن عمران ، لن يرانى أحد فيحيا ، قال موسى : ربّ تمم علىّ نعماك وفضلك ، وتمم علىّ إحسانك هذا الذى سألتك ، ليس لى أن أراك ، فأموت على أثر ذلك أحبّ إلىّ من الحياة . فقال الرحمن المترحم على خلقه : قد طلبتَ يا موسى ، وأعطيتُك سؤلك، إن استطعت أن تنظر إلىّ ، فاذهب فاتخذ لوْحين ، ثم انظر إلى الحجر الأكبر فى رأس الجبل ،فإن ما وراءه وما دونه مضيق لايسع إلا مجلسك يابن عمران، ثم انظر فإنى أهبط إليك وجنودى من قليل وكثير . ففعل موسى كما أمره ربه، نحت لوحين، ثم صعد بهما إلى الجبل ، فجلس على الحجر : فلما استوى عليه ، أمر الله جنوده الذين فى السماء الدنيا ، فقال : ضعى أكنافك حول الجبل ، فسمعت ما قال الربّ ففعلت أمره ، ثم أرسل الله الصراعق والظلمة والضّباب على ما كان يلى الجبل الذى يلى موسى ،أربعة فراسخ من كل ناحية، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى ، فاعترضوا عليه ، فمروا به طيران النُّغَر[1] تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة، كصوت الرعد الشديد ، فقال موسى بن عمران عليه السلام : ربّ إنى كنت عن هذا غنيا ، ما ترى عيناى شيئا، قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربى، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى : فاعترضوا عليه ، فهبطوا أمثال الأُسُد ، لهم لجب بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد الضعيف ابن عمران، مما رأى ومما سمع ، فاقشعرّت كلّ شعرة فى رأسه وجلده ، ثم قال: ندمت على مسئلتى إياك ، فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شىء ؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم : يا موسى اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت . ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة: أن أهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ، فأقبلوا أمثال النسور لهم قصْف[2] ورَجْف ولَجَب شديد ، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس ، كلَجَب الجيش العظيم، أو كلهب النار ،ففزع موسى ، وأيست نفسه ، وأساء ظنه ، وأيس من الحياة ، فقال له خير الملائكة ورأسهم : مكانك يابنَ عمران ، حتى ترى ما لاتصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة :أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران ، فأقبلوا وهبطوا عليه، لايشبههم شىء من الذين مرّوا به قبلهم، ألوانهم

(١) فى اللسان : النغر : فراخ العصافير ، واحدته نغرة (بضم ففتح) . وقيل ضرب من الحمر ، حمر المناقير وأصول الأحناك . وجمعها : نغران . وهو البلبل عند أهل المدينة .		(٢) قصف : أى صوت ، كذا فى عرائس المجالس للثعلبى ، وفى المخطوطة رقم ١٠٠ (١٠ : ١٧٢ ظ) . وفى المطبوعة الثانية : نخف ، وهو الصوت من الأنف .

كلهب النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض ، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس ، لايقاربهم شيء من أصوات [الذين مرّوا به قبلهم ، فاصطكت ركبتاه ، وأرعد قلبه ، واشتدّ بكاؤه ، فقال خير الملائكة ورأسهم : يابن عمران ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت ، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا ، فاعترضوا على موسى ، فهبطوا عليه سبعة ألوان ، فلم يستطع موسى أن يُتْبِعهم طرْفه ، ولم ير مثلهم ، ولم يسمع مثل أصواتهم ، وامتلأ جوفه خوفا ، واشتدّ حزنه ، وكثر بكاؤه ، فقال له خير الملائكة ورأسهم : يابن عمران ، مكانَك حتى ترى مالاتصبر عليه ، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة : أن اهبطوا على عبدى الذى طلب أن يرانى ، موسى بن عمران ، واعترضوا عليه ، فهبطوا عليه ، فى يد كلّ ملك مثل النخلة الطويلة نار أشدّ ضوءا من الشمس ، ولباسهم كلهب النار ، إذا سبحوا وقدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم ، يقولون بشدة أصواتهم : سُبُّوحٌ قُدُّوس ، ربّ العزّة أبدا لايموت ، فى رأس كلّ ملك منهم أربعة أوجه . فلما رآهم موسى رفع صوته ، يسبّح معهم حين سبحوا ، وهو يبكى ويقول : ربّ اذكرنى ، ولا تنس عبدك ، لا أدرى أنقلب مما أنا فيه أم لا ؟ إن خرجت أُحرقت ، وإن مكثت متّ . فقال له كبير الملائكة ورئيسهم : قد أوشكت يابن عمران أن يمتلئ جوفك ، وينخلع قلبك ، ويشتدّ بكاؤك ، فاصبر للذى جلست لتنظر إليه يابن عمران . وكان جبل موسى جبلا عظيما ، فأمر الله أن يُحمَل عرشه ، ثم قال : مرّوا بى على عبدى ليرانى ، فقليل من كثير ما رأى ، فانفرج الجبل من عظمة الربّ ، وغَشّى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعا ، فارتج الجبل فاندكّ ، وكلّ شجرة كانت فيه ، وخرّ العبد الضعيف ، موسى بن عمران صَعِقا على وجهه ، ليس معه روحه ، فأرسل الله الحياة برحمته ، فتغشاه برحمته ، وقلب الحجر الذى كان عليه ، وجعله كالمعدة ، كهيئة القبة ، لئلا يحترق موسى ، فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يُصْرَع . قال : فقام موسى يسبح الله ويقول : آمنت أنك ربى ، وصدّقت أنه لايراك أحد فيحيا ، ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه ، فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك ! أنت ربّ الأرباب ، وإله الآلهة ، وملك الملوك ، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك ، وتأمر السماء وما فيها فتطيعك ، لاتستنكف من ذلك ، ولا يعدلك شيء ، ولا يقوم لك شيء ، ربّ تبتُ إليك ، الحمد لله الذى لاشريك له ، ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين !

القول فى تأويل قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً) :

يقول تعالى ذكره : فلما اطلع الربّ للجبل ، جعل الله الجبل دَكًّا : أى مستويا بالأرض ، وخرّ موسى صَعِقا : أى مغشيًا عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحسين بن محمد بن عمرو العَنْقَزىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر . جعله دكا : قال : ترابا (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) قال : مغشيا عليه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قال : تجلى منه مثل الخنصر ، فجعل الجبل دكا ، وخرّ موسى صعقا ، فلم يزل صعقا ما شاء الله.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد فى قوله (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) قال : مغشيا عليه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : انقعر بعضه على بعض (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) : أى ميتا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) : أى ميتا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (دَكًّا) قال : دَكَّ بعضه بعضا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت سفيان يقول ، فى قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال: ساخ الجبل فى الأرض،حتى وقع فى البحر ، فهو يذهب معه .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، عن حجاج ، عن أبى بكر الهذلىّ (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) : انقعر ، فدخل تحت الأرض ، فلايظهر إلى يوم القيامة .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطىّ ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، قال : ثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس عن النبىّ، صلى الله عليه وسلم، قال: « لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ، أشارَ بأُصْبُعَيْهِ ، فَجَعَلَهُ دَكًّا » وأرانا أبوإسماعيل بأصبعه السبّابة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال: هكذا بأصبعه ، ووضع النبىّ صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفصِل الأعلى من الخنصر ، فساخ الجبل .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا هُدْبة بن خالد ، قال: ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : وضع الإبهام قريبا من طرَف خنصره ، قال : فساخ الجبل ، فقال حميد لثابت : تقول هذا ؟ قال: فرفع ثابت يده، فضرب صدر حميد ، وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقوله أنس ، وأنا أكتمه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (فَلَمَّا

تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور ، صار مثل دك من الدكات :

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) فإنه أكبر منك وأشدّ خلقا (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) فنظر إلى الجبل لايتمالك ، وأقبل الجبل يندكّ على أوّله ؛ فلما رأى موسى ما يصنع الجبل خرّ صعقا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (دَكًّا) فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة (دَكًّا) مقصورا بالتنوين ، بمعنى : دك الله الجبل دَكًّا : أى فتته ، واعتبارا بقول الله (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) ، وقوله (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) . واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد :

يَدُكُّ أَرْكَانَ الجِبالِ هَزَمُهُ تَخْطِرُ بالبِيضِ الرِّقاقِ بُهَمُهُ [1]

وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) : بالمدّ وترك الجرّ والتنوين ، مثل حمراء وسوداء ، وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة ، ويقول فيه ما حدثنى به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن عباد ، عن يزيد بن حازم ، عن عكرمة ، قال : دكاء من الدكاوات ، وقال لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صخره ترابا .

واختلف أهل العربية فى معناه إذا قرئ كذلك ، فقال بعض نحويّ البصرة : العرب تقول : ناقة دَكّاء : ليس لها سنام ، وقال : الجبل مذكر ، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء ، حذف مثل ، وأجراه مجرى (واسأل القَرْيَةَ) . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : معنى ذلك : جعل الجبل أرضا دكاء ، ثم حذفت الأرض ، وأقيمت الدكاء مقامها ، إذ أدّت عنها .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى : قراءة من قرأ جعله دكاء بالمدّ ، وترك الجرّ ، لدلالة الخبر الذى رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته . وذلك أنه رُوِى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فَساخَ الجَبَلُ » ولم يقل ، فتفتّت ، ولا تحوّل ترابا ، ولا شكّ أنه إذا ساخ فذهب ، ظهر وجه الأرض ، فصار بمنزلة الناقة التى قد ذهب سنامها ، وصارت دكاء بلا سنام . وأما إذا دكّ بعضه ، فإنما يكسر بعضه بعضا ، ويتفتّت ولا يسوخ . وأما الدكاء ، فإنها خلَف من الأرض ، فلذلك أنثت على ما قد بينت .

فمعنى الكلام إذن : فلما تجلى ربه للجبل ساخ ، فجعل مكانه أرضا دكاء .

وقد بينّا معنى الصَّعِق بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

---

(١) لم أجد البيتين فى ديوان حميد بن ثور الهلالى طبعة دار الكتب المصرية . ولم أجدهما فى اللسان ولا فى التاج . والهزم والاهتزام والتهزم : الصوت . ولعله يريد أصوات الأبطال فى الحرب ، والكلام فى وصف جيش . وتخطر : تتمايل وتمشى مشية العجب وسيوفهم تهتز ، وهى البيض الرقاق . والبهم : جمع بُهمة ، بضم الباء وفتح الهاء ، وهم الأبطال الذين لايدرى طالبهم من أين يصيدهم .

القول فى تأويل قوله (فَلَمَّا أفاقَ قال سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ) :

يقول تعالى ذكره: فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشْيته ، وذلك هو الإفاقة من الصَّعْقة التى خرّ لها موسى صلى الله عليه وسلم ، قال : (سُبْحانَكَ) : تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد فى الدنيا ثم يعيش، (تُبْتُ إليْكَ) من مسألتى إياك ماسألتك من الرؤية (وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ) بك من قومى ، ألا يراك فى الدنيا أحد إلا هلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، فى قوله (تُبْتُ إليْكَ ،وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ) قال: كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أوّل من آمن بأنه لايراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : لما رأى موسى ذلك وأفاق ، عرف أنه قد سأل أمرا لاينبغى له، فقال (سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ ، وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ) قال أبوالعالية : عَنَى أنى أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة .

حدثنى عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : قال سفيان : قال أبوسعد ، عن عكرمة عن ابن عباس (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) فمرّت به الملائكة وقد صَعِق ، فقالت: يابن النساء الحُيض ، لقد سألت ربك أمرا عظيما ؛ فلما أفاق قال : سبحانك لاإله إلا أنت ، تبت إليك ، وأنا أوّل المؤمنين . قال : أنا أوّل من آمن أنه لايراك أحد من خلقك ، يعنى فى الدنيا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ ،وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ) يقول: أنا أوّل من يؤمن أنه لايراك شىء من خلقك.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ) قال : من مسئلتى الرؤية .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، عن مجاهد (قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ) أن أسألك الرؤية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبونعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد (سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ) أن أسألك الرؤية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عيسى بن ميمون عن مجاهد ، فى قوله (سُبْحانَكَ تُبْتُ إليْكَ) قال : تبت إليك من أن أسألك الرؤية .

وقال آخرون : معناه قوله (وأنا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ) بك من بنى إسرائيل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقَزِىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) قال : أوّل من آمن بك من بنى إسرائيل .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) يعنى : أوّل المؤمنين من بنى إسرائيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) : أنا أوّل قومى إيمانا .

حدثنا ابن وكيع والمثنى ، قالا : ثنا أبونعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) يقول : أوّل قومى إيمانا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) قال : أنا أوّل قومى إيمانا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) قال : أوّل قومى آمن .

❊ وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى قوله (وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ) على قول من قال : معناه : أنا أوّل المؤمنين من بنى إسرائيل ، لأنه قد كان قبله فى بنى إسرائيل مؤمنون وأنبياء ، منهم ولد إسرائيل لصلبه ، وكانوا مؤمنين وأنبياء ، فلذلك اخترنا القول الذى قلناه قبل .

القول فى تأويل قوله

قَالَ : يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ، فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤)

❊ يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى (يا مُوسَى إنّى اصْطَفَيْتُكَ على النّاسِ) يقول : اخترتك على الناس (بِرِسَالاتِى) إلى خلقى ، أرسلتك بها إليهم (وَبِكَلامى) كلمتك وناجيتك ، دون غيرك من خلقى . (فَخُذْ ما آتَيْتُكَ) يقول : فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهيى ، وتمسك به ، واعمل به ، يريد (وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ) لله على ما آتاك من رسالته ، وخصك به من النجوى ، بطاعته فى أمره ونهيه ، والمسارعة إلى رضاه .

القول فى تأويل قوله

وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ، فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ، وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ، سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ (١٤٥)

❊ يقول تعالى ذكره : وكتبنا لموسى فى ألواحه ، وأدخلت الألف واللام فى الألواح بدلا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

. . . . والأحْلامُ غَـيْرُ عَوَازِبِ[١]

وكما قال جلّ ثناؤه (فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى) يعنى : هى مأواه .

وقوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعزّ سلطانه، (مَوْعِظَةً) لقومه، ومن أمر بالعمل بما كتب فى الألواح (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) يقول : وتبيينا لكلّ شىء من أمر الله ونهيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أو سعيد بن جبير ، وهو فى أصل كتابى : عن سعيد بن جبير فى قول الله (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أُمروا به وُنهُوا عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وكَتَبْنَا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) من الحلال والحرام .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أُمروا بـه ، ونُهُوا عه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وكَتَبْنَا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال عطية : أخبرنى ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كَرَبه الموت قال : هذا من أجل آدم ، قد كان الله جعلنا فى دار مَثوى لانموت ، فخطأ آدم أنزلنا ههنا . فقال الله لموسى : أبعث إليك آدم فتخاصمه ؟ قال : نعم ؛ فلما بعث الله آدم ، سأله موسى ، فقال أبونا آدم عليهما السلام : يا موسى ، سألت الله أن يبعثنى لك ، قال موسى : لولا أنت لم نكن ههنا ، قال له آدم : أليس قد آتاك الله من كلّ شىء موعظة وتفصيلا ، أفلست تعلم أنه ما أصاب فى الأرض من مصيبة ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ؟ قال موسى : بلى ، فخَصَمه آدم صلى الله عليهما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهبا يقول فى قوله (وكَتَبْنَا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ

(١) يريد : وأحلامهم غير عوازب . وهذا جزء من بيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدة له يمدح آل جفنة من غساسنة الشام . والبيت بتمامه كما فى (مختار الشعر الجاهلى ص ١٦٢) :

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِها اللهُ غَيْرَهُمْ مِنَ الجُودِ والأحْلامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

شَيْءٍ) قال : كتب له لاتشرك بى شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض ، فإن كلّ ذلك خلقى ، ولاتحلف باسمى كاذبا ،فإن من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ، وَوَقِّرْ والديك .

القول فى تأويل قوله (فَخُذْها بِقُوَّةٍ) :

❊ يقول تعالى ذكره : وقلنا لموسى إذ كتبنا له فى الألواح من كلّ شىء موعظة وتفصيلا لكلّ شىء : خذ الألواح بقوّة . وأخرج الخبر عن الألواح ، والمراد ما فيها .

واختلف أهل التأويل فى معنى القوّة فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها : بجدّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة عن ابن عباس (فَخُذْها بِقُوَّةٍ) قال : بجدّ .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَخُذْها بِقُوَّةٍ) قال : بجدّ واجتهاد .

وقال آخرون : معنى ذلك : فخذها بالطاعة لله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبوجعفر ، عن الربيع ابن أنس ، فى قوله (فَخُذْها بِقُوَّةٍ) قال : بالطاعة .

وقد بيّنّا معنى ذلك بشواهده ، واختلاف أهل التأويل فيه ، فى سورة البقرة ، عند قوله (خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ) فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله (وأْمُرْ قَوْمَكَ يأْخُذُوا بأحْسَنِها) :

❊ يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى : وأْمُرْ قومك بنى إسرائيل يأخذوا بأحسنها ، يقول : يعملوا بأحسن ما يجدون فيها .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (و أْمُرْ قَوْمَكَ يأْخُذُوا بأحْسَنِها) : بأحسن ما يجدون فيها .

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأْمُرْ قَوْمَكَ يأْخُذُوا بأحْسَنِها) قال : أمر موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه .

فإن قال قائل : وما معنى قوله (وأْمُرْ قَوْمَكَ يأْخُذُوا بأحْسَنِها) ؟ أكان من خصالهم ترك بعض مافيها من الحسن ؟ قيل : لا ، ولكن كان فيها أمر ونهى ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ، ويتركوا ما نهاهم عنه ، فالعمل بالمأمور به ، أحسن من العمل بالمنهىّ عنه .

القول فى تأويل قوله (سأُورِيكُمْ دارَ الفاسِقِينَ) :

❊ يقول تعالى ذكره لموسى إذ كتب فى الألواح من كلّ شىء : خذها بجدّ فى العمل بما فيها واجتهاد ،

وأْمُرْ قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى ، فإن من أشرك بى منهم ومن غيرهم ، فإنى سأريه فى الآخرة عند مصيره إلىّ ، دار الفاسقين ، وهى نار الله التى أعدّها لأعدائه، وإنما قال (سأُوريكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ) كما يقول القائل لمن يخاطبه : سأريك غدا إلامَ يصير إليه حال من خالف أمرى ؟ على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك :

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنى عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سأُورِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ) قال : مصيرهم فى الآخرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم، قال : ثنا مبارك، عن الحسن ، فى قوله (سأُوريكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ) قال : جهنم .

وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشأم ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها ، من الجبابرة والعمالقة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سأُوريكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ) : منازلهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَارَ الفاسِقِينَ) قال : منازلهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : سأريكم دار قوم فرعون ، وهى مصر .

ذكر من قال ذلك[1] :

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك، لأن الذى قبل قوله جلّ ثناؤه (سأُوريكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ) أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة ، فأَوْلَى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه ، وفرّط فى العمل لله ، وحاد عن سبيله ، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه ، أو عما لم يجر له ذكر .

القول فى تأويل قوله

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ، وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦)

(١) هكذا بياض بالأصل بمقدار خمسة أسطر فى النسخة رقم ١٠٠ ، والذى فى الدر عن قتادة : دار الفاسقين ، قال : مصر . اه . قال العراق : إنه تصحيف .

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سأنزع عنهم فهم الكتاب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن منصور المَرْوَزِىّ ، قال : ثنى محمد بن عبد الله بن بكر ، قال : سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله (سأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) قال : يقول : أنزع عنهم فهم القرآن، وأَصْرفهم عن آياتى . وتأويل ابن عيينة هذا، يدلّ على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله، ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى ، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون موسى عليه السلام .

وقال آخرون فى ذلك : معناه : سأصرفهم عن الاعتبار بالحُجَج .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (سأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ) : عن خلق السموات والأرض والآيات فيها ، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهى أدلته وأعلامه على حقية ما أمر به عباده ، وفرض عليهم من طاعته، فى توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه، والسموات والأرض ، وكلّ موجود من خلقه فمن آياته ، والقرآن أيضا من آياته . وقد عمّ بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين فى الأرض بغير الحقّ ، وهم الذين حقّت عليهم كلمة الله أنهم لايؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته، والاعتبار والادّكار بها مصروفون، لأنهم لو وُفقوا لفهم بعض ذلك ، فهُدُوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحقّ ، وذلك غير كائن منهم ، لأنه جلّ ثناؤه قال (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لايُؤْمِنُوا بِها) ، فلا تبديل لكلمات الله .

القول فى تأويل قوله (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لايُؤْمِنُوا بها ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لايَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ، ذلكَ بأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنا وكانُوا عَنْها غافِلِينَ) :

يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحقّ، وتكبرهم فيها بغير الحقّ ، تجبرهم فيها، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله، والإذعان لأمره ونهيه ، وهم لله عبيد، يغدوهم بنعمته ، ويُريح عليهم رزقَه بكرة وعشيا (كلّ آيَةٍ) : يقول : كلّ حجة لله على وحدانيته وربوبيته ، وكلّ دلالة على أنه لاتنبغى العبادة إلا له خالصة دون غيره . (لايُؤْمِنُوا بِها) يقول : لايصدّقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هى فيه حجة ، ولكنهم يقولون : هى سحر وكذب (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لايَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً) يقول: وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذى إن سلكوه نَجَوْا من الهَلَكة والعطب، وصاروا إلى نعيم الأبد، لايسلكوه ولايتخذوه لأنفسهم طريقا، جهلا منهم وحَيْرة . وإن يروا سبيل الغىّ ، يقول : وإن يروا طريق الهلاك الذى إن سلكوه ضلُّوا وهلكوا . وقد بيَّنا معنى الغىّ فيما

مضى قبلُ ، بما أغنى عن إعادته . (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً) يقول : يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقا ، لصرف الله إياهم عن آياته ، وطبعه على قلوبهم ، فهم لايفلحون ولاينجحون . (ذلكَ بأنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنا وكانُوا عَنْها غافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها ، فيعتبروا بها ، ويذكروا فينيبوا ، عقوبة منّا لهم على تكذيبهم بآياتنا . وكانوا عنها غافلين : يقول : وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقية ما أمرناهم به ، ونهيناهم عنه ، غافلين : لايتفكّرون فيها ، لاهين عنها ، لايعتبرون بها ، فحقّ عليهم حينئذ قولُ ربنا ، فعطبوا .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (الرُّشْد) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين : (الرُّشْد) بضم الراء وتسكين الشين . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة وبعض المكيين (الرَّشَد) بفتح الراء والشين .

ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه ، وفيه إذا فتحتا جميعا . فذُكر عن أبى عمرو بن العلاء ، أنه كان يقول : معناه ، إذا ضمت راؤه وسكنت شينه : الصلاح ، كما قال الله (فإنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً) بمعنى : صلاحا ، وكذلك كان يقرؤه هو . ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه (الرَّشَد) فى الدين ، كما قال جلّ ثناؤه (تُعَلِّمَنِى مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَداً) بمعنى الاستقامة والصواب فى الدين . وكان الكسائىّ يقول : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل السُّقْم والسَّقَم ، والحُزْن والحَزَن ، وكذلك الرُّشْد والرَّشَد .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ ، فمصيب الصواب بها .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء المستكبرون فى الأرض بغير الحقّ ، وكلّ مكذّب حُجَج الله ورسله وآياته ، وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ، ومنكر لقاء الله فى آخرته ، ذهبت أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبتت ، لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم فى غير مايرضى الله ، فصارت أعمالهم عليهم وبالا . يقول الله جلّ ثناؤه (هَلْ يُجْزَوْنَ إلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)؟ يقول : هل ينالون إلا ثواب ما كانوا يعملون ، فصار ثواب أعمالهم الخلود فى نار أحاط بهم سرادقها ، إذ كانت أعمالهم فى طاعة الشيطان ، دون طاعة الرحمن ، نعوذ بالله من غضبه . وقد بيّنا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ، اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)

يقول تعالى ذكره : واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقهم موسى ، ماضيا إلى ربه لمناجاته ، ووفاء للوعد الذى كان ربُّه وعده ، من حليهم عجلا ، وهو ولد البقرة ، فعبدوه . ثم بين تعالى ذكره ماذلك العجل فقال : (جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) والخوار : صوت البقر . يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لايضلّ بمثله أهل العقل ، وذلك أن الربّ جلّ جلاله ، الذى له ملك السموات والأرض ، ومدبّر ذلك ، لايجوز أن يكون جسدا له خوار ، لايكلم أحدا ، ولا يرشد إلى خير . وقال هؤلاء الذين قصّ الله قصصهم لذلك : هذا إلهنا وإله موسى ، فعكفوا عليه يعبدونه ، جهلا منهم ، وذهابا عن الله وضلالا . وقد بيّنا سبب عبادتهم إياه ، وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وفى الحُلىّ لغتان : ضمّ الحاء ، وهو الأصل ، وكسرها ، وكذلك ذلك فى كلّ ماشاكله من مثل صُلِىّ وجُثِىّ وعُتِىّ ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، لاستفاضة القراءة بهما فى القرأة ، لاتفارق بين معنييهما .

وقوله (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً) يقول : ألم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه ، أن العجل لايكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا ، يقول : ولا يرشدهم إلى طريق ، وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقا ، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير ، وينهاهم عن سبيل المهالك والرّدى ، يقول الله جلّ ثناؤه (اتَّخَذُوهُ) : أى اتخذوا العجل إلها (وكانُوا) باتخاذهم إياه ربّا معبودا (ظالِمِينَ) لأنفسهم ، لعبادتهم غيرَ من له العبادة ، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذى له الألوهة . وقد بيّنا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله

وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ، قَالُوا : لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ) : ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جلّ ثناؤه صفته ، عند رجوع موسى إليهم ، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم ، وكذلك تقول العرب لكلّ نادم على أمر فات منه أو سلف ، وعاجز عن شىء : قد سُقِط فى يديه وأسقط : لغتان فصيحتان ، وأصله من الاستئسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه ، فيرمى به من يديه إلى الأرض ليأسره ، فيكتفه ،

فالمرمىّ به مسقوط فى يدى الساقط به ، فقيل لكلّ عاجز عن شىء ، ومصارع لعجزه، متندم على مافاته: سُقِط فى يديه وأُسْقِط . وعَنَى بقوله (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) : ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله ، وكفروا بربهم، قالوا تائبين إلى الله، منيبين إليه من كفرهم به: (لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ) :

ثم اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة (لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا) بالرفع على وجه الخبر ، وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا) بالنصب، بتأويل لئن لم ترحمنا ياربنا ، على وجه الخطاب منهم لربهم . واعتلّ قارئو ذلك كذلك ، بأنه فى إحدى القراءتين قالوا (لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا) ، وذلك دليل على الخطاب .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك : القراءة على وجه الخبر ، بالياء فى يرحمنا ، وبالرفع فى قوله ربُّنا ، لأنه لم يتقدّم ذلك ما يوجب أن يكون موجها إلى الخطاب ، والقراءة التى حُكِيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا : (لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا) لانعرف صحتها من الوجه الذى يجب التسليم إليه . ومعنى قوله (لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) : لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ، ويتغمدْ بها ذنوبنا ، لنكوننّ من الهالكين ، الذين حبطت أعمالهم .

القول فى تأويل قوله

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ، أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما رجع موسى إلى قومه من بنى إسرائيل ، رجع غضبان أَسِفا ، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فُتِن قومُه ، وأن السامرىّ قد أضلهم ، فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك ، والأسف : شدّة الغضب ، والتغيظ به على من أغضبه .

كما حدثنى عمران بن بكّار الكُلاعى ، قال : ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمىّ ، قال : ثنى شريح بن يزيدَ ، قال : سمعت نصر بن علقمة يقول : قال أبو الدرداء : قول الله (غَضْبَانَ أَسِفاً) ، قال : الأسف : منزلة وراء الغضب ، أشدّ من ذلك ، وتفسير ذلك فى كتاب الله : ذهب إلى قومه غضبان ، وذهب أسفا .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ أسفا ، قال : حزينا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفاً) يقول : أسفا : حزينا . وقال فى الزخرف (فَلَمَّا آسَفُونا) يقول : أغضبونا . والأسف على وجهين : الغضب ، والحزن .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا سليمان بن سليمان ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفاً) قال : غضبان حزينا .

وقوله (قال بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي) يقول : بئس الفعل فعلتم بعد فراقى إياكم ، وأوليتمونى فيمن خلفت من ورائى من قومى فيكم ، ودينى الذى أمركم به ربكم ، يقال منه : خلفه بخير وخلفه بشرّ : إذا أولاه فى أهله أو قومه ، ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم ، خيرا أو شرّا . وقوله (أعَجِلْتُمْ أمْرَ رَبِّكُمْ) يقول : أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم ، وذهبتم عنه ، يقال منه : عجل فلان هذا الأمر : إذا سبقه ، وعجل فلان فلانا إذا سبقه ، ولاتَعْجَلْنِي يافلان : لاتذهب عنى وتدعنى ، وأعْجَلْتُهُ : استحثثته .

القول فى تأويل قوله (وَألْقَى الألْوَاحَ وأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ ، قالَ ابْنَ أُمَّ إنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يَقْتُلُونَنِي) :

يقول تعالى ذكره : وألقى موسى الألواح . ثم اختلف أهل العلم فى سبب إلقائه إياها ، فقال بعضهم : ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال : ثنى سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : لما رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفاً فأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، وألقى الألواح من الغضب .

وحدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : قال أبوسعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما رجع موسى إلى قومه ، وكان قريبا منهم ، سمع أصواتهم ، فقال : إنى لأسمع أصوات قوم لاهين ؛ فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ، ألقى الألواح فكسرها ، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أخذ موسى الألواح ، ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، فقال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا . . . إلى قوله (فَكَذَلِكَ ألْقَى السَّامِرِيُّ فألْقَى مُوسَى الألْوَاحَ وأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ ، قال : يا ابْنَ أُمَّ لا تأخُذْ بِلِحْيَتِي ولا بِرأسِي) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما انتهى موسى إلى قومه ، فرأى ماهم عليه من عبادة العجل ، ألقى الألواح من يده ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ، يقول : (مامَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِ ، أفَعَصَيْتَ أمْرِي) ؟

وقال آخرون : إنما ألقى موسى الألواح ، لفضائل أصابها فيها لغير قومه ، فاشتدّ ذلك عليه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَخَذَ الأَلْوَاحَ) قال: رَبِّ إنى أجد فى الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمّتى ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون السابقون : أى آخرون فى الخلق ، سابقون فى دخول الجنة ، ربِّ اجعلهم أمّتى ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرءونها، وكان مَن قبلهم يقرءون كتابهم نظرا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه ، قال قتادة : وإن الله أعطاكم أيها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم ، قال : ربِّ اجعلهم أمّتى ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأوّل، وبالكتاب الآخِر ،ويقاتلون فصول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذّاب، فاجعلهم أمّتى ،قال: تلك أمة أحمد ؛ قال : ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم، ثم يؤجرون عليها، وكان مَن قبلهم من الأمم إذا تصدّق بصدقة فقبلت منه ، بعث الله عليها نارا فأكلتها ، وإن ردّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع ، قال : وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم ، قال : ربِّ اجعلهم أمّتى ؛ قال : تلك أمة أحمد؛ قال: ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها ، كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها، إلى سبعمائة، ربِّ اجعلهم أمّتى ، قال: تلك أمة أحمد؛ قال: ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمّتى ، قال: تلك أمة أحمد، قال: ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمّتى ، قال: تلك أمة أحمد، قال: ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة هم المشفّعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمّتى ، قال: تلك أمة أحمد، قال: وذكر لنا أن نبىّ الله موسى عليه السلام نبذ الألواح، وقال: اللهمّ اجعلنى من أمة أحمد. قال : فأعطى نبىّ الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبىّ ، قال الله (يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِى وَبِكَلاَمِى) قال : فرضى نبى الله، ثم أعطى الثانية (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : فرضِى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كلَّ الرضا .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما أخذ موسى الألواح ، قال : يا ربِّ إنى أجد فى الألواح أمة هم خير الأمم ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمّتى ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخِرون السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمّتى ، قال : تلك أمة أحمد ، ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ ، إلا أنه قال فى حديثه : فألقى موسى عليه السلام الألواح ، وقال : اللهمّ اجعلنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

⁂ والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك: أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح، كان من أجل غضبه على قومه، لعبادتهم العجلَ ، لأن الله جلّ ثناؤه بذلك أخبر فى كتابه، فقال (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى ، أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ

وأَخَذَ بِرأسِ أخيهِ يَجُرُّهُ إليْهِ) وذلك أن الله لما كتب لموسى عليه السلام فى الألواح التوراة ، أدناه منه حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى عمارة ، عن علىّ عليه السلام، قال : لما كتب الله الألواح لموسى عليه السلام، وهو يسمع صريف الأقلام فى الألواح، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : أدناه، حتى سمع صريف الأقلام . وقيل : إن التوراة كانت سبعة أسباع ؛ فلما ألقى موسى الألواح تكسّرت ، فرفع منها ستة أسباعها ، وكان فيما رفع تفصيل كلّ شىء، الذى قال الله (وكَتَبْنا لَهُ فى الألْواحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً وتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ) وبقى الهدى والرحمة فى السُّبع الباقى . وهو الذى قال الله (أخذ الألواح وفى نسختها هدًى ورَحْمَةٌ للَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ). وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وِقْر بعير ، يقرأ منها الجزء فى سنة.

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا محمد بن خالد المكفوف ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : أنزلت التوراة وهى سبعون وِقْر بعير . يقرأ منها الجزء فى سنة ، لم يقرأها إلا أربعة نفر : موسى بن عمران ، وعيسى ، وعُزَير ، ويُوشَع بن نون، صلوات الله عليهم .

واختلفوا فى الألواح ، فقال بعضهم : كانت من زمرّد أخضر . وقال بعضهم: كانت من ياقوت . وقال بعضهم : كانت من بَرَد .

ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك :

حدثنى أحمد بن إبراهيم الدورقىّ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى يَعْلى ابن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ألقى موسى الألواح فتكسرت ، فرفعت إلا سدسها قال ابن جريج : وأخبرنى أن الألواح من زبرجد وزمرّد من الجنة .

وحدثنى موسى بن سهل الرملىّ وعلىّ بن داود وعبد الله بن أحمد بن شبويه وأحمد بن الحسن الترمذىّ، قالوا : أخبرنا آدم العسقلانىّ ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : كانت ألواح موسى عليه السلام من بَرَد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى الجنيد ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، قال : سألت سعيد بن جبير عن الألواح من أىّ شىء كانت ؟ قال : كانت من ياقوتة، كتابة الذهب، كتبها الرحمن بيده، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن محمد بن أبى الوضاح ، عن خَصِيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير ، قال : كانت الألواح زمرّدا ، فلما ألقى موسى الألواح بقى الهدى والرحمة، وذهب التفصيل ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن محمد بن مسلم ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، قال : كانت الألواح من زمرّد أخضر . وزعم بعضهم أن الألواح كانت لوحين ، فإن كان الذى

قال كما قال ، فإنه قيل (وكَتَبْنا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ) وهما لوحان ، كما قيل (فإنْ كانَ لَهُ إخْوَةٌ) وهما أخوان .

وأما قوله (وأخَذَ برأسِ أخيهِ يَجُرُّهُ إلَيْهِ) : فإن ذلك من فعل نبيّ الله، صلى الله عليه وسلم، كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتباعَه ، وإقامته مع بنى إسرائيل فى الموضع الذى تركهم فيه ، كما قال جلّ ثناؤه، مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له : (ماَمَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ألاَّ تَتَّبِعَنِى ،أفَعَصَيْتَ أمْرِى) ؟ حين أخبره هارون بعذره ، فقَبِل عذره ، وذلك قيله لموسى (لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلا بِرأسِى ، إنّى خَشِيتُ أنْ تَقُولَ : فَرَّقْتَ بيْنَ بَنى إسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلى)، و(قالَ) يا (بْنَ أُمَّ إنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونى وكادُوا يَقْتُلُونَنى فَلا تُشْمِتْ بِىَ الأعْداءَ) . . . الآية .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله يا (بْنَ أُمَّ) فقرأ ذلك عامَّة قرّاء المدينة وبعض أهل البصرة (يابْنَ أُمَّ) بفتح الميم من الأمّ . وقرأ ذلك عامَّة قرّاء أهل الكوفة يا (بْنَ أُمِّ) بكسر الميم من الأم .

واختلف أهل العربية فى فتح ذلك وكسره ، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان فى العرب . فقال بعض نحويّى البصرة : قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلا اسما واحدا ، كما قيل : يا بن عمّ ، وقال : هذا شاذّ لايقاس عليه ، وقال : من قرأ ذلك : يا بن أمِّ ، فهو على لغة الذين يقولون : هذا غلام قد جاء ، جعله اسما واحدا آخره مكسور ، مثل قوله خازِبازِ . وقال بعض نحويّى الكوفة: قيل : يا بن أمَّ ويا بن عمَّ ، فنصب كما ينصب المعرب فى بعض الحالات ، فيقال : يا حسرتا ، يا ويلتا ، قال : فكأنهم قالوا : يا أماه ويا عماه، ولم يقولوا ذلك فى أخ ، ولو قيل ذلك لكان صوابا ، قال : والذين خفضوا ذلك فإنه كثر فى كلامهم حتى حذفوا الياء . قال : ولاتكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادَى يُضيفه المنادِى إلى نفسه ، إلا قولهم : يا بن أمّ ، ويا بن عمّ ، وذلك أنهما يكثر استعمالهما فى كلامهم ، فإذا جاء ما لايستعمل أثبتوا الياء ، فقالوا : يا بن أبى ، ويا بن أختى وأخى ، ويا بن خالتى ، ويا بن خالى .

☆ والصواب من القول فى ذلك أن يقال إذا فُتحت الميم من ابن أمّ ، فمرادٌ به النُّدبة : يا بن أماه ، وكذلك من ابن عمّ ، فإذا كُسرت ، فمرادٌ به الإضافة ، ثم حذفت الياء التى هى كناية اسم المخبِر عن نفسه ، وكأنّ بعض من أنكر نسبته كسر ذلك إذا كسر ، ككسر الزاى من خازِبازِ ، لأن خازِبازِ لايعرف الثانى إلا بالأوّل ، ولا الأوّل إلا بالثانى ، فصار كالأصوات . وحُكى عن يونس النحوى[1] تأنيث أمّ وتأنيث عمّ ، وقال : لايجعل اسما واحدا إلا مع ابن المذكر . قالوا : وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال : يا بن أمى بإثبات الياء ، كما قال أبو زُبيد :

يابْنَ أُمِّى ويا شُقَيِّقَ نَفْسِى		أنْتَ خَلَّفْتَنِى لِدَهْرٍ شَدِيدِ[2]

(١) يونس النحوى : هو ابن حبيب الضبى مولاهم ، وهو من شيوخ سيبويه . مات سنة ١٨٣ هـ . والجرمى : تحريف .

(٢) البيت لأبى زبيد الطائى حرملة بن المنذر فى مرثية أخيه (شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ٢ : ٢٢٦) وهو شاهد على أن العرب لايكادون يثبتون ياء الضمير فى (يابن أمى) ولا الألف المنقلبة عنها فى (يابن أما) إلا فى الضرورة ، كقول أبى زبيد هذا . وقول أبى النجم الفضل بن قدامة العجلى :

يابْنَةَ عَمَّا لا تَلُومِى واهْجَعِى		لايَخْرِقِ اللَّوْمُ حِجابَ مِسْمَعِى

وكما قال الآخر :

يابْنَ أمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إذْ تَدْ عُو تَمِيماً وأنْتَ غيرُ مُجابِ[١]

وإنما أثبت هؤلاء الياء فى الأم، لأنها غير مناداة ، وإنما المنادَى هو الابن دونها، وإنما تسقط العرب الياء من المنادَى إذا أضافته إلى نفسها ، لا إذا أضافته إلى غير نفسها ، كما قد بيّنا . وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام : يا بن أمّ ، ولم يقل : يا بن أبى ، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافا له على نفسه برَحِم الأم، وقوله (إنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وكادُوا يَقْتُلُونَنِى) يعنى بالقوم: الذين عكفوا على عبادة العجل، وقالوا: هذا إلهنا وإله موسى ، وخالفوا هارون . وكان استضعافهم إياه ، تركهم طاعته ، واتباع أمره ، وكادوا يقتلوننى ، يقول : قاربوا ولم يفعلوا .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَلا تُشْمِتْ) فقرأ قرّاء الأمصار ذلك (فَلا تُشْمِتْ بِىَ الأعْدَاءَ) بضمّ التاء من تُشْمِتْ،وكسر الميم منها،من قولهم:أشمت فلان فلانا بفلان، إذا سرّه فيه بما يكرهه المُشْمَت به ؛ ورُوى عن مجاهد أنه قرأ ذلك (فلا تَشْمُتْ بِىَ الأعْدَاءُ) .

حدثنى بذلك عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال حميد بن قيس قرأ مجاهد (فَلا تَشْمُتْ بِىَ الأعْدَاءُ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة، عن حميد، قال: قرأ مجاهد (فَلا تَشْمُتْ بِىَ الأعْدَاءُ) .

حُدثت عن يحيى بن زياد الفرّاء ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن رجل[٢] ، عن مجاهد أنه قال : (لاتَشْمُتْ) . وقال الفرّاء : قال الكسائى : ما أدرى ، فلعلهم أرادوا (فَلا تُشْمِتْ بِىَ الأعْدَاءَ) فإن تكن صحيحة فلها نظائر ، العرب تقول : فَرِغْتُ وَفَرَغْتُ ، فن قال: فَرَغْتُ قال : أنا أفْرَغُ ، ومن قال : فَرِغْتُ قال : أنا أفْرُغُ ، وكذلك رَكِنْتُ وَرَكَنْتُ ، وشمِلَهم أمر وشَمَلَهم . فى كثير من الكلام ، قال : والأعداء رفع ، لأن الفعل لهم . لمن قال تَشْمَتُ أو تشمُت .

❊ والقراءة التى لاأستجيز القراءة إلا بها قراءة من قرأ (فَلا تُشْمِتْ) بضم التاء الأولى وكسر الميم من أشْمَتُّ به عَدُوّه أُشْمِتُهُ به،ونصب الأعداء، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليها،وشذوذ ماخالفها من القراءة ، وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها . هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب : شَمَتَ فلان فلانا بفلان،وشَمِتَ فلان بفلان يَشْمُتُ به،وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوّه: شَمِتَ به، بكسر الميم، يَشْمَتُ به بفتحها فى الاستقبال[٣] .

(١) هذا الشاهد كالذى قبله،ولم نقف على قائله . (٢) فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم٢٤٠٥٩ الورقة ١١٥): أظنه الأعرج.

(٣) الخلاصة : أن الوارد فى المعاجم من أفعال الشماتة ، هو : شمت به يشمت (بكسر الميم فى الماضى وفتحها فى المضارع) . ويعدى بالهمزة وحدها ، لا بالتضعيف ، فيقال : أشمته به إشماتا : إذا جعل عدوه يشمت به ، وعليه قراءة الجمهور أما شمت به يشمت (بفتح الميم فى الماضى ، وضمها فى المستقبل) فلم يسمع عن العرب ، ولكن أثبته الكسائى فى تعليقه على قراءة مجاهد التى بهذا الضبط ، قياسا على نظائره (فرغ ، وركن ، وشمل) فى كثير من نظائرها ، من بابى علم ونصر . والقراءات المنسوبة إلى مجاهد فى هذا الحرف ، ثلاث أو أربع ، وبعضها لا وجه له فى العربية (انظر تفسيرى القرطبى والشوكانى ، ومعانى القرآن للفراء ، ولسان العرب) .

وأما قوله (وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فإنه قول هارون لأخيه موسى ، يقول : لاتجعلنى فى موجدتك علىّ وعقوبتك لى ، ولم أخالف أمرك ، محلّ من عصاك ، فخالف أمرك وعبَد العجل بعدك ، فظلم نفسه ، وعبد غير من له العبادة ، ولم أشايعهم على شىء من ذلك .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : أصحاب العجل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . بمثله .

القول فى تأويل قوله

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)

﴿ يقول تعالى ذكره : قال موسى لما تبين له عذر أخيه ، وعلم أنه لم يفرّط فى الواجب الذى كان عليه من أمر الله ، فى ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل (رَبِّ اغْفِرْ لِي) مستغفرا من فعله بأخيه ، ولأخيه من سالف له بينه وبين الله ، تَغَمَّدْ ذنوبنا بستر منك تسترها به (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ) يقول : وارحمنا برحمتك الواسعة عبادَك المؤمنين ، فإنك أنت أرحم بعبادك من كلّ من رحم شيئا .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)

﴿ يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلهاً (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) بتعجيل الله لهم ذلك (وَذِلَّةٌ) وهى الهوان ، لعقوبة الله إياهم على كفرهم بربهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فى عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة .

وكان ابن جريج يقول فى ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) قال : هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام ، ومن فرّ منهم ، حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضا ، وهذا الذى قاله ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فإن ظاهر كتاب الله ، مع تأويل أكثر أهل التأويل ، بخلافه ، وذلك أن الله عمّ بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا . وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين ، بأن الله ، إذ رجع إلى بنى إسرائيل موسى عليه السلام ، تاب على عبَدة العجل من فعلهم ، بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام فى كتابه ، وذلك قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ، فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) ففعلوا ما أمرهم به نبيهم ، صلى الله عليه وسلم ، فكان أمر الله إياهم بما أمرهم به ، من قتل بعضهم أنفس بعض ، عن غضب منه عليهم بعبادتهم

العجل ، فكان قتل بعضهم بعضاهوانا لهم ، وذلَّة أذلهم الله بها فى الحياة الدنيا ، وتوبة منهم إلى الله قبلها ، وليس لأحد أن يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه ، فى خاصّ مما عمه الظاهر ، بغير برهان ، من حجة خبر أو عقل ، ولا نعلم خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ) إلى باطن خاصّ ، ولا من العقل عليه دليل ، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه .

ويعنى بقوله (وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ) وكما جَزَيْتُ هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها من إحلال الغضب بهم ، والإذلال فى الحياة الدنيا ، على كفرهم ربَّهم ، وردّتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله ، وكذلك نجزى كلّ من افترى على الله ، فكذب عليه ، وأقرّ بألوهية غيره ، وعبد شيئا سواه من الأوثان ، بعد إقراره بوحدانية الله ، وبعد إيمانه به ، وبأنبيائه ورسله ، وقبل ذلك إذا لم يتب من كفره قبل قتله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، قال : تلا أبو قلابة (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) . . . الآية ، قال : فهو جزاء كلّ مفترٍ يكون إلى يوم القيامة ، أن يذله الله عزّ وجلّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ) قال : هى والله لكلّ مفترٍ إلى يوم القيامة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت أن حميد بن قيس بن عباد وحارثة بن قدامة دخلا على علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فقالا : أرأيت هذا الأمر الذى أنت فيه ، وتدعو إليه ، أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأى رأيته ؟ قال : مالكما ولهذا ؟ أعرضا عن هذا ، فقالا : والله لانُعرض عنه حتى تخبرنا ، فقال ماعهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتابا فى قراب سيفى هذا ، فاستلّه ، فأخرج الكتاب من قراب سيفه ، وإذا فيه : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِىٌّ إِلاَّ لَهُ حَرَمٌ ، وَإِنِّى حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَكَّةَ ، لاَ يُحْمَلُ فِيهَا السِّلاَحُ لِقِتَالٍ ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا ، أَوْ آوَى مُحْدِثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَيُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ » فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه : أما ترى هذا الكتاب ؟ فرجعا وتركاه ، وقالا : إنا سمعنا الله يقول (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ) ... الآية ، وإن القوم قد افتروا فرية ، ولا أدرى إلا سينزل بهم ذلة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، فى قوله (وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ) قال : كل صاحب بدعة ذليل .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣)

❁ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كلّ تائب إليه من ذنب أتاه ، صغيرة كانت معصيته أو كبيرة ، كفرا كانت أو غير كفر ، كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجلَ وارتدادهم عن دينهم . يقول جلّ ثناؤه : والذين عملوا الأعمال السيئة ثم رجعوا إلى طلب رضا الله بإنابتهم إلى مايحبّ مما يكره ، وإلى مايرضى مما يسخط من بعد سيّئ أعمالهم ، وصدّقوا بأن الله قابل توبة المذنبين ، وتائب على المنيبين ، بإخلاص قلوبهم ، ويقينٍ منهم بذلك ، لغفور لهم ، يقول : لساتر عليهم أعمالهم السيئة ، وغير فاضحهم بها ، رحيمٌ بهم ، وبكلّ من كان مثلهم من التائبين .

القول فى تأويل قوله

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ) ولما كفّ موسى عن الغضب ، وكذلك كلّ كافّ عن شىء ساكت عنه . وإنما قيل للساكت عن الكلام ساكت : لكفه عنه . وقد ذكر عن يونس النحوىّ[1] أنه قال : يقال سكت عنه الحزن وكلّ شىء فيما زعم ؛ ومنه قول أبى النجم :

وَهَمَّتِ الأفْعَى بِأَنْ تُسَبِّحا وَسَكَتَ المُكَّاءُ أنْ يُصَبِّحا[2]

(أخَذَ الألْوَاحَ) يقول : أخذها بعد ما ألقاها ، وقد ذهب منها ما ذهب (وفى نُسْخَتِها هُدًى ورَحْمَةٌ) يقول : وفيما نسخ فيها : أى منها هدى : بيان للحقّ ورحمة (للَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) : يقول : للذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على معاصيه .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله (لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) مع استقباح العرب أن يقال فى الكلام : رهبت لك : بمعنى رهبتك ، وأكرمت لك : بمعنى أكرمتك ، فقال بعضهم : ذلك كما قال جلّ ثناؤه (إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيا تَعْبُرُونَ) ، أوصل الفعل باللام . وقال بعضهم : من أجل ربهم يرهبون . وقال بعضهم : إنما دخلت عقب الإضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ؛ ثم أدخلت اللام على هذا المعنى ، لأنها عقيب الإضافة ، لا على التعليق . وقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأن الاسم تقدّم الفعل ، فحسن إدخال اللام . وقال آخرون : قد جاء مثله فى تأخير الاسم فى قوله (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ) وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال : سمعت الفرزدق يقول : نقدت له مئة درهم ، يريد نقدته مئة درهم ، قال : والكلام واسع .

القول فى تأويل قوله

۞ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ، فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ : رَبِّ لَوْ شِئْتَ

---

(١) هو يونس النحوى الضبى (مولاهم) لا الجرمى ، كما تكرر تحريفه بأيدى النساخ فى هذا التفسير . توفى سنة ١٨٣ ﻫ .

(٢) سكت الشىء يسكت سكوتا : سكنت حركته . والمكاء : طائر شبه القنبرة ، إلا أن فى جناحيه بلقا ، سمى بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرا حسنا . وهو طائر يألف الريف ، وجمعه المكاكى ، وهو فعال من مكا : إذا صفر . وضبح : بتشديد الباء : صاح بأقصى طاقته . ولعله محرف عن « صيحا » . إذ لا وجود لصبح بالتشديد فى معاجم اللغة .

أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، أَنْتَ وَلِيُّنَا، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥)

❊ يقول تعالى ذكره : واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، للوقت والأجل الذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم ، للتوبة مما كان من فعل سفهائهم فى أمر العجل .

كما حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه فى ناس من بنى إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعدا ، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان ، قالوا : لن نؤمن لك ياموسى ، حتى نرى الله جهرة ، فإنك قد كلمته ، فأرناه ، فأخذتهم الصاعقة ، فماتوا ، فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول : ربّ ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلا الخيِّر فالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا ، وتطهّروا ، وطهّروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سينا ، لميقات وقّته له ربه ، وكان لايأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال السبعون فيما ذكر لى ، حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه ، لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ؛ فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبلَ كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه الله ، وقع على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه ، فضُرِب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجودا ، فسمعوه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل ؛ فلما فرغ الله من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام ، أقبل إليهم ، فقالوا لموسى : (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) وهى الصاعقة ، فالتقت أرواحهم ، فماتوا جميعا ، وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ، ويقول : ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، قد سفهوا ، أفتهلك مَنْ ورائى من بنى إسرائيل ؟ !

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) قال : كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ، فاختار سبعين رجلا ، فبرز بهم ، ليدعوا ربهم ، فكان فيما دَعَوُا الله أن قالوا : اللهمّ أعطنا مالم تعطه أحدا بعدنا ، فكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرَّجْفَة ، قال موسى (ربِّ لَوْشِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر ، عن ميمون (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) قال : لموعدهم الذى وعدهم

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) قال : اختارهم لتمام الوعد .

وقال آخرون : إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى أبوإسحاق ، عن عمارة بن عبد السلولىّ ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : انطلق موسى وهارون ، وشَبَّر وشبير ، فانطلقوا إلى سفح جبل ، فنام هارون على سرير ، فتوفاه الله ؛ فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل قالوا له : أين هارون ؟ قال : توفاه الله ، قالوا : أنت قتلته ، حسدتنا على خُلُقه ولينه ، أو كلمة نحوها . قال : فاختاروا من شئتم ، قال : فاختاروا سبعين رجلا ، قال : فذلك قوله (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) قال : فلما انتهوا إليه ، قالوا : ياهارون من قتلك : قال : ماقتلنى أحد ، ولكنى توفانى الله . قالوا : ياموسى لن نعصى بعد اليوم ، قال : فأخذتهم الرجفة ، قال : فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ، وقال : يا (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ، تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ) قال : فأحياهم الله ، وجعلهم أنبياء كلهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من بنى سَلُول ، أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول فى هذه الآية (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) قال : كان هارون حسن الخلق ، محببا فى بنى إسرائيل ، قال : فلما مات دفنه موسى ، قال : فلما أتى بنى إسرائيل ، قالوا له : أين هارون ؟ قال : مات ، فقالوا : قتلته ؛ قال : فاختار منهم سبعين رجلا ؛ قال : فلما أتوا القبر ، قال موسى : أقُتلت أو متّ ؟ قال : متّ ، قال : فأُصعقوا . فقال موسى ربّ ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت ؟ يقولون : أنت قتلتهم ، قال : فأُحيُوا ، وجُعلوا أنبياء .

حدثنى عبد الله بن الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الربيع بن حبيب ، قال : سمعت أبا سعيد ، يعنى الرقاشىّ ، وقرأ هذه الآية (واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) فقال : كانوا أبناء ما عدا عشرين ، ولم يتجاوزوا الأربعين ، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه ، وأن من لم يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئا .

وقال آخرون : إنما أخذت القوم الرجفة ، لتركهم فراق عَبَدة العجل ، لالأنهم كانوا من عَبَدته .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) فقرأ حتى بلغ (السُّفَهَاءُ مِنَّا) ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إنما تناولتهم الرجفة ، لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) ممن لم يكن قال ذلك القول ، على أنهم لم يجامعوهم عليه ، فأخذتهم الرجفة، من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل ، قال: فلما خرجوا ودعوا، أماتهم الله، ثم أحياهم (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ: رَبِّ لَوْشِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإِيَّاىَ، أَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا ؟) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : قال مجاهد (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) والميقات : الموعد ، فلما أخذتهم الرجفة، بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه ، يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء ، فلم يستجب لهم ، علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم؛ قال ابن سعد : فحدثنى محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال: لم يُسْتجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ، ويأمروهم بالمعروف ، قال : فأخذتهم الرجفة ، فماتوا ، ثم أحياهم الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عون ، عن سعيد بن حيان ، عن ابن عباس : أن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، إنما أخذتهم الرجفة أنهم لم يرضَوْا ، ولم ينهوا عن العجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عون ، قال : ثنا سعيد بن حيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) فقال بعض نحويّى البصرة : معناه : واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، فلما نزع من، أعمل الفعل ، كما قال الفرزدق .

وَمِنَّا الَّذِى اخْتِيرَ الرِّجالَ سَماحَةً ... وَجُوداً إِذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ [1]

وكما قال الآخر :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مالٍ وَذَا نَشَبِ [2]

وقال الراعى :

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ غَثَّتْ خَلائِقُهُمْ ... واعْتَلَّ مَنْ كانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّولُ [3]

---

(١) هذا البيت للفرزدق ، وهو من شواهد النحويين على أن الرجال منصوب بنزع الخافض ، والأصل من الرجال ، وهو المفعول الثانى المقيد بحرف الجر لاختار ، فإنه يتعدى إلى الأول بنفسه ، وإلى الثانى بحرف الجر . والمفعول الأول هنا هو نائب الفاعل ، وهو الضمير العائد إلى الذى . وهذا الحذف كثير الاستعمال (انظر خزانة الأدب للبغدادى ٣ : ٦٧٣) . ويقال : سمح بكذا يسمح سموحا وسماحا وسماحة : جاد وأعطى ، أو وافق على ما أريد منه . والجود : الكرم . والزعازع : جمع زعزع كجعفر ، وهى الريح التى تهب بشدة ، وعنى بذلك الشتاء ، وفيه تقل الألبان ، وتعدم الأزواد ، ويبخل الجواد . اه (عن الخزانة) .

(٢) البيت لعمرو بن معديكرب الزبيدى (الخزانة ٣ : ٦٧٣) وهو شاهد على أن « أمرتك الخير » أصله « أمرتك بالخير » ، ثم حذف منه حرف التعدية ، فنصب الاسم على المفعولية . والنشب : المال الأصيل الثابت ، أى العقار كالدور والضياع . ورواه أبو على الهجرى فى نوادره « ذا نسب » بالسين المهملة ، يقول : تركتك غنيا حسيبا .

وينسب البيت لأعشى طرود ، ولعباس بن مرداس ، ولزرعة بن السائب ، ولخفاف بن ندبة .

(٣) وهذا البيت كالشاهدين قبله . وأصل الكلام : اخترتك من الناس ، فحذف حرف التعدية ، ونصب الاسم بسقوط الخافض . وغثت : فسدت . وفى المخطوطة ١٠٠ : عثت ، بالعين . يريد : أنى اخترتك من الناس ، لأنك سمح كريم ، سهل الخليقة ، =

وقال بعض نحويّي الكوفة : إنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت مِن ، لأنه مأخوذ من قولك : هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فإذا جازت الإضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى ، استجازوا أن يقولوا : اخترتكم رجلا ، واخترت منكم رجلا ، وقد قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرْها قَلُوصًا سَمِينَةً [١]

وقال الراجز : تَحْتَ الَّتِي اخْتارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرْ [٢]

بمعنى : اختارها له الله من الشجر .

❁ وهذا القول الثانى أولى عندي في ذلك بالصواب ، لدلالة الاختيار على طلب « من » التى بمعنى التبعيض ، ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه ، وكان فيما أظهرت دلالة على ماحذفت ، فهذا من ذلك إن شاء الله .

وقد بيَّنا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها ، وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم ، وحرّكهم وأهلكهم بعد ، فأماتهم أو أصعقهم ، فسلب أفهامهم . وقد ذكرنا الرواية فى غير هذا الموضع ، وقول من قال : إنها كانت صاعقة أماتتهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ماتوا ، ثم أحياهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنا) اختارهم موسى لتمام الموعد (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ماتوا ، ثم أحياهم الله .

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) قال : رُجِفَ بهم .

= وتركت كل من حالت طبيعته وحرصه دون كرمه . وأنشد القرطبى فى تفسيره البيت (٧ : ٢٩٤) وفيه : « رثت » فى مكان : « عنت » ، و « اختل » فى مكان : « اعتل » .

(١) هذا صدر بيت من قصيدة للراعى النميرى قالها وقد نزل به رجل من بنى كلاب فى ركب معه ليلا ، فى سنة مجدبة ، وقد عزبت عن الراعى إبله ، فنحر لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعى إبله ، فأعطى رب الناب نابا مثلها ، وزادها ناقة ثنية . ورواية المؤلف للبيت نقلها عن معانى القرآن للفراء ، وهى تختلف عن رواية أبى تمام لها فى باب الهجاء (٤ : ٣٧ من شرح التبريزى للحماسة طبعة الأميرية) والبيت بتمامه فى الحماسة كما يأتى :

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْها ثَنِيَّةً وَنابٌ عَلَيْنا مِثْلَ نابِكَ فِى الحَيا

والناب : الناقة المسنة . والحيا : الشحم والسمن ، وهم يسمون النبت حيا لأنه بالمطر يكون ، ثم تسمى الشحم حيا لأنه بالنبت يكون . ومعناه : قلت لرب الناب : خذها ثنية فضلا عن نابك ، وناب علينا واجب مثل نابك فى السمن ، عوضا عما نحرناها ، فخذها مع الثنية . وعلى هذه الرواية لا شاهد فى البيت . أما رواية البيت فى معانى القرآن للفراء فهى :

فَقُلْتُ لَه اخْتَرْها قَلُوصًا سَمِينَةً وَنابًا عَلَيْنا مِثْلَ نابِكَ فِى الحَيا

ولا نجد فى هذه الرواية على فرض صحتها شاهدا للمؤلف ، لأن كلمة « قلوصا » منصوبة على الحال من (ها) فى اخترها ، وليس أصلها « من قلوص » ثم أسقط الجار .

(٢) البيت للعجاج (ديوانه ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبد الله بن معمر . يريد بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة .

القول فى تأويل قوله (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا ، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) :

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا : أى بعبادة من عبد العجل ، قالوا : وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل ، وقال موسى ما قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) فأوحى الله إلى موسى : أن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم ، هلاك لمن وراءهم من بنى إسرائيل إذا انصرفتُ إليهم ، وليسوا معى ، والسفهاء على هذا القول ، كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أخذت الرجفة السبعين ، فماتوا جميعا ، قام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ، يقول : ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، قد سفهوا ، أفتهلك من ورائى من بنى إسرائيل بما فعل السفهاء منا : أى إن هذا لهم هلاك ، قد اخترتُ منهم سبعين رجلا ، الخيّر فالخير ، أرجع إليهم وليس معى رجل واحد ؟ فما الذى يصدّقوننى به ، أو يأمنوننى عليه بعد هذا ؟

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) : أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ؟ ولا استبدل بك غيرك ؟

۞ وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله : (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) وأنه إنما عنى بالسفهاء : عَبَدَةَ العجل ، وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ، ما أراه أن يسأل لهم ، إلا الأفضل فالأفضل منهم ، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك فى عبادة العجل ، واتخذه دون الله إلها .

قال : فإن قال قائل : فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم ، فيقول : أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ، ونحن من ذلك برآء ؟ قيل : جائز أن يكون معنى الإهلاك : قبض الأرواح على غير وجه العقوبة ، كما قال جلّ ثناؤه (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ) يعنى : مات ، فيقول : أتميتنا بما فعل السفهاء منا .

وأما قوله (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) فإنه يقول جلّ ثناؤه : ما هذه الفعلة التى فعلها قومى من عبادتهم ماعبدوا دونك ، إلا فتنة منك أصابتهم ، ويعنى بالفتنة : الابتلاء والاختبار ، يقول : ابتليتهم بها ، ليتبين

الذى يضلّ عن الحقّ بعبادته إياه ، والذى يهتدى بتَرك عبادته ، وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله ، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جلّ ثناؤه .

وبنحو ما قلنا فى الفتنة ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ،عن أبى جعفر ، عن الربيع عن أبى العالية (إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ) قال : بليّتك . قال : ثنا حبويه الرازىّ ، عن يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير (إلاَّ فِتْنَتُكَ) : إلا بليتك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا ابن جعفر ، عن الربيع ابن أنس (إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ) قال : بليتك .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ) إن هو إلاعذابك تصيب به من تشاء، وتصرفه عمن تشاء .

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنْ هِيَ إلاَّ فِتْنَتُكَ): أنت فتنتهم .

وقوله (أنْتَ وَلِيُّنا) يقول : أنت ناصرنا (فاغْفِرْ لَنا) يقول : فاستر علينا ذنوبنا بتَركك عقابنا عليها (وَارْحَمْنا) : تعطف علينا برحمتك (وأنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ) يقول : خير من صفح عن جُرم ، وستر على ذنب .

القول فى تأويل قوله

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ، قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام، أنه قال فيه : (وَاكْتُبْ لَنا) : أى اجعلنا ممن كتبت له (فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً) وهى الصالحات من الأعمال (وفِي الآخِرَةِ) ممن كتبت له المغفرة لذنوبه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً) قال : مغفرة .

وقوله (إنَّا هُدْنا إلَيْكَ) يقول : إنا تبنا إليك .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، وقال عمران ، عن ابن عباس (إنَّا هُدْنا إليكَ) قال : إنا تبنا إليك .

قال : ثنا زيد بن حُباب ، عن حماد بن سَلَمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : تبنا إليك .

قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي رَوْق عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : تبنا إليك .

قال : ثنا عبد الله بن بكر ، عن حاتم بن أبي مغيرة ، عن سماك ، أن ابن عباس قال في هذه الآية (إنَّا هُدْنا إليكَ) قال : تبنا إليك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : أحسبه عن ابن عباس (إنَّا هُدْنا إليكَ) قال : تبنا إليك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إنَّا هُدْنا إليكَ) يقول : تبنا إليك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثني يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن الأصبهانيّ عن سعيد بن جبير ، في قوله (إنَّا هُدْنا إليكَ) قال : تبنا إليك .

قال : ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح ، قالا : ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الأصبهانيّ ، عن سعيد ابن جبير بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانيّ ، عن سعيد بن جبير ، مثله ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : تبنا إليك .

قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، عن إبراهيم التيميّ ، قال : تبنا إليك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن إبراهيم التيميّ مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّا هُدْنا إليكَ) : أي إنا تبنا إليك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، في قوله (هُدْنا إليكَ) قال : تبنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال: ثنا أسباط ، عن السديّ (إنَّا هُدْنا إليكَ) يقول : تبنا إليك .

قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنَّا هُدْنا إليكَ) يقول : تبنا إليك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازيّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال (هُدْنا إليكَ) قال : تبنا إليك .

قال : ثنا أبى ، عن أبى حجير ، عن الضحاك ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : تبنا إليك .

وحُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فذكر مثله . قال : ثنا أبى وعبيد الله ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : تبنا إليك .

قال : ثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، مثله . قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن علىّ عليه السلام ، قال : إنما سميت اليهود لأنهم قالوا (هُدْنا إلَيْكَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إنَّا هُدْنا إلَيْكَ) يعنى : تبنا إليك .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو ، قال : سمعت رجلا يسأل سعيدا (إنَّا هُدْنا إلَيْكَ) قال : إنا تبنا إليك .

وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله (قالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ ، وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ، فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ) :

يقول تعالى ذكره (قالَ) الله لموسى : هذا الذى أصبتُ به قومك من الرجفة (عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ) من خلقى ، كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ) يقول : ورحمتى عمت خلقى كلهم .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم مخرجه عامّ ومعناه خاصّ ، والمراد به : ورحمتى وسعت المؤمنين بى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واستشهد بالذى بعده من الكلام ، وهو قوله (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوسلمة المنقرىّ ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قرأ (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ، فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : جعلها الله لهذه الأمة .

حدثنى عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : قال سفيان ، قال أبو بكر الهذلىّ : فلما نزلت : (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ) قال إبليس : أنا من الشىء ، فنزعها الله من إبليس ، قال : (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ) فقال اليهود : نحن نتقى ونؤتى الزكاة ، ونؤمن بآيات ربنا ، فنزعها الله من اليهود ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ) . . . الآيات كلها ، قال : فنزعها الله من إبليس ومن اليهود ، وجعلها لهذه الأمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قال إبليس: أنا من كلّ شيء، قال الله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية ، فقالت اليهود : ونحن نتقى ونؤتى الزكاة ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ) قال : نزعها الله عن إبليس وعن اليهود ، وجعلها لأمة محمد ، سأكتبها للذين يتقون من قومك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)فقال إبليس : أنا من ذلك الشيء ، فأنزل الله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) معاصى الله (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فتمنتها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطا وثيقا بيّنا ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ) فهو نبيكم كان أميا لايكتب ، صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا خالد الحذّاء ، عن أنيس بن أبى العريان ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ ، إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) قال : فلم يعطها، فقال: (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) إلى قوله (الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيّة وعبد الأعلى ، عن خالد ، عن أنيس بن أبى العريان ، قال عبد الأعلى ، عن أنيس بن أبى العريان وقال : قال ابن عباس (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) قال :فلم يعطها موسى (قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : كان الله كتب فى الألواح ذكر محمد وذكر أمته ، وما دخر لهم عنده ، وما يسّر عليهم فى دينهم ، وما وسّع عليهم فيما أحلّ لهم ، فقال (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يعنى : الشرك ، الآية .

وقال آخرون : بل ذلك على العموم فى الدنيا ، وعلى الخصوص فى الآخرة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، فى قوله (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قالا : وسعت فى الدنيا البرّ والفاجر ، وهى يوم القيامة للذين اتقوا خاصّة .

وقال آخرون : هى على العموم ، وهى التوبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وأَنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ ، وَاكْتُبْ لَنا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ) فقال : سأل موسى هذا ، فقال الله : عذابي أصيب به من أشاء ، العذاب الذي ذكر ، ورحمتي : التوبة . وسعت كلّ شيء ، فسأكتبها للذين يتقون . قال : فرحمته : التوبة التي سأل موسى عليه السلام ، كتبها الله لنا .

وأما قوله (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) فإنه يقول : فسأكتب رحمتي التي وسعت كلّ شيء ، ومعنى اكتب في هذا الموضع : اكتب في اللوح الذي كتب فيه التوراة ، للذين يتقون : يقول للقوم الذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على الكفر به ، والمعصية له في أمره ونهيه ، فيؤدون فرائضه ، ويجتنبون معاصيه .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه ، فقال بعضهم : هو الشرك .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يعني : الشرك .

وقال آخرون : بل هو المعاصي كلها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) معاصي الله . وأما الزكاة وإيتاؤها ، فقد بيّنّا صفتها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقد ذُكر عن ابن عباس في هذا الموضع أنه قال في ذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ) قال : يطيعون الله ورسوله ، فكان ابن عباس تأوّل ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهّرها ، من صالحات الأعمال .

وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ) فإنه يقول : وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدّقون ويقرّون .

القول في تأويل قوله

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾

❁ وهذا القول إبانة من الله جلّ ثناؤه ، عن أنّ الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التي

وصفها جلّ ثناؤه بقوله (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لايعلم لله رسول وصف بهذه الصفة، أعنى الأمىّ، غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد، فى قوله (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال موسى عليه السلام : ليتنى خُلقت فى أمة محمد .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن نَوْف الحميرىّ ، قال : لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه، قال الله لموسى : أجعل لكم الأرض مسجدا وطَهُورا، وأجعل السكينة معكم فى بيوتكم ، وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم والمرأة، والحرّ والعبد، والصغير والكبير ، فقال موسى لقومه : إن الله قد يجعل لكم الأرض طَهُورا ومسجدا ، قالوا: لانريد أن نصلى إلا فى الكنائس ، قال : ويجعل السكينة معكم فى بيوتكم ، قالوا : لانريد إلا أن تكون كما كانت فى التابوت ، قال : ويجعلكم تقرءون التوراة عن ظهورقلوبكم ، ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحرّ والعبد والصغير والكبير ، قالوا :لانريد أن نقرأها إلا نظرا ، فقال الله (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن نوف البِكالىّ ، قال : لما انطلق موسى بوفد بنى إسرائيل كلمه الله، فقال: إنى قد بسطت لهم الأرض طَهورا ومساجد، يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة، إلاعند مِرحاض أو قبر أوحمام ، وجعلت السكينة فى قلوبهم، وجعلتهم يقرءون التوراة عن ظهر ألسنتهم . قال : فذكر ذلك موسى لبنى إسرائيل ، فقالوا : لانستطيع حمل السكينة فى قلوبنا ، فاجعلها لنا فى تابوت ، ولا نقرأ التوراة إلا نظرا ، ولا نصلى إلا فى الكنيسة . فقال الله (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ). . . حتى بلغ (أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) . قال : فقال موسى عليه السلام : يا ربّ اجعلنى نبيهم ، قال : نبيهم منهم ، قال : ربّ اجعلنى منهم ، قال لن تدركهم ، قال : يا ربّ أتيتك بوفد بنى إسرائيل ، فجعلت وِفادتنا لغيرنا ، فأنزل الله (وَمِنْ قَوْمِ

موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال نوف البكالى : فاحمدوا الله الذى حفظ غيبتكم ، وأخذ لكم بسهمكم ، وجعل وفادة بنى إسرائيل لكم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن نوف البكالىّ بنحوه ، إلا أنه قال : فإنى أنزل عليكم التوراة تقرءونها عن ظهر ألسنتكم ، رجالكم ونساؤكم وصبيانكم ، قالوا : لانصلى إلا فى كنيسة ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (فسأكتبها للذين يتقون) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فسأكتبها للذين يتقون) قال : هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قيل (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) تمنتها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطا بيّنا وثيقا ، فقال (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم ، كان أميا لايكتب .

وقد بيّنا معنى الأمىّ فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) فإن الهاء فى قوله : (يجدونه) عائدة على الرسول ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

كالذى حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) هذا محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح عن هلال بن علىّ ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو ، فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظّ ولاغليظ ولاصخّاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لاإله إلا الله ، فنفتح به قلوبا غلفا وآذانا صمّا ، وأعينا عميا . قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك ، فما اختلفا حرفا ، إلا أن كعبا قال : بلغته : قلوبا غلوفيا ، وآذانا صموميا ، وأعينا عموميا .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا موسى بن داود ، قال : ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علىّ ، قال : ثنى عطاء ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال فى كلام كعب : أعينا عموما ، وآذانا صموما ، وقلوبا غلوفا .

قال ثنا موسى ، قال : ثنا عبد العزيز بن سلمة ، عن هلال بن علىّ ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بنحوه ، وليس فيه كلام كعب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ) يقول : يجدون نعته وأمره ونبوّته مكتوبا عندهم .

القول فى تأويل قوله (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ، وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) :

يقول تعالى ذكره : يأمر هذا النبىّ الأمىّ أتباعه بالمعروف ، وهو الإيمان بالله ، ولزوم طاعته فيما أمر ونهى ، فذلك المعروف الذى يأمرهم به ، وينهاهم عن المنكر ، وهو الشرك بالله ، والانتهاء عما نهاهم الله عنه .

وقوله (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) وذلك ماكانت الجاهلية تحرّمه ، من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ، (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وذلك لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب ، التى حرّمها الله .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وهو لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرّمات ، من المآكل التى حرّمها الله .

وأما قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : يعنى بالإصر : العهد والميثاق الذى كان أخذه على بنى إسرائيل ، بالعمل بما فى التوراة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : عهدهم ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : عهدهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن علىّ ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : العهود التى أعطوها من أنفسهم ، قال : ثنا ابن نمير ، عن موسى بن قيس ، عن مجاهد (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) يقول : يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التى أخذت عليهم فى التوراة والإنجيل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم ، يقول : يضع ذلك عنهم . وقال بعضهم : عنى بذلك أنه يضع عمن اتبع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذى كان على بنى إسرائيل فى دينهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بإقالة منه ، وتجاوز عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : البول ونحوه، مما غلظ على بنى إسرائيل ، قال: ثنا الحِمَّانى ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : شدّة العمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال : من اتبع محمدا ودينه من أهل الكتاب ، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد فى دينهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : قال أبو هريرة لابن عباس : ما علينا فى الدين من حرج أن نزنىَ ونسرق ؟ قال : بلى ، ولكن الإصر الذى كان على بنى إسرائيل وُضع عنكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : إصرهم الذى جعله عليهم .

قال أبو جعفر : وأَولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الإصر : هو العهد .

وقد بيَّنا ذلك بشواهده فى موضع غير هذا بما فيه الكفاية ، وأن معنى الكلام : ويضع النبىّ الأمىّ العهد الذى كان الله أخذ على بنى إسرائيل ، من إقامة التوراة ، والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة ، كقطع الجلد من البول ، وتحريم الغنائم ، ونحو ذلك من الأعمال التى كانت عليهم مفروضة ، فنسخها حكم القرآن .

وأما الأغلال التى كانت عليهم ، فكان ابن زيد يقول بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب عنه ، فى قوله (وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال : الأغلال ، وقرأ (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) قال : تلك الأغلال ، قال : ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبىّ ، فيضع ذلك عنهم .

القول فى تأويل قوله (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) :

يقول تعالى ذكره: فالذين صدّقوا بالنبىّ الأمىّ، وأقرّوا بنبوّته . وعزّروه، يقول: وقَّروه وعظموه، وحموه من الناس .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وعزّروه) يقول : حَموه ووَقروه .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنى موسى بن قيس ، عن مجاهد (وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) قال : عزّروه : سدّدوا أمره ، وأعانوا رسوله ونصروه . وقوله (نَصَرُوهُ) يقول :

وأعانوه على أعداء الله وأعدائه ، بجهادهم ونصب الحرب لهم (وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ) : يعني القرآن والإسلام (أُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) يقول : الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جلّ ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، هم المنجحون ، المدركون ماطلبوا ، ورجَوا بفعلهم ذلك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فما نقموا ، يعني اليهود ، إلا أن حسدوا نبيّ الله ، فقال الله (ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) فأما نصره وتعزيره ، فقد سُبقتم به ، ولكن خياركم من آمن بالله ، واتبع النور الذى أنزل معه ، يريد قتادة بقوله : فما نقموا إلا أن حسدوا نبيّ الله : أن اليهود ، كان محمد صلى الله عليه وسلم ، بما جاء به من عند الله ، رحمة عليهم لو اتبعوه ، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم ، فحملهم الحسد على الكفر به ، وترك قبول التخفيف ، لغلبة خذلان الله عليهم .

القول فى تأويل قوله

قُلْ : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ، فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ، وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للناس كلهم : (إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان مَن قبلى من الرسل ، مرسَلا إلى بعض الناس دون بعض ، فمن كان منهم أرسل كذلك ، فإن رسالتى ليست إلى بعضكم دون بعض ، ولكنها إلى جميعكم . وقوله (ٱلَّذِي) : من نعت اسم الله .

وإنما معنى الكلام : قل يا أيها الناس ، إنى رسول الله الذى له ملك السموات والأرض ، إليكم .

ويعنى جل ثناؤه بقوله : (ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ) : الذى له سلطان السموات والأرض وما فيهما ، وتدبير ذلك وتصريفه (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) يقول : لاينبغى أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جلّ ثناؤه ، دون سائر الأشياء غيره ، من الأنداد والأوثان ، إلا لمن له سلطان كلّ شيء ، والقادر على إنشاء خلق كل ماشاء ، وإحيائه وإفنائه ، إذا شاء إماتته (فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ) : يقول جلّ ثناؤه : قل لهم : فصدّقوا بآيات الله الذى هذه صفته ، وأقرّوا بوحدانيته ، وأنه الذى له الألوهة والعبادة ، وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم : أنه مبعوث إلى خلقه ، داعٍ إلى توحيده وطاعته .

القول فى تأويل قوله (ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) :

وأما قوله (ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ) فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بينت معنى النبيّ فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . ومعنى قوله (ٱلأُمِّيِّ : ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ) يقول : الذى يصدّق بالله وكلماته .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَكَلِمَاتِهِ) فقال بعضهم : معناه : وآياته .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وكَلِماتِهِ) يقول : آياته .

وقال آخرون : بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وكَلِماتِهِ) قال : عيسى بن مريم .

وحدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وكَلِماتِهِ) فهو عيسى بن مريم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدّقوا بنبوّة النبىّ الأمىّ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، ولم يخصص الخبر جلّ ثناؤه عن إيمانه من كلمات الله ببعض دون بعض ، بل أخبرهم عن جميع الكلمات ، فالحقّ فى ذلك أن يعمّ القول ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها ، على ما جاء به ظاهر كتاب الله .

وأما قوله (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) : فاهتدوا به أيها الناس، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله . لعلكم تهتدون ، يقول : لكى تهتدوا فترشُدوا ، وتصيبوا الحقّ فى اتباعكم إياه .

القول فى تأويل قوله

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)

يقول تعالى ذكره (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى) يعنى بنى إسرائيل (أُمَّةٌ) يقول : جماعة (يَهْدُونَ بالحَقِّ) يقول : يهتدون بالحقّ : أى يستقيمون عليه ويعملون (وَبِهِ يَعْدِلُونَ) : أى وبالحقّ يعطون، ويأخذون ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون . وقد قال فى صفة هذه الأمة التى ذكرها الله فى الآية جماعة أقوالا ، نحن ذاكرو ما حضرَنا منها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن الزُّبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة أبى الهُذَيل، عن السدىّ (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال قوم بينكم وبينهم نهر من شَهْد [١] .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : بلغنى أن بنى إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا ، وكانوا

(١) قوله « نهر من شهد » : كذا بالأصل ، وابن كثير ، وفى الدر : « نهر من سهل » : أى من رمل يجرى ؛ وفى روح المعانى : « بينكم وبينهم نهر من رمل يجرى » . وقال : ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سندا يعول عليه ، إلى آخر ما قال .

اثنى عشر سبطا ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نَفَقًا فى الأرض ، فساروا فيه ، حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حُنفاء مسلمون ، يستقبلون قبلتنا . قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) . ووعد الآخرة : عيسى بن مريم يخرجون معه . قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا فى السَّرَب سنة ونصفا .

القول فى تأويل قوله

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ : أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ، فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ، وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)

❁ يقول تعالى ذكره : فرقناهم ، يعنى قوم موسى من بنى إسرائيل ، فرّقهم الله فجعلهم قبائل شتى ، اثنتى عشرة قبيلة . وقد بيّنا معنى الأسباط فيما مضى ، ومن هم .

واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث الاثنتى عشرة والأسباط : جمع مذكر ، فقال بعض نحويّى البصرة : أراد اثنتى عشرة فرقة ، ثم أخبر أن الفِرَق أسباط ، ولم يجعل العدد على أسباط . وكان بعضهم يستحكى على هذا التأويل ويقول : لا يخرج العدد على عين الثانى ، ولكن الفِرَق قبل الاثنتى عشرة ، حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ماقبلها ، ويكون الكلام : وقطعناهم فِرَقا اثنتى عشرة أسباطا ، فيصحّ التأنيث لما تقدّم . وقال بعض نحويّى الكوفة ، إنما قال اثنتى عشرة بالتأنيث والسبط مذكر ، لأن الكلام ذهب إلى الأمم ، فغلّب التأنيث ، وإن كان السبط ذكرا ، وهو مثل قول الشاعر :

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِىءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرِ[1]

---

(١) البيت فى (اللسان : بطن) قال : البطن دون القبيلة . وقيل : هو دون الفخذ ، وفوق العمارة ، مذكر . والجمع : أبطن وبطون . فأما قوله : وإن كلابا . . . الخ ، فإنه أنث على معنى القبيلة ، وأبان ذلك بقوله : « من قبائلها العشر » .

وفى خاتمة المصباح : البطن مذكر ولا يؤنث . وفى نهاية الأرب للنويرى (٢ : ٣٢٨) : وأما كلاب بن ربيعة بن عامر ، فأعقب من عشر أبطن . قال الشاعر : وإن كلابا . . . البيت

يعنى شمر بن ذى الجوشن الضبابى ، والعشر أبطن لصلب كلاب ، وهم جعفر ، وأبو بكر واسمه عبيد ، ومعاوية ، وهو الضباب بن كلاب ، وعامر ، وربيعة ، والأضبط ، وعمرو ، وعبد الله ، ورؤاس (قيل بالفتح وواو بدل الهمز) ، وكعب .

وقال العينى فى شرح شواهد شروح الألفية (هامش ج ٤ من خزانة الأدب للبغدادى) : قائله رجل من بنى كلاب ، يسمى النواح . والشاهد فى قوله « عشر أبطن » . وكان القياس « عشرة أبطن » ، لأن البطن مذكر ، لكنه كنى عن الأبطن بالقبائل ، بدليل قوله « من قبائلها العشر » .

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة ؛ فلذلك جمع البطن بالتأنيث .

وكان آخرون من نحويّي الكوفة يقولون : إنما أنثت الاثنتا عشرة ، والسبط ذَكَر ، لذكر الأمم .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الاثنتى عشرة أنثت لتأنيث القطعة . ومعنى الكلام : وقطعناهم قطعا اثنتى عشرة ، ثم ترجم عن القطع بالأسباط ، وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرة عن الاثنتى عشرة وهى جمع ، لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع ، والأسباط جمع لا واحد ، وذلك كقولهم : عندى اثنتا عشرة امرأة ، ولا يقال : عندى اثنتا عشرة نسوة ، فبيّن ذلك أن الأسباط ليست بتفسير للاثنتى عشرة ، وإن القول فى ذلك على ما قلنا . وأما الأمم فالجماعات ، والسبط فى بنى إسرائيل نحو القَرْن . وقيل : إنما فرّقوا أسباطا : لاختلافهم فى دينهم .

القول فى تأويل قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ : أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ، فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ، وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) :

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى إذ فرّقنا بنى إسرائيل قومه اثنتى عشرة فرقة ، وتيّهناهم فى التيه ، فاستسقوا موسى من العطش وغئور الماء (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) وقد بيّنا السبب الذى كان قومه استسقوه ، وبيّنا معنى الوحى بشواهده ، (فَانْبَجَسَتْ) فانصبّت وانفجرت من الحجر (اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) من الماء (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) يعنى : كلّ أناس من الأسباط الاثنتى عشرة (مَشْرَبَهُمْ) : لا يدخل سبط على غيره فى شربه . (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ) يكنّهم من حرّ الشمس وأذاها . وقد بيّنا معنى الغمام فيما مضى قبل ، وكذلك المنّ والسلوى (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) طعاما لهم . (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) يقول : وقلنا لهم : كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس ، وطيّبناه لكم (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ، وفى الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ظهر عما ترك ، وهو فأجمعوا ذلك ، وقالوا : لن نصبر على طعام واحد ، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير (وَمَا ظَلَمُونَا) يقول : وما أدخلوا علينا نقصا فى ملكنا وسلطاننا ، بمسألتهم ما سألوا ، وفعلهم ما فعلوا (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) : أى ينقصونها حظوظها ، باستبدالهم الأدنى بالخير ، والأرذل بالأفضل .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ ، وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ ، وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ، سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد من خطأ فعل هؤلاء القوم ، وخلافهم على ربهم ، وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام، وتبديلهم القول الذى أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم (اسْكُنُوا هَذِهِ القَرْيَةَ) وهى قرية بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا) يقول : من ثمارها وحبوبها ونباتها (حَيْثُ شِئْتُمْ) منها ، يقول : أنى شئتم منها (وَقُولُوا حِطَّةٌ) يقول : وقولوا : هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا (نَغْفِرْ لَكُمْ) : يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التى سلفت منكم، فيعفو لكم عنها ، فلا يؤاخذكم بها (سَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ) منكم ، وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا . وقد ذكرنا الروايات فى كل ذلك، باختلاف المختلفين، والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)

❁ يقول تعالى ذكره : فغيّر الذين كفروا بالله منهم ، ما أمرهم الله به من القول ، فقالوا: وقد قيل لهم : قولوا : هذه حطة : حنطة فى شعيرة ، وقولهم ذلك كذلك ، هو غير القول الذى قيل لهم قولوه ، يقول الله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ) : بعثنا عليهم عذابا أهلكناهم، بما كانوا يغيّرون مايؤمرون به ، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ، ويقولون غير الذى أمرهم الله بقيله . وقد بيّنا معنى الرجز فيما مضى .

القول فى تأويل قوله

وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ، كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)

❁ يقول تعالى ذكره : واسأل يا محمد هؤلاء اليهود، وهم مجاوروك ، عن أمر القرية التى كانت حاضرة البحر ، يقول : كانت بحضرة البحر : أى بقرب البحر ، وعلى شاطئه .

واختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم : هى أَيْلَة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التى كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ) قال: هى قرية يقال لها أَيْلَة ، بين مدين والطور .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، فى قوله (وَسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التى كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ) قال : سمعنا أنها أيلة .

حدثنى سلام بن سالم الخزاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفىّ ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : دخلت على ابن عباس ، والمصحف فى حجره ، وهو يبكى ، فقلت : ما يبكيك ، جعلنى الله فداك ؟ فقال : ويلك ، وتعرف القرية التى كانت حاضرة البحر ؟ فقلت : تلك أيلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ) قال : هى أيلة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هى قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة ، يقال لها أيلة .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : هم أهل أيلة ، القرية التى كانت حاضرة البحر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد ، فى قوله (وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : أيلة .

وقال آخرون : معناه : ساحل مدين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . الآية ، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر ، يقال لها أيلة .

وقال آخرون : هى مقنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : هى قرية يقال لها مقنا ، بين مدين وعينونى[1] .

وقال آخرون : هى مدين .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هى قرية بين أيلة والطور ، يقال لها مدين .

۞ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : هى قرية حاضرة البحر ، وجائز أن تكون أيلة ، وجائز أن تكون مدين ، وجائز أن تكون مقنا[2] ، لأن كلّ ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقطع العذر بأن ذلك من أىّ ، والاختلاف فيه على ما وصفت ، ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى ، مما لم نعاينه ، إلا بخبر يوجب العلم ، ولا خبر كذلك فى ذلك .

وقوله (إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ) يعنى به أهله : إذ يعتدون فى السبت أمرَ الله ، ويتجاوزونه إلى ماحرّمه الله عليهم ، يقال منه : عدا فلان أمرى واعتدى : إذا تجاوزه ، وكان اعتداؤهم فى السبت : أن الله كان حرّم عليهم السبت ، فكانوا يصطادون فيه السمك (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً) :

(١) فى معجم مااستعجم : عينون . وفى التاج : عنيون ، ويقال عينونى . (٢) فى تفسير القرطبى ٧ : ٣٠٥ : مقناة .

يقول: إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذى نُهوا فيه عن العمل، شُرَّعا، يقول: شارعة ظاهرة على الماء، من كلّ طريق وناحية، كشوارع الطرق.

كالذى حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعد، عن بشر بن عمارة، عن أبى رَوْق، عن الضحاك عن ابن عباس (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً) يقول: ظاهرة على الماء.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (شُرَّعاً) يقول: من كلّ مكان.

وقوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) يقول: ويوم لايعظمونه تعظيمهم السبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت، لاتأتيهم الحيتان (كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يقول: كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا، بإظهار السمك لهم على ظهر الماء، فى اليوم المحرّم عليهم صيده، وإخفائها عنه فى اليوم المحلل صيده، كذلك نبلوهم ونختبرهم، بما كانوا يفسقون، يقول: بفسقهم عن طاعة الله، وخروجهم عنها.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) فقُرئ بفتح الياء من يسبتون، من قول القائل: سَبَتَ فلان يَسْبِتُ سبتا وسبوتا: إذا عظّم السبت. وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرؤه (وَيَوْمَ لَا يُسْبِتُونَ) بضمّ الياء، من أسبت القوم يسبتون: إذا دخلوا فى السبت، كما يقال أجمعنا: مرّت بنا جمعة، وأشهرنا: مرّبنا شهر، وأسبتنا: مرّ بنا سبت، ونصب يوم من قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) بقوله (لَا تَأْتِيهِمْ)، لأن معنى الكلام: لاتأتيهم يوم لايسبتون.

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟ قَالُوا: مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦١)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضا يا محمد، إذ قالت أمة منهم، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين فى السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) فى الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمرَه، واستحلالهم ما حرّم عليهم (أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) فى الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم: عظتنا إياهم: (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) نؤدّى فرضه علينا، فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعدّيه على ماحرّم عليهم، من اعتدائهم فى السبت.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس (قَالُوا: مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) لسخطنا أعمالهم. (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ): أى ينزعون عما هم عليه.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) قال : يتركون هذا العمل الذى هم عليه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَالُوا:مَعْذِرَةٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والكوفة والبصرة (مَعْذِرَةٌ) بالرفع ،على ما وصفت من معناها ، وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة (مَعْذِرَةً) نصبا ، بمعنى : إعذارا وعظناهم ، وفعلنا ذلك .

واختلف أهل العلم فى هذه الفرقة التى قالت (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) هل كانت من الناجية ، أم من الهالكة ؟ فقال بعضهم : كانت من الناجية ، لأنها كانت من الناهية الفرقةَ الهالكة عن الاعتداء فى السبت .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ : لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً) هى قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة ، يقال لها أيلة ، فحرّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرّعا فى ساحل البحر ، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها ، فمكثوا بذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم ، فنهتهم طائفة وقالوا ، تأخذونها وقد حرّمها الله عليكم يوم سبتكم ، فلم يزدادوا إلا غَيًّا وعُتُوًّا ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم ، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة : تعلمون أن هؤلاء قوم قد حقّ عليهم العذاب (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) ، وكانوا أشدّ غضبا لله من الطائفة الأخرى ، فقالوا : معذرة إلى ربكم ، ولعلهم يتقون ، وكلّ قد كانوا ينهون ، فلما وقع عليهم غضب الله ، نجت الطائفتان اللتان قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) ، والذين قالوا (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) ، وأهلك الله أهل معصيته ، الذين أخذوا الحيتان ، فجعلهم قردة وخنازير .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم ، يقول : إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرّعا ، يعنى من كلّ مكان (وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) ، وأنهم قالوا : لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجىء ، ما يكفينا فيما سوى ذلك من الأيام ، فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم ، وقالت طائفة من المؤمنين : إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه ، والله مخزيهم ، ومعذّبهم عذابا شديدا . قال المؤمنون بعضهم لبعض :(مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) إن كان هلاك فلعلنا ننجو ؛ وإما أن ينتهوا ، فيكون لنا أجرا ، وقد كان الله جعل على بنى إسرائيل يوما يعبدونه ، ويتفرّغون له فيه ، وهو يوم الاثنين ، فتعدّى الخُبثاء من الاثنين إلى السبت ، وقالوا : هو يوم السبت ، فنهاهم موسى ، فاختلفوا فيه ،

فجعل عليهم السبت ، ونهاهم أن يعملوا فيه ، وأن يعتدوا فيه ، وإن رجلا منهم ذهب ليحتطب ، فأخذه موسى عليه السلام ، فسأله : هل أمرك بهذا أحد ؟ فلم يجد أحدا أمره ، فرجمه أصحابه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال بعض الذين نهوهم لبعض : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ ، أوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً) يقول : لم تعظونهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ؟ فقال بعضهم (مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هانئ ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَإذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أوْمُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً)؟ قال : ما أدرى أنجا الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) أم لا ؟ قال : فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نَجَوا ، فكسانى حُلَّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قرأ ابن عباس ، هذه الآية ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : فما زلت أبصره ، حتى عرف أنهم قد نجوا .

حدثنى سلام بن سالم الخزاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفىّ ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : دخلت على ابن عباس ، والمصحف فى حجره ، وهو يبكى ، فقلت : ما يبكيك؟جعلنى الله فداءك ، قال : فقرأ (وَسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) قال ابن عباس : لاأسمع الفرقة الثالثة ذكرت، نخاف أن نكون مثلهم ، فقلت : أما تسمع الله يقول : (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ) فسرّى عنه ، وكسانى حُلَّة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : ثنى رجل ، عن عكرمة ، قال : جئت ابن عباس يوما وهو يبكى ، وإذا المصحف فى حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت ، فجلست ، فقلت : ما يبكيك يابن عباس ؟ جعلنى الله فداءك ، فقال : هؤلاء الورقات ، قال : وإذا هو فى سورة الأعراف ، قال : تعرف أيلة ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه كان حىّ من يهود ، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت لايقدرون عليها ، حتى يغوصوا بعد كدّ ومؤنة شديدة ، كانت تأتيهم يوم السبت شُرَّعا ، بيضا سمانا ، كأنها الماخض ، تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم ، فكانوا كذلك بُرْهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم ، فقال : إنما نُهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، وكلوها فى غيره من الأيام ، فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة منهم : بل نُهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها فى يوم السبت ، وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت ، وقال : الأيمنون : الله ينهاكم عن أن تعرّضوا لعقوبة الله ، وقال الأيسرون : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ؟) قال : الأيمنون (مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) : أى ينتهون ، فهو أحبّ إلينا ألاّ يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم ، فمضوا

على الخطيئة ، فقال الأيمنون : قد فعلتم يا أعداء الله ، والله لانُبايتكم الليلة فى مدينتكم ، والله ما نراكم تصبحون، حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف ، أو بعض ما عنده بالعذاب ؛ فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادَوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلّما وأعلَوا سور المدينة رجلا ، فالتفت إليهم فقال : أى عباد الله ، قردة والله تعاوى لها أذناب . قال : ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القرود تأتى نسيبها من الإنس ، فتشمّ ثيابه وتبكى ، فتقول لهم : ألم ننهكم عن كذا ؟ فتقول برأسها : نعم ، ثم قرأ ابن عباس (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ، أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) قال : فأرى اليهود الذين نَهَوا قد نَجَوا ، ولا أرى الآخرين ذُكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ، فلا نقول فيها ؟ قال : قلت : أى جعلنى الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ماهم عليه وخالفوهم ، وقالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ) قال : فأمر بى ، فكُسيت بُرْدَين غليظين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) ذكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان ، حتى تنتطح على سواحلهم ، وأفنيتهم ، لما بلغها من أمر الله فى الماء ، فإذا كان فى غير يوم السبت بعُدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم ، فأتاهم الشيطان ، فقال : إنما حرّم عليكم أكلها يوم السبت ، فاصطادوها يوم السبت ، وكلوها فيما بعد .

قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْمُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ؟ قَالُوا : مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فصار القوم ثلاثة أصناف : أمّا صنف ، فأمسكوا عن حرمة الله ، ونَهَوا عن معصية الله . وأما صِنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله . وأما صنف فانتهك الحرمة ، ووقع فى الخطيئة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قول الله (حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : حرمت عليهم الحيتان يوم السبت ، وكانت تأتيهم يوم السبت شرّعا ، بلاء ابتلوا به ، ولا تأتيهم فى غيره إلا أن يطلبوها ، بلاء أيضا بما كانوا يفسقون ، فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية ، فقال الله لهم : كونوا قردة خاسئين ، إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونَهَوهم ، فقال بعضهم لبعض : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللهُ مُهْلِكُهُمْ) . . . حتى بلغ (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) : لعلهم يتركون ماهم عليه ، قال : كانوا قد بُلُوا بكفّ الحيتان عنهم ، وكانوا يَسْبِتون فى يوم السبت ، ولايعملون فيه شيئا ، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرّعا ، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد ، قال : وكانوا قوما قد قرِموا بحبّ الحيتان ، ولقُوا منه بلاء ، فأخذ رجل منهم حوتا ، فربط فى ذَنَبه خيطا ، ثم ربطه إلى خشفة ، ثم تركه فى الماء ، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد اجترّه بالخيط ، ثم شواه ، فوجد جار له

ريح حوت ، فقال : يافلان، إنى أجد فى بيتك ريح نون ، فقال : لا ، قال : فتطلع فى تنوره فإذا هو فيه، فأخبره حينئذ الخبر ، فقال : إنى أرى الله سيعذّبك ، قال : فلما لم يره عَجّل عذابا ، فلما أتى السبت الآخر ، أخذ اثنين فربطهما ، ثم اطلع جار له عليه ؛ فلما رآه لم يعجل عذابا جعلوا يصيدونه ، فاطلع أهل القرية عليهم ، فنهاهم الذين ينهون عن المنكر ، فكانوا فرقتين : فرقة تنهاهم وتكفّ ، وفرقة تنهاهم ولا تكفّ ، فقال الذين نَهَوا وكفوا ، للذين ينهون ولا يكفون (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً؟) فقال الآخرون:(مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فقال الله (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) . قال الله (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ ، قُلْنَا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) . وقال لهم أهل تلك القرية : عملتم بعمل سَوْء ، من كان يريد يعتزل ويتطهر فليعتزل هؤلاء ، قال : فاعتزل هؤلاء وهؤلاء فى مدينتهم ، وضربوا بينهم سورا ، فجعلوا فى ذلك السور أبوابا يخرج بعضهم إلى بعض ؛ قال : فلما كان الليل طرقهم الله بعذابه ، فأصبح أولئك المؤمنون لايرون منهم أحدا ، فدخلوا عليهم ، فإذا هم قردة ، الرجل وأزواجه وأولاده ، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه ، فيقولون : يا فلان ألم نحذّرك سَطَوات الله ؟ ألم نحذّرك نَقِمات الله ؟ ونحذّرك ونحذّرك ؟ قال : فليس إلا بكاء، قال : وإنما عذّب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك . قال : وأما الذين نَهوا فكلهم قد نهى ، ولكن بعضهم أفضل من بعض، فقرأ (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السوءِ ، وأَخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قرأ ابن عباس هذه الآية (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ ، أَوْ مُعَذّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً) قال : لاأدرى أنجا القوم أو هلكوا ؟ فما زلت أبصّره حتى عرف أنهم نَجَوا ، وكسانى حُلّة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك ، قال : زعم ابن رُومان أن قوله (تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ) قال : كانت تأتيهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شىء إلى السبت، فاتخذ لذلك رجل منهم خيطا ووَتِدا ، فربط حوتا منها فى الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد، أخذه فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فجحدهم ، فلم يزالوا به،حتى قال لهم : فإنه جِلْد حوت وجدناه . فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ، ولا أدرى لعله قال : ربط حوتين . فلما أمسى من ليلة الأحد، أخذه فاشتواه، فوجدوا ريحه ، فجاءوا فسألوه ، فقال لهم : لوشئتم صنعتم كما أصنع ، فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل مافعل ، حتى كثر ذلك ، وكانت لهم مدينة لها رَبَض ، فغلقوها عليهم ، فأصابهم من المسخ ما أصابهم ، فغدا إليهم جيرانهم، ممن كان يكون حولهم ، يطلبون منهم مايطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ،

فنادوا فلم يجيبوهم ، فتسوّروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ، ويتمسح به .

وقال آخرون : بل الفرقة التي قالت (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) كانت من الفرقة الهالكة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ) . . . إلى قوله (شُرَّعاً) قال : قال ابن عباس : ابتدعوا السبت ، فابتُلوا فيه ، فحرّمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم السبت شرّعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر ، فإذا انقضى السبت ذهبت ، فلم تر حتى السبت المقبل ، فإذا جاء السبت جاءت شُرّعا ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ، ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فخرم أنفه ، ثم ضرب له وتدا في الساحل ، وربطه وتركه في الماء ؛ فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ، ولا ينهاه منهم أحد ، إلا عصبة منهم نَهوه ، حتى ظهر ذلك في الأسواق ، وفُعِل علانية . قال : فقالت طائفة للذين ينهون (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ؟ قالُوا : مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ) في سخطنا أعمالهم (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ) . . . إلى قوله (قُلْنا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) قال ابن عباس : كانوا أثلاثا : ثلث نَهَوْا ، وثلث قالوا : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) ؟ وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نَهَوا ، وهلك سائرهم ، فأصبح الذين نَهوا عن السوء ذات يوم في مجالسهم يتفقدون الناس لايرونهم ، فغلقوا عليهم دورهم ، فجعلوا يقولون : إن للناس لشأنا ، فانظروا ما شأنهم ؟ فاطلعوا في دورهم ، فإذا القوم قد مُسخوا في ديارهم قردة ، يعرفون الرجل بعينه ، وإنه لقرد ، ويعرفون المرأة بعينها ، وإنها لقردة ، قال الله (فَجَعَلْناها نَكالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْها وما خَلْفَها ، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهُذَلِيّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَنْجَيْنا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) . . . الآية . قال ابن عباس : نجا الناهون ، وهلك الفاعلون ، ولا أدري ماصُنِع بالساكتين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : هم ثلاث فرق : الفرقة التي وعظت ، والموعوظة التي وُعِظت ، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً الله مُهْلِكُهُمْ) . وقال الكلبي : هما فرقتان : الفرقة التي وَعَظَتْ ، والفرقة التي قالت : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : هي الموعوظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس، قال: لأن أكون علمتُ مَنْ هؤلاء الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) : أحبّ إليّ مما عُدِل به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: قال ابن عباس (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ) قال: أسمع الله يقول (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) فليت شعرى ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ماهان الحنفيّ أبي صالح، فى قوله (تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) قال: كانوا فى المدينة التى على ساحل البحر، وكانت الأيام ستة، الأحد إلى الجمعة، فوَضَعت اليهود يوم السبت، وسبّتوه على أنفسهم، فسبته الله عليهم، ولم يكن السبت قبل ذلك، فوكده الله عليهم، وابتلاهم فيه بالحيتان، فجعلت تشرع يوم السبت، فيتقون أن يصيبوا منها، حتى قال رجل منهم: والله ما السبت بيوم وكّده الله علينا، ونحن وكدناه على أنفسنا، فلو تناولت من هذا السمك، فتناول حوتا من الحيتان، فسمع بذلك جاره، فخاف العقوبة، فهرب من منزله؛ فلما مكث ما شاء الله، ولم تصبه عقوبة، تناول غيرُه أيضا فى يوم السبت، فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول فى يوم السبت، واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمور، ويلعبون فيه بالمعازف، فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم: ويحكم! انتهوا عما تفعلون، إن الله مهلككم أو معذّبكم عذابا شديدا، أفلا تعقلون، ولا تعدوا فى السبت، فأبوا، فقال خيارهم: نضرب بيننا وبينهم حائطا، ففعلوا، وكان إذا كان ليلة السبت تأذّوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف، حتى إذا كانت الليلة التى مُسخوا فيها، سكنت أصواتهم أوّل الليل، فقال خيارهم: ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة؟ فقال بعضهم: لعلّ الخمر غلبتهم فناموا؛ فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حِسًّا، فقال بعضهم لبعض: مالنا لانسمع من قومكم حِسًّا؟ فقالوا لرجل اصعد الحائط، وانظر ماشأنهم؟ فصعد الحائط فرآهم يموج بعضهم فى بعض، قد مسخوا قردة، فقال لقومه: تعالوا فانظروا إلى قومكم ما لَقُوا، فصعدوا، فجعلوا ينظرون إلى الرجل، فيتوسمون فيه، فيقولون: أى فلان، أنت فلان؟ فيومئ بيده إلى صدره: أى نعم بما كسبت يداى.

حدثنى يعقوب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن عُلَيّة، عن أيوب، قال: تلا الحسن ذات يوم (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) فقال: كان حوتا حرّمه الله عليهم فى يوم، وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم فى اليوم الذى حرّمه الله عليهم، كأنه المخاض، لا يمتنع من أحد، وقلّما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه، قال: فجعلوا يَهُمّون ويمسكون؛ حتى أخذوه، فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قطّ، أثقله خزيا فى الدنيا، وأشدّه عقوبة فى الآخرة، وايمُ الله

ماحوت أخذه قوم فأكلوه ، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن ، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ، ولكن الله جعل موعد قوم الساعة ، والساعة أدهى وأمرّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبى موسى ، عن الحسن ، قال : جاءتهم الحيتان تشرع فى حياضهم كأنها المخاض ، فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قطّ ، أسوأه عقوبة فى الدنيا ، وأشدّه عذابا فى الآخرة . وقال الحسن : وقَتْلُ المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : كنت جالسا فى المسجد ، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناس إليه، فقالوا: هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود، فقال: قال ابن مسعود (وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . الآية ، قال : لما حرّم عليهم السبت كانت الحيتان تأتى يوم السبت ، وتأمن وتجىء فلا يستطيعون أن يمسّوها ، وكان إذا ذهب السبت ذهبت ، فكانوا يتصيّدون كما يتصيّد الناس ؛ فلما أرادوا أن يَعْدُوا فى السبت، اصطادوا، فنهاهم قوم من صالحيهم، فأبوا، وكثرهم الفجار ، فأراد الفجار قتالهم ، فكان فيهم من لايشتهون قتاله ، أبو أحدهم وأخوه أو قريبه ؛ فلما نهوهم وأبوا ، قال الصالحون : إنا نبايتهم ، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطا، ففعلوا . فلما فقدوا أصواتهم ، قالوا : لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا ؟ فنظروا فإذا هم قد مسخوا قردة، يعرفون الكبير بكبره ، والصغير بصغره، فجعلوا يبكون إليهم ، وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله

فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥)

❊ يقول تعالى ذكره : فلما تركت الطائفة التى اعتدت فى السبت ما أمرها الله به،من ترك الاعتداء فيه ، وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة، وذكّرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها ، فتقدمت على استحلال ما حرّم الله عليها، أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء ، يعنى عن معصية الله ، واستحلال حرمه (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : وأخذ الله الذين اعتدَوا فى السبت، فاستحلوا فيه ما حرّم الله من صيد السمك وأكله، فأحلّ بهم بأسه ،وأهلكهم (بِعَذَابٍ) شديد (بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ): يخالفون أمر الله ، فيخرجون من طاعته إلى معصيته ، وذلك هو الفسق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، فى قوله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) قال: فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم ، الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا) .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا حرَمىّ ، قال : ثنى شعبة ، قال : أخبرنى عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) قال : يا ليت شعرى ما السوء الذى نهوا عنه ؟

وأما قوله (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (بِعَذَابٍ بِيسٍ) بكسر الباء، وتخفيف الياء ، بغير همز ، على مثال فِعْل . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) على مثل فَعِيل من البؤس ، بنصب الباء ، وكسر الهمزة ، ومدّها ، وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين ، غير أنه كسر باء (بِئِيسٍ) على مثال فِعِيل ، وقرأه بعض الكوفيين (بَيْئِسٍ) بفتح الباء ، وتسكين الياء ، وهمزة بعدها مكسورة ، على مثال «فَيْعِلٍ» ، وذلك شاذّ عند أهل العربية ، لأن «فَيْعِل» إذا لم يكن من ذوات الياء والواو ، فالفتح فى عينه : الفصيح فى كلام العرب ، وذلك مثل قولهم فى نظيره من السالم : صَيْقَل ، و تَيْرَب ، وإنما تكسر العين من ذلك فى ذوات الياء والواو ، كقولهم : سيد ، وميت . وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندىّ :

كِلاهُما كانَ رَئِيسا بَيْئِسَا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الهِياجِ القَوْنَسَا[1]

بكسر العين من فيعل ، وهى الهمزة من بيئس ، فلعلّ الذى قرأ ذلك كذلك ، قرأه على هذه . وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه (بَيْئَس) نحو القراءة التى ذكرناها قبل هذه ، وذلك بفتح الباء ، وتسكين الياء ، وفتح الهمزة بعد الياء ، على مثال فَيْعَل مثل صيقل . وروى عن بعض البصريين أنه قرأه بَئِس بفتح الباء ، وكسر الهمزة ، على مثال فَعِل ، كما قال ابن قيس الرقيات :

لَيْتَنِي أَلْقَى رُقَيَّةَ فِي خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ ما بَئِسِ[2]

ورُوِى عن آخر منهم أنه قرأ بِئْسَ ، بكسر الباء ، وفتح السين ، على معنى بِئْس العذاب .

❁ وأولى هذه القراءات عندى بالصواب : قراءة من قرأه (بَئِيس) بفتح الباء ، وكسر الهمزة ومدّها ، على مثال فَعِيل ، كما قال ذو الأصبع العَدْوانىّ :

حَنَقًا عَلَىَّ وَلَنْ تَرَى لِى فِيهِمُ أَثَرًا بَئِيسا[3]

(١) فى تاج العروس : البيأس كفيعل : الشديد . والأسد ، كالبيهس لشدته ، وعذاب بئس بالكسر (فهمزة)، وبئيس كأمير ، وبيأس : كجيأل : شديد . وفى التنزيل العزيز : « بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » ، قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائى وحمزة : « بعذاب بئيس » كأمير . وقرأ ابن كثير « بئيس » على فعيل بالكسر . وكذلك قرأها شبل وأهل مكة . وقرأها ابن عامر : « بئس » على « فعل » بالهمزة والكسر . وقرأها نافع وأهل المدينة « بيس » بغير همزة . ونقل القرطبى فيها (٧ : ٣٠٨) إحدى عشرة قراءة .

(٢) البيت أورده العينى فى شواهده الكبرى « هامش خزانة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٧٩» ولم يشرحه ، وبعده بيت آخر من شواهد النحويين ، وهو قوله :

كَىْ لِتَقْضِينِى رُقَيَّةُ مَا وَعَدَتْنِى غَيْرَ مُخْتَلَسِ

ولم أجد فى ديوانه غير مطلع القصيدة ص ٢٦٧ . وأوردها البغدادى فى خزانة الأدب (٣ : ٥٨٧) . وفى روايته : « من غير ما أنس » والأنس بالتحريك : لغة فى الإنس بكسر الهمزة وسكون النون ، والأنس أيضا : الحى المقيمون . وأما رواية المؤلف : « من غير ما بئس » بفتح الباء وكسر الهمزة ، فهى لغة فى البأس ، بفتح الباء وسكون الهمزة ، بمعنى الشدة ، كما فى لسان العرب .

(٣) الحنق : الغيظ . والبئيس : الشديد . وانظر تفسير القرطبى (٧ : ٣٠٨) فقد نقل فيها إحدى عشرة قراءة .

لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد ، فدلّ ذلك على صحة ما اخترنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنى رجل عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأخذْنا الّذِينَ ظَلَمُوا بعذَابٍ بَئِيسٍ) : أليم وجيع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) قال : شديد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) : أليم شديد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) قال : موجع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) قال : بعذاب شديد

القول فى تأويل قوله

فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (١٦٦)

يقول تعالى ذكره : فلما تمرّدوا فيما نُهوا عنه من اعتدائهم فى السبت ، واستحلالهم ما حرّم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادّوا فيه (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) : أى بُعداء من الخير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ) يقول : لما مرَد القوم على المعصية (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) فصاروا قردة لها أذناب تعاوَى بعد ما كانوا رجالا ونساء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ) فجعل الله منهم القردة والخنازير ، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وأن المَشْيَخَةَ[١] صاروا خنازير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانىّ ، قال : ثنا شريك ، عن السدىّ ، عن أبى مالك أو سعيد بن جبير ، قال : رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل قصبا يوم السبت ، فضرب عنقه .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)

(١) المشيخة : جمع شيخ ، وهو الطاعن فى السن .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ) واذكر يا محمد إذ أذن ربك فأعلم ، وهو تفَعَّل من الإيذان ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

آذَنَ الْيَوْمَ جِيـرَتِى بِحُفُوفِ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ[1]

يعنى بقوله آذن : أعلم ، وقد بيّنا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) قال : أمر ربك .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) قال : أمر ربك .

وقوله (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) يعنى : أعلم ربك ليبعثَنّ على اليهود من يسومهم سوء العذاب ، قيل : إن ذلك العرب ، بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يُسلم منهم ، ولم يعط الجزية ، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى بن إبراهيم وعلىّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : هى الجزية ، والذين يسومونهم : محمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم القيامة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) فهى المسكنة ، وأخذ الجزية منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : يهود وما ضُرب عليهم من الذلة والمسكنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : فبعث الله عليهم هذا الحىّ من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

---

(١) البيت للأعشى ميمون أبى بصير (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص٣١٣) وآذن بالشىء : أعلم به ، ومنه قول الحارث بن حلزة : « آذنتنا ببينها أسماء » : أى أعلمتنا . والخفوف : سرعة الذهاب فى الرحيل . وصرموا : قطعوا . وآلف مألوف : محب محبوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : بعث عليهم هذا الحىّ من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة . وقال عبد الكريم الجزرىّ : يستحبّ أن تبعث الأنباط فى الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : العرب (سُوءَ العَذَابِ) قال : الخراج . وأوّل من وضع الخراج موسى عليه السلام ، فجبى الخراج سبع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : العرب (سُوءَ العَذَابِ) قال : الخراج . قال : وأوّل من وضع الخراج موسى ، فجبى الخراج سبع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ) قال : هم أهل الكتاب ، بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج إلى يوم القيامة ، فهو سوء العذاب ، ولم يجبِ نبىّ الخراج قطّ إلا موسى ، صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك ، وإلا النبىّ ، صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ) قال : يبعث عليهم هذا الحىّ من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة . قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرنى عبد الكريم ، عن ابن المسيّب ، قال : يستحبّ أن تبعث الأنباط فى الجزية .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ) يقول : إن ربك يبعث على بنى إسرائيل العرب ، فيسومونهم سوء العذاب : يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذْ تَأذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ) : ليبعثنّ على يهود .

القول فى تأويل قوله (إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ ، وَإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لسريع عقابه إلى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له (وإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، فأناب ، وراجع طاعته يستر عليها بعفوه عنها ، رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها ، لأنه يقبل التوبة ويقيل العثرة .

القول فى تأويل قوله

وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ، وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨)

يقول تعالى ذكره : وفرّقنا بنى إسرائيل فى الأرض أمما ، يعنى جماعات شتى متفرّقين .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أُمَماً) قال : فى كلّ أرض يدخلها قوم من اليهود .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أُمَماً) قال : يهود .

وقوله (مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ) يقول : من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بنى إسرائيل الصالحون ، يعنى : من يؤمن بالله ورسله (وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ) يعنى : دون الصالح ، وإنما وصفهم الله جلّ ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل أن يُبعث فيهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه .

❁ وقوله (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : واختبرناهم بالرخاء فى العيش ، والخفض فى الدنيا ، والدّعة والسعة فى الرزق ، وهى الحسنات التى ذكرها جلّ ثناؤه . ويعنى بالسيئات : الشدّة فى العيش ، والشظف فيه ، والمصائب والرزايا فى الأموال (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم ، وينيبوا إليها ، ويتوبوا من معاصيه .

القول فى تأويل قوله

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ، أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)

❁ يقول تعالى ذكره : فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خَلْف ، يعنى خَلْف سَوْء ، يقول : حدث بعدهم وخلافهم ، وتبدّل منهم بدلُ سَوْء ، يقال منه : هو خَلَف صِدْق ، وخَلْف سَوْء ، وأكثر ما جاء فى المدح بفتح اللام ، وفى الذمّ بتسكينها ، وقد تحرّك فى الذمّ ، وتسكن فى المدح ، ومن ذلك فى تسكينها فى المدح قول حسان :

لنا القَدَمُ الأُولى إليكَ وخَلْفُنا ... لِأَوّلِنا فى طاعةِ اللهِ تابِعُ[1]

وأحسب أنه إذا وجه إلى الفساد مأخوذ من قولهم : خَلَفَ اللبنُ : إذا حمض من طول تركه فى السقاء ، حتى

(١) البيت لحسان بن ثابت ، أنشده صاحب اللسان فى « خلف » شاهدا على أن الخلف بسكون اللام بمعنى الباقى بعد الهالك ، قال : ويكون محمودا ومذموما ، فشاهد المحمود قول حسان : لنا القدم . . . البيت . فالخلف ههنا : هو التابع لمن مضى ، وليس من معنى الخلف ، الذى هو البدل . قال : وقيل الخلف هنا : المتخلفون عن الأولين : أى الباقون . وعليه قوله عز وجل : « فخلف من بعدهم خلف » ، فسمى بالمصدر . فهذا قول ثعلب . قال : وهو الصحيح . قال : وشاهد المذموم قول لبيد : « وبقيت فى خلف كجلد الأجرب » .

يفسد ، فكأن الرجل الفاسد مشبَّه به ، وقد يجوز أن يكون منه قولهم : خَلَفَ فَمُ الصائم : إذا تغيرت ريحه . وأما فى تسكين اللام فى الذمّ ، فقول لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعاشُ فِي أَكْنافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[1]

وقيل : إن الخَلْف الذى ذكر الله فى هذه الآية أنهم خلَفوا من قبلهم : هم النصارى .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) قال : النصارى .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله تعالى إنما وصف أنه خلَفَ القومَ الذين قصّ قصصهم فى الآيات التى مضت ، خَلْفُ سَوْء ردىء ، ولم يذكر لنا أنهم نصارى فى كتابه ، وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى . وبعدُ ، فإن ما قبل ذلك خبر عن بنى إسرائيل ، وما بعده كذلك ، فما بينهما بأن يكون خبرا عنهم أشبه ، إذ لم يكن فى الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم ، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به .

فتأويل الكلام إذن : فتبدّل من بعدهم بَدَلُ سَوْء ، ورثوا كتاب الله : تعلّموه ، وضيعوا العمل به ، فخالفوا حكمه ، يَرْشُون فى حكم الله ، فيأخذون الرشوة فيه من عرَض هذا العاجل الأدنى ، يعنى بالأدنى : الأقرب ، من الآجل الأبعد ، ويقولون إذا فعلوا ذلك : إن الله سيغفر لنا ذنوبنا ، تمنيا على الله الأباطيل ، كما قال جلّ ثناؤه فيهم (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) . (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) يقول : وإن شرع لهم ذنب حرام مثله ، من الرشوة بعد ذلك ، أخذوه واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه . يخبر جلّ ثناؤه عنهم : أنهم أهل إصرار على ذنوبهم ، وليسوا بأهل إنابة ولا توبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عنه عباراتهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا فُضَيل بن عياض ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : يعملون الذنب ثم يستغفرون الله ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : من الذنوب .

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة (اللسان : خلف) ، وقد سبقت الإشارة إليه فى شرح بيت حسان بن ثابت . ولم أجده فى ديوان لبيد طبع ليدن سنة ١٨٩١ م ، ولا فى ملحقاته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ،عن سعيد بن جبير (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) قال: يعملون بالذنوب (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ): قال : ذنب آخر يعملون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى) قال : الذنوب (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : الذنوب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى) قال: ما أشرف لهم من شيء فى اليوم من الدنيا : حلال أو حرام يشتهونه ، أخذوه ، ويبتغون المغفرة ، فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : يتمنون المغفرة .

حدثنا الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى) قال: لايشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه، حلالا كان أو حراما، ويتمنون المغفرة (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) وإن يجدوا عرَضا مثله يأخذوه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) : إى والله لخلفُ سوْء ،ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم ،ورّثهم الله وعهد إليهم . وقال الله فى آية أخرى (فخلف من بعدِهم خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) قال: (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى ، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) تمنَّوا على الله أمانىّ وغِرّة يغترّون بها (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ) لايشغلهم شيء عن شيء ، ولا ينهاهم عن ذلك ، كلما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه، لايبالون حلالا كان أو حراما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى) قال : يأخذونه إن كان حلالا ، وإن كان حراما (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ) قال : إن جاءهم حلال ، أو حرام أخذوه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) . . . إلى قوله (وَدَرَسُوا ما فيهِ) قال : كانت بنو إسرائيل لايستقضون قاضيا ، إلا ارتشى فى الحكم ، وأن خيارهم اجتمعوا ، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لايفعلوا ، ولا يرتشوا ، فجعل الرجل منهم إذا استُقْضِي ارتشى ، فيقال له: ما شأنك ترتشى فى الحكم ؟ فيقول : سيغفر لى، فيطعن عليه البقيةُ الآخرون من بنى إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات أونُزِع ، وجُعِل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى . يقول : وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه . وأما عَرَض الأدنى ، فعرض الدنيا من المال .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتابَ، يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) يقول : يأخذون ما أصابوا ، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام ، ويقولون : سيغفرلنا .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى) قال: الكتاب الذي كتبوه ، ويقولون (سَيُغْفَرُ لَنَا) لانشرك بالله شيئا . (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) : يأتيهم المُحِقّ برشوه ، فيخرجوا له كتاب الله، ثم يحكموا له بالرشوة ، وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة ، وهو الكتاب الذي كتبوه ، فحكموا له بما في المثناة بالرشوة ، فهو فيها محقّ ، وهو في التوراة ظالم ، فقال الله:(أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ أَلاَّ يَقُولُوا على اللهِ إلاَّ الحَقَّ وَدَرَسُوا ما فِيهِ .)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ورِثُوا الكتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى) قال : يعملون بالذنوب (وَيَقُولُونَ : سَيُغْفَرُ لَنا ، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : الذنوب .

القول في تأويل قوله (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الكتابِ أَلاَّ يَقُولُوا على اللهِ إلاَّ الحَقَّ وَدَرَسُوا ما فِيهِ ، والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا يَعْقِلُونَ ؟) .

❊ يقول تعالى ذكره : ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم ، القائلين : سيغفر الله لنا فعلنا هذا ، إذا عوتبوا على ذلك، ميثاقُ الكتاب، وهو أخذ الله العهودَ على بني إسرائيل بإقامة التوراة، والعمل بما فيها، فقال جلّ ثناؤه لهؤلاء الذين قصّ قصتهم في هذه الآية، مُوَبِّخا لهم على خلافهم أمرَه ، ونقضهم عهده وميثاقه ، ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ، (أَلاَّ يَقُولُوا على اللهِ إلاَّ الحَقَّ) ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى ، صلى الله عليه وسلم في التوراة ، وألا يكذبوا عليه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ أَلاَّ يَقُولُوا على اللهِ إلاَّ الحَقَّ) قال: فيما يُوجبون على الله من غفران ذنوبهم ، التي لايزالون يعودون فيها ، ولا يتوبون منها .

وأما قوله (وَدَرَسُوا ما فِيهِ) فإنه معطوف على قوله (وَرِثُوا الكِتابَ) ومعناه : فخلف من بعدهم خَلْفٌ ورثوا الكتاب، ودرسوا ما فيه . ويعني بقوله (وَدَرَسُوا ما فِيهِ) قرءوا ما فيه ، يقول: ورثوا الكتاب ، فعلموا ما فيه ودرسوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَدَرَسُوا مافِيهِ) : قال: علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله ، وقرأ (بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الكِتابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) . (والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يقول جلّ ثناؤه: وما في الدار الآخرة ، وهو ما في المعاد عند الله مما أُعدّ لأوليائه ، والعاملين بما أنزل في كتابه ، المحافظين على حدوده ، (خير للذين يتقون) الله ، ويخافون عقابه ، فيراقبونه في أمره ونهيه ، ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم (أَفَلا يَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم ، ويقولون : سيغفر لنا ، أن

ما عند الله فى الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس فى أحكامهم ، خير من هذا العرض القليل الذى يستعجلونه فى الدنيا على خلاف أمر الله ، والقضاء بين الناس بالجَور .

القول فى تأويل قوله

وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ، وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٧٠)

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (يُمْسِكُونَ) بتخفيف الميم وتسكينها ، من أمسك يمسك . وقرأه آخرون : (يُمَسِّكُونَ) بفتح الميم وتشديد السين ، من مَسَّك يُمَسِّك ، ويعنى بذلك : والذين يعملون بما فى كتاب الله ، وأقاموا الصلاة بحدودها ، ولم يضيعوا أوقاتها . (إِنَّا لانُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ) : يقول تعالى ذكره : فمن فعل ذلك من خلقى ، فإنى لاأضيع أجر عمله الصالح .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتابِ) : قال : كتاب الله الذى جاء به موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتابِ) من يهود أو نصارى (إِنَّا لانُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ) .

القول فى تأويل قوله

* وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ، وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ، وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ اقتلعنا الجبل ، فرفعناه فوق بنى إسرائيل ، كأنه ظُلَّة غمام من الظلال ، وقلنا لهم : (خذوا ماآتيناكم بقوّة) من فرائضنا ، وألزمناكم من أحكام كتابنا ، فاقبلوه ، واعملوا باجتهاد منكم فى أدائه ، من غير تقصير ولا توانٍ ، (واذكروا مافيه) ، يقول : مافى كتابنا من العهود والمواثيق ، التى أخذنا عليكم بالعمل بما فيه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يقول : كى تتقوا ربكم ، فتخافوا عقابه ، بتركِكم العملَ به ، إذا ذكرتم ما أُخِذ عليكم فيه من المواثيق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ نَتَقْنا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) فقال لهم موسى : خذوا ماآتيناكم بقوّة ، يقول : من العمل بالكتاب ، وإلاّ خرّ عليكم الجبل ، فأهلككم ، فقالت : بل نأخذ ما آتانا الله بقوّة ، ثم نكثوا بعد ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) فهو قوله (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ) فقال : (خُذُوا ما آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) وإلا أرسلته عليكم .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال إنى لأعلم خلقِ الله ، لأىّ شىء سجدت اليهود على حرف وجوههم لما رُفِع الجبل فوقهم ، سجدوا وجعلوا ينظرون إلى الجبل ، مخافة أن يقع عليهم ، قال : فكانت سجدة رضيها الله ، فاتخذوها سنة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ، خُذُوا ما آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) : أى بجدّ (وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) جبل نزعه الله من أصله ، ثم جعله فوق رءوسهم ، فقال : لتأخذُنّ أمرى ، أو لأرمينّكم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ) قال : كما تُنْتَق الزُّبْدَة ، قال ابن جريج : كانوا أَبَوْا التوراة أن يقبلوها ، أو يؤمنوا بها (خُذُوا ما آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) قال : يقول : لتؤمنُنّ بالتوراة ، ولتقبَلُنّها ، أو ليقَعَن عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، قال : هذا كتاب الله ، أتقبلونه بما فيه ؟ فإن فيه بيان ما أحلّ لكم ، وما حرّم عليكم ، وما أمركم وما نهاكم ، قالوا : انشرْ علينا ما فيها ، فإن كانت فرائضها يسيرة ، وحدودها خفيفة قبلناها ، قال : اقبلوها بما فيها ، قالوا : لا ، حتى نعلم ما فيها : كيف حدودها وفرائضها ؟ فراجعوا موسى مرارا ، فأوحى الله إلى الجبل ، فانقلع ، فارتفع فى السماء ، حتى إذا كان بين رءوسهم وبين السماء ، قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربى : لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها ، لأرمينكم بهذا الجبل . قال : فحدثنى الحسن البصرىّ ، قال : لما نظروا إلى الجبل خرّ كلّ رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل ، فَرَقاً من أن يسقط عليه ، فلذلك ليس فى الأرض يهودىّ يسجد إلا على حاجبه الأيسر ، يقولون : هذه السجدة التى رُفعت عنا بها العقوبة . قال أبو بكر : فلما نشرَ الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده ، لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتزّ ، فليس اليوم يهودىّ على وجه الأرض صغير ولا كبير ، تقرأ عليه التوراة إلا اهتزّ ، ونغض لها رأسُه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله (نَتَقْنَا) فقال بعض البصريين : معنى نتقنا : رفعنا ، واستشهد بقول العجّاج :
يَنْتُقُ أقْتادَ الشَّلِيلِ نَتْقا[1]

(١) البيت للعجاج (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٤٠) وروايته فيه : « يقتاد رحل والشليل نتقا » . وفى لسان العرب : النتق : الزعزعة والهز والجذب والنقض . وفى التنزيل : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم » : أى زعزعناه ورفعناه . وجاء فى الخبر أنه

وقال : يعنى بقوله : ينتق : يرفعها عن ظهره . وبقول الآخر :

وَنَتَقُوا أَحْلامَنَا الأثاقِلا[1]

وقد حُكى عن قائل هذه المقالة قول آخر ، وهو أن أصل النتق والنتوق : كلّ شىء قلعته من موضعه ، فرميت به ؛ يقال منه : نتقت نتقا ، قال : ولهذا قيل للمرأة الكبيرة : ناتق ، لأنها ترمى بأولادها رميا ، واستشهد ببيت النابغة :

لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاءِ وأُمُّهُمْ دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِناتِقٍ مِذْكارِ[2]

وقال آخر : معناه فى هذا الموضع : رفعناه . وقال : قالوا : نتقنى السير : حرّكنى . وقال : قالوا : ما نتق برجله لايركض ، والنتق : نتق الدابة صاحبها حين تعدو به ، وتتعبه حتّى يربو ، فذلك النتق والنتوق ، ونتقتنى الدابة ، ونتقت المرأة تنتق نتوقا : كثُر ولدها . وقال بعض الكوفيين : نتقنا الجبل : علّقنا الجبل فوقهم فرفعناه . ننتقه نتقا ، وامرأة مِنتاق : كثيرة الولد ، قال : وسمعت : أخذ الجراب ونَتَقَ مافيه : إذا نثر مافيه .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُواْ : بَلَىٰ شَهِدْنَآ ، أَنْ تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم ، فقرّرهم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك ، وإقرارهم به .

كما حدثنى أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن

اقتلع من مكانه . ونتقت الدابة راكبها ، وبراكبها تنتق (بضم التاء وكسرها) نتقا ونتوقا : إذا نزته وأتعبته ، حتى يأخذه لذلك ربو . ثم قال : وكان نتق الجبل أن قطع منه شىء على قدر عسكر موسى ، فأظل عليهم ، قال لهم موسى : إما أن تقبلوا التوراة ، وإما أن يسقط عليكم . والقتد : خشب الرحل ؛ وقيل : هو من أدوات الرحل . وقيل : جميع أداته . والجمع : أقتاد وأقتد وقتود . والشليل والشلل : الدرع ، أو غلالة تلبس فوق الدرع . وقيل : ما يلبس تحت الدرع من درع صغيرة أو ثوب . وقيل : هى الدرع ما كانت .

(١) البيت أحد أبيات ثلاثة أنشدها فى (اللسان : نتق) من مشطور الرجز قالها شاعر ، وهى :

قَدْ جَرَّبُوا أَخْلاقَنا الجَلائِلا وَنَتَقُوا أَحْلامَنَا الأثاقِلا

فَلَمْ يَرَ النَّاسُ لَنا مُعادِلا

وهو شاهد على أن معنى النتق كما فى الشاهد السابق .

قال : وقال الفراء فى ذلك : رفع الجبل على عسكرهم فرسخا فى فرسخ . ونتقنا : رفعنا .

(٢) البيت فى ديوان شعر النابغة (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ١٦٨) ؛ وفى (لسان العرب : نتق) وفى روايتهما : « طفحت » فى مكان : « دحقت » ، وأنشده أيضا فى (اللسان : دحق) كرواية المؤلف . والواو فى « لم يحرموا » راجعة إلى الأقوام الذين ذكرهم فى أبيات القصيدة (بنى جذيمة ، والغاضريين) . ودحقت المرأة بولدها : ولدت بعضهم فى إثر بعض . والدحوق من النساء : ضد المقاليت ، وهن المتئمات . والناتق : التى أخرجت ما عندها من الولد . ومذكار : تلد الذكور . يقول : إنهم غذوا غذاء حسنا ، فنموا وكثروا .

كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « أَخَذَ اللهُ الميثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمانَ » يعني عرفة « فأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأها ، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كالذَّرِّ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ، فَتَلا فقَالَ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنا ، أَنْ تَقُولُوا . . . الآية » إلى « ما فعل المبطلون » .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) ؟ قال : سألت عنها ابن عباس ، فقال : مسح ربك ظهر آدم ، فخرجت كلّ نَسَمَة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا ، وأشار بيده ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ؟ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنا) قال : مسح ربك ظهر آدم ، فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنَعمان ، هذا الذي وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنا) . اللفظ لحديث يعقوب .

وحدثني يعقوب قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه في هذا الحديث ، قالوا : بلى شَهِدْنا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ) .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أوّل ما أهبط الله آدم ، أهبطه بدجنى[1] : أرض بالهند ، فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كلّ نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق (وأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا : بَلَى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ : إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أُهبط آدم حين أُهبط ، فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) ، ثم تلا (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) فجفّ القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ذرّيته من ظهره مثل الذرّ ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن ابن عباس ، قال : مسح الله ظهر آدم ، فأخرج كلّ طيب في يمينه ، وأخرج كلّ خبيث في الأخرى .

(١) لعل المقصود بهذه الكلمة : هضبة الدكن من بلاد الهند .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن شريك، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم ، فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ)؟ قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجنى ، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قالُوا بَلَى) قال : فيرون يومئذ جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودىّ ، عن علىّ بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه ، فسح ظهره ، فأخذ ذرّيته كهيئة الذرّ ، فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) . قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن المسعودىّ ، عن علىّ بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ)؟قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ومصائبه ، واستخرج ذرّيته كالذرّ ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر ، عن أبيه سعيد بن جبير ، عن ابن عباس،فى قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ؛ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) قال : مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان ، واد إلى جنب عرفة ، وأخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ ، ثم أشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى شَهِدْنا) . قال: ثنا أبى ، عن أبى هلال ، عن أبى حمزة الضُّبَعِى ، عن ابن عباس ، قال : أخرج الله ذرّية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذر ، وهو فى آذِىّ من الماء .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مسعود ، عن جويبر ، قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام ، قال : فقال : يا جابر إذا أنت وضعت ابنى فى لحده ، فأبرز وجهه ، وحلّ عنه عقَدْه ، فإن ابنى مُجْلَس ومسئول ، ففعلت به الذى أمرنى ، فلما فرغت ، قلت: يرحمك الله! عمّ يُسئل ابنك ؟ قال : يُسئل عن الميثاق الذى أقرّ به فى صلب آدم عليه السلام . قلت : يا أبا القاسم ، وما هذا الميثاق الذى أقرّ به فى صلب آدم ؟ قال : ثنى ابن عباس: أن الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر ، فوفى به ، نفعه الميثاق الأوّل ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به، لم ينفعه الميثاق الأوّل ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر ، مات على الميثاق الأوّل ، على الفطرة .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى السرىّ بن يحيى ، أن الحسن ابن أبى الحسن ، حدثهم عن الأسود بن سريع من بنى سعد ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم أربع غزوات ، قال : فتناول القومُ الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ عليه ، ثم قال : « ما بالُ أقْوَامٍ يَتَنَاوَلُونَ الذُّرِّيَّةَ ؟ فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : إنَّ خِيارَكُمْ أوْلادُ المُشْرِكِينَ ، ألا إنَّها لَيْسَتْ نَسَمَةٌ تُولَدُ ، إلاَّ وُلِدَتْ على الفِطْرَةِ ، فَمَا تَزَالُ عَلَيْهَا حتى يُبِينَ عَنْهَا لِسانُها ، فأبَوَاها يُهَوِّدانِها أوْ يُنَصِّرانِها » قال الحسن : والله لقد قال الله ذلك فى كتابه ، قال (وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) .

حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، قال : ثنا أحمد بن أبى ظبية ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك ، وعن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أُخِذُوا مِنْ ظَهْرِهِ كَمَا يُؤْخَذُ بالمِشْطِ مِنَ الرأسِ ، فَقالَ لَهُمْ : ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى ، قالَتِ المَلائِكَةُ : شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ : إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، فى قوله (وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو (وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أخذهم كما يأخذ المشط عن الرأس . قال ابن حميد : كما يؤخذ بالمشط .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا روح بن عبادة ، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنىّ ، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ) فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ ، فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقالَ : خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ ، وَبِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ؛ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقالَ : خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ ، وَبِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال : إنَّ اللهَ إذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ، حتى يَمُوتَ على عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ ، فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ؛ وإذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ ، حتى يَمُوتَ على عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أهْلِ النَّارِ ، فَيُدْخِلَهُ النَّارَ » .

حدثنا إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن المصفى ، عن بقية ، عن عمرو بن جُعْثُم القرشىّ ، قال : ثنى زيد

ابن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن مسلم بن يسار ، عن نعيم بن ربيعة ، عن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام ، عن عنبسة ، عن عمارة ، عن أبي محمد رجل من المدينة ، قال : سألت عمر بن الخطاب عن قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتني ، فقال : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ اليُمْنَى ، فَأَخْرَجَ ذَرْأً ، فقال : ذَرْءٌ ذَرَأْتُهُمْ لِلْجَنَّةِ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى ، وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، فَقالَ : ذَرْءٌ ذَرَأْتُهُمْ لِلنَّارِ ، يَعْمَلُونَ فِيمَا شِئْتُ مِنْ عَمَلٍ ، ثُمَّ أَخْتِمُ لَهُمْ بِأَسْوَإِ أَعْمَالِهِمْ ، فَأُدْخِلُهُمُ النَّارَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : إن الله خلق آدم ، ثم أخرج ذرّيته من صلبه مثل الذرّ ، فقال لهم : مَن ربكم ؟ قالوا : الله ربنا ، ثم أعادهم في صلبه ، حتى يولد كلّ من أخذ ميثاقه ، لايُزاد فيهم ولا يُنقص منهم إلى أن تقوم الساعة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) . . . إلى قوله (قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) قال ابن عباس : إن الله لما خلق آدم مسح ظهره ، وأخرج ذرّيته كلهم كهيئة الذرّ ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور ، وإنه قال لآدم : هؤلاء ذرّيتك آخذ عليهم الميثاق ، أنا ربهم ، لئلا يشركوا بي شيئا ، وعليّ رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذي معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا ربّ كم كتبتَ له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لي ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكلّ إنسان منهم كم يُعَمَّر وكم يلبث ، قال : يا ربّ زده ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن أجل سائر بني آدم ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مئة سنة ؛ فلما عمر تسع مئة سنة وستين سنة ، جاءه ملك الموت ؛ فلما رآه آدم ، قال : مالكَ ؟ قال له : قد استوفيتَ أجلك ، قال له آدم : إنما عمرت تسع مئة وستين سنة ، وبقي أربعون سنة ، قال : فلما قال ذلك للمَلَك ، قال المَلَك : قد أخبرني بها ربي ، قال : فارجع إلى ربك فاسأله ، فرجع المَلَك إلى ربه ، فقال مالك ؟ قال : ياربّ رجعت إليك ، لما كنت أعلم من تكرمتك إياه ، قال الله : ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزُّبير بن موسى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الأيمن ، فخرجت كلّ نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية ، فقال : هؤلاء أهل الجنة ، ثم ضرب منكبه الأيسر ، فخرجت كلّ نفس مخلوقة للنار سوداء ، فقال : هؤلاء أهل النار ، ثم أخذ عهودهم على الإيمان والمعرفة له ولأمره ، والتصديق

به وبأمره بنى آدم كلهم ، فأشهدهم على أنفسهم ، فآمنوا وصدّقوا ، وعرفوا وأقرّوا ، وبلغنى أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل . قال ابن جريج عن مجاهد ، قال : إن الله لما أخرجهم قال : يا عباد الله ، أجيبوا الله ، والإجابة : الطاعة ، فقالوا : أطعنا ، اللهمّ أطعنا ، اللهمّ أطعنا ، اللهمّ لبيك ، قال : فأعطاها إبراهيم عليه السلام فى المناسك : لبيك اللهمّ لبيك ، قال : ضرب متن آدم حين خلقه ، قال : وقال ابن عباس : خلق آدم ، ثم أخرج ذرّيته من ظهره مثل الذرّ ، فكلمهم ، ثم أعادهم فى صلبه ، فليس أحد إلا وقد تكلم ، فقال : ربى الله ، فقال : وكلّ خلق خلق فهو كائن إلى يوم القيامة ، وهى الفطرة التى فطر الناس عليها . قال ابن جريج ، قال سعيد بن جبير : أخذ الميثاق عليهم بنَعمان ، ونَعمان : من وراء عرفة ، أن يقولوا يوم القيامة (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ) عن الميثاق الذى أخذ عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب ، قال : جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم استنطقهم ، وأخذ عليهم الميثاق (وَأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ ، أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) ؟ قال : فإنى أشهد عليكم السموات السبع ، والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا ربّ غيرى ، ولا تشركوا بى شيئا ، وسأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ، وسأنزل عليكم كتبى . قالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا ، لا ربّ لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، فأقرّوا له يومئذ بالطاعة ، ورفع عليهم أباهم آدم ، فنظر إليهم ، فرأى منهم الغنىّ والفقير ، وحَسَن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : ربّ لولا ساويت بينهم ؟ قال : فإنى أحبّ أن أشكر ، قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السُّرُج . وخصّ الأنبياء بميثاق آخر ، قال الله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) وهو الذى يقول تعالى ذكره (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) وفى ذلك قال : (هَـٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى) يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى ، ومن ذلك قوله (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ، ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ ، فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كان فى علمه يوم أقرّوا به ، من يصدّق ، ومن يكذّب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال فعرضوا على آدم ، فرأى رجلا من ذرّيته له نور فأعجبه ، فسأل عنه ، فقال : هو داود ، قد جعل عمره ستين سنة ،

فجعل له من عمره أربعين سنة ؛ فلما احتضر آدم ، جعل يخاصمهم فى الأربعين سنة ، فقيل له : إنك أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود فى نور ساطع ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا من ذرّيتك نبىّ خليفة ، قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمرى أربعين سنة ، قال : والأقلام رطبة تجرى ، فأثبت لداود الأربعون ، وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة ؛ فلما استكملها إلاّ الأربعين سنة ، بعث إليه مَلَك الموت ، فقال : يا آدم أمرت أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى ربه ، فقال : إن آدم يدّعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود ، والأقلام رطبة ، فأثبتت لداود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بنحوه .

قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردّهم فى صلبه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نضر بن عربىّ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردّهم فى صلبه . قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن أبى بسطام ، عن الضحاك ، قال : حيث ذرأ الله خلقه لآدم ، قال : خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : قال ابن عباس : خلق الله آدم ، ثم أخرج ذرّيته من ظهره ، فكلمهم الله وأنطقهم ، فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، ثم أعادهم فى صلبه ، فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم ، فقال : ربىّ الله ، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن طلحة ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) ، وذلك حين يقول تعالى ذكره (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً) وذلك حين يقول (فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يعنى : يوم أخذ منهم الميثاق ، ثم عرضهم على آدم عليه السلام . قال : ثنا عمر ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ، ولم يهبط من السماء ، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرّية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذرّ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه ذرّية سوداء كهيئة الذرّ ، فقال :

أدخلوا النار ولا أبالى . فذلك حين يقول (وأَصْحابُ اليَمِينِ ، وأَصْحابُ الشِّمالِ) ثم أخذ منهم الميثاق، فقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) ، فأطاعه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين، على وجه التَّقِيَّة .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمر ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ بنحوه ، وزاد فيه بعد قوله: وطائفة على وجه التقية، فقال: هو والملائكة، (شهدْنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو يقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرّية من بعدهم) ، فلذلك ليس فى الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله ، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه (إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ) والأمَّة : الدين (وإنَّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) ، وذلك حين يقول الله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) وذلك حين يقول (ولَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً) وذلك حين يقول (فَلِلهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ ، فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يعنى يوم أخذ منهم الميثاق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معْمر ، عن الكلبىّ (مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : مسح الله على صلب آدم ، فأخرج من صلبه من ذرّيته ما يكون إلى يوم القيامة ، وأخذ ميثاقهم أنه ربُّهم ، فأعطوه ذلك ، ولايسأل أحد كافر ولاغيره مَن ربك ؟ إلا قال : الله . وقال الحسن مثل ذلك أيضا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علىّ بن حسين : أنه كان يعْزِل[1] : ويتأوّل هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ فى قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أقرّت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها .

حدثنا أحمد بن الفرج الحِمْصِىّ ، قال: ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنى الزبيدىّ ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصْرىّ ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم: «أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ! ابتدأ الأعمال أم قد قضى القضاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ أَفاضَ بِهِمْ فِى كَفَّيْهِ ، ثُمَّ قالَ : هؤُلاءِ فِى الجَنَّةِ ، وَهؤُلاءِ فِى النَّارِ ، فأَهْلُ الجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وأَهْلِ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ » .

حدثنى محمد بن عوف الطائىّ ، قال: ثنا حَيْوة ويزيد ، قالا: ثنا بقية ، عن الزبيدىّ ، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النصْرىّ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنى أحمد بن شبويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، قال: ثنا عبد الله

(١) كذا فى الدر المنثور للسيوطى (٣ : ١٤٤) وفى الأصل : يقول . تحريف . والعزل: ألا يقر الرجل ماء فى رحم المرأة عند انذاقه .

ابن مسلم، عن الزبيدىّ ، قال: ثنا راشد بن سعد: أن عبد الرحمن بن قتادة ، حدثه أن أباه حدثه أن هشام ابن حكيم حدثه أنه قال : « أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل . . . » ، فذكر مثله .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنى أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

واختلف فى قوله (شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ) فقال السدىّ : هو خبر من الله عن نفسه وملائكته ؛ أنه جلّ ثناؤه قال هو وملائكته ، إذ أقرّ بنوآدم بربوبيته حين قال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .

فتأويل الكلام على هذا التأويل : وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرّياتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . فقال الله وملائكته: شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين . وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيا مضى ، والخبر الآخر الذى رُوى عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك .

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض ، حين أشهد الله بعضهم على بعض ، وقالوا: معنى قوله (وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ) وأشهد بعضهم على بعض، بإقرارهم بذلك، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عمن قاله قبل .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب : ما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحا ، ولا أعلمه صحيحا ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم ، حدّثوا بهذا الحديث عن الثورىّ ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد بن أبى ظبية عنه . وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا، فالظاهر يدلّ على أنه خبر من الله، عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض، لأنه جلّ ثناؤه قال: (وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالُوا: بَلَى شَهِدْنا)، فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرّين حين أقرّوا ، فقالوا: بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين .

القول فى تأويل قوله

أَوْ تَقُولُوٓا۟ : إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ؟ (١٧٣)

يقول تعالى ذكره : شهدنا عليكم أيها المقرّون بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، إنا كنا لانعلم ذلك، وكنا فى غفلة منه ، (أو تَقُولُوا: إنَّمَا أشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) اتبعنا مناهجهم (أفَتُهْلِكُنا) بإشراك من أشرك من آبائنا ، واتباعنا مناهجهم على جهل منا بالحقّ .

ويعنى بقوله (بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) : بما فعل الذين أبطلوا فى دعواهم إلها غير الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين والبصريين : أن يقولوا بالياء ، بمعنى : شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب ، وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والكوفة ، أن تقولوا ، بالتاء ، على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم .

❁ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتا التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهما ، لأن العرب تفعل ذلك فى الحكاية ، كما قال الله (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ، وليبيننه) ، وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته

القول فى تأويل قوله

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ، وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)

❁ يقول تعالى ذكره : وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة ، وبيّنّا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة قبل قومك ، وأحللنا بهم من المثُلات بكفرهم ، وإشراكهم فى عبادتى غيرى ، كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك ، لينزجروا ويرتدعوا ، فينيبوا إلى طاعتى ، ويتوبوا من شركهم وكفرهم ، فيرجعوا إلى الإيمان ، والإقرار بتوحيدى ، وإفراد الطاعة لى ، وترك عبادة ماسوايَ .

القول فى تأويل قوله

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتل يا محمد على قومك نبأ الذى آتيناه آياتنا ، يعنى خبره وقصته ، وكانت آيات الله للذى آتاه الله إياها فيما يقال : اسم الله الأعظم ، وقيل : النبوّة .

واختلف أهل التأويل فيه ، فقال بعضهم : هو رجل من بنى إسرائيل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله فى هذه الآية (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو بَلْعَم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله . قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : هو بلعم بن أبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ،

فى قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) قال: رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم بن أبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن مهدى وابن أبى عدىّ ، قالوا : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، أنه قال فى هذه الآية ، فذكر مثله ، ولم يقل : ابن أبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم بن أبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : هو بَلْعَم بن باعرا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، فى قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) . . . إلى (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) هو بلعم بن أبر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن الأعمش ، عن منصور عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، مثله ، إلا أنه قال ابن أبُر ، بضم الباء .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا عبد الله بن صالح ، قال: ثنى معاوية، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : بَلْعام بن باعرا ، من بنى إسرائيل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول ، فذكر مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول ، فذكر مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن وابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال فى الذى (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو بَلْعام .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن حصين، عن عكرمة ، قال : هو بَلْعَم ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : هو بَلْعَم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر ، قال : ثنا شعبة ، عن حصين ، قال : سمعت عكرمة يقول : هو بَلْعام .

حدثنا الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا إسرائيل ، عن حصين ، عن مجاهد ، قال: هو بَلْعَم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بَلْعَم .

وقال آخرون : كان بَلْعَم هذا من أهل اليمن .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل يدعى بَلْعَم من أهل اليمن.

وقال آخرون : كان من الكنعانيين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل من مدينة الجبارين، يقال له بَلْعَم .

وقال آخرون : هو أمية بن أبي الصلت .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا سعيد بن السائب ، عن غضيف بن أبي سفيان ، عن يعقوب ونافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال في هذه الآية (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو أمية بن أبي الصَّلْت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، قال : أنبأنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، قال : قال عبد الله بن عمرو : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير ، قالا : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو بمثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : هو أمية بن أبي الصلت.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو ، قال في هذه الآية (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو صاحبكم ، يعني أمية بن أبي الصَّلْت .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن رجل عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو أمية بن أبي الصَّلْت

قال : ثنا يزيد ، عن شريك ، عن عبد الملك ، عن فضالة ، أو ابن فضالة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو أمية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : تذاكروا في جامع

دمشق هذه الآية (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) فقال بعضهم : نزلت فى بَلْعَم بن باعوراء ، وقال بعضهم : نزلت فى الراهب ، فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقالوا : فيمن نزلت هذه ؟ قال : نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفىّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ (الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو أمية بن أبى الصَّلْت ، وقال قتادة : يشكّ فيه ، يقول بعضهم : بَلْعَم ، ويقول بعضهم : أمية بن أبى الصلت .

واختلف أهل التأويل فى الآيات التى كان أوتيها ، التى قال جلّ ثناؤه : (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) فقال بعضهم : كانت اسم الله الأعظم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : إن الله لما انقضت الأربعون سنة ، يعنى التى قال الله فيها (إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً) بعث يُوشَعَ بن نون نبيًّا ، فدعا بنى إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبىّ ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدّقوه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل ، يقال له بَلْعَم ، وكان عالمًا ، يعلم الاسم الأعظم المكتوم ، فكفر وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ، فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم ، أدعو عليهم دعوة فيهلكون ، وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء يعظمهن ، فكان ينكح أتانا له ، وهو الذى يقول الله : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) : أى تنصّل ، فانسلخ منها ، إلى قوله (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) قال : هو رجل يقال له : بَلْعَم ، وكان يعلم اسم الله الأعظم .

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : كان لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه .

وقال آخرون : بل الآيات التى كان أوتيها كتاب من كتب الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس ، قال : كان فى بنى إسرائيل بَلْعَام بن باعر أوتى كتابا .

وقال آخرون : بل كان أوتى النبوّة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن غيره ، قال : الحارث قال :

عبد العزيز ، يعنى عن غير نفسه ، عن مجاهد ، قال : هو نبىٌّ فى بنى إسرائيل، يعنى بلْعَم،أوتى النبوّة فرشاه قومه على أن يسكت ، ففعل وتركهم على ما هم عليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه سئل عن الآية (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) فحدّث عن سيّار ، أنه كان رجلا يقال له بلْعام، وكان قد أوتى النبوّة ، وكان مجاب الدعوة .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته ، وهى الآيات .

وقد دللنا على أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته. وجائز أن يكون الذى كان الله آتاه ذلك بلْعم ، جائز أن يكون أمية ، وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه ، فتعلمها الذى ذكره الله فى هذه الآية ، وعناه بها ، فجائز أن يكون الذى كان أوتيها بلْعم ،وجائز أن يكون أمية ، لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب ، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبىّ الله عليه السلام، أن يتلو على قومه نبأه ، أو بمعنى اسم الله الأعظم ، أو بمعنى النبوّة ، فغير جائز أن يكون معنيًا به أمية، لأن أمية لاتختلف الأمة فى أنه لم يكن أوتى شيئا من ذلك ، ولا خبر بأىّ ذلك المراد ، وأىّ الرجلين المعنىّ يوجب الحجة ، ولا فى العقل دلالة على أن ذلك المعنىّ به من أىّ .

⁂ فالصواب : أن يقال فيه ما قال الله ، ويقرّ بظاهر التنزيل ، على ما جاء به الوحى من الله .

وأما قوله (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) فإنه يعنى : خرج من الآيات التى كان الله آتاها إياه ، فتبرأ منها .

وبنحو ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل موسى عليه السلام ، يعنى بالجبارين ومن معه . آتاه،يعنى بلْعَم بنوعمه وقومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادعُ الله أن يردّ عنا موسى ومن معه ، قال : إنى إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه، ذهبت دنياى وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه ، فذلك قوله (فَانْسَلَخَ مِنْهَا، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان الله آتاه آياته فتركها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : نزع منه العلم،وقوله (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) يقول : فصيّره لنفسه تابعا، ينتهى

إلى أمره فى معصية الله ، ويخالف أمر ربه فى معصية الشيطان وطاعة الرحمن ، وقوله (فَكَانَ مِنَ الغاوِينَ) يقول : فكان من الهالكين لضلاله ، وخلافه أمرَ ربه وطاعة الشيطان .

القول فى تأويل قوله

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ، إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ، ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)

يقول تعالى ذكره : ولو شئنا لرفعنا هذا الذى آتيناه آياتنا ، بآياتنا التى آتيناه . ولكنه أخلد إلى الأرض ، يقول : سكن إلى الحياة الدنيا فى الأرض ، ومال إليها ، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة ، واتبع هواه ، ورفض طاعة الله ، وخالف أمره .

وكانت قصة هذا الذى وصف الله خبره فى هذه الآية ، على اختلاف من أهل العلم فى خبره وأمره ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أنه سئل عن الآية (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِى آتَيْنَاهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها) ، فحدّث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بَلْعام ، وكان قد أوتى النبوّة ، وكان مجاب الدعوة ، قال : وإن موسى أقبل فى بنى إسرائيل يريد الأرض التى فيها بَلْعام ، أو قال الشام ، قال : فرعب الناس منه رعبا شديدا ، قال : فأتوا بَلْعاما ، فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ، قال : حتى أؤامر ربى ، أو حتى أؤامر ، قال : فآمر فى الدعاء عليهم ، فقيل له : لاتدع عليهم ، فإنهم عبادى ، وفيهم نبيهم . قال : فقال لقومه : إنى آمرت ربى فى الدعاء عليهم ، وإنى قد نُهيت . قال : فأهدوا إليه هدية فقَبِلها ، ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم ، فقال : حتى أؤامر ربى ، فآمر ، فلم يأمره بشىء . قال : فقال : قد وامرت فلم يأمرنى بشىء ، فقالوا : لو كره ربك أن تدعوَ عليهم لنهاك ، كما نهاك فى المرّة الأولى ، قال : فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاءُ على قومه ؛ وإذا أراد أن يدعو أن يُفْتَح لقومه ، دعا أن يُفْتَح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحوا من ذلك إن شاء الله . قال : فقالوا : مانراك تدعو إلا علينا ، قال : ما يجرى على لسانى إلا هكذا ، ولو دعوتُ عليه ما استجيب لى ، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء لتستقبلهم ، وإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنوا فيهلكوا . قال : ففعلوا ، وأخرجوا النساء تستقبلهم ، قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عظمها ما الله أعلم به ، قال : فقال أبوها أو بَلْعام : لاتمكنى نفسك إلا من موسى . قال : ووقعوا فى الزنا ، قال : وأتاها رأس سبط من أسباط بنى إسرائيل ، فأرادها على نفسه ، قال : فقالت : ما أنا بممكنة نفسى إلا من موسى . قال : فقال : إن من منزلتى كذا وكذا ، وإن من حالى كذا وكذا . قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : مكّنيه . قال :

ويأتيهما رجل من بنى هارون ومعه الرمح ، فيطعنهما ، قال : وأيّده الله بقوّة ، فانتظمهما جميعا ، ورفعهما على رمحه ، قال : فرآهما الناس ، أو كما حدّث. قال : وسلط الله عليهم الطاعون ، قال : فمات منهم سبعون ألفا ، قال : فقال أبو المعتمر : فحدثنى سيار أن بلعاما ركب حمارة له ، حتى إذا أتى المعلولى ، أو قال : طريقا من المعلولى ، جعل يضربها ولا تتقدّم ، قال : وقامت عليه ، فقالت : علام تضربنى ؟ أما ترى هذا الذى بين يديك ؟ قال : فإذا الشيطان بين يديه ، قال : فنزل فسجد له ، قال الله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا . فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : فحدثنى بهذا سيَّار ، ولا أدرى لعله قد دخل فيه شىء من حديث غيره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : فبلغنى حديث رجل من أهل الكتاب يحدّث أن موسى سأل الله أن يطبعه ، وأن يجعله من أهل النار ، قال : ففعل الله ، قال : أنبئت أن موسى قتله بعد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبى النضر ، أنه حدث أن موسى لما نزل فى أرض بنى كنعان من أرض الشام ، أتى قومُ بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم إن هذا موسى بن عمران فى بنى إسرائيل ، قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ، ويحلها بنى إسرائيل ويسكنها ، وإنا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم . فقال : ويلكم .! نبىّ الله معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أذهب أدعو عليهم ؟ وأنا أعلم من الله ما أعلم ، قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرّعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن ، فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى إسرائيل ، وهو جبل حسان ؛ فلما سار عليها غير كثير ربضت به ، فنزل عنها ، فضربها ، حتى إذا أذلقها ، قامت فركبها فلم تسِر به كثيرا حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أذلقها(١) أذن الله لها ، فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردنى عن وجهى هذا ! أتذهب إلى نبىّ الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها ، فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك . قال : فانطلقت به ، حتى إذا أشرفت على رأس جبل حسان ، على عسكر موسى وبنى إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ؛ ولا يدعو عليهم بشرّ إلا صرف به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بنى إسرائيل . قال : فقال له قومه : أتدرى يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا ! قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شىء قد غلب الله عليه . قال : واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت منى الآن الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جمّلوا النساء ، وأعطوهن السِّلَع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنى منهم واحد كُفيتموهم ، ففعلوا ؛ فلما دخل النساء العسكر ، مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بنى إسرائيل ، وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها ، فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها ، حتى وقف بها على

(١) أذلقها : أقلقها . (اللسان) .

موسى عليه السلام، فقال: إنى أظنك ستقول: هذه حرام عليك؟ فقال: أجَلْ، هى حرام عليك لاتقرَبْها، قال: فوالله لاأطيعك فى هذا. فدخل بها قبته، فوقع عليها، وأرسل الله الطاعون فى بنى إسرائيل، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلا قد أُعْطِى بسطة فى الخلق، وقوّة فى البطش، وكان غائبا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس فى بنى إسرائيل، فأُخْبِر الخبر، فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليه القبة، وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لَحييه، وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللهمّ هكذا نفعل بمن يعصيك. ورُفع الطاعون، فحُسب من هلك من بنى إسرائيل فى الطاعون، فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا، والمقلل يقول: عشرون ألفا فى ساعة من النهار، فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص ابن العيزار بن هارون من كلّ ذبيحة ذبحوها، القبة والذراع واللحى، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلى لَحييه، والبكر من كلّ أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ففى بَلْعَم بن باعورا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) يعنى بَلْعَم، (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: انطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له: بَلْعَم، فأتى الجبارين فقال: لاترهبوا من بنى إسرائيل، فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه، وهو يريد أن يلعن بنى إسرائيل، فكلما أراد أن يدعوَ على بنى إسرائيل، دعا على الجبارين. فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا. فيقول: إنما أردت بنى إسرائيل؛ فلما بلغ باب المدينة أخذ ملَك بذنب الأتان، فأمسكها، فجعل يحرّكها فلا تتحرّك، فلما أكثر ضربها تكلمت، فقالت: أنت تنكحنى بالليل، وتركبنى بالنهار، ويلى منك! ولو أنى أطقت الخروج لخرجت، ولكن هذا الملَك يحبسنى. وفى بَلْعَم يقول الله: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) . . . الآية.

حدثنى الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنى رجل سمع عكرمة، يقول: قالت امرأة منهم: أرونى موسى، فأنا أفتنه، قال: فتطيبتْ، فمرّت على رجل يشبه موسى، فواقعها، فأتى ابن هارون فأُخبر، فأخذ سيفا، فطعن به فى إحليله، حتى أخرجه من قُبُلها، ثم رفعهما حتى رآهما الناس، فعلم أنه ليس موسى، ففُضِّل آلُ هارون فى القُربان على آل موسى، بالكَتِف والعَضُد والفَخِذ. قال: فهو الذى آتيناه آياتنا، فانسلخ منها، يعنى بلعم.

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) فقال بعضهم: معناه: لرفعناه بعلمه بها.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) لرفعه الله تعالى بعلمه .

وقال آخرون : معناه لرفعنا عنه الحال التى صار إليها من الكفر بالله بآياتنا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نُجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) : لرفعنا عنه بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) : لرفعناه عنه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصوابِ: أن يقال : إن الله عمّ الخبر بقوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) : أنه لو شاء رفعه بآياته التى آتاه إياها ، والرفع يعمّ معانىَ كثيرة ، منها الرفع فى المنزلة عنده ، ومنها الرفع فى شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها الرفع فى الذكر الجميل والثناء الرفيع . وجائز أن يكون الله عنى كلّ ذلك أنه لو شاء لرفعه ، فأعطاه كلّ ذلك ، بتوفيقه للعمل بآياته التى كان آتاها إياه . وإذ كان ذلك جائزا ، فالصواب من القول فيه : أن لا يُخَصّ منه شىء ، إذ كان لادلالة على خصوصه من خبر ولا عقل .

وأما قوله (بِهَا) فإن ابن زيد قال فى ذلك ، كالذى قلنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) بتلك الآيات .

وأما قوله (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) يعنى : ركن إلى الأرض .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) قال : نزع إلى الأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : أخلد : سَكَن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان فى بنى إسرائيل بَلْعام بن باعر ، أوتى كتابا ، فأخلد إلى شهوات الأرض ، ولذتها وأموالها ، لم ينتفع بما جاء به الكتاب .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أما أخلد إلى الأرض : فاتبع الدنيا ، وركن إليها . وأصل الإخلاد فى كلام العرب : الإبطاء والإقامة . يقال منه : أخلد فلان بالمكان : إذا أقام به ، وأخلد نفسه إلى المكان : إذا أتاه من مكان آخر ، ومنه قول زهير :

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالغَرْقَدِ كَالوَحْيِ فى حَجَرِ المَسِيلِ المُخْلِدِ[١]

يعنى المقيم ، ومنه قول مالك بن نُوَيْرة :

بِأَبْنَاءِ حَيٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ وَعَمْرِو بنِ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا[٢]

وكان بعض البصريين يقول : معنى قوله : أخلد : لزم وتقاعس وأبطأ ، والمخلد أيضا : هو الذى يبطئ شيبه من الرجال ، وهو من الدوابّ الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه .

وأما قوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) كان ابن زيد قال فى تأويله : ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : كان هواه مع القوم .

القول فى تأويل قوله (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) : يقول تعالى ذكره : فمَثَل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، مَثَل الكلب الذى يلهث ، طردته أو تركته .

ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مَثَله كمثل الكلب ، فقال بعضهم : مثَّله به فى اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها إياه ، وإعراضه عن مواعظ الله ، التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئا من ذلك فقال جلّ ثناؤه فيه : إذا كان سواء أمره ، وُعِظ بآيات الله التى آتاها إياه ، أو لم يوعظ فى أنه لايتعظ بها ، ولا يترك الكفر به ، فمَثَله مثل الكلب ، الذى سواء أمره فى لهثه ، طُرِد أو لم يطرد ، إذ كان لايترك اللهث بحال .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) قال : تطرده ، هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (فَمَثَلُهُ

---

(١) البيت لزهير أنشده صاحب اللسان فى (خلد) . قال : وخلد بالمكان يخلد خلودا ، وأخلد : أقام ، وهو من ذلك ، قال زهير : ... البيت . والوحى هنا : المكتوب ، والخط . أراد ما يكتب فى الحجارة وينقش عليها (اللسان : وحى) .

(٢) البيت لمالك بن نويرة من قصيدة عدتها ٢٦ بيتا (الأصمعيات : ١ : ٢٥) وقبله فى أولها :

إِلاَّ أَكُنْ لاقَيْتُ يَوْمَ مُخَطَّطٍ فَقَدْ خَبَّرَ الرُّكْبَانُ مَا أَتَوَدَّدُ

أَتَانِى بِنَقْرِ الخُبْرِ مَا قَدْ لَقِيتُهُ رَزِينٌ وَرَكْبٌ حَوْلَهُ مُتَصَعِّدُ

يُهِلُّونَ عُمَّارًا إِذَا مَا تَغَوَّرُوا وَلاقَوْا قُرَيْشًا خَبَّرُوهَا فَأَنْجَدُوا

الشاهد فى قوله : « فأخلدوا » : أى أقاموا ، كالشاهد قبله .

كَمَثَلِ الكَلْبِ : إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) قال : تطرده بدابتك ورجلك يلهث ، قال : مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه .

قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد ، لافؤاد له ، إن حملت عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، قال : مثل الذى يترك الهدى لافؤاد له ، إنما فؤاده منقطع .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ : إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) فذلك هو الكافر ، هو ضالّ إن وعظته ، وإن لم تعظه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ) الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضا لهث ، وإن طرد لهث .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : آتاه الله آياته فتركها ، فجعل الله مَثَله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركْه يلهث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) . . . الآية ، هذا مَثَل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى ، فأبى أن يقبله وتركه .

قال : وكان الحسن يقول : هو المنافق (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) قال ، هذا مَثَل الكافر ميت الفؤاد .

وقال آخرون : إنما مَثَّله جلّ ثناؤه بالكلب ، لأنه كان يلهث كما يلهث الكلبُ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) وكان بلعم يلهث كمايلهث الكلب . وأما تَحْمِلْ عليه : فتشدّ عليه .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : تأويل من قال : إنما هو مَثَل لتركه العمل بآيات الله ، التى آتاها إياه ، وإن معناه : سواء وُعظ أو لم يُوعظ ، فى أنه لايترك ما هو عليه من خلافه أمرَ ربه ، كما سواء حمل على الكلب وطرد ، أو ترك فلم يطرد : فى أنه لايدع اللهث فى كلتا حالتيه .

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بالصواب ، لدلالة قوله تعالى (ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) ، فجعل ذلك مَثَل المكذّبين بآياته ، قد علمنا أن اللّهاث ليس فى خلقة كلّ مكذّب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله ، وإن ذلك إنما هو مَثَل ضربه الله لهم ، فكان معلوما بذلك أنه للذى وصف الله صفته فى هذه الآية ، كما هو لسائر المكذّبين بآيات الله مَثَل .

القول فى تأويل قوله (ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا ، فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) :

❊ يقول تعالى ذكره : هذا المثل الذى ضربته لهذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها : مثل القوم الذين كذّبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا ، فسلكوا فى ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذى آتيناها إياه فى تركه العمل بما آتيناه من ذلك .

وأما قوله (فاقْصُصِ القَصَصَ) : فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاقصص يا محمد هذا القصص الذى قصصته عليك ، من نبأ الذى آتيناه آياتنا ، وأخبار الأمم التى أخبرتك أخبارهم فى هذه السورة ، وقصصت عليك نبأهم ، ونبأ أشباههم ، وما حلّ بهم من عقوبتنا ، ونزل بهم ، حين كذّبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ، ومن قبلك من يهود بنى إسرائيل ، ليتفكروا فى ذلك ، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا ، لئلا يحل بهم مثل الذى حلّ بمن قبلهم من النقم والمَثُلات ، ويتدبره اليهود من بنى إسرائيل ، فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوّتك ، إذ كان نبأ الذى آتيناه آياتنا من خفىّ علومهم ، ومكنون أخبارهم ، لا يعلمه إلا أحبارهم ، ومن قرأ الكتب ودرسها منهم ، وفى علمك بذلك وأنت أمىّ ، لا تكتب ولا تقرأ ، ولا تدرس الكتب ، ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول ، وأنك لم تعلم ماعلمت من ذلك ، وحالك الحال التى أنت بها ، إلا بوحى من السماء .

وبنحو ذلك كان أبوالنضر يقول : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، عن سالم أبى النضر : (فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يعنى : بنى إسرائيل ، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك ، لعلهم يتفكرون ، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبىّ يأتيه خبر السماء .

القول فى تأويل قوله

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧)

❊ يقول تعالى ذكره : ساء مثلا القوم الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته ، فجحدوها ، وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها ، ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها . وقيل : ساء مثلا من الشرّ ، بمعنى : بئس مثلا ، وأقيم القوم مقام المثل ، وحذف المثل ، إذ كان الكلام مفهوما معناه ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ) فإن معناه : ولكن البرّ برّ من آمن بالله . وقد بيّنا نظائر ذلك فى مواضع غير هذا بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله

مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى ، وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)

❊ يقول تعالى ذكره : الهداية والإضلال بيد الله ، والمهتدى وهو السالك سبيل الحقّ ، الراكب قصد

الحجة فى دينه، من هداه الله لذلك، فوفقه لإصابته؛ والضالّ من خذله الله، فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر: يعنى الهالك. وقد بيّنا معنى الخسارة والهداية والضلالة فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

القول فى تأويل قوله

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجنّ والإنس، يقال منه: ذرأ الله خلقه يذرُؤهم ذرءا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدىّ، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، فى قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) قال: مما خلقنا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبى زائدة، عن مبارك، عن الحسن، فى قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) قال: خلقنا.

قال: ثنا زكريا، عن عتّاب بن بشير، عن علىّ بن بذيمة، عن سعيد بن جبير، قال: أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم.

قال: ثنا زكريا بن عدىّ وعثمان الأحول، عن مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن معاوية ابن إسحاق، عن جليس له بالطائف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم، قال: «إنّ الله لمّا ذرأ لجهنّم ما ذرأ، كان ولدُ الزنا ممّن ذرأ لجهنّم».

حدثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) يقول: خلقنا.

حدثنى الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول فى قوله (ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) قال: لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجنّ والإنس.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) خلقنا. وقال جلّ ثناؤه (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) لنفاذ علمه فيهم، بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم.

وأما قوله (لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا) فإن معناه: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حججه لرسله،

فيعلموا توحيد ربهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم، فوصفهم ربنا جلّ ثناؤه، بأنهم لايفقهون بها، لإعراضهم عن الحقّ، وتركهم تدبر صحة الرشد، وبطول الكفر. وكذلك قوله (وَلَهُمْ أعْيُنٌ لايُبْصِرُونَ بِها) معناه: ولهم أعين لاينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفساد ما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله. فوصفهم الله بتركهم إعمالها فى الحقّ، بأنهم لايبصرون بها. وكذلك قوله (وَلَهُمْ آذانٌ لايَسْمَعُونَ بِها) آيات كتاب الله، فيعتبروها ويتفكروا فيها، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: لاتسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه، لعلكم تغلبون. وذلك نظير وصف الله إياهم فى موضع آخر بقوله (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لايَعْقِلُونَ) والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له، ومنه قول مسكين الدارمىّ:

أعْمَى إذَا ما جارَتى خَرَجَتْ حَتى يُوارِىَ جارَتِى السِّتْرُ
وأصَمُّ عَمَّا كانَ بَيْنَهُما سَمْعِى وَما بالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ[1]

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم، ومنه قول الآخر:

وَعَوْراءِ اللِّئامِ صَمَمْتُ عَنْها وإنّى لَوْ أشاءُ بِها سَمِيعُ
وَبادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْها وَلَوْ بِيَنَتْ مِنَ الغَضَبِ الضُّلُوعُ[2]

وذلك كثير فى كلام العرب وأشعارها.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنى الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول، فى قوله (لَهُمْ قُلُوبٌ لايَفْقَهُونَ بِها) قال: لايفقهون بها شيئا من أمر الآخرة (وَلَهُمْ أعْيُنٌ لايُبْصِرُونَ بِها) الهدى (وَلَهُمْ آذانٌ لايَسْمَعُونَ بِها) الحقّ، ثم جعلهم كالأنعام، ثم جعلهم شرّا من الأنعام، فقال: (بَلْ هُمْ أضَلُّ)، ثم أخبر أنهم هم الغافلون.

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (أُولَئِكَ كالأنْعامِ) هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام، وهى البهائم التى لاتفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لايصلح، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشرّ، فتميز

(١) العمى: ذهاب البصر، والصمم: ذهاب السمع. ومراد الشاعر هنا: أنه يكف نظره وسمعه عن جاراته، فلا ينظر إليهن، ولا يسمع ما يكون بينهن من حديث، كأنه أعمى، أصم هذا على حين أنه ليس به عمى ولا صمم، وإنما هو الأدب، ورعاية حرمة الجار.

(٢) فى اللسان (عور) العوراء: الكلمة القبيحة، أو الفعلة القبيحة، كأنها تعور العين، فيمنعها ذلك من الطموح وحدة النظر، ثم حولوها إلى الكلمة أو الفعلة على المثل، وإنما يريدون فى الحقيقة صاحبها. قال ابن عنقاء الفزارى يمدح ابن عمه عميلة، وكان عميلة هذا قد جبره من فقر.

إذَا قِيلَتِ العَوْرَاءُ أغْضَى كَأنَّهُ ذَلِيلٌ بِلا ذُلٍّ وَلَوْ شاءَ لانْتَصَرْ

والبادرة: الكلمة العوراء، وهى الغضبة السريعة أيضا، يقال: احذروا بادرته. والوزع: كف النفس. ولم نقف على قائلهما.

بينهما ، فشبههم الله بها ، إذ كانوا لايتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى كتابه ، ثم قال (بَلْ هُمْ أَضَلّ) يقول : هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشدّ ذهابا عن الحقّ ، وألزم لطريق الباطل من البهائم ، لأن البهائم لااختيار لها ولا تميز ، فتختار وتميز ، وإنما هى مسخرة ومع ذلك تهرب من المضارّ ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح ، والذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية ، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضارّ ، تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها ، وتطلب ما فيه مضارّها ، فالبهائم منها أسدّ ، وهى منها أضلّ ، كما وصفها به ربنا جلّ ثناؤه .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الغافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، القوم الذين غفلوا ، يعنى سهوا عن آياتى وحججى ، وتركوا تدبرها والاعتبار بها ، والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها ، لاالبهائم التى قد عرفها ربها ما سخرها له .

القول فى تأويل قوله

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)

يقول تعالى ذكره (وَلِلَّهِ الأسْماءُ الحُسْنَى) ، وهى كما قال ابن عباس : حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلِلَّهِ الأسْماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِها) ومن أسمائه : العزيز الجبار ، وكلّ أسماء الله حسن .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِئَةً إلاَّ واحِدًا ، مَنْ أحْصاها كُلَّها دَخَلَ الجَنَّةَ » .

وأما قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أسْمائِهِ) فإنه يعنى به المشركين ، وكان إلحادهم فى أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هى عليه ، فسمَّوا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، فسموا بعضها اللات ، اشتقاقا منهم لها من اسم الله ، الذى هو الله ، وسموا بعضها العزّى ، اشتقاقا لها من اسم الله الذى هو العزيز .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أسْمائِهِ) قال : إلحاد الملحدين أن دعوا اللات فى أسماء الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أسْمائِهِ) قال : اشتقوا العُزَّى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (يُلْحِدُونَ) ، فقال بعضهم : يكذبون .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : الإلحاد : التكذيب .

وقال آخرون : معنى ذلك : يشركون .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثَوْر ، عن معمر ، عن قتادة (يُلْحِدُونَ) قال : يشركون وأصل الإلحاد فى كلام العرب : العدول عن القصد ، والجَوْر عنه ، والإعراض ، ثم يستعمل فى كلّ معوجّ غير مستقيم ، ولذلك قيل للَحد القبر : لحد ، لأنه فى ناحية منه ، وليس فى وسطه . يقال منه : ألحد فلان يُلْحد إلحادا ، ولحد يلحد لحدا ولحودا . وقد ذكر عن الكسائى أنه كان يفرّق بين الإلحاد واللحد ، فيقول فى الإلحاد : إنه العدول عن القصد ، وفى اللحد : إنه الركون إلى الشىء ، وكان يقرأ جميع ما فى القرآن يُلْحِدون بضمّ الياء وكسر الحاء ، إلا التى فى النحل ، فإنه كان يقرؤها يَلْحَدون ، بفتح الياء والحاء ، ويزعم أنه بمعنى الركون . وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب ، فيرون أن معناهما واحد ، وأنهما لغتان جاءتا فى حرف واحد ، بمعنى واحد .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين (يُلْحِدون) ، بضمّ الياء وكسر الحاء ، من ألحد يُلحِد فى جميع القرآن . وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة (يَلْحَدون) ، بفتح الياء والحاء ، من لحد يلحد .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما لغتان بمعنى واحد ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك ، غير أنى أختار القراءة بضمّ الياء على لغة من قال : ألحد ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وكان ابن زيد يقول فى قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) : إنه منسوخ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : هؤلاء أهل الكفر ، وقد نسخ ، نسخه القتال ، ولا معنى لما قال ابن زيد فى ذلك من أنه منسوخ ، لأن قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له فى قتالهم ، وإنما هو تهديد من الله للملحدين فى أسمائه ، ووعيد منه لهم ، كما قال فى موضع آخر (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ) . . . الآية ، وكقوله (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وهو كلام خرج مخرج الأمر ، بمعنى الوعيد والتهديد ، ومعناه : إن تمهل الذين يُلحدون يا محمد فى أسماء الله إلى أجل هم بالغوه ، فسوف يُجزَوْن إذا جاءهم أجل الله الذى أجلّه إليهم ، جزاء أعمالهم التى كانوا يعملونها قبل ذلك ، من الكفر بالله ، والإلحاد فى أسمائه ، وتكذيب رسوله .

القول فى تأويل قوله

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)

يقول تعالى ذكره : ومن الخلق الذين خلقنا أمة ، يعنى جماعة . يهدون ، يقول : يهتدون بالحقّ ، وبه يعدلون ، يقول : وبالحقّ يقضون وينصفون الناس ، كما قال ابن جريج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال ابن جريج : ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هذِهِ أُمَّتِى . قال ، بالحَقِّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) : بلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأها : « هَذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِىَ القَوْمُ بَيْنَ أيْدِيكُمْ مِثْلَها ، وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ » .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)

يقول تعالى ذكره : والذين كذّبوا بأدلتنا وأعلامنا ، فجحدوها ، ولم يتذكروا بها ، سنمهله بغرّته ، ونزين له سوء عمله ، حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن ، وحتى يبلغ الغاية التى كتب له من المهل ، ثم يأخذه بأعماله السيئة ، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدّ له ، وذلك استدراج الله إياه ، وأصل الاستدراج ، اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرِج إليه محسن ، حتى يورّطه مكروها .

وقد بيّنا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله

وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (١٨٣)

يقول تعالى ذكره : وأؤخر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا مُلاوة (بالكسر والضمّ والفتح) من الدهر ، وهى الحين ، ومنه قيل : انتظرتك مليا ، ليبلغوا بمعصيتهم ربهم ، المقدار الذى قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ، ثم يقبضهم إليه (إنَّ كَيْدِى) والكيد : هو المكر ، وقوله (مَتِينٌ) يعنى : قوىّ شديد ، ومنه قول الشاعر :

عَدَلْنَ عُدُولَ النَّاسِ واقبح يبتلى أفاس مِنَ الحُرَّابِ شَـدَّ مماتِنِ[1]

يعنى : سيرا شديدا باقيا لاينقطع .

القول فى تأويل قوله

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤)

❊ يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا فيتدبّروا بعقولهم ، ويعلموا أن رسولنا الذى أرسلناه إليهم ، لاجِنَّة به ولاخَبَل ، وأن الذى دعاهم إليه هو الدين الصحيح القويم ، والحقّ المبين ، ولذا نزلت هذه الآية فيا قبل . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا ، فدعا قريشا ، فجعل يفخذهم فخذا فخذا : يا بنى فلان ،يا بنى فلان ، فحذّرهم بأس الله ، ووقائع الله ، فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوّت إلى الصباح ، أو حتى صبح ، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) . ويعنى بقوله (إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) : ما هو إلا نذير منذركم عقاب الله على كفركم ، به إن لم تنيبوا إلى الإيمان به . ويعنى بقوله (مُبِينٌ) : قد أبان لكم أيها الناس إنذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به .

القول فى تأويل قوله

أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ، وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)

❊ يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله فى مُلك الله وسلطانه فى السموات وفى الأرض وفيا خلق جلّ ثناؤه من شىء فيهما ، فيتدبروا ذلك ، ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك ممن ، لانظير له ولا شبيه ، ومِن فِعل من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له ، فيؤمنوا به ، ويصدّقوا رسوله ، وينيبوا إلى طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله ، وأليم عقابه .

وقوله (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) يقول : فبأىّ تخويف وتحذير ، وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم ، وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى آى كتابه ، يصدّقون ؟ إن لم يصدّقوا بهذا الكتاب ، الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم ، من عند الله تعالى .

(١) لم أعثر على هذا البيت ، ولا على قائله . وأثبته كما رأيته فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ بدار الكتب ، وهو محرف غامض .

القول فى تأويل قوله

مَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ ، وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)

يقول تعالى ذكره : إن إعراض هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا ، التاركى النظر فى حجج الله والفكر فيها ، لإضلال الله إياهم ، ولو هدا هم الله لاعتبروا وتدبَّروا ، فأبصروا رشدهم ، ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رَشَدًا ، ولا يهتدون سبيلا ، ومن أضله عن الرشاد ، فلا هادى له ، ولكن الله يدَعُهُمْ فى تماديهم فى كفرهم ، وتمرّدهم فى شركهم ، يتردّدون ليستوجبوا الغاية التى كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله .

القول فى تأويل قوله

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَٰهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ، قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ) فقال بعضهم : عَنَى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُريش ، وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسرّ إلينا متى الساعة ؟ فقال الله (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) .

وقال آخرون : بل عُنِى به قوم من اليهود .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بُكَير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جُبير أوعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال حَمَلُ بن أبى قُشَير وسَمْول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا ، كما تقول ؟ فإنا نعلم متى هى ؟ فأنزل الله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى) . . . إلى قوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن مُخارق بن شهاب ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم لايزال يذكر من شأن الساعة ، حتى نزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن الساعة ، فأنزل الله هذه الآية ، وجائز أن يكون كانوا من قريش ،وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوّز قطع القول على أىّ ذلك كان .

فتأويل الآية إذن : يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيَّان مرساها ؟ يقول : متى قيامها ؟ ومعنى أيَّان : متى ؟ فى كلام العرب ، ومنه قول الراجز :

أيَّانَ تَقْضِي حاجَتِي أيَّانَا أمَا تَرَى لِنُجْحِها إبَّانَا[١]

ومعنى قوله (مُرْساها) : قيامُها ، من قول القائل : أرساها الله ، فهى مرساة ، وأرساها القوم : إذا حبسوها ، ورست هى ترسو رُسُوًّا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيَّانَ مُرْساها) يقول : متى قيامها .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيَّانَ مُرْساها (: متى قيامها .

وقال آخرون : معنى ذلك : مُنْتهاها ، وذلك قريب المعنى من معنى من قال : معناه : قيامها ، لأن انتهاءها : بلوغها وقتها . وقد بيَّنا أن أصل ذلك الحبس والوقوف .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيَّانَ مُرْساها) يعنى : منتهاها .

وأما قوله (قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى ، لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلاَّ هُوَ) فإنه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بأن يجيب سائليه عن الساعة ، بأنه لايعلم وقت قيامها إلا الله الذى يعلم الغيب ، وأنه لايظهرها لوقتها ، ولا يعلمها غيره ، جلّ ذكره .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى ، لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلاَّ هُوَ) يقول : علمها عند الله ، هو يجليها لوقتها ، لايعلم ذلك إلا الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا يُجَلِّيها) : يأتى بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : (لا يُجَلِّيها) : لايأتى بها (إلاَّ هُوَ) .

(١) البيت أنشده صاحب اللسان فى (أين) قال : إبان كل شىء بالكسر والتشديد : وقته وحينه الذى يكون فيه ، يقال : جئته على أبان ذلك ، أى على زمنه ؛ وأخذ الشىء بإبانه ، أى بزمانه . . . قال الراجز : أيان .... البيت وأيان : قال فى اللسان معناه : حين ، وهو سؤال عن زمان ، مثل متى . وفى التنزيل العزيز : « أيان مرساها ؟ ابن سيده : أيان : بمعنى متى ؟

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ) يقول : لايرسلها لوقتها إلا هو .

القول فى تأويل قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً) :

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها ، لخفائها عنهم ، واستئثار الله بعلمها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يقول : خفيت فى السموات والأرض ، فلم يعلم قيامها متى تقوم ، ملكٌ مقرّب ، ولا نبىّ مرسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق جميعا ، عن معمر ، عن بعض أهل التأويل (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض ، أنهم لايعلمون .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها كَبُرَت عند مجيئها على أهل السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرازق جميعا ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يعنى : إذا جاءت ثَقُلَت على أهل السماء وأهل الأرض ، يقول : كَبُرت عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : إذا جاءت انشقّت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكُوِّرَت الشمس ، وسُيِّرت الجبال ، وكان ما قال الله ، فذلك ثقلها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، قال : قال بعض الناس فى ثقلت : عظمت .

وقال آخرون : معنى قوله (فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : على السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : أى على السموات والأرض .

❁ قال أبو جعفر : وأولى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ثقلت الساعة فى السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها ، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يُطْلِع عليه منهم أحدا ، وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ) ، وأخبر

بعده أنها لاتأتى إلا بغتة ، فالذى هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا، خبرا عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك .

وأما قوله (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً): فإنه يقول : لاتجىء الساعة إلا فجأة ، لاتشعرون بمجيئها .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) يقول : يبغتهم قيامها ، تأتيهم على غفلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) قضى الله أنها لاتأتيكم إلا بغتة ، قال : وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّ السَّاعَةَ تَهِيجُ بالنَّاسِ ، وَالرَّجُل يُصْلِحُ حَوْضَهُ ، وَالرَّجُل يُسْقِى ماشِيَتَهُ ، وَالرَّجُل يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِى السُّوقِ ، وَالرَّجُل يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ » .

القول فى تأويل قوله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) :

يقول تعالى ذكره : يسئلك هؤلاء القوم عن الساعة ، كأنك حفىّ عنها ، فقال بعضهم : يسئلونك عنها كأنك حفىّ بهم . وقالوا : معنى قوله : عنها : التقديم ، وإن كان مؤخرا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : كأن بينك وبينهم مودّة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس: لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفىّ بهم ، فأوحى الله إليه : إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها ، فلم يُطْلِع عليها ملكا ولا رسولا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسرّ إلينا متى الساعة ؟ فقال الله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) : أى حفىّ بهم ، قال : قالت قريش: يامحمد أسرّ إلينا علم الساعة ، لما بيننا وبينك من القرابة : لقرابتنا منك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن خَصِيف ، عن مجاهد وعكرمة (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : حفىّ بهم حين يسألونك .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : قربت منهم ، وتخفى عليهم . قال : وقال أبومالك : كأنك حفىّ بهم ، قال : قريب منهم ، وتخفى عليهم . قال : وقال أبو مالك : كأنك حفىّ بهم ، فتحدثهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) كأنك صديق لهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنك قد استحفيت المسئلة عنها ، فعلمتها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) استحفيت عنها السؤال حتى علمتها .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، عن مجاهد فى قوله (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : استحفيت عنها السؤال ، حتى علمت وقتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : كأنك عالم بها .

قال : ثنا حامد بن نوح ، عن أبى روق ، عن الضحاك (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : كأنك تعلمها .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا مُعاذ ، قال : ثنى عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : يسئلونك عن الساعة ، كأن عندك علما منها ، (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) : كأنك عالم بها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : كأنك عالم بها . وقال : أخفى علمها على خلقه ، وقرأ (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)، حتى ختم السورة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : كأنك يعجبك سؤالهم إياك (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ) .

وقوله (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : لطيف بها .

فوجه هؤلاء تأويل قوله (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) إلى حفىّ بها ، وقالوا : تقول العرب : تحفيت له فى المسئلة ، وتحفيت عنه ، قالوا : ولذلك قيل : أتينا فلانا نسأل به ، بمعنى نسأل عنه .

❊ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : كأنك حفىّ بالمسئلة عنها، فتعلمها .

فإن قال قائل : وكيف قيل (حَفِيٌّ عَنْهَا) ولم يقل حفىّ بها ، إن كان ذلك تأويل الكلام ؟ قيل : إن

ذلك قبل كذلك ، لأن الحفاوة إنما تكون فى المسألة ، وهى البشاشة للمسئول عند المسئلة ، والإكثار من السؤال عنه ، والسؤال يوصل بعن مرّة ، وبالباء مرّة ، فيقال : سألت عنه ، وسألت به ؛ فلما وضع قوله حفىّ موضع السؤال ، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال ، وهو « عن » كما قال الشاعر :

سُؤَالَ حَفِىٍّ عَنْ أخِيهِ كأنَّهُ يُذَكِّرُهُ وَسْنَانُ أوْ مُتَوَاسِنُ [١]

وأما قوله (قُلْ إنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ) فإن معناه : قل يا محمد لسائليك عن وقت الساعة ، وحين مجيئها : لاعلم لى بذلك ، ولا يعلم به إلا الله ، الذى يعلم غيب السموات والأرض (وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ)يقول : ولكن أكثر الناس لايعلمون أن ذلك لايعلمه إلا الله ، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه .

القول فى تأويل قوله

قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ، وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ، وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ، إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) *

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيَّانَ مُرساها ؟ (لاأمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا) يقول : لاأقدر على اجتلاب نفع إلى نفسى ، ولا دفع ضرّ يحلّ بها ، عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك ، بأن يقوّيَنِى عليه ،ويعيننى (وَلَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ) يقول : لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ، لاستكثرت من الخير ، يقول : لأعددت الكثير من الخير .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الخير الذى عناه الله بقوله (لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لاستكثرت من العمل الصالح .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله (قُلْ لاأمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا) قال : الهدى والضلالة (لَوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ) قال : أعلم الغيب متى أموت ؟ لاستكثرت من العمل الصالح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) فى (اللسان : حفى) : وقوله تعالى : « يسألونك كأنك حفى عنها » : قال الزجاج : يسألونك عن أمر القيامة ، كأنك فرح بسؤالهم . وقيل معناه : كأنك أكثرت المسألة عنها . وقال الفراء : فيه تقديم وتأخير ، معناه : يسألونك عنها ، كأنك حفى بها . قال : ويقال فى التفسير كأنك حفى عنها : كأنك عالم بها ، معناه : حاف عالم . وقيل : كأنك معنى بها . وأنشد للأعشى :

فَانْ تَسألِى عَنِّى فيا رُبَّ سائِلٍ حَفِىٍّ عَنِ الأعْشَى بِهِ حيثُ أصْعَدَا

معناه : معنى ، وبالأعشى ، بالسؤال عنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) قال : لاجتنبت ما يكون من الشرّ واتقيته .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ، ولعرفت الغلاء من الرُّخْص ، واستعددت له فى الرخص .

وقوله (وَمَا مَسَّنِيَ السوءُ) يقول : ومامسنى الضرّ (إنْ أنا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) : يقول : ما أنا إلا رسول الله أرسلنى إليكم ، أنذر عقابه مَن عصاه منكم وخالف أمره ، وأبشر بثوابه وكرامته ، من آمن به وأطاعه منكم . وقوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) : يقول : يصدّقون بأنى لله رسول ، ويقرّون بحقيّة ماجئتهم به من عنده .

القول فى تأويل قوله

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ، فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩)

يقول تعالى ذكره : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) : يعنى بالنفس الواحدة : آدم .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) قال : آدم عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) من آدم ، ويعنى بقوله (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) : وجعل من النفس الواحدة ، وهو آدم ، زوجها حوّاء .

كما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) : حوّاء ، فجعلت من ضِلَع من أضلاعه ، ليسكن إليها .

ويعنى بقوله (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) : ليأوىَ إليها ، لقضاء الحاجة ولذّته . ويعنى بقوله (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) : فلما تدثرها لقضاء حاجته منها ، فقضى حاجته منها (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا) وفى الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ظهر عما حُذِف ، وذلك قوله (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ) وإنما الكلام : فلما تغشاها ، فقضى حاجته منها حملت . وقوله (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا) يعنى : بخفة الحمل : الماء الذى حملته حوّاء فى رحمها من آدم ، أنه كان حملا خفيفا ، وكذلك هو حمل المرأة ، ماء الرجل خفيف عليها . وأما قوله (فَمَرَّتْ بِهِ) : فإنه يعنى : استمرّت بالماء : قامت به وقعدت ، وأتمت الحمل .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي عمير ، عن أيوب ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ) قال : لوكنت امرأ عربيا لعرفت ماهي ، إنما هي فاستمرّت به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفا فَمَرَّتْ بِهِ) : استبان حملها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمَرَّتْ بِهِ) قال : استمرّ حملها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً) قال : هي النطفة . وقوله (فَمَرَّتْ بِهِ) يقول : استمرّت به .

وقال آخرون : معنى ذلك : فشكّت فيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَمَرَّتْ بِهِ) قال : فشكّت أحملت أم لا ؟ ويعني بقوله (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : فلما صار ما في بطنها من الحمل الذى كان خفيفا ثقيلا ، ودنت ولادتها ، يقال منه : أثقلت فلانة : إذا صارت ذات ثقل بحملها ، كما يقال : أتمر فلان : إذا صار ذا تمر .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : كبر الولد في بطنها .

قال أبو جعفر : (دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا) : يقول : نادى آدم وحوّاء ربهما ، وقالا : يا ربنا ، لئن آتيتنا صالحا لنكوننّ من الشاكرين .

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذى أقسم آدم وحوّاء عليهما السلام ، أنه إن آتاهما صالحا في حمل حوّاء لنكوننّ من الشاكرين ، فقال بعضهم : ذلك هو أن يكون الحمل غلاما .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً) قال : غلاما .

وقال آخرون : بل هو أن يكون المولود بَشَرًا سَوِيًّا مثلهما ، ولا يكون بهيمة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن زيد بن جبير الجسمىّ ، عن أبي البَخْتَرِىّ في قوله (لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) قال : أشفقا أن يكون شيئا دون الإنسان .

قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زيد بن جبير ، عن أبي البَخْتَرِىّ ، قال : أشفقا أن لايكون إنسانا .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : لما حملت امرأة آدم فأثقلت ، كانا يشفقان أن يكون بهيمة (فَدَعَوَا رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) . . . الآية .

قال : ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أشفقا أن يكون بهيمة .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبير : لما هبط آدم وحوّاء ، أُلقيت الشهوة في نفسه فأصابها ، فليس إلا أن أصابها حملت ، فليس إلا أن حملت تحرّك في بطنها ولدها ، قالت : ما هذا ؟ فجاءها إبليس ، فقال : أترين في الأرض إلا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ؟ هو بعض ذلك ؛ قالت : والله ما مني شيء إلا وهو يضيق عن ذلك، قال : فأطيعيني وسميه عبد الحارث ، تلدى شِبْهكما مثلكما . قال : فذكرت ذلك لآدم عليه السلام ، فقال : هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة ، فمات . ثم حملت بآخر ، فجاءها فقال : أطيعيني وسميه عبد الحارث ، وكان اسمه في الملائكة الحارث ، وإلا ولدتِ ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو قتلته ، فإني أنا قتلت الأول . قال : فذكرت ذلك لآدم ، فكأنه لم يكرهه ، فسمته عبد الحارث ، فذلك قوله (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) يقول : شبهنا مثلنا ، فلما آتاهما صالحا ، قال : شِبْهَهما مثلهما .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : كبر الولد في بطنها، جاءها إبليس ، فخوّفها وقال لها : ما يدريك ما في بطنك ، لعله كلب أو خنزير أو حمار ، وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك ، أو من قُبلك ، أو ينشقّ بطنك فيقتلك ، فذلك حين (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) يقول : مِثْلنا (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحوّاء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حوّاء ، وأقسما : لئن أعطاهما في بطن حوّاء صالحا ليكونانّ لله من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معانيَ كثيرة : منها الصلاح في استواء الخَلْق . ومنها الصلاح في الدين ، والصلاح في العقل والتدبير . وإذ كان ذلك كذلك ، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض ، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يَعُمّ كما عمه الله، فيقال: إنهما قالا : لئن آتيتنا صالحا، بجميع معاني الصلاح.

وأما معنى قوله (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فإنه لنكوننّ ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحاً .

القول في تأويل قوله

فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا ، جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما .

ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلاها فيما أوتيا من المولود ، فقال بعضهم : جعلا له شركاء في الاسم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدَب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : «كانَتْ حَوَّاءُ لايَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَنَذَرَتْ: لَئِنْ عاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُسَمِّيَنَّهُ عَبْدَ الحَارِثِ ، فَعاشَ لَهَا وَلَدٌ ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الحَارِثِ ، وإنَّما كانَ ذلكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطانِ » .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو العلاء ، عن سَمُرة بن جندب أنه حدّث : أن آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحارث ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير ، عن سَمُرة بن جندب ، قال : سمى آدم ابنه : عبد الحارث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حوّاء تلد لآدم ، فتُعَبِّدُهم لله ، وتسميه عبد الله ، وعُبَيد الله ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فأتاها إبليس وآدم ، فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذى تسميانه لعاش ، فولدت له رجلا ، فسماه عبد الحارث ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) . . . إلى قوله (جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما) . . . إلى آخر الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله فى آدم (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) . . . إلى قوله (فَمَرَّتْ بِهِ) ، فشكَّت ، أحبلت أم لا ؟ (فَلَمَّا أثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً) . . . الآية ، فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون : أبهيمة تكون أم لا ؟ وزين لهما الباطل ، إنه غويّ مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بى لم يخرج سَوِيًّا ، ومات كما مات الأوّلان ، فسميا ولدهما عبد الحارث ، فذلك قوله (فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : لما وُلد له أوّل ولد ، أتاه إبليس فقال : إنى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا ، تسميه عبد الحارث ، فقال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، قال ابن عباس : وكان اسمه فى السماء الحارث . قال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، إنى أطعتك فى أكل الشجرة ، فأخرجتنى من الجنة ، فلن أطيعك . فمات ولده ، ثم وُلد له بعد ذلك ولد آخر ، فقال : أطعنى ، وإلا مات كما مات الأوّل ، فعصاه ، فمات . فقال : لاأزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحارث . فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث ، فذلك قوله (جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما) : أشركه فى طاعته فى غير عبادة ، ولم يُشرك بالله ، ولكن أطاعه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن هارون ، قال : أخبرنا الزبير بن الخرِّيت ، عن عكرمة ،

قال : ما أشرك آدمُ ولا حوّاء ، وكان لايعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان فقال : إن سرّكما أن يعيش لكما ولد ، فسمياه عبد الحارث ، فهو قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً) قال : كان آدم عليه السلام لايولد له ولد إلا مات ، فجاءه الشيطان ، فقال : إن سرّك أن يعيش ولدك هذا ، فسمه عبد الحارث ، ففعل ، قال : فأشركا فى الاسم ، ولم يُشركا فى العبادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) ذُكر لنا أنه كان لايعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان ، فقال لهما : سمياه عبد الحارث ، وكان من وحى الشيطان وأمره ، وكان شركا فى طاعته ، ولم يكن شركا فى عبادته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : كان لايعيش لآدم وامرأته ولد ، فقال لهما الشيطان : إذا ولد لكما ولد ، فسمياه عبد الحارث ، ففعلا وأطاعاه ، فذلك قول الله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن سعيد بن جبير ، قوله (أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا) . . . إلى قوله تعالى (فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : لما حملت حوّاء فى أوّل ولد ولدته حين أثقلت ، أتاها إبليس قبل أن تلد ، فقال : يا حوّاء ، ما هذا الذى فى بطنك ؟ فقالت : ما أدرى ، فقال : من أين يخرج ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من أذنك ؟ قالت : لا أدرى ، قال : أرأيت إن خرج سليما أتطيعينى أنت فيما آمرك به ؟ قالت : نعم ، قال : سميه عبد الحارث ، وقد كان يسمى إبليس الحارث ، فقالت : نعم ، ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتانى آت فى النوم فقال لى : كذا وكذا ، فقال : إن ذلك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدوّنا الذى أخرجنا من الجنة ؛ ثم أتاها إبليس ، فأعاد عليها ، فقالت : نعم فلما وضعته أخرجه الله سليما ، فسمته عبد الحارث ، فهو قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فيما آتاها ، فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشرك آدم ، قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ، ولكن حوّاء لما أثقلت ، أتاها إبليس فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟ فقنّطها ، ثم قال : أرأيت إن خرج سويّا ؛ زاد ابن فضيل : لم يضرّك ولم يقتلك أتطيعينى ؟ قالت : نعم ، قال : فسميه عبد الحارث ، ففعلت . زاد جرير : فإنما كان شركه فى الاسم .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : فولدت غلاما ، يعنى حوّاء ، فأتاهما إبليس فقال : سموه عبدى ، وإلا قتلته ، قال له آدم عليه السلام : قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة ، فأبى أن يطيعه ، فسماه عبد الرحمن ، فسلط الله عليه إبليس فقتله . فحملت بآخر ؛ فلما ولدته

قال لها: سميه عبدى وإلا قتلته ، قال له آدم : قد أطعتك فأخرجتني من الجنة ، فأبى ، فسماه صالحا فقتله ، فلما أن كان الثالث ،قال لهما : فإذا غلبتم فسموه عبد الحارث ، وكان اسمَ إبليس ؛ وإنما سمى إبليس حين أبلس ، ففعلوا ، فذلك حين يقول الله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) يعنى : فى التسمية .

وقال آخرون : بل المعنىّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم ، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد ، وقالوا : معنى الكلام : هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها : أى هذا الرجل الكافر ، حملت حملا خفيفا ، فلما أثقلت دعوتما الله ربكما ، قالوا : وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ، ثم ردّ إلى الخبر عن الغائب ، كما قيل (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) . وقد بيّنا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) قال : كان هذا فى بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : عَنى بهذا ذرية آدم ، مَن أشرك منهم بعده ، يعنى بقوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولادا فهوّدوا ونصّروا .

❊ قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب : قول من قال : عنى بقوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) : فى الاسم ، لا فى العبادة ، وأن المعنىّ بذلك آدم وحوّاء ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

فإن قال قائل : فما أنت قائل إذ كان الأمر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية ، وأن المعنىّ بها آدم وحوّاء ، وفى قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أهو استنكاف من الله ، أن يكون له فى الأسماء شريك ، أو فى العبادة ؟ فإن قلت فى الأسماء دلّ على فساده قوله (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) وإن قلت فى العبادة ، قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره ؟ قيل له : إن القول فى تأويل قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ليس بالذى ظننتَ ، وإنما القول فيه ، فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحوّاء فقد انقضى عند قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) ، ثم استؤنف قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : هذه فصل من آية آدم خاصّة فى آلهة العرب .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (شُرَكَاءَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين

(جَعَلا لَهُ شِرْكاً) بكسر الشين ، بمعنى الشركة . وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين وبعض البصريين (جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ) بضمّ الشين ، بمعنى : جمع شريك .

❁ وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب ؛ لأن القراءة لو صحت بكسر الشين ، لوجب أن يكون الكلام: فلما آتاهما صالحا ، جعلا لغيره فيه شركا ، لأن آدم وحوّاء لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ، ثم يجعلا لله فيه شركا ، لتسميتهما إياه بعبد الله ، وإنما كانا يدينان لاشكّ بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ، ثم سمياه عبد الحارث ، فجعلا لإبليس فيه شركا بالاسم ، فلو كانت قراءة من قرأ (شِرْكا) صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام: جعلا لغيره فيه شركا ،وفى نزول وحى الله بقوله (جَعَلا لَهُ) مايوضح عن أن الصحيح من القراءة (شُرَكاءَ) بضم الشين على ما بينت قبل .

فإن قال قائل : فإن آدم وحوّاء إنما سميا ابنهما عبد الحارث ، والحارث واحد ، وقوله ((شُرَكاءَ) جماعة ، فكيف وصفهما جلّ ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء ، وإنما أشركا واحدا ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة ، إذا لم تقصد واحدا بعينه ، ولم تسمه ، كقوله (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) ، وإنما كان القائل ذلك واحدا ، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة ، إذ لم يقصد قصده ، وذلك مستفيض فى كلام العرب وأشعارها .

وأما قوله (فَتَعالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكونَ) فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه ، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ، ويدعون معه من الآلهة والأوثان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَتَعالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال: هو الإنكاف ،أنكف نفسه جلّ وعزّ ، يقول: عظم نفسه ، وأنكفته الملائكة وماسبح له .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، قال : سمعت صدقة يحدّث عن السديّ ، قال : هذا من الموصول والمفصول قوله (جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما) فى شأن آدم وحوّاء ، ثم قال الله تبارك وتعالى (فَتَعالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال: عما يشرك المشركون، ولم يعنهما.

القول فى تأويل قوله

أَيُشْرِكُونَ مَالَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١)

❁ يقول تعالى ذكره : أيشركون فى عبادة الله ، فيعبدون معه ما لايخلق شيئا ، والله يخلقها وينشئها ، وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال[١] : ولد لآدم وحوّاء ولد ، فسمّياه عبد الله ، فأتاهما إبليس فقال : ما سميتما يا آدم ويا حوّاء ابنكما ؟ قال : وكان وُلد لهما قبل ذلك ولد ، فسمياه عبد الله ، فمات ؛ فقالا : سميناه عبد الله ، فقال إبليس : أتظننان

(١) لعل لفظة قال هذه : زيادة من قلم الناسخ ، وقد وقع مثلها كثيرا فيما مضى .

أن الله تارك عبده عندكما ؟ لا ، والله ليذهبنّ به ، كما ذهب بالآخر ، ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما ، فسمياه عبد شمس ، قال : فذلك قول الله تبارك وتعالى (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) الشمس تخلق شيئا حتى يكون لها عبد ؟ إنما هي مخلوقة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَدَعَهُما مَرَّتَيْنِ : خَدَعَهُما في الجنَّةِ ، وخَدَعَهُما في الأرضِ » . وقيل : (وَهُمْ يُخْلَقُونَ) ، فأخرج مكنيهم مُخرج مكنيّ بنى آدم ، وقد قال : أيشركون ما ، فأخرج ذكرهم بما ، لا بمن مُخرج الخبر عن غير بنى آدم ، لأن الذى كانوا يعبدونه إنما كان حجرا أو خشبا أو نحاسا ، أو بعض الأشياء التى يخبر عنها « بما » لا « بمن » ، فقيل لذلك « ما » ، ثم قيل : وهم ، فأخرجت كنايتهم مخرج كناية بنى آدم ، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها ، نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضا .

القول فى تأويل قوله

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ، وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢)

❊ يقول تعالى ذكره : أيشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله ما لا يخلق شيئا من خلق الله ، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءا ، أوأحلّ بهم عقوبة ، ولا هو قادر إن أراد به سوءا نصر نفسه ، ولا دفع ضرّ عنها ، وإنما العابد يعبد ما يعبده ، لاجتلاب نفع منه ، أو لدفع ضرّ منه عن نفسه ، وآلهتهم التى يعبدونها ويشركونها فى عبادة الله ، لا تنفعهم ولا تضرّهم ، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرّا ، فهى من نفع غير أنفسها ، أو دفع الضرّ عنها أبعد ، يعجّب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون فى عبادتهم الله غيره .

القول فى تأويل قوله

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ، سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣)

❊ يقول تعالى ذكره فى وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربهم إياه : ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم ، والأمر الصحيح السديد ، لا يتبعوكم ، لأنها ليست تعقل شيئا ، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا ، وتركب ما كان مستقيما سديدا . وإنما أراد الله جلّ ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها ، تنبيههم على عظيم خطئهم ، وقبح اختيارهم ، يقول جلّ ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دُعى إلى الرشاد ، وعرفه لم يعرفه ، ولم يفهم رشادا من ضلال ، وكان سواءً دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته ، لأنه لا يفهم دعاءه ، ولا يسمع صوته ، ولا يعقل ما يقال له . يقول : فكيف يُعبد من كانت هذه صفته ، أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلها ؟ وإنما الربّ المعبود هو النافع من يعبده ، الضارّ من يعصيه ، الناصر وليّه ، الخاذل عدوّه ، الهادى إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه . وقيل (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) فعطف بقوله : صامتون ، وهو اسم ، على قوله : أدعوتموهم ، وهو فعل ماض ، ولم يقل أم صمتّم ، كما قال الشاعر :

سَوَاءٌ عَلَيْكَ الفَقْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً بِأَهْلِ القِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ[1]

وقد ينشد : أم أنت بائت .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ، فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤)

يقول جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان ، موبخهم على عبادتهم ما لا يضرّهم ولا ينفعهم من الأصنام : إن الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله ، وتعبدونها شركا منكم ، وكفرا بالله ، عباد أمثالكم ، يقول : هم أملاك لربكم ، كما أنتم له مماليك ، فإن كنتم صادقين أنها تضرّ وتنفع ، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم ، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم ، فإن لم يستجيبوا لكم ، لأنها لاتسمع دعاءكم ، فأيقنوا بأنها لاتنفع ولا تضرّ ، لأن الضرّ والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائل ، وأعطى وأفضل ؛ ومن إذا شُكِيَ إليه من شىء سمع ، فضرّ من استحقّ العقوبة ، ونفع من لايستوجب الضرّ .

القول فى تأويل قوله

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ؟ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه ، معرّفهم جهل ما هم عليه مقيمون ، ألأصنامكم هذه أيها القوم (أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا) فيسعون معكم ولكم فى حوائجكم ، ويتصرّفون بها فى منافعكم (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا) ، فيدفعون عنكم ، وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكروه (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا) فيعرّفوكم ما عاينوا وأبصروا ، مما تغيبون عنه فلا ترونه (أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) فيخبروكم بما سمعوا دونكم ، مما لم تسمعوه . يقول جلّ ثناؤه : فإن كانت آلهتكم التى تعبدونها ليس فيها شىء من هذه الآلات التى ذكرتها ، والمعظّم من الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع ، التى توصل إليه بعض هذه المعانى عندكم ، فما وجه عبادتكم أصنامكم التى تعبدونها ، وهى خالية من كلّ هذه الأشياء ، التى بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضرّ .

وقوله (قُلْ : ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ) أنتم وهنّ (فَلَا تُنْظِرُونِ) يقول : فلا تؤخرون

---

(١) البيت من شواهد الكسائى ، نقله الفراء فى كتابه (معانى القرآن ص ١١٦ من مصورة جامعة القاهرة) قال : وقوله « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون » ، ولم يقل : أم صمتم ؛ وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا : سواء على أقمت أم قعدت . ويجوز : سواء على أقمت أم أنت قاعد ، قال الشاعر : سواء عليك الفقر . . . البيت . وأنشده بعضهم : أو أنت بائت . وجاز فيها (أو) لقوله : « الفقر » ، لأنك تقول : سواء عليك الخير والشر . ويجوز مكان الواو « أو » ، لأن المعنى جزاء ، كما تقول : اضربه قام أو قعد . (فأو) تذهب إلى معنى العموم ، كذهاب الواو .

بالكيد والمكر ، ولكن عجلوا بذلك ، يعلمه جلّ ثناؤه بذلك أنهم لم يضرّوه ، وأنه قد عصمه منهم ، ويعرف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩٦)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يامحمد للمشركين من عَبَدَة الأوثان : إنّ ولِيِّ : نصيرى ومعينى وظهيرى عليكم ، اللهُ الذى نزّل الكتاب علىّ بالحقّ ، وهو الذى يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه .

القول فى تأويل قوله

وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧)

❊ وهذا أيضا أمر من الله جلّ ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين بقوله تعالى : قل لهم : إن الله نصيرى وظهيرى . والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة ، لايستطيعون نصركم ، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم ، يقدرون على نصرة أنفسهم ، فأىّ هذين أولى بالعبادة ، وأحقّ بالألوهة، أمَنْ ينصر وليه، ويمنع نفسه ممن أراده ، أم مَنْ لايستطيع نصر وليه ، ويعجز عن منع نفسه ممن أراده ، وبغاه بمكروه ؟

القول فى تأويل قوله

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ، وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)

❊ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين : وإن تدعوا أيها المشركون آلهتكم إلى الهدى ، وهو الاستقامة إلى السداد ، لايسمعوا ، يقول : لايسمعوا دعاءكم ، وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون . وهذا خطاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .يقول : وترى يا محمد آلهتهم ينظرون إليك وهم لايبصرون ، ولذلك وحّد ، ولو كان أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال: وترونهم ينظرون إليكم .

وقد رُوِى عن السدىّ فى ذلك،ما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إلى الهُدَى لايَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ وَهُمْ لايُبْصِرُونَ) قال : هؤلاء المشركون ، وقد يحتمل قول السدىّ هذا ، أن يكون أراد بقوله : هؤلاء المشركون : قول الله (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إلى الهُدَى لايَسْمَعُوا) .

وقد كان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى المثنى ،قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح،

عن مجاهد (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لايُبْصِرُونَ) ماتدعوهم إلى الهدى . وكأنّ مجاهدا وجه معنى الكلام ، إلى أن معناه : وترى المشركين ينظرون إليك وهم لايبصرون ، فهو وجه ، ولكن الكلام فى سياق الخبر عن الآلهة ، فهو بوصفها أشبه .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل: فما معنى قوله (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لايُبْصِرُونَ)؟ وهل يجوز أن يكون شىء ينظر إلى شىء، ولا يراه . قيل : إن العرب تقول للشىء إذا قابل شيئا أو حاذاه : هو ينظر إلى كذا، ويقال: منزل فلان ينظر إلى منزلى : إذا قابله . وحُكِى عنها : إذا أتيت موضع كذا وكذا ، فنظر إليك الجبل ، فخذ يمينا أو شمالا . وحُدِّثت عن أبى عُبيد ، قال : قال الكسائىّ : الحائط ينظر إليك : إذا كان قريبا منك حيث تراه ، ومنه قول الشاعر :

إِذَا نَظَرَتْ بِلادَ بَنِى تَمِيمٍ   بِعَيْنٍ أَوْ بِلادَ بَنِى صُبَاحِ[1]

يريد : تقابل نبتُها وعشبُها وتحاذَى ،

فمعنى الكلام : وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عَبَدة الأوثان، يقابلونك ويحاذونك ، وهم لايبصرونك ، لأنه لاأبصارلهم . وقيل : وتراهم ، ولم يقل: وتراها ، لأنها صُوَر مصوّرة على صور بنى آدم.

القول فى تأويل قوله

خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : خذ العفوَ من أخلاق الناس ، وهو الفضل ، وما لايجهدهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، فى قوله (خُذِ العَفْوَ) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

حدثنا يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله (خُذِ العَفْوَ) قال : عفو أخلاق الناس ، وعفو أمورهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ،

(١) أراد بقوله « نظرت » : معنى قابلت . يقال : تناظرت الداران : تقابلتا . ونظر إليك الجبل : قابلك . وإذا أخذت فى طريق كذا فنظر إليك الجبل ، فخذ عن يمينه أو يساره . وقوله تعالى : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » : ذهب أبو عبيدة إلى أنه أراد الأصنام : أى تقابلك ، وليس هناك نظر ، لكن لما كان النظر لايكون إلا بمقابلة حسن ، وقال : وتراهم ، وإن كانت لاتعقل ، لأنهم يضعونها موضع من يعقل . وقال الفراء فى معانى القرآن (ص١١٧ مصورة جامعة القاهرة) : وقوله « وتراهم ينظرون إليك » : يريد الآلهة ، إنها صور لاتبصر ، ولم يقل : وتراها ، لأن لها أجساما وعيونا . والعرب تقول للرجل القريب من الشىء : هو ينظر وهو لايراه . والمنازل تتناظر : إذا كان بعضها بحذاء بعض . اهـ . وقال فى التاج : بنو صباح بالضم : بطون : منها بطن فى عبد القيس ، وبطن فى ضبة ، وبطن فى غنى ، وبطن فى عذرة .

فى قوله (خُذِ العَفْوَ) . . . الآية . قال عُروة : أمر اللهُ رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي الزُّبير ، قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا فى أخلاق الناس (خُذِ العَفْوَ، وأْمُرْ بالعُرْفِ)... الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد (خُذِ العَفْوَ) : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

قال : ثنا أبومعاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن أبي الزبير (خُذِ العَفْوَ) قال من أخلاق الناس ، والله لآخذنه منهم ما صحبتهم .

قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي الزبير ، قال : إنما أنزل الله (خُذِ العَفْوَ) من أخلاق الناس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خُذِ العَفْوَ) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس ، أو تحسس ، شكّ أبوعاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (خُذِ العَفْوَ) من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسخ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (خُذِ العَفْوَ) يعنى : خذ ما عفالك من أموالهم ، وما أتوك به من شىء فخذه ، فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت الصدقات إليه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (خُذِ العَفْوَ) أما العفو : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (خُذِ العَفْوَ) يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله نبيّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم ، قبل أن يُفرض قتالهم عليه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (خُذِ العَفْوَ) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة ، قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كلّ مرصد ، وأن يحصرهم ، ثم قال : (فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ) الآية كلها ، وقرأ (يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ

عَلَيْهِمْ) قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ ، وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) بعد ما كان أمرهم بالعفو ، وقرأ قول الله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآيةُ العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم . وقال : أمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيَّه صلى الله عليه وسلم محاجَّتَه المشركين فى الكلام ، وذلك قوله (قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ، ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ) ، وعقبه بقوله (وإخوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ . وإذا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا: لَوْلا اجْتَبَيْتَها) فما بين ذلك ، بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم فى عشرتهم به ، أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين .

فإن قال قائل : أفمنسوخ ذلك ؟ قيل : لا دلالة عندنا على أنه منسوخ ، إذ كان جائزا أن يكون ، وإن كان الله أنزله على نبيه عليه السلام فى تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين ، مرادا به تأديب نبيّ الله والمسلمين جميعا فى عشرة الناس ، وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل ، تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا ، لم يجب استعمال الغلظة والشدّة فى بعضهم ، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم ، استعمل الواجب ، فيكون قوله (خُذِ العَفْوَ) : أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو ، فإذا وجب غيره ، أخذ الواجب وغير الواجب ، إذا أمكن ذلك ، فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة ، لما قد بيّنا ذلك فى نظائر فى غير موضع من كتبنا .

وأما قوله (وأْمُرْ بالعُرْفِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ؛ فقال بعضهم بما حدثنى الحسن بن الزّبرقان النخعيّ ، قال : ثنى حسين الجُعْفيّ ، عن سفيان بن عيينة ، عن رجل قد سماه ، قال : لما نزلت هذه الآية (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ ، وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياجِبْرِيلُ ما هَذَا ؟ قال : ما أدرى حتى أسأل العالم ، قال : ثم قال جبريل : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتُعْطِيَ من حرمك ، وتعفوَ عمن ظلمك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبيّ ، قال : لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (خُذِ العَفْوَ ، وأْمُرْ بالعُرْفِ ، وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما هَذَا يا جِبْرِيلُ ؟ قال : إن الله يأمرك أن تعفوَ عن ظلمك ، وتُعْطِيَ من حرمك ، وتصلَ من قطعك » .

وقال آخرون بما حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (وأْمُرْ بالعُرْفِ) يقول : بالمعروف .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : (وَأْمُرْ بالعُرْفِ) قال : أما العُرْف : فالمعروف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « وَأْمُرْ بالعُرْفِ) : أى بالمعروف .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعُرْف ، وهو المعروف فى كلام العرب ، مصدر فى معنى المعروف ، يقال : أوليته عُرفا وعارفا وعارفة ، كل ذلك بمعنى المعروف ؛ فإذ كان معنى العرف ذلك ، فمن المعروف صلة رحم من قَطَع ، وإعطاء من حَرَم ، والعفو عمن ظَلَم ، وكلّ ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه ، فهو من العرف ، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ؛ فالحقّ فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله ، لا ببعض معانيه دون بعض .

وأما قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) : فإنه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل ، وذلك وإن كان أمرا من الله لنبيه ، فإنه تأديب منه عزّ ذكره لخلقه ، باحتمال مَن ظلمهم ، أو اعتدى عليهم ، لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حقّ الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله ، وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب .

⁂ وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خُذِ العَفْوَ ، وَأْمُرْ بالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) قال : أخلاقٌ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودله عليها .

القول فى تأويل قوله

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)

⁂ يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ) : وإما يغضبنك من الشيطان غضب ، يصدّك عن الإعراض عن الجاهلين ، ويحملك على مجازاتهم . (فاسْتَعِذْ باللهِ) : يقول : فاستجرْ بالله من نزغه . (إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) : يقول : إن الله الذى تستعيذ به من نزغ الشيطان ، سميع لجهل الجاهل عليك ، ولاستعاذتك به من نَزْغه ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، لا يخفى عليه منه شىء ، عليم بما يُذْهب عنك نَزْغ الشيطان ، وغير ذلك من أمور خلقه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (خُذِ العَفْوَ ، وَأْمُرْ بالعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَكَيْفَ بالغَضَبِ يارَبّ؟

قال : (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ باللهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ باللهِ ،إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) قال: علم الله أن هذا العدوّ منيع ومَرِيد ، وأصل النزغ : الفساد ، يقال : نزغ الشيطان بين القوم : إذا أفسد بينهم ،وحمل بعضَهم على بعض ، ويقال منه : نَزَغَ يَنْزَغُ ، ونَغَزَ يَنْغَز [١] .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ ، طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ، فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله من خلقه،فخافوا عقابه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (إِذَا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا) يقول : إذا ألَمّ بهم طيف من الشيطان ، من غضب أو غيره ، مما يصدّ عن واجب حقّ الله عليهم ، تذكّروا عقاب الله وثوابه،ووعده ووعيده ، وأبصروا الحقّ ، فعملوا به ، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشيطان .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (طَيْفٌ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (طائِفٌ) على مثال فاعل ، وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين (طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطانِ) .

واختلف أهل العلم بكلام العرب،فى فرق ما بين الطائف والطيف . قال بعض البصريين : الطائف والطيف:سواء ، وهو ما كان كالخيال والشىء يلمّ بك . قال: ويجوز أن يكون الطيف مخففا عن طيِّف ، مثل ميْت وميِّت . وقال بعض الكوفيين : الطائف : ما طاف بك من وسوسة الشيطان : وأما الطيف : فإنما هو من اللمَم والمسّ . وقال آخر منهم : الطيف : اللمَم . والطائف: كلّ شىء طاف بالإنسان . وذُكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول : الطيف : الوسوسة .

قال أبو جعفر :وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه(طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ) ،لأن أهل التأويل تأوّلوا ذلك بمعنى الغضب ، والزلة تكون من المَطيف به . وإذا كان ذلك معناه ، كان معلوما إذ كان الطيف إنما هو مصدر من قول القائل: طاف يَطيف،أن ذلك خبر من الله عما يمسّ الذين اتقوا من الشيطان ، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه ، وذلك كالغضب والوسوسة ، وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه ، أو ليوسوس له ، والوسوسة والاستزلال: هو الطائف من الشيطان ، وأما الطيف : فإنما هو الخيال ،وهو مصدر من طاف يَطيفُ، ويقول: لم أسمع فى ذلك طاف يَطيف ، ويتأوّله بأنه بمعنى الميت،وهو من الواو . وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعا من العرب:طاف يَطِيف ، وطِفْتُ أَطِيف ، وأنشدوا فى ذلك :

(١) فى التاج : قال الفراء : نغز بينهم : أغرى ، وحمل بعضهم على بعض ، كنزغ . قلت : ولم يضبط المضارع ، وقد يفهم قوله كنزغ أنه مثله فى المعنى والصيغة ، فيكون من باب منع . أما إذا كان التمثيل للمعنى وحده ، فإنه يجوز فيه كونه من باب نصر وكونه من باب ضرب ، كما فى شرح الرضى على شافية ابن الحاجب .

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الخَيَالُ يَطِيفُ ومَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ ١

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : ذلك الطائف : هو الغضب .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ) قال : الطيف : الغضب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، فى قوله إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) قال : هو الغضب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : الغضب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) قال : هو الغضب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) قال : الغضب .

وقال آخرون : هو اللمة ، والزلة من الشيطان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) الطائف : اللَّمة من الشيطان (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) يقول : نَزْغ من الشيطان (تَذَكَّرُوا) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) يقول : إذا زلوا تابوا .

قال أبو جعفر : وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن الغضب من استزلال الشيطان ، واللَّمة من الخطيئة أيضا منه ، وكان ذلك من طائف الشيطان . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى ، بل الصواب أن يَعُمَّ كما عمه جلَّ ثناؤه ، فيقال : إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض ، تذكروا أمر الله ، وانتهوا إلى أمره .

(١) البيت فى (اللسان : طيف) . قال : وطاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : ألم فى النوم . قال كعب بن زهير : أنى ألم . . . البيت . قال : وأطاف : لغة . والطيف والطيّف (بفتح الطاء المشددة وكسرها) : الخيال نفسه . الأخيرة عن كراع . والشعوف بالضم : مصدر شعفه الحب : إذا اشتد عليه . أو جمع شعف (بسكون العين) ، والمصدر شعف ، بفتحهما .

وأما قوله (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) : فإنه يعنى : فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) يقول : إذا هم منتهون عن المعصية ، آخذون بأمر الله ، عاصون للشيطان .

القول فى تأويل قوله

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

يقول تعالى ذكره : وإخوان الشياطين تمدّهم الشياطين فى الغيّ، يعنى بقوله (يَمُدُّونَهُمْ) : يزيدونهم . (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان ، وإنما هذا خبر من الله عن فريقَي الإيمان والكفر ، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله ، إذا استزلهم الشيطان، تذكروا عظمة الله وعقابه ، فكفّتهم رهبتُه عن معاصيه ، وردّتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله، مما كان منهم من زلة، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيًّا إلى غيهم، إذا ركبوا معصية من معاصى الله، ولا يحجزُهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه، عن التمادى فيها، والزيادة منها، فهو أبدا فى زيادة من ركوب الإثم ، والشيطان يزيده أبدا ، لا يُقْصِر الإنسيّ عن شيء من ركوب الفواحش ، ولا الشيطانُ من مدّه منه .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) قال : لا الإنسُ يقصرون عما يعملون من السيئات ، ولا الشياطين تمسك عنهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) يقول : هم الجنّ يوحون إلى أوليائهم من الإنس ، ثم لا يُقصرون ، يقول : لا يسأمون .

حدثنا محمد بن الحسين، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدّىّ (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ) إخوان الشياطين من المشركين ، يمدّهم الشيطان فى الغيّ (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير وإخوانهم من الجن، يمدّون إخوانهم من الإنس، ثم لا يقصرون ، ثم يقول لا يقصر الإنسانُ . قال : والمدّ الزيادة، يعنى : أهل الشرك ، يقول : لا يقصر أهل الشرك، كما يقصر الذين اتقوا، لأنهم لا يحجزهم الإيمان . قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَإِخْوَانُهُمْ) من الشياطين (يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ، ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) استجهالا يمدّون أهل الشرك . قال ابن جريج : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال : فهؤلاء الإنس يقول الله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَيِّ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وإخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُم فِي الغَيِّ ثُمَّ لايُقْصِرُونَ) قال : إخوان الشياطين يمدّهم الشياطين فى الغىّ ، ثم لايقصرون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وإخْوَانُهُمْ) من الشياطين (يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ) استجهالا .

وكان بعضهم يتأوّل قوله (ثُمَّ لايُقْصِرُونَ) بمعنى : ولا الشياطين يُقْصِرون فى مدّهم إخوانهم من الغىّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لايُقْصِرُونَ) عنهم ، ولا يرحمونهم .

قال أبو جعفر : وقد بيّنا أَوْلَى التأويلين عندنا بالصواب ، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول فى ذلك ، على ما بيّناه ، لأن الله وصف فى الآية قبلها أهل الإيمان به ، وارتداعهم عن معصيته ، وما يكرهه إلى محبته ، عند تذكرهم عظمته ، ثم أتبع ذلك الخبر عن إخوان الشياطين ، وركوبهم معاصيه ، وكان الأولى وصفهم بتماديهم فيها ، إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها .

وأما قوله (يَمُدُّونَهُمْ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأه بعض المدنيين (يُمِدُّونَهُمْ) بضم الياء من أمددت ، وقرأته عامة قرّاء الكوفيين والبصريين (يَمُدُّونَهُمْ) بفتح الياء من مددت .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : (يَمُدُّونَهُمْ) بفتح الياء ، لأن الذى يمدّ الشياطينُ إخوانهم من المشركين ، إنما هو زيادة من جنس الممدود ، وإذا كان الذى مدّ من جنس الممدود ، كان كلام العرب : مددت لا أمددت .

وأما قوله (يُقْصِرُونَ) فإن القرّاء على لغة من قال : أَقْصرت أُقصِر ، وللعرب فيه لغتان : قصرت عن الشىء ، وأقصرت عنه .

القول فى تأويل قوله

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ ، قَالُوا : لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ؛ قُلْ : إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي ؛ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله (قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) : يقول قالوا : هلا اخترتها واصطفيتها ، من قول الله تعالى (وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) يعنى : يختار ويصطفى . وقد بينا ذلك فى مواضعه بشواهده :

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: هلا افتعلتها من قِبَل نفسك واختلقتها؟ بمعنى: هلا اجتبيتها اختلاقا؟ كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر، وتخيره اختلاقا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) أى لولا أتيتنا بها من قِبَل نفسك؟ هذا قول كفار قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله: (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قالوا: لولا اقتضبتها، قالوا: تخرجها من نفسك.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قالوا: لولا تقولتها، جئتَ بها من عندك.

حدثنى المثنى، قال: ثنى عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا تلقيتها. وقال مرة أخرى: لولا أحدثتها فأنشأتها.

حدثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (قَالُوا: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا أحدثتها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قال: لولا جئت بها من نفسك.

وقال آخرون: معنى ذلك: هلا أخذتها من ربك، وتقبلتها منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا تقبلتها من الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا تلقيتها من ربك.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عُبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا أخذتها أنت، فجئت بها من السماء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك: تأويل من قال تأويله: هلا أحدثتها من نفسك، لدلالة قول الله (قُلْ: إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي، هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) يبين ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه، أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه، ويوحيه إليه، لأنه يحدث من قِبَل نفسه قولا، وينشئه، فيدعو الناس إليه.

وحُكى عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيتُ الكلام واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قِبَل نفسك.

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا القاسم عنه ، قال أبو عبيد ، وكان أبو زيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام يبديه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه . قال أبو عبيد : واخترعه مثل ذلك .

القول في تأويل قوله (قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي، هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) :

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل: يا محمد للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية : هلا أحدثتها من قِبَل نفسك : إن ذلك ليس لي ، ولا يجوز لي فعله ، لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليّ من عنده ، فإنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي ، لأني عبده ، وإلى أمره أنتهي ، وإياه أطيع ، (هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم بصائر من ربكم ، يقول : حُجج عليكم ، وبيان لكم من ربكم ، واحدتها : بصيرة ، كما قال جلّ ثناؤه (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وإنما ذكر هذا ووحّد في قوله (هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي ، وقوله (وَهُدًى) يقول : وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم ، ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين ، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : هو بصائر من الله وهُدًى ورحمة لمن آمن ، يقول : لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه ، وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده ، وكفر به بل هو على الذين لا يؤمنون به غمّ وخزي .

القول في تأويل قوله

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)

﴿ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، المصدّقين بكتابه ، الذين القرآن لهم هدى ورحمة : (إِذَا قُرِئَ) عليكم أيها المؤمنون (الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) يقول : أصغوا له سمعكم ، لتتفهّموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه . وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه ، ولا تَلْغَوا فيه ، فلا تعقلوه . (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعِبَره ، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيه .

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له ، فقال بعضهم : ذلك حال كون المصلّي في الصلاة خَلْف إمام يأتمّ به ، وهو يسمع قراءة الإمام ، عليه أن يسمع لقراءته ، وقالوا : في ذلك أنزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيّب بن رافع ، قال : كان عبد الله يقول : كنا يُسلم بعضنا على بعض في الصلاة ، سلام على فلان ، وسلام على فلان ، قال : فجاء القرآن (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن إبراهيم الهَجَرِيّ عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : كانوا

يتكلمون فى الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ) والآية الأخرى ، أُمروا بالإنصات .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهرىّ ، قال : نزلت هذه الآية فى فتى من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئا قرأه ، فنزلت (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن داود بن أبى هند ، عن بشير بن جابر ، قال : صلّى ابن مسعود ، فسمع ناسا يقرءون مع الإمام ، فلما انصرف ، قال : أما آن لكم أن تفقهوا ، أما آن لكم أن تعقلوا ! (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) كما أمركم الله .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا الجريرىّ ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ، قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح يتحدثان ، والقاصّ يقصّ ، فقلت : ألا تستمعان إلى الذكر ، وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلىّ ، ثم أقبلا على حديثهما ، قال : فأعدت ، فنظرا إلىّ ، ثم أقبلا على حديثهما ، قال : فأعدت الثالثة ، قال : فنظرا إلى ، فقالا : إنما ذلك فى الصلاة (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : سمعت الأوزاعىّ ، قال : ثنا عبد الله بن عامر ، قال : ثنى زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : نزلت فى رفع الأصوات ، وهم خَلْفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد فى قوله (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن رجل ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ القرآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت حميدا الأعرج ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة .

قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا حميد ، عن مجاهد بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، وعن حجاج ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد ، وعن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير (وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد فى الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا المحاربيّ وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : فى الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا جرير وابن فُضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : فى الصلاة المكتوبة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) قال : كانوا يتكلمون فى صلاتهم بحوائجهم أوّل ما فُرِضت عليهم ، فأنزل الله ما تسمعون (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) قال : كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم : كم صليتم ؟ كم بقى ؟ فأنزل الله (وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) وقال غيره : كانوا يرفعون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار ، فأنزل الله (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربيّ ، عن أشعث ، عن الزهريّ ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ ، ورجل يقرأ ، فنزلت (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الهَجَرَيّ عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : كانوا يتكلمون فى الصلاة ، فلما نزلت (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) قال : هذا فى الصلاة .

قال : ثنا أبي ، عن حُرَيث ، عن عامر ، قال : فى الصلاة المكتوبة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا) قال : إذا قرئ فى الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ) يعنى : فى الصلاة المفروضة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : هذا فى الصلاة فى قوله (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ) .

قال : أخبرنا الثوريّ ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كره إذا مرّ الإمام بآية خوف أو بآية رحمة ، أن يقول أحد ممن خلفه شيئا ، قال : السكوت .

قال : أخبرنا الثوريّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لابأس إذا قرأ الرجل فى غير الصلاة أن يتكلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) قال : هذا إذا قام الإمام للصلاة ، فاستمعوا له وأنصتوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهريّ ، قال : لايقرأ مَن وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة ، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يُسمعهم صوته ، ولكنهم يقرءون فيما لم

يجهر به سرًا فى أنفسهم ، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرًا ولا علانية ، قال الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لَهيعة ،عن ابن هبيرة ، عن ابن عباس أنه كان يقول فى هذه (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) : هذا فى المكتوبة . وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك ، فإنما هى نافلة ، إن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى صلاة مكتوبة ، وقرأ أصحابه وراءه ، فخلطوا عليه ، قال : فنزل القرآن (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ، فهذا فى المكتوبة .

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام فى الخطبة ، إذا قرئ القرآن فى خطبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : الإنصات للإمام يوم الجمعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد وابن أبى عتبة ، عن العوّام ، عن مجاهد ، قال فى خطبة يوم الجمعة

وقال آخرون : عَنَى بذلك : الإنصات فى الصلاة ، وفى الخطبة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت إبراهيم ابن أبى حرة ، يحدث أنه سمع مجاهدا يقول فى هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : فى الصلاة ، والخطبة يوم الجمعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عطاء ، قال : وجب الصموت فى اثنتين : عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلى ، وعند الإمام وهو يخطب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) وجب الإنصات ، قال : وجب فى اثنتين : فى الصلاة والإمام يقرأ ، والجمعةِ والإمام يخطب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال هشيم ، أخبرنا من سمع الحسن يقول : فى الصلاة المكتوبة ، وعند الذكر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : وجب الإنصات فى اثنتين : فى الصلاة ، ويوم الجمعة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد ، قال : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله :(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : الإنصات : يوم الأضحى ، و يوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة.

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الربيع بن صبيح عن الحسن ، قال : في الصلاة ، وعند الذكر .

حدثنا ابن البرقيّ ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : ثني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : أوجب الإنصاتَ يوم الجمعة قولُ الله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وفي الصلاة مثل ذلك .

﴿ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام ، وكان مَنْ خلفه ممن يأتمّ به يسمعه ، وفي الخطبة .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذَا قَرَأَ الإمامُ فَأَنْصِتُوا » ، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة ، الاستماع والإنصات لها ، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لاوقت يجب على أحد استماع القرآن ، والإنصات لسامعه من قارئه ، إلا في هاتين الحالتين ، على اختلاف في إحداهما ، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتمّ به ، وقد صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله « إذَا قَرَأَ الإمامُ فَأَنْصِتُوا » فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته ، بعموم ظاهر القرآن ، والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله

وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)

﴿ يقول تعالى ذكره : واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن ، إذا قرئ في صلاة ، أو خطبة (رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) يقول : اتعظ بما في آي القرآن ، واعتبر به ، وتذكّر معادك إليه عند سماعكه : (تَضَرُّعاً) . يقول : افعل ذلك تخشّعا لله ، وتواضعا له (وَخِيفَةً) يقول : وخوفا الله من أن يعاقبك على تقصير يكون منك ، في الاتعاظ به والاعتبار ، وغفلة عما بيّن الله فيه من حدوده ، (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) يقول : ودعاء باللسان لله في خفاء لاجهار . يقول : ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار ، ولكن في خفاء من القول .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) لايجهر بذلك .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) . . . الآية ، قال : أمروا أن يذكروه في الصدور تضرّعا وخيفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمىّ ، عن أبيه ، عن حيان بن عمير ، عن عبيد بن عمير ، فى قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) قال: يقول اللهُ : إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإذا ذكرنى عبدى وحده ذكرته وحدى ، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى أحسنَ منهم وأكرم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) قال : يؤمر بالتضرّع فى الدعاء والاستكانة ، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء .

وأما قوله (بِالغُدُوِّ والآصالِ) فإنه يعنى بالبُكَر والعشيات . وأما الآصال فجمع .

واختلف أهل العربية فيها ، فقال بعضهم : هى جمع أصيل ، كما الأيمان جمع يمين ، والأسرار جمع سرير . وقال آخرون منهم : هى جمع أصل ، والأصل: جمع أصيل . وقال آخرون منهم: هى جمع أُصُل وأصيل . قال : وإن شئت جعلت الأصل جمعا للأصيل ، وإن شئت جعلته واحدا . قال : والعرب تقول : قد دنا الأصل ، فيجعلونه واحدا .

وهذا القول أولى بالصواب فى ذلك ، وهو أنه جائز أن يكون جمع أُصُل وأصل ، لأنهما قد يجمعان على أفعال . وأما الآصال فهى فيما يقال فى كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب .

وأما قوله (وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ) فإنه يقول : ولا تكن من اللاهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعِبَره ، وما فيه من عجائبه ، ولكن تدبر ذلك وتفهمه ، وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له ، وخوف من قدرة الله عليك ، إن أنت غفلت عن ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بِالغُدُوِّ والآصَالِ) قال: بالبُكَر والعشىّ (وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا معرّف بن واصل السعدىّ ، قال : سمعت أباوائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس : آصلنا بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ، قوله (بِالغُدُوِّ والآصَالِ) قال : الغدوّ : آخر الفجر صلاة الصبح ، والآصال : آخر العشىّ صلاة العصر ، قال : وكل ذلك لها وقت أوّل الفجر وآخره ، وذلك مثل قوله فى سورة آل عمران (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً ، وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكارِ) وقيل : العشىّ : ميل الشمس إلى أن تغيب ، والإبكار : أول الفجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن صلاة الفجر ، فقال : إنها لفى كتاب الله ، ولا يقوم عليها [1] ، ثم قرأ (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) . . . الآية .

---

(١) قوله ولا يقوم عليها : كذا بالأصل ، ولعل الساقط : إلا مؤمن ، أو نحو ذلك ، وحرر الرواية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) . . . إلى قوله (بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) أمر الله بذكره ، ونهى عن الغفلة . أما بالغدوّ : فصلاة الصبح ، والآصال : بالعشيّ .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) *

❊ يقول تعالى ذكره : لاتستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن، عن عبادة ربك، واذكره إذا قرئ القرآن تضرّعا وخيفة ، ودون الجهر من القول ، فإن الذين عند ربك من ملائكته، لايستكبرون عن التواضع له، والتخشع ، وذلك هو العبادة (وَيُسَبِّحُونَهُ) يقول : ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) يقول : ولله يصلون ، وهو سجودهم ، فصلوا أنتم أيضا له،وعظموه بالعبادة ، كما يفعله من عنده من ملائكته .

القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ، قُلِ : الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ،فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١)

اختلف أهل التأويل فى معنى الأنفال التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هى الغنائم ، وقالوا : معنى الكلام : يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التى غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر:لمن هى؟ فقل : هى لله ولرسوله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا وكيع ، قال :ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن عكرمة (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأنفال : المغنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : الغنائم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الأَنْفَال) قال : يعنى الغنائم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) الأنفال : الغنائم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الأنفال : الغنائم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : الغنائم .

وقال آخرون : هى أنفال السَّرايا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علىّ بن صالح بن حىّ ، قال : بلغنى فى قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : السرايا .

وقال آخرون : الأنفال ما شذّ من المشركين إلى المسلمين ، من عبد أو دابّة وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال : دابّة أو عبد أو متاع ، ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، يصنع فيه ما شاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : هى ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال ، من عبد أو أمة أو متاع أو نَفَل ، فهو للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، يصنع فيه ما شاء .

قال : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، أن ابن عباس سُئل عن الأنفال ، فقال : السَّلَب والفرس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ويقال : الأنفال : ما أُخذ مما سقط من المتاع ، بعد ما تقسم الغنائم ، فهى نَفَل لله ولرسوله .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى عثمان بن أبى سليمان ، عن محمد بن شهاب ، أن رجلا قال لابن عباس : ما الأنفال ؟ قال : الفرس والدرع والرمح .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : قال ابن جريج ، قال عطاء : الأنفال : الفرس الشاذّ ، والدرع ، والثوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن ابن عباس ، قال كان ينفّل الرجل فرس الرجل وسَلَبه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن القاسم بن محمد ، قال : سمعت رجلا سأل ابن عباس عن الأنفال ، فقال ابن عباس : الفرس من النَّفَل ، والسَّلَب من النفل ، ثم عاد لمسألته ، فقال ابن عباس ذلك أيضا ، ثم قال الرجل : الأنفال التى قال الله فى كتابه : ما هى ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صُبَيْغ[1] الذى ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن القاسم ابن محمد ، قال : قال ابن عباس : كان عمر رضى الله عنه إذا سئل عن شىء ، قال : لا آمرك ولا أنهاك ، ثم قال ابن عباس : " والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلا زاجرا آمرا محلّلا محرّما ؛ قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال ، فقال ابن عباس : كان الرجل ينفّل فرس الرجل ، وسلاحه ، فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مَثَل هذا ؟ مَثَل صُبيغ الذى ضربه عمر ، حتى سالت الدماء على عقبيه ، أو على رجليه ، فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ) قال : يسألونك فيما شذّ من المشركين إلى المسلمين فى غير قتال ، من دابّة أو عبد ، فهو نَفَل للنبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : النَّفَل : الخمس الذى جعله الله لأهل الخمس .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ) قال : هو الخمس ، قال : المهاجرون : لم يرفع عنا هذا الخمس ؟ لم يخرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن الحجاج ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أنهم سألوا النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ) .

(١) هو صبيغ كأمير بن شريك بن المنذر بن يربوع التميمى ، كان يعنت الناس بالنوامض والسؤالات من متشابه القرآن ، فنفاه عمر إلى البصرة .

* قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى معنى الأنفال : قول من قال : هى زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أوجميعهم ، إما من سَلَبه على حقوقهم من القسمة ، وإما مما وصل إليه بالنفل ، أو ببعض أسبابه ، ترغيبا له ، وتحريضا لمن معه من جيشه ، على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين ، وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس : من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء : من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الإمام ، إذا لم يكن ماوصلوا إليه لغلبة وقهر ، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر .

* وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن النَّفَل فى كلام العرب : إنما هو الزيادة على الشىء ، يقال منه : نَفَّلتك كذا ، وأَنفلتك : إذا زدتك ، والأنفال : جمع نَفَل ؛ ومنه قول لبيد بن ربيعة :

إنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِى وَعَجَلْ [1]

فإذ كان معناه ماذكرنا ، فكلّ من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ، إن كان ذلك لبلاء أبلاه ، أو لغَنَاء كان منه عن المسلمين ، بتنفيل الوالى ذلك إياه ، فيصير حكم ذلك له كالسلَب الذى يسلبه القاتل ، فهو منفَّل ما زيد من ذلك ، لأن الزيادة وإن كانت مستوجَبة فى بعض الأحوال بحقّ ، فليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة ، وكذلك كلّ مارُضِخَ لمن لاسهم له فى الغنيمة فهو نَفَل ، لأنه وإن كان مغلوبا عليه ، فليس مما وقعت عليه القسمة ، فالفصل ، إذ كان الأمر على ما وصفنا ، بين الغنيمة والنفل : أن الغنيمة هى ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلَبة وقهر ، نُفِّل منه مُنَفَّل ، أو لم ينفَّل ؛ والنَّفَل : هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغَنَاء عن الجيش على غير قسمة . وإذ كان ذلك معنى النفَل ، فتأويل الكلام : يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذى تقع فيه القسمة ، من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر ، لمن هو؟ قل لهم يامحمد : هو لله ولرسوله دونكم ، يجعله حيث شاء .

واختلف فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى غنائم بدر ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان نَفَّل أقواما على بلاء ، فأبلى أقوام وتخلَّف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب ، فأنزل الله هذه الآية على رسوله ، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماضٍ جائز .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود بن أبى هند يحدث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَتَى مَكانَ كَذَا وكَذَا ، فَلَهُ كَذَا وكَذَا ، أوْ فَعَلَ كَذَا وكَذَا ، فَلَهُ كَذَا وكَذَا ، فتسارع إليه الشبان ، وبقى الشيوخ عند

(١) البيت فى ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٨٩١ ص ١١) و (اللسان : نفل) قال : النفل بالتحريك : الغنيمة والهبة ، قال لبيد : إن تقوى . . . البيت ، والجمع : أنفال ونفال . والريث : البطء ، وهو ضد العجل .

الرايات ، فلما فتح الله عليهم ، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم الأشياخ : لاتذهبوا به دوننا ، فأنزل الله عليه الآية (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَنَعَ كَذَا وكَذَا ، فلَهُ كَذَا وكَذَا » قال : فتسارع فى ذلك شبان الرجال ، وبقيت الشيوخ تحت الرايات ؛ فلما كانت الغنائم ، جاءوا يطلبون الذى جعل لهم ، فقالت الشيوخ : لاتستأثروا علينا ، فإنا كنا ردءًا لكم ، وكنا تحت الرايات ، ولو انكشفتم لفئتم إلينا ، فتنازعوا ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ، قُلِ : الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يومُ بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَعَلَ كَذَا فلَهُ كَذَا وكَذَا مِنَ النَّفَلِ » قال : فتقدّم الفتيان ، ولزم المَشْيَخة الراياتِ ، فلم يبرحوا ، فلما فتح عليهم ، قالت المشيخة : كنا ردءًا لكم ، فلو انهزمتم انحزتم إلينا ، لاتذهبوا[1] بالمغنم دوننا ، فأبى الفتيان وقالوا : جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ، قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : فكان ذلك خيرا لهم ، [2] وكذلك أيضا أطيعونى فإنى أعلم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة فى هذه الآية : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ، قُلِ : الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : لما كان يوم بدر ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَنَعَ كَذَا فلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا » ، فخرج شبان من الرجال ، فجعلوا يصنعونه ، فلما كان عند القسمة ، قال الشيوخ : نحن أصحاب الرايات ، وقد كنا ردءًا لكم ، فأنزل الله فى ذلك (قُلِ : الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب الزبيرىّ ، قال : ثنى المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحول مولى هُذَيل ، عن أبى سلام ، عن أبى أمامة الباهلىّ ، عن عُبادة ابن الصامت ، قال : أنزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) . . . إلى قوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأسدىّ ، عن مكحول ، عن أبى أمامة الباهلىّ ، قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ وفى القرطبى (٧ : ٣٦٤) : لاتذهبون ، بالنون .

(٢) المعطوف هنا لم يسبقه معطوف عليه ، وفى العبارة شىء ساقط ، ولكنها كذلك جاءت فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ .

من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن سواء ، يقول : على السواء ، فكان فى ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاح ذات البين .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآية ، لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيئا قبل قسمتها ، فلم يعطه إياه ، إذ كان شِرْكا بين الجيش، فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى إسماعيل بن موسى السُّدىّ ، قال : ثنا أبوالأحوص، عن عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف ، فقلت : يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله به من المشركين ، فسألته إياه، فقال : ليس هذا لى ولا لك ، قال: فلما وليتُ ، قلت: أخاف أن يعطيه من لم يُبْل بلائى ،فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى ، قال : فقلت : أخاف أن يكون نزل فىّ شىء ، قال : إن السيف قد صار لى ، قال : فأعطانيه ، ونزلت (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبوبكر ، قال : ثنا عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر ، جئت بسيف ، قال : فقلت : يا رسول الله! إن الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا ، فهب لى هذا السيف ، فقال لى : هَذَا لَيْسَ لى وَلا لَك ، فرجعت فقلت : عسى أن يُعْطَى هذا من لم يُبْل بَلائى ، فجاءنى الرسول ، فقلت : حَدَثَ فىّ حدث ، فلما انتهيت ، قال : يا سَعْدُ إنَّكَ سألْتَنِى السَّيْفَ ، وَلَيْسَ لى ، وَإنَّهُ قَدْ صَارَ لى ، فَهُوَ لَكَ » . ونزلت (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ ، قُلِ : الأنفالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ،عن سِماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : أصبت سيفا يوم بدر ، فأعجبنى ، فقلت : يا رسول الله هبه لى ، فأنزل الله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ . قُلِ : الأنفالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع ، قال ابن المثنى ، ثنى معاوية ، وقال ابن وكيع : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا الشيبانىّ ، عن محمد بن عبيد الله ، عن سعد بن أبى وقّاص ، قال :لما كان يوم بدر قتل أخى عمير ، وقتلت سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه ، وكان يسمى ذا الكُتَيفة ، فجئت به إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « اذْهَبْ فاطْرَحْهُ فى القَبَض، فطرحته ورجعت ، وبى ما لايعلمه إلا الله، من قتل أخى ، وأخذ سَلَبى ؛ قال : فما جاوزت إلا قريبا، حتى نزلت عليه سورة الأنفال ، فقال : اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ » ولفظ الحديث لابن المثنى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة جميعا ، عن محمد ابن إسحاق ، قال: ثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن قيس بن ساعدة ، قال : سمعت أبا أسيد بن مالك بن

ربيعة، يقول : أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر، وكان السيف يدعى المرزُبان ؛ فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما في أيديهم من النفَل، أقبلت به ، فألقيته في النفَل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمنع شيئا يُسأله، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزوميّ، فسأله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه.

حدثني يحيى بن جعفر، قال : ثنا أحمد بن أبي بكر، عن يحيى بن عمران، عن جده عثمان بن الأرقم، عن عمه، عن جده، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : رُدُّوا ما كانَ مِنَ الأنْفالِ ، فوضع أبو أسيد الساعديّ سيف بن عائذ المَرْزُبان ، فعرفه الأرقم ، فقال : هبه لي يا رسول الله ، قال : فأعطاه إياه .

حدثنا محمد بن المثنى، قال : ثنا محمد بن جعفر، قال : ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال : أصبت سيفا، قال : فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله، نَفِّلْنيه ، فقال : ضَعْهُ ، ثم قام فقال : يارسول الله نفلنيه ، قال : ضَعْهُ ، قال : ثم قام فقال : يا رسول الله ، نفلنيه ، أُجْعَل كمن لاغناء له ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أخَذْتَهُ ، فنزلت هذه الآية (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ ، قُلِ : الأنْفالُ لِلهِ والرَّسُولِ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد، عن سعد ، قال : أخذت سيفا من المغنم ، فقلت : يا رسول الله ، هب لي هذا ، فنزلت (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، في قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) قال : قال سعد : كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعطني هذا السيف يا رسول الله ، فسكت فنزلت : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) . . . إلى قوله (إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال : فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل نزلت، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر ، فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ، ليس لهم فيه شيء . وقالوا : معنى « عن » في هذا الموضع « من » وإنما معنى الكلام : يسئلونك مِنَ الأنفال، وقالوا : قد كان ابن مسعود يقرؤه (يَسْئَلُونَكَ الأنْفالَ) على هذا التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، قال : كان أصحاب عبد الله يقرءونها (يَسألُونَكَ الأنْفالَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هي في قراءة ابن مسعود (يَسألُونَكَ الأنْفالَ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ ، قُلِ الأنْفالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ) قال : الأنفال : المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، ليس لأحد منها شيء ، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به ، فمن حبَس منه إبرة أو سلكا فهو غُلول ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها ، قال الله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ ؟ قُلِ الأنْفالُ) لى ، جعلتها لرسولى ، ليس لكم فيها شيء (فاتَّقُوا اللهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، ثم أنزل الله (واعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ) ، ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن سمى فى الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) قال : نزلت فى المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا ، قال : واختلفوا فكانوا أثلاثا ، قال : فنزلت : (يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ ؟ قُلِ الأنْفالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ) وملكه الله رسوله ، فقسمه كما أراه الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن الناس سألوا النبىّ صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر ، فنزلت : (يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) .

قال : ثنا عباد بن العوام ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) قال : يسألونك أن تُنَفِّلَهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، فى قوله (يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ) قال : يسألونك الأنفال .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى أخبر فى هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يعطيهموها ، فأخبرهم الله أنها لله ، وأنه جعلها لرسوله ، وإذا كان ذلك معناه ، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذى ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه ، وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قَسْم ذلك بين الجيش .

واختلفوا فيها ، أمنسوخة هى أم غير منسوخة ؟ فقال بعضهم : هى منسوخة ، وقالوا : نسخها قوله (وَاعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، قالا : كانت الأنفال لله وللرسول فنسخها (وَاعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يَسْئَلُونَكَ

عَنِ الأَنْفَالِ) قال : أصاب سعد بن أبى وقاص يوم بدر سيفا ، فاختصم فيه وناس معه ، فسألوا النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخذهالنبىّ صلى الله عليه وسلم منهم ، فقال الله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ، قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ والرَّسُولِ) . . . الآية ، فكانت الغنائم يومئذ للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة ، فنسخها الله بالخمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى سليم مولى أم محمد ، عن مجاهد ، فى قوله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) قال : نسخها (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، أو عكرمة وعامر ، قالا : نسخت الأنفالُ (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ) .

وقال آخرون : هى مُحكمة وليست منسوخة .

وإنما معنى ذلك : قل الأنفال لله ، وهى لاشكّ لله مع الدنيا بما فيها والآخرة ، وللرسول يضعها فى مواضعها التى أمره الله بوضعها فيها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) فقرأحتى بلغ (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فسلموا لله ولرسوله ، يحكمان فيها بما شاءا ، ويضعانها حيث أرادا ، فقالوا : نعم ، ثم جاء بعد الأربعين (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ) . . . الآية ، ولكم أربعة أخماس . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « وَهَذَا الخُمُسُ مَرْدُودٌ على فُقَرائِكُمْ ، يَصْنَعُ اللهُ وَرَسُولُهُ فى ذلكَ الخُمُسِ ما أَحَبَّا ، وَيَضَعانِهِ حَيْثُ أَحَبَّا ، ثم أخبرنا الله بالذى يجب من ذلك ، ثم قرأ الآية (لِذِى القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ، كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) » .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه صلى الله عليه وسلم يُنَفِّل من شاء ، فنفل القاتل السَّلَب ، وجعل للجيش فى البداءة الربع ، وفى الرجعة الثلث بعد الخمس ، ونفَّل قوما بعد سُهمانهم بعيرا بعيرا فى بعض المغازى ، فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفّل على ما يرى ، مما فيه صلاح المسلمين ، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته فى ذلك ، وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ ، لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذى وصفت ، وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، فقد دللنا فى غير موضع من كتبنا ، على أن لامنسوخ إلا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ، ينفيه من كلّ معانيه ، أويأتى خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر . وقد ذُكر عن سعيد بن المسيب ، أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تأويلا منه لقول الله تعالى (قُلِ الأَنْفالُ لِلّهِ والرَّسُولِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، قال : أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء ، فقال : إنكم أرسلتم إليّ تسألونى عن الأنفال ، فلا نَفَل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بيّنا أن للأئمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيهم بفعله، فينفّلوا على نحو ما كان ينفل ، إذا كان التنفيل صلاحا للمسلمين .

القول فى تأويل قوله (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) :

يقول تعالى ذكره : فخافوا الله أيها القوم ، واتقوه بطاعته ، واجتناب معاصيه ، وأصلحوا الحال بينكم .

واختلف أهل التأويل فى الذي عنى بقوله (وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) فقال بعضهم : هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر ،وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،إذا اختلفوا فى الغنيمة ، أن يردّوا ما أصابوا منها بعضُهم على بعض .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : كان نبيّ الله ينفّل الرجل من المؤمنين ،سَلَبَ الرجل من الكفار إذا قتله ،ثم أنزل الله (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) : أمرهم أن يردّ بعضُهم على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كان ينفّل الرجل على قدر جِدّه وغنائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوّة بالغنائم ، فذكروا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ليردّ أهل القوّة على أهل الضّعف .

وقال آخرون : هذا تحريج من الله على القوم ،وَنَهْى لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه ،من أمر الغنيمة وغيره .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمارة ، قال: ثنا خالد بن يزيد ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قالا : ثنا أبو إسرائيل ، عن فُضيل ، عن مجاهد، فى قول الله (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : حَرَّج عليهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن سفيان بن حسين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : هذا تحريج من الله على المؤمنين ،أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم ، قال عباد ، قال سفيان : هذا حين اختلفوا فى الغنائم يوم بدر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) : أى لاتستبوا .

واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث البين . فقال بعض نحويّ البصرة : أضاف ذات إلى البين ، وجعله ذاتا ، لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضا يذكر نحو الدار والحائط ، أنث الدار وذكر الحائط . وقال بعضهم : إنما أراد بقوله (ذَاتَ بَيْنِكُمْ) : الحال التى للبين ، فقال : وكذلك ذات العشاء ، يريد الساعة التى فيها العشاء . قال : ولم يضعوا مذكرا لمؤنث ، ولا مؤنثا لمذكر إلا لمعنى .

قال أبو جعفر : هذا القول أولى القولين بالصواب ، للعلة التى ذكرتها له .

وأما قوله (وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) فإن معناه : وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال ، إلى أمر الله وأمر رسوله ، فيما أفاء الله عليكم ، فقد بين لكم وجوهه وسُبُله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدّقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاءا ، ويضعانها حيث أرادا .

القول فى تأويل قوله

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُ ، زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : ليس المؤمن بالذى يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباع ما أنزله إليه فى كتابه من ، حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ، ولكن المؤمن هو الذى إذا ذكر الله وجِل قلبه ، وانقاد لأمره ، وخضع لذكره ، خوفا منه ، وفرَقا من عقابه ، وإذا قُرئت عليه آيات كتابه صدّق بها ، وأيقن أنها من عند الله ، فازداد بتصديقه بذلك ، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك ، تصديقا ، وذلك هو زيادة ما تُلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وبالله يُوقنون ، فى أن قضاءه فيهم ماضٍ ، فلا يرجون غيره ، ولا يرهبون سواه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال : المنافقون لايدخل قلوبهم شىء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشىء من آيات الله ، ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلّون إذا غابوا ، ولا

يؤدّون زكاة أموالهم ، فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين ، فقال : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) فأدّوا فرائضه (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) يقول : تصديقا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : لايرجون غيره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فَرِقت .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان، عن السدىّ (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)قال : إذا ذكر الله عند الشيء وَجِل قلبه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال: ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) يقول : إذا ذكر الله وجل قلبه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فَرِقت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) : فرقت .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : سمعت السدىّ يقول فى قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال : هو الرجل يريد أن يظلم ، أو قال: يَهُمّ بمعصية ، أحسبه قال : فينزِع عنه .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال :ثنا سفيان الثورىّ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حَوْشب ،عن أبى الدرداء ، فى قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال : الوَجَل فى القلب كإحراق السَّعَفَة . أما تجد له قُشَعْريرة ؟ قال : بلى ،قال :إذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله ، فإن الدعاء يذهب بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِين إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال: فَرَقا من الله ، ووجلا من الله ، وخوفا من الله تبارك وتعالى .

وأما قوله (زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) فقد ذكرت قول ابن عباس فيه .

وقال غيره فيه : ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) قال : خشية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً،وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال: هذا نعت أهل الإيمان ، فأثبت نعتهم ووصفهم ، فأثبت صفتهم .

القول فى تأويل قوله

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ، وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : الذين يؤدّون الصلاة المفروضة بحدودها ، و ينفقون مما رزقهم الله من الأموال ، فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه ، من زكاة وجهاد ، وحجّ وعمرة ، ونفقة على من تجب عليهم نفقته ، فيؤدّون حقوقهم. (أُولَئِكَ) يقول : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال ، (هُمُ المُؤْمِنُونَ) لا الذين يقولون بألسنتهم : قد آمنا ، وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا ، لايقيمون صلاة ، ولا يؤدّون زكاة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) يقول : الصلواتِ الخمسَ (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول : زكاة أموالهم (أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا) يقول : برئوا من الكفر . ثم وصف الله النفاق وأهله ، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا) فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا ، وجعل الكافر كافرا حقا ، وهو قوله (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ ، فَمِنْكُمْ كَافِرٌ ، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا) قال : استحقوا الإيمان بحقّ ، فأحقه الله لهم .

القول فى تأويل قوله (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (لَهُمْ دَرَجَاتٌ) لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ، درجاتٌ ، وهى مراتب رفيعة .

ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الدرجات التى ذكر الله أنها لهم عنده ما هى ؟ فقال بعضهم : هى أعمال رفيعة ، وفضائل قدّموها فى أيام حياتهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القتّات ، عن مجاهد (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : أعمال رفيعة .

وقال آخرون : بل ذلك مراتب فى الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن جَبَلَة ، عن عطية ، عن

ابن محيريز (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِم) قال: الدرجات سبعون درجة، كل درجة حُضْر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة . وقوله (وَمَغْفِرَةٌ) يقول : وعفو عن ذنوبهم ، وتغطية عليها (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قيل : الجنة ، وهو عندى ما أعدّ الله فى الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب ، وهنىء العيش .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، عن هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (وَمَغْفِرَةٌ) قال: للذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قال : الجنة .

القول فى تأويل قوله

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ (٥) يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)

اختلف أهل التأويل فى الجالب لهذه الكاف التى فى قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ)،وما الذى شبه بإخراج الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحقّ ، فقال بعضهم :شبه به فى الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم الله ورسوله . وقالوا : معنى ذلك : يقول الله : وأصلحوا ذات بينكم ، فإن ذلك خير لكم ، كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحقّ كان خيرا له .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال: ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة (فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ) . . . الآية : أى إن هذا خير لكم ، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيرا لك .

وقال آخرون : معنى ذلك : كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحقّ ،على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم يكرهون القتال ، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ) قال : كذلك يجادلونك فى الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ) كذلك يجادلونك فى الحقّ : القتال .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن وَرْقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ) ، قال : كذلك أخرجك ربك .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أنزل الله فى خروجه ، يعنى خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، ومجادلتهم إياه ، فقال(كَمَا أَخْرَجَكَ

رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ ،وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) لطلب المشركين (يُجادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ) .

اختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعض نحويّ الكوفيين : ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضى لأمره فى الغنائم ، على كُره من أصحابه ، كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون . وقال آخرون منهم :معنى ذلك: يسئلونك عن الأنفال مجادلة ، كما جادلوك يوم بدر ،فقالوا: أخرجتنا للعير . ولم تعلمنا قتالا فنستعدّ له . وقال بعض نحويّ البصرة : يجوز أن يكون هذا الكاف فى (كَمَا أَخْرَجَكَ) على قوله (أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً ، كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ) وقيل : الكاف بمعنى على .

وقال آخرون منهم : هى بمعنى القسم . قال : ومعنى الكلام . والذى أخرجك ربك .

قال أبو جعفر :وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب :قول من قال فى ذلك بقول مجاهد ، وقال معناه: كما أخرجك ربك بالحقّ ، على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك فى الحقّ بعد ما تبين ، لأن كلا الأمرين قد كان ، أعنى خروج بعض من خرج من المدينة كارها ، وجدا لهم فى لقاء العدوّ عند دنوّ القوم بعضهم من بعض،فتشبيه بعض ذلك ببعض،مع قرب أحد هما من الآخر: أولى من تشبيهه بما بعد عنه . وقال مجاهد فى الحقّ الذى ذكر أنهم يجادلون فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه ، هو القتال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يُجادِلُونَكَ فى الحَقِّ) قال : القتال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله (مِنْ بَيْتِكَ) : فإن بعضهم قال : معناه : من المدينة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال: ثنا أبو حذيفة ، قال:ثنا شبل ، عن ابن أبى بزّة (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ) المدينة إلى بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى محمد بن عباد ابن جعفر ، فى قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ) قال : من المدينة إلى بدر .

وأما قوله (وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) فإن كراهتهم كانت كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن مسلم الزهرىّ،وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ،ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشأم ، ندب إليهم المسلمين ،وقال : هذه عير

قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها، لعلّ الله أن ينفّلكموها ، فانتدب الناسُ، فخفّ بعضهم ، وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وإنَّ فَريقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ) : لطلب المشركين .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (يُجادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ) فقال بعضهم : عُنى بذلك : أهل الإيمان من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه إلى بدر للقاء المشركين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما شاور النبىّ صلى الله عليه وسلم فى لقاء القوم، وقال له سعد بن عُبادة ما قال، وذلك يوم بدر أمر الناس ، فتَعَبّوا للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، وكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ ، وَإنَّ فَرِيقا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ ، يُجادِلُونَكَ فِي الحَقّ بَعْدَما تَبَيَّنَ كأَنَّمَا يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر القوم ، يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسيرَهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عرف القوم أن قريشا قد سارت إليهم ، وأنهم إنما خرجوا يريدون العِير طمعا فى الغنيمة ، فقال (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ) . . . إلى قوله (لَكارِهُونَ) أى كراهية للقاء القوم ، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم .

وقال آخرون : عُنِى بذلك المشركون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (يُجادِلُونَكَ فِي الحَقّ بَعْدَما تَبَيَّنَ، كأَنَّمَا يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) قال: هؤلاء المشركون جادلوك فى الحقّ كأنما يساقون إلى الموت، حين يدعون إلى الإسلام. وهم ينظرون: قال : وليس هذا من صفة الآخَرِين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنى عبدالعزيز بن محمد ، عن ابن أخى الزهرىّ ، عن عمه ، قال : كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر : كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العير .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك: ما قاله ابن عباس وابن إسحاق ،من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين، أنهم كرهوا لقاء العدوّ، وكان جدالهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا : لم يعلمنا أنا نلقى العدوّ، فنستعدّ لقتالهم ، وإنما خرجنا للعير. ومما يدلّ على صحة قوله (وَإذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إحْدَى

الطَّائِفَتَيْنِ أَنها لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ، فى ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله ، أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين ، وأن جدالهم كان فى القتال ، كما قال مجاهد كراهية منهم له ، وأن لامعنى لما قال ابن زيد ، لأن الذى قبل قوله (يُجادِلُونَكَ فى الحَقِّ) خبر عن أهل الإيمان ، والذى يتلوه خبر عنهم ، فأن يكون خبرا عمّ ، أولى منه بأن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر .

وأما قوله (بَعْدَ ما تَبَيَّنَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : بعد ما تبين لهم أنك لاتفعل إلا ما أمرك الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (بَعْدَمَا تَبَيَّنَ) أنك لاتصنع إلا ما أمرك الله به .

وقال آخرون : معناه يجادلونك فى القتال بعد ما أمرت به .

ذكر من قال ذلك :

روى الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

وأما قوله (كأَنَّما يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) فإن معناه : كأن هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء ، العدوّ من كراهتهم للقائهم ، إذا دعوا إلى لقائهم للقتال ، يساقون إلى الموت .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (كأَنَّما يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) : أى كراهة للقاء القوم ، وإنكارا لمسير قريش حين ذُكِروا لهم .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧)

❁ يقول تعالى ذكره : واذكروا أيها القوم (إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) يعنى : إحدى الفرقتين : فرقة أبى سفيان بن حرب والعير ، وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم ؛ وقوله (أَنَّها لَكُمْ) يقول : أن ما معهم غنيمة لكم ، (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) : يقول : وتحبون أن تكون تلك الطائفة التى ليست لها شوكة ، يقول : ليس لها حدّ ، ولا فيها قتال ، أن تكون لكم ، يقول : تودّون أن تكون لكم العير التى ليس فيها قتال لكم ، دون جماعة قريش ، الذين جاءوا لمنع عيرهم ، الذين فى لقائهم القتال والحرب ، وأصل الشوكة : من الشوك ؛

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا علىّ بن نصر ، وعبد الوارث بن عبد الصمد، قالا : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة، عن عروة، أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش ، مقبلين من الشأم ، فسلكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه، وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ،فخرجوا لايريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لايرونها إلا غنيمة لهم ، لايظنون أن يكون كبير قتال إذا رأوهم ، وهى ما أنزل الله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهرىّ ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلّ قد حدثنى ، بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقْتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشأم ندب المسلمين إليهم ،وقال: هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعلّ الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس ،فخف بعضهم ، وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا . وكان أبوسفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ،ويسأل من لقى من الركبان، تخوّفا من الناس، حتى أصاب خبرا من بعض الركبان: أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك،فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، حتى بلغ واديا يقال له ذَفِران ، فخرج منه ،حتى إذا كان ببعضه ، نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ، ليمنعوا عيرهم ، فاستشار النبىّ صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قريش،فقام أبو بكر رضى الله عنه،فقال فأحسن، ثم قام عمر رضى الله عنه، فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض إلى حيث أمرك الله ، فنحن معك ، والله لانقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحقّ لئن سرت بنا إلى بِرْك الغماد،يعنى : مدينة الحبشة ، لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ثم دعا له بخير ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَشِيرُوا عَلَىَّ أَيُّها النَّاسُ ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة ، قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت فى ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ، ونساءنا ، فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لاتكون الأنصار ترى عليها نصرته،إلا ممن دَهَمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم ، قال : فلما قال ذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجَلْ . قال : فقد آمنَّا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحقّ إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته ، لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غدا ، إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله أن يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشّطه ذلك ، ثم قال : سِيرُوا على بَرَكَةِ اللهِ وأَبْشِرُوا ، فإنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الآنَ إلى مَصَارِعِ القَوْمِ غَدًا » .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ أن أبا سفيان أقبل فى عير من الشأم فيها تجارة قريش ، وهى اللطيمة ، فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس ، فخرجوا معه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا ، فبعث عينا له من جهينة ، حليفا للأنصار ، يُدعى ابن الأريقط ، فأتاه بخبر القوم ، وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعث إلى أهل مكة يستعينهم ، فبعث رجلا من بنى غفار ، يُدعى ضمضم بن عمرو ، فخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولا يشعر بخروج قريش ، فأخبره الله بخروجهم ، فتخوّف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا : إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا ، فأقبل على أصحابه ، فاستشارهم فى طلب العير ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : إنى قد سلكت هذا الطريق ، فأنا أعلم به ، وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا ، فسكت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد فشاورهم ، فجعلوا يشيرون عليه بالعير ؛ فلما أكثر المشورة ، تكلم سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، أراك تشاور أصحابك ، فيشيرون عليك ، وتعود فتشاورهم ، فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك ، وكأنك تتخوّف أن تتخلف عنك الأنصار ، أنت رسول الله ، وعليك أنزل الكتاب ، وقد أمرك الله بالقتال ، ووعدك النصر ، والله لا يخلف الميعاد ، امض لما أُمرت به ، فوالذى بعثك بالحقّ ، لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ، ثم قام المِقْداد بن الأسود الكِنْدىّ ، فقال : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) ولكنا نقول : اقْدِمْ فقاتل ، إنا معك مقاتلون ، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال : « إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي القَوْمَ وَقَدْ خَرَجُوا ، فَسِيرُوا إِلَيْهِمْ » ، فساروا » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : الطائفتان : إحداهما أبو سفيان بن حرب ، إذ أقبل بالعير من الشأم ، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش ، فكره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يلقوا العير ، وأراد الله ما أراد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) قال : أقبلت عِير أهل مكة ، يريد : من الشام

فبلغ أهل المدينة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فسارعوا السير إليها ، لايغلب عليها النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين ، فكانوا أن يلقَوُا العير ، أحبَّ إليهم ، وأيسر شوكة ، وأحضر مغنما ؛ فلما سبقت العير ، وفاتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين ، يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم ، لشوكة فى القوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : أرادوا العير ، قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الأوّل ، فأغار كُرْزُ بن جابر الفهرىّ ، يريد سَرْح المدينة ، حتى بلغ الصفراء ، فبلغ النبىّ صلى الله عليه وسلم فركب فى أثره ، فسبقه كُرز بن جابر ، فرجع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأقام سَنَته ، ثم إن أبا سفيان أقبل من الشأم فى عير لقريش ، حتى إذا كان قريبا من بدر ، نزل جبريل على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأوحى إليه (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) فنفر النبىّ صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين ، وهو يومئذ ثلاثُ مئة وثلاثةَ عشَر رجلا ، منهم سبعون ومئتان من الأنصار ، وسائرهم من المهاجرين ، وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبُطْم ، فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة ، فنفرت قريش وغضبت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : كان جبريل عليه السلام قد نزل ، فأخبره بمسير قريش ، وهى تريد عيرها ، ووعده : إما العير ، وإما قريشا ، وذلك كان ببدر ، وأخذوا السقاة وسألوهم ، فأخبروهم ، فذلك قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) هم أهل مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) . . . إلى آخر الآية ، خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وهم يريدون يعترضون عيرا لقريش ، قال : وخرج الشيطان فى صورة سُراقة بن جُعْشُم ، حتى أتى أهل مكة ، فاستغواهم وقال : إن محمدا وأصحابه قد عرضوا لعيركم ، وقال : لاغالب لكم اليوم من الناس من مِثْلكم ، وإنى جارٌ لكم ، أن تكونوا على مايكره الله ، فخرجوا ونادَوا أن لايتخلف منا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالرَّوْحاء عينا للقوم ، فأخبره بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَكُمُ العيرَ أوِ القَوْمَ ، فكانت العير أحبَّ إلىّ القوم من القوم ، كان القتال فى الشوكة ، والعير ليس فيها قتال ، وذلك قول الله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : الشوكة : القتال ، وغير الشوكة : العير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن لَهِيعة ، عن ابن أبي حبيب ، عن أبي عمران ، عن أبي أيوب ، قال : أنزل الله جلّ وعزّ (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ) فلما وعدَنا إحدى الطائفتين أنها لنا ، طابت أنفسنا ، والطائفتان : عِير أبي سفيان ، أو قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران الأنصاريّ ، أحسبه قال : قال أبو أيوب (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قالوا : الشوكة : القوم ، وغير الشوكة : العِير ؛ فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما القوم ، طابت أنفسنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثني يعقوب بن محمد ، قال : ثني غير واحد ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) : أن الشوكة قريش .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) هي عِير أبي سفيان ، ودّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العِير كانت لهم ، وأن القتال صُرِف عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) : أي الغنيمة دون الحرب .

وأما قوله (أَنَّهَا لَكُمْ) ففُتِحت على تكرير يَعِد ، وذلك أن قوله (يَعِدُكُمُ اللهُ) قد عمل في إحدى الطائفتين .

فتأويل الكلام (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) : يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ، كما قال (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) قال : (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ، فأنث « ذات » لأنه مراد بها الطائفة .

ومعنى الكلام : وتودّون أن الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم ، دون الطائفة ذات الشوكة .

القول في تأويل قوله (وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) :

❊ يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يحقّ الإسلام ويعليه بكلماته ، يقول : بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار ، وأنتم تريدون الغنيمة والمال .

وقوله (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) يقول : يريد أن يَجُبَّ أصل الجاحدين توحيدَ الله . وقد بيّنا فيما مضى معنى دابر ، وأنه المتأخر ، وأن معنى قطعه الإتيان على الجميع منهم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ) أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم ، هذا خير لكم من العير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ) : أى الوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر .

القول فى تأويل قوله

لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ، وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين، كيما يحق الحق ، كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام ، ويعز الإسلام ، وذلك هو تحقيق الحق . ويبطل الباطل : يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ، ولو كره ذلك الذين أجرموا ، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُحِقَّ الحَقَّ ، وَيُبْطِلَ الباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ) : هم المشركون ، وقيل : إن الحق فى هذا الموضع : الله عز وجل .

القول فى تأويل قوله

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره (ويُبْطِلَ البَاطِلَ) حين تستغيثون ربكم ، فإذ من صلة يبطل ، ومعنى قوله : (تَسْتَغِيثون رَبَّكُمْ) تستجيرون به من عدوكم ، وتدعونه بالنصر عليهم : (فاسْتَجابَ لَكُمْ) يقول : فأجاب دعاءكم (بأَنِّى مُمِدُّكُمْ بألْفٍ) من الملائكة يُرْدِف بعضهم بعضا ، ويتلو بعضهم بعضا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الأخبار بذلك .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : ثنى سماك الحنفى ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم ، ونظر إلى أصحابه نيفا على ثلاث مئة ، فاستقبل القبلة ، فجعل يدعو ويقول : اللهم أَنْجِزْ لى ما وَعَدْتَنِى ، اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ ، لاتُعْبَدْ فِى الأرْضِ ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، وأخذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفاك يا نبى الله ، بأبى وأمى مناشدتُك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ، فاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قال : لما اصطف

القوم ، قال أبو جهل : اللهمّ أولانا بالحقّ فانصره ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فقال : يا ربّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصابَةَ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ أَبَدًا) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني عمى ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قام النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « اللهم رَبنا أنْزَلْتَ عَلَيَّ الكِتابَ ، وأمَرْتَنِي بالقِتالِ ، وَوَعَدْتَنِي بالنَّصْرِ ، وَلا تُخْلِفُ المِيعادُ » ، فأتاهُ جبريل عليه السلام ، فأنزل الله (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ ، بَلَى إنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذا ، يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن ابن إسحاق ، عن زيد بن نُفَيع ، قال : كان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو ، يقول : « اللَّهُمَّ انْصُرْ هَذِهِ العِصابَةَ ، فإنَّكَ إنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنْ تُعْبَدَ فِي الأرْضِ قال : فقال أبو بكر : بعضَ مناشدتك منجزك ما وعدك » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أقبل النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره ، فأنزل الله عليه الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) قال : دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) : أى بدعائكم حين نظروا إلى كثرة عدوّهم ، وقلة عددهم ، فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، قال : لما كان يوم بدر ، جعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشدّ النشدة ، يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله بعض نِشْدتك ، فوالله ليفينّ الله لك بما وعدك .

وأما قوله (أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فقد بينا معناه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) يقول : المزيد ، كما تقول : ائت الرجل ، فزده كذا وكذا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (مُرْدِفِينَ) قال : متتابعين .

قال : ثنى أبي ، عن سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) قال : وراء كل ملك ملك .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي كُدَيْنة يحيى بن المهلب ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مُرْدِفِينَ) قال : متتابعين .

قال : ثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج بن أرطاة ، عن قابوس ، قال : سمعت أبا ظبيان يقول : (مُرْدِفِينَ) قال : الملائكة بعضهم على إثر بعض .

قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال (مُرْدِفِينَ) قال : بعضهم على أثر بعض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (مُرْدِفِينَ) قال : ممدين . قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال (مُرْدِفِينَ) الإرداف : الإمداد بهم .

حدثني بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) : أي متتابعين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) : يتبع بعضهم بعضا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُرْدِفِينَ) قال : المردفين بعضهم على أثر بعض ، يتبع بعضهم بعضا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) : يقول : متتابعين يوم بدر .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (مُرْدَفِينَ) بنصب الدال ، وقرأه بعض المكيين وعامّة قرّاء الكوفيين والبصريين (مُرْدِفِينَ) . وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ، ويقول فيما ذُكر عنه : هو من أردف بعضهم بعضا ، وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب ، وقال : إنما الإرداف : أن يحمل الرجل صاحبه خلفه ، قال : ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها ، فقال بعض البصريين والكوفيين : معنى ذلك : إذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال : أردفته وقالوا : العرب تقول : أردفته وردفته ، بمعنى : تبعته وأتبعته ، واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر :

إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا[1]

---

(١) البيت في (اللسان : ردف) لخزيمة بن مالك بن نهد . قال : وأردفه أمر : لغة في ردفه ، مثل تبعه وأتبعه بمعنى ، قال خزيمة : إذا الجوزاء . . . البيت . يعني فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، أحد القارظين . قال : ومعنى بيت خزيمة على ما حكاه عن أبي بكر بن السراج : أن الجوزاء تردف الثريا في شدة الحر ، فتتكبد السماء في آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ، فتتفرق الناس

قالوا: فقال الشاعر : أَرْدَفَتْ، وإنما أراد رَدِفتْ: جاءت بعدها، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا ، وقالوا : معناه : إذا قرئ (مُرْدَفِينَ) أنه مفعول بهم ، كأن معناه: بألفٍ من الملائكة يُرْدِفُ الله بعضَهم بعضا.

وقال آخرون : معنى ذلك : إذا كسرت الدال: أردفت الملائكة بعضُها بعضا ، وإذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم .

۞ والصواب من القراءة فى ذلك عندى: قراءة من قرأ (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) بكسر الدال، لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم ، أن معناه : يتبع بعضهم بعضا ، ومتتابعين فى إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح ، على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال ، بمعنى : أردف بعضُ الملائكة بعضا ، ومسموع من العرب : جئت مُرْدِفا لفلان : أى جئت بعده .

وأما قول من قال : معنى ذلك :إذا قرئ (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال ، أن الله أردف المسلمين بهم ، فقول لامعنى له ، إذ الذكر الذى فى مردفين من الملائكة دون المؤمنين .

وإنما معنى الكلام : أن يمدّكم بألف من الملائكة يُرْدَف بعضهم ببعض،ثم حذف ذكر الفاعل، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله ، فقيل (مُرْدَفِينَ) بمعنى : مردَف بعض الملائكة ببعض ، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله ، وجب أن يكون فى المردَفين ذكر المسلمين ، لاذكر الملائكة ، وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن .

وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى ، وهى ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال عبد الله بن يزيد : مُرُدِفِينَ ، ومُرُدَفِينَ ، ومُرَدَّفِينَ ، مثقّل ، على معنى : مُرْتَدَفِين .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهرىّ ، قال : ثنى عبد العزيز بن عمران عن الربعىّ ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال: « نزل جبريل فى ألف من الملائكة ، عن ميمنة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفيها أبو بكر رضى الله عنه ، ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة ، عن ميسرة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأنا فيها » .

القول فى تأويل قوله

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)

۞ يقول تعالى ذكره :لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضا،وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددا لكم ، إلا بشرى لكم : أى بشارة لكم ، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم(وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ

فى طلب المياه ، فتغيب عنه محبوبته ، فلا يدرى أين مضت ، ولا أين نزلت ؟ وفى حديث بدر : « فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين » : أى متتابعين ، يردف بعضهم بعضا .

يقول : ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم ، وتوقن بنصرة الله لكم . (وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ) : يقول : وما تُنصرون على عدوّكم أيها المؤمنون ، إلا أن ينصركم الله عليهم ، لابشدة بأسكم وقواكم ، بل بنصر الله لكم ، لأن ذلك بيده وإليه ، ينصر من يشاء من خلقه . (إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) : يقول : إن الله الذى ينصركم ، وبيده نصر من يشاء من خلقه ، عزيز : لايقهره شىء ، ولا يغلبه غالب ، بل يقهر كلّ شىء ويغلبه ، لأنه خلقه . حكيم : يقول : حكيم فى تدبيره ونصره من نصر ، وخذلانه من خذل من خلقه ، لايدخل تدبيره وهن ولا خلل .

ورُوِى عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قال : أخبرنى ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول : ما مد النبىّ صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مُرْدِفِين ، وذكر الثلاثة والخمسة بُشْرى ، مامدّوا بأكثر من هذه الألف ، الذى ذكر الله عزّ وجلّ فى الأنفال . وأما الثلاثة والخمسة ، فكانت بُشْرى ، وقد أتينا على ذلك فى سورة آل عمران بما فيه الكفاية .

القول فى تأويل قوله

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ، فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ، سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ، فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ، وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ولتطمئنّ به قلوبكم إذ يغشيكم النعاس ، ويعنى بقوله (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) : يلقى عليكم النعاس . (أَمَنَةً) : يقول : أمانا من الله لكم من عدوّكم أن يغلبكم ، وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عزّ وجلّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن عبد الله ، قال : النعاس فى القتال أمنة من الله عزّ وجلّ ، وفى الصلاة من الشيطان .

حدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، فى قوله : يغشاكم النعاس أمنة منه ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن عبد الله ، بنحوه ، قال : قال عبد الله : فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن عبد الله بنحوه ، والأمنة : مصدر من قول القائل : أمِنْتُ من كذا أَمَنة وأمانا وأمْنا ، وكلّ ذلك بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمَنَةً مِنْهُ) : أمانا من الله عزّ وجلّ .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمَنَةً) قال : أمنا من الله .

حدثني يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ) قال : أنزل الله عزّ وجلّ النعاس أمنة من الخوف الذى أصابهم يوم أُحد ، فقرأ (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِذْ يَغْشاكُمُ النُّعاسُ أَمَنَةً مِنْهُ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة (يُغْشِيكُمُ النُّعاسَ) بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس ، من أغشاهم الله النعاس ، فهو يُغْشِيهم . وقرأته عامة قرّاء الكوفيين (يُغَشِّيكُمْ) بضم الياء وتشديد الشين ، من غَشَّاهم الله النعاس ، فهو يُغَشِّيهم ، وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (يَغْشاكُمُ النُّعاسُ) بفتح الياء ورفع النعاس ، بمعنى غَشِيَهُم النعاسُ ، فهو يَغْشاهم ، واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك ، بقوله فى آل عمران (يَغْشَى طائِفَةً) .

وأولى ذلك بالصواب : (إِذْ يُغَشِّيكُمْ) على ما ذكرت من قراءة الكوفيين ، لإجماع جميع القرّاء على قراءة قوله (ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السماءِ ماءً) بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عزّ وجلّ ، فكذلك الواجب أن يكون كذلك (يُغَشِّيكُم) إذ كان قوله (ويُنَزِّلُ) عطفا على يُغَشِّى ، ليكون الكلام متسقا على نحو واحد .

وأما قوله عزّ وجلّ (ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر ، ليطهّر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجْنِبين على غير ماء ؛ فلما أنزل الله عليهم الماء ، اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان وسوس لهم بما حزنهم به ؛ من إصباحهم مُجْنِبين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر ، فذلك ربطُه على قلوبهم ، وتقويته أسبابهم ، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقَوا مع عدوّهم على رَمْلة هَشّاء ، فلبّدها المطر ، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لاتسوخ فيها ، توطئة من الله عزّ وجلّ لنبيه عليه السلام ، وأوليائه أسباب التمكن من عدوّهم ، والظفر بهم .

وبمثل الذى قلنا تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم .

ذكر الأخبار الواردة بذلك .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مُصْعَب بن المِقْدام ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر ، يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف ، نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعو ربه : « اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ لاتُعْبَدْ فى الأرْضِ » ، فلما أن طلع الفجر نادى : الصَّلاةَ عِبادَ اللهِ ، فجاء الناس من تحت الشجر والحَجَف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على القتال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث وأبو خالد ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : طَشٌّ يوم بدر .

حدثنى الحسن بن يزيد ، قال : ثنا حفص ، عن داود ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ وعبد الأعلى ، عن داود ، عن الشعبىّ وسعيد بن المسيب ، قالا : طَشٌّ يوم بدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ وسعيد بن المسيب فى هذه الآية : (يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) قالا : طشٌّ كان يوم بدر ، فثبت الله به الأقدام .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ أمَنَةً مِنْهُ) . . . الآية ، ذُكِر لنا أنهم مُطِروا يومئذ حتى سال الوادى ماء ، واقتتلوا على كثيب أعفر ، فلبده الله بالماء ، وشرب المسلمون وتوضئوا وسقَوا ، وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : نزل النبىّ صلى الله عليه وسلم ، يعنى حين سار إلى بدر ، والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دِعْصة[1] ، فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ ، فوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلون مُجْنِبين ، فأمطر الله عليهم مطرا شديدا ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدوابّ ، فساروا إلى القوم ، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام فى خمس مئة من الملائكة مُجَنِّبة ، وميكائيل فى خمس مئة مُجَنِّبة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (إذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ أمَنَةً مِنْهُ) ... إلى قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ) ، وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ، ويقاتلوا عنها ، نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه ، فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلون مُجْنِبين محدثين ، حتى تعاظم ذلك فى صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى ، فشرب المسلمون وملئوا الأسقية ، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة ، فجعل الله فى ذلك طَهُورا ، وثبت الأقدام ، وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة ، فبعث الله عليها المطر ، فضربها حتى اشتدت ، وثبتت عليها الأقدام .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : بينا

(١) الدعصة : الطائفة من الرمل المجتمع (اللسان : دعص) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسبقهم المشركون إلى ماء بدر ، فنزلوا عليه ، وانصرف أبو سفيان وأصحابه، تلقاء البحر ، فانطلقوا ، قال : فنزلوا على أعلى الوادى، ونزل محمد صلى الله عليه وسلم فى أسفله، فكان الرجل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام يُجنب، فلا يقدر على الماء، فيصلى جُنُبا، فألقى الشيطان فى قلوبهم ، فقال : كيف ترجون أن تظهروا عليهم ، وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنبا على غير وضوء ، قال : فأرسل الله عليهم المطر ، فاغتسلوا وتوضئوا وشربوا ، واشتدت لهم الأرض ، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم ، فاشتدّت لهم من المطر ، واشتدّوا عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : غلب المشركون المسلمين فى أوّل أمرهم على الماء فظمئ المسلمون ، وصلوا مجنبين محدثين ، وكانت بينهم رمال ، فألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن ، فقال : تزعمون أن فيكم نبيا ، وأنكم أولياء الله ، وقد غلبتم على الماء ، وتصلون مجنبين محدثين . قال : فأنزل الله ماء من السماء ، فسال كلّ واد ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وثبتت أقدامهم ، وذهبت وسوسة الشيطان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : المطر أنزله عليهم قبل النعاس . رجز الشيطان : قال : وسوسته ، قال : فأطفأ بالمطر الغبار ، والتبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) أنزله عليهم قبل النعاس، طبق بالمطر الغبار ، ولبد به الأرض ، وطابت به أنفسهم، وثبتت به الأقدام، أنزل عليهم مثل النعاس ، طبق بالمطر الغبار ، ولبّد به الأرض ، وطابت به أنفسهم، وثبّت به الأقدام.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : القطر ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وساوسه ، أطفأ بالمطر الغبار ، ولبد به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : رجز الشيطان : وسوسته.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : هذا يوم بدر ، أنزل عليهم القطر (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ) الذى ألقى فى قلوبكم: ليس لكم بهؤلاء طاقة (وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ).

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِذْ يُغَشّاكُمُ النُّعاسُ أَمَنَةً مِنْهُ) . . . إلى قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ): أن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأ ، وصلّوا محدثين مُجنبين ، فألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن، ووسوس فيها: إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وأن محمدا نبىّ الله

وقد غلبتم على الماء ، وأنتم تصلون محدثين مجنبين ، فأمطر الله السماء حتى سال كلّ واد ، فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم ، وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبت الله به الأقدام ، وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوّهم رملة لاتجوزها الدوابّ ، ولا يمشى فيها الماشى إلا بجهد ، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت ، وثبتت فيها الأقدام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ) : أى أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون ، ونزل عليكم من السماء المطر الذى أصابهم تلك الليلة ، فحُبِس المشركون أن يسبقوا إلى الماء ، وخُلّى سبيل المؤمنين إليه (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) : ليذهب عنهم شكّ الشيطان ، بتخويفه إياهم عدوّهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبق إليه عدوّهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ثم ذكر ما ألقى الشيطان فى قلوبهم من شأن الجنابة ، وقيامهم يصلون بغير وضوء ، فقال (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) حتى تشتدون على الرمل ، وهو كهيئة الأرض .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب ، وقال مرّة قرأ (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِها) فقال سعيد : إنما هى (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) قال : وقال الشعبىّ : كان ذلك طشا يوم بدر .

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة ، أن مجاز قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) : ويفرغ عليهم الصبر ، وينزله عليهم ، فيثبتون لعدوّهم . وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين ، وحسْبُ قولٍ خطأً أن يكون خلافا لقول من ذكرنا . وقد بيّنا أقوالهم فيه ، وأن معناه : ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل ، حتى لاتسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم .

وأما قوله (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ) : أنصركم (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) : يقول : قوّوا عزمهم ، وصححوا نياتهم فى قتال عدوّهم من المشركين ، وقد قيل : إن تثبيت الملائكة المؤمنين ، كان حضورهم حربهم معهم ، وقيل : كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم ، وقيل : كان ذلك بأن المَلَك يأتى الرجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت هؤلاء القوم ، يعنى المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن ، فيحدّث المسلمون بعضهم بعضا بذلك ، فتقوى أنفسهم ، قالوا وذلك كان وحىَ الله إلى ملائكته .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) أى فآزروا الذين آمنوا .

القول فى تأويل قوله (سَأُلْقِى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) :

❊ يقول تعالى ذكره : سأرعب قلوب الذين كفروا بى أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فرَقا حتى ينهزموا عنكم ، فاضربوا فوق الأعناق .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَوْقَ الأَعْنَاقِ) فقال بعضهم: معناه : فاضربوا الأعناق .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) قال : اضربو الأعناق .

قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن القاسم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنِّى لَمْ أُبْعَثْ لأُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللهِ ، إنَّمَا بُعِثْتُ لِضَرْبِ الأَعْنَاقِ ، وَشَدِّ الوَثَاقِ » .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) يقول : اضربوا الرقاب . واحتجّ قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول : رأيت نفس فلان ، بمعنى رأيته ، قالوا : فكذلك قوله (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) إنما معناه : فاضربوا الأعناق .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فاضربوا الرءوس .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : وحدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) قال : الرءوس .

واعتلّ قائلو هذه المقالة بأن الذى فوق الأعناق : الرءوس ، قالوا : وغير جائز أن تقول : فوق الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : ولو جاز ذلك كان أن يقال تحت الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : وذلك خلاف المعقول من الخطاب ، وقلب معانى الكلام .

وقال آخرون : معنى ذلك : فاضربوا على الأعناق ، وقالوا : على وفوق معناهما متقاربان ، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر .

❊ والصواب من القول فى ذلك: أن يقال: إن الله أمر المؤمنين مُعَلِّمَهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف ، أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدى والأرجل؛ وقوله (فَوْقَ الأَعْنَاقِ): محتمل أن يكون مرادا به الرءوس ، ومحتمل أن يكون مرادا به فوق جلدة الأعناق ، فيكون معناه : على الأعناق ، وإذا احتمل ذلك صحّ قول من قال: معناه: الأعناق ، وإذا كان الأمر محتملا ماذكرنا من التأويل، لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا حجة تدلّ على خصوصه، فالواجب

أن يقال : إن الله أمر بضرب رءوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم ، أصحابَ نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرا .

وأما قوله (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) فإن معناه : واضربوا أيها المؤمنون من عدوّكم كلَّ طرَف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان : جمع بنانة ، وهى أطراف أصابع اليدين والرجلين ، ومن ذلك قول الشاعر :

ألا لَيْتَنِى قَطَعْتُ مِنْهُ بَنَانَةً　　　وَلا قَيْتُهُ فِى البَيْتِ يَقْظانَ حاذِرَا[١]

يعنى بالبنانة : واحدة البَنَان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : كلّ مفصل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : المفاصل ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : كلّ مَفْصِل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : الأطراف ، ويقال : كلّ مَفْصِل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) يعنى بالبنان : الأطراف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : الأطراف .

حُدثتُ عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) : يعنى الأطراف .

القول فى تأويل قوله

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)

(١) البيت فى (اللسان : بنن) قال : والبنان : الأصابع . وقيل أطرافها ، واحدتها : بنانة . وأنشد ابن برى لعباس بن مرداس : ألا ليتنى . . . البيت . وقوله عز وجل : « واضربوا منهم كل بنان » : قال أبو إسحاق : البنان هاهنا : جميع أعضاء البدن . وحكى الأزهرى عن الزجاج ، قال : واحد البنان : بنانة . ومعناها هاهنا : الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء . وقال الليث : البنان : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين . قال : والبنان فى كتاب الله : هو الشوى ، وهى الأيدى والأرجل . قال : والبنانة : الإصبع اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (ص ١١٧ مصورة جامعة القاهرة) وقوله : فاضربوا فوق الأعناق : علمهم مواضع الضرب ، فقال : اضربوا الرءوس والأيدى والأرجل ، فذلك قوله : واضربوا منهم كل بنان . اهـ . والحاذر : المستعد للقتال بالسلاح .

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق ، وضرب كلّ بنان منهم ، جزاء لهم بشقاقهم اللهَ ورسوله ، وعقاب لهم عليه؛ ومعنى قوله (شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ): فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما ، وأطاعوا أمر الشيطان . ومعنى قوله (وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ): ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله ، وفارق طاعتهما (فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ) له ، وشدة عقابه له فى الدنيا : إحلاله به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم ، وفى الآخرة الخلود فى نار جهنم ، وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها .

القول فى تأويل قوله

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ، وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٤)

❊ يقول تعالى ذكره : هذا العقاب الذى عجلته لكم أيها الكافرون ، المشاقّون لله ورسوله فى الدنيا ، من الضرب فوق الأعناق منكم ، وضرب كلّ بنان بأيدى أوليائى المؤمنين ، فذوقوه عاجلا ، واعلموا أن لكم فى الآجل والمعاد عذاب النار .

ولفتح « أن » من قوله (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) من الإعراب وجهان : أحدهما الرفع ، والآخر النصب ، فأما الرفع فبمعنى : ذلكم فذوقوه ، ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم ، كأنه قيل : ذلكم الأمر وهذا . وأما النصب فن وجهين : أحدهما ذلكم فذوقوه ، واعلموا ، أو وأيقنوا أن للكافرين ، فيكون نصبه بنية فعل مضمر ، قال الشاعر :

ورأيتِ زَوْجَكِ فى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيفا وَرُمْحا[1]

بمعنى : وحاملا رمحا ، والآخر بمعنى : ذلكم فذوقوه ، وبأن للكافرين عذاب النار ، ثم حذفت الباء فنصبت .

القول فى تأويل قوله

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ، فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦)

❊ يعنى تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى القتال . (زَحْفًا): يقول : متزاحفا بعضكم إلى بعض ، والتزاحف : التدانى والتقارب (فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) يقول : فلا تولوهم ظهوركم ، فتنهزموا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم ، فإن الله معكم عليهم (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

(١) البيت تقدم إنشاده فى عدة مواضع من التفسير ، وشرحناه فى (ج ٣ : ٢٧٥) .

دُبُرَهُ) يقول : ومن يولهم منكم ظهره . إلا متحرّفا لقتال : يقول : إلا مستطردا لقتال عدوّه، بطلب عورة له يمكنه إصابتها ، فيكرّ عليه . أو متحيزا إلى فئة ، أو إلا أن يوليهم ظهره متحيزا إلى فئة ، يقول : صائرا إلى حيز المؤمنين الذين يَفيئون به معهم إليهم لقتالهم ، ويرجعون به معهم إليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن جُويبر ، عن الضحاك (إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ) قال : المتحرّف : المتقدّم من أصحابه، ليرى غِرّة من العدوّ فيصيبها ، قال: والمتحيز : الفارّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه ، قال الضحاك : وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أن لايفرّوا ، وإنما كان النبىّ عليه الصلاة والسلام فئتهم.

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ) أما المتحرّف: يقول : إلا مستطردا، يريد العودة، أو متحيزا إلى فئة ، قال : المتحيز إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة، ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام .

واختلف أهل العلم فى حكم قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) هل هو خاصّ فى أهل بدر ، أم هو فى المؤمنين جميعا ، فقال : قوم هو لأهل بدر خاصة ، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوّه ، وينهزموا عنه ، فاليوم أفلهم الانهزام .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال: ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبى نَضْرة ، فى قول الله عزّ وجل (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : ذاك يوم بدر ، ولم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحاز أحد لم ينحز إلا إلىّ . قال أبو موسى : يعنى إلى المشركين .

حدثنا إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد ، قوله عزّ وجلّ (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين، ولم يكن يومئذ مسلم فى الأرض غيرهم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن مفضّل ، قال : ثنا داود ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ، قال: نزلت فى يوم بدر (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) .

حدثنى ابن المثنى ، وعلىّ بن مسلم الطوسىّ ، قال ابن المثنىّ : ثنى عبد الصمد ، وقال علىّ : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن داود ، يعنى ابن أبى هند ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد (وَمَنْ

يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : يوم بدر ، قال أبو موسى : حُدثتُ أن فى كتاب غُنْدَر هذا الحديث ، عن داود ، عن الشعبىّ ، عن أبى سعيد .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : إنما كان ذلك يوم بدر ،لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بعد ذلك ، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبى نضرة (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : هذه نزلت فى أهل بدر .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ،عن ابن عون ، قال : كتبت إلى نافع أسأله ، عن قوله (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) أكان ذلك اليوم، أم هو بعد ؟ قال: وكتب إلىّ : إنما كان ذلك يوم بدر .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إنما كان الفرار يوم بدر ، ولم يكن لهم ملجأ يلجئون إليه ، فأما اليوم فليس فرار .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : كانت هذه يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبائر ، قال: ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : كانت هذه يوم بدر خاصة ، قال : ثنا روح بن عُبادة ، عن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال: نزلت فى أهل بدر.

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : ذلكم يوم بدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : ذلك يوم بدر ، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر ، أحسبه قال : فلا بأس به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن عون ، قال : كتبت إلى نافع (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : إنما هذا يوم بدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال:ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، قال : ثنى يزيد ابن أبى حبيب ، قال : أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار ، قال (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) فلما كان يوم أُحد بعد ذلك قال (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ) ثم كان حُنَيْنٌ بعد ذلك بسبع سنين ، فقال (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) .

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد ، أن عمر رضى الله عنه بلغه قتل أبى عبيد ، فقال: لو تحيّز إلىّ لكنت له فئة .

(١) غندر : لقب محمد بن جعفر الهذلى ، مولاهم البصرى أبو عبد الله الكرابيسى الحافظ ربيب شعبة بن الحجاج توفى سنة ١٩٣ أو ١٩٤ ﻫ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنى قيس بن سعيد ، قال : سألت عطاء بن أبى رباح ، عن قوله (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : هذه منسوخة بالآية التى فى الأنفال (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) قال : وليس لقوم أن يفرّوا من مثليهم ، قال : ونسخت تلك إلا هذه العدّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، قال : لما قتل أبو عُبيد جاء الخبر إلى عمر ، فقال : يا أيها الناس ، أنا فئتكم . قال ابن المبارك ، عن معمروسفيان الثورىّ وابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة كلّ مسلم .

وقال آخرون : بل هذه الآية حكمها عامّ فى كلّ من ولّى الدُّبُر عن العدوّ منهزما .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أكبر الكبائر : الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عزّ وجلّ يقول : (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ . . . فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

❁ وأولى التأويلين فى هذه الآية بالصواب عندى : قول من قال : حكمها محكم ، وأنها نزلت فى أهل بدر ، وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين ، وإن الله حرّم على المؤمنين إذا لَقُوا العدوّ أن يولوهم الدبر منهزمين ، إلا لتحرّف القتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين ، حيث كانت من أرض الإسلام ، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما ، بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

وإنما قلنا : هى محكمة غير منسوخة ، لما قد بيّنّا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، أنه لايجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ ، وله فى غير النسخ وجه ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر يقطع العذر ، أو حجة عقل ، ولا حجة من هذين المعنيين تدلّ على نسخ حكم قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ، إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ) .

وأما قوله (فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) يقول : فقد رجع بغضب من الله : (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) . يقول : ومصيره الذى يصير إليه فى معاده يوم القيامة ، جهنم وبئس المصير ، يقول : وبئس الموضع الذى يصير إليه ذلك المصير .

القول فى تأويل قوله

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)

❊ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش، فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم، وأضاف جلّ ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به، الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جلّ ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، ففي ذلك أدلّ الدليل على فساد قول المنكرين، أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به، وصلوا إليها، وكذلك قوله لنبيه عليه السلام (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فأضاف الرمى إلى نبيّ الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامى، إذ كان جلّ ثناؤه هو الموصل المرميّ به إلى الذين رُموا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله، فيقال للمسلمين ماذكرنا : قد علمتم إضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيه به، وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه و تسديده، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله، الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتساب بالقُوى. فلن يقولوا في أحدهما قولا إلا أُلزموا في الآخر مثله.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حين قال هذا : قتلتُ، وهذا. قتلت (وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال لمحمد حين حَصَبَ الكفار.

حدثني المثنى، قال : ثنا أبوحذيفة، قال : ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) قال : رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصْباء يوم بدر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، قال : ما وقع منها شيء إلا في عين رجل.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال : ثنا أبي، قال : ثنا أبان العطار، قال : ثنا هشام بن عروة، قال : لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال : هَذِهِ مَصَارِعُهُمْ، ووجد المشركون النبيّ صلى الله عليه وسلم، قد سبقهم إليه، ونزل عليه، فلما طلعوا عليه، زعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جاءَتْ بِخُيَلائِها وَفَخْرِها، تُحادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ما وَعَدْتَنِي ؛ فلما أقبلوا استقبلهم، فحثا في وجوههم، فهزمهم الله عزّ وجلّ.

حدثنا أحمد بن منصور، قال : ثنا يعقوب بن محمد، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران، قال : ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة،

عن حكيم بن حِزام ، قال: لما كان يوم بدر ، سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت فى طَسْتٍ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية ، فانهزمنا .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القُرظىّ ، قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ، فرمى بها فى وجوه القوم ، وقال : شاهَتِ الوُجُوهُ ، فدخلت فى أعينهم كلهم . وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسِرونهم ، وكانت هزيمتهم فى رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) . . . الآية ، إلى (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ، ورمى بها فى وجوه الكفار ، فهزموا عند الحجَر الثالث .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلىّ رضى الله عنه : أَعْطِنِى حَصًا مِنَ الأَرْضِ ، فناوله حصى عليه تراب، فرمى به وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شىء ، ثم رَدِفَهُمُ المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ،فذكر رمية النبىّ صلى الله عليه وسلم،فقال (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات ، فرمى بحصاة فى ميمنة القوم ، وحصاة فى ميسرة القوم ،وحصاة بين أظهرهم ،وقال: شاهَتِ الوُجُوهُ ، فانهزموا ، فذلك قول الله عزّ وجلّ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر ، فقال : يا رَبِّ إِنْ تَهْلِكْ هذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِى الأَرْضِ أَبَدًا ، فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب،فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها فى وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومَنْخِرَيه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولّوا مدبرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال الله عزّ وجلّ فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم (وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) : أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى فى صدور عدوّك منها حين هزمتهم .

ورُوى عن الزهرىّ فى ذلك قول خلاف هذه الأقوال ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال :« جاء أُبَىّ بن خلف الجُمَحِىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، فقال : الله محيى هذا يامحمد وهو رميم ، وهو يَفُتّ

العظم ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يُحْيِيهِ اللهُ، ثُمَّ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ». قال: فلما كان يوم أُحد، قال: والله لأقتلنّ محمدا إذا رأيته، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله.

وأما قوله (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا) فإن معناه: ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله، بالظفر بأعدائهم، ويغنّمهم مامعهم، ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك البلاء الحسن، رَمْيُ الله هؤلاء المشركين، ويعنى بالبلاء الحسن: النعمة الحسنة الجميلة، وهى ما وصفت، وما فى معناه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال فى قوله(وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا): أى ليعرّف المؤمنين من نعمه عليهم، فى إظهارهم على عدوّهم مع كثرة عددهم، وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه، وليشكروا بذلك نعمته.

وقوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يعنى: إن الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومناشدته ربه، ومسئلته إياه إهلاك عدوّه وعدوّكم، ولقيلكم، وقيل جميع خلقه، عليم بذلك كله، وبما فيه صلاحكم، وصلاح عباده، وغير ذلك من الأشياء محيط به، فاتقوه وأطيعوا أمره، وأمر رسوله.

القول فى تأويل قوله

ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (ذَٰلِكُمْ): هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم، حتى انهزموا، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن، بالظفر بهم، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم، فعلنا الذى فعلنا (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) يقول: واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين، يعنى مكرهم، حتى يذلوا، وينقادوا للحقّ ويهلكوا. وفى فتح «أن» من الوجوه ما فى قوله (ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ، وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) وقد بيّنته هنالك.

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مُوهِنُ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين (مُوَهِّنٌ) بالتشديد، من وهّنت الشىء: ضعّفته. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (مُوهِنُ) من أوهنته فأنا موهنه، بمعنى أضعفته؛ والتشديد فى ذلك أعجب إلىّ، لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، عقدًا بعد عقد، وشيئا بعد شىء، وإن كان الآخر وجها صحيحا.

القول فى تأويل قوله

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)

❊ يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) يعنى : إن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم ، وأظلم الفئتين ، وتستنصروه عليه ، فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلومَ على الظالم ، والمحقّ على المبطل .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) قال : إن تستقضُوا فقد جاءكم القضاء .

قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبىّ ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ): يعنى بذلك المشركين ، إن تستنصروا فقد جاءكم المدد.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن ابن عباس ، قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) قال : إن تستقضوا القضاء ، وإنه كان يقول (وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا) قلت: للمشركين ؟ قال : لانعلم إلا ذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) قال : كفار قريش فى قولهم : ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه ، ففتح بينهم يوم بدر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) قال : استفتح أبو جهل ، فقال : اللهمّ ، يعنى محمدا ونفسه ، أينا كان أفجر لك اللهمّ ، وأقطع للرحم ، فأحِنْه اليوم ، قال الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، فى قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) قال : استفتح أبوجهل بن هشام ، فقال : اللهمّ أينا كان أفجر لك ، وأقطع للرحم ، فأحِنه اليوم ، يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه ، قال الله عزّ وجلّ (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) فضربه ابنا عفراء: عوف ، ومعاذ ، وأجهز عليه ابن مسعود .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى الليث ، قال : ثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : اخبرنى عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العَدَوىّ، حليف بنى زهرة، أن المستفتح يومئذ أبو جهل، وأنه قال حين

التقى القوم : أينا أقطع للرحم ، وآتانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه ، فأنزل الله فى ذلك : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) . . . الآية ، يقول : قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كان المشركون حين خرجوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة ، واستنصروا الله ، وقالوا : اللهمّ انصر أعزّ الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين ، فقال الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) يقول : نصرتُ ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) . . . إلى قوله (وأَنَّ اللهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ) وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرهم ، وإن أهل العير : أبا سفيان وأصحابه ، أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم ، فقال أبو جهل : أينا كان خيرا عندك فانصره ، وهو قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) يقول : تستنصروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) قال : إن تستفتحوا العذاب ، فعذّبوا يوم بدر ، قال : وكان استفتاحهم بمكة ، قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ ، أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ) قال : فجاءهم العذاب يوم بدر ، وأخبر عن يوم أُحد (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وأَنَّ اللهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، قال : قال أبو جهل يوم بدر : اللهمّ انصر أهدى الفئتين ، وخير الفئتين وأفضل ، فنزلت (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) .

قال : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، أن أبا جهل هو الذى استفتح يوم بدر ، وقال : اللهمّ أينا كان أفجر وأقطع لرحمه ، فأحنه اليوم ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير : أن أبا جهل ، قال يوم بدر : اللهمّ أقطعنا لرحمه ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغَداة ، وكان ذلك استفتاحا منه ، فنزلت (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) . . . الآية .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير ، قال : كان المستفتح يوم بدر أبا جهل ، قال : اللهمّ أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن مسلم الزهرىّ ، عن عبد الله

ابن ثعلبة بن صُعَير ، حليف بنى زهرة ، قال : لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعضهم ، قال أبو جهل اللهمّ أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحِنْه الغداة ، فكان هو المستفتح على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال الله : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) لقول أبى جهل : اللهمّ أقطعَنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحِنْه الغداة ، قال : الاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان وغيره ، قال أبو جهل يوم بدر : اللهمّ انصر أحبّ الدِّينين إليك ، ديننا العتيق ، أم دينهم الحديث ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ) . . . إلى قوله (وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

وأما قوله (وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) فإنه يقول : وإن تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله ، وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، فهو خير لكم فى دنياكم وآخرتكم . (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) يقول : وإن تعودوا لحربه وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين ، نعد : أى بمثل الواقعة التى أُوقعت بكم يوم بدر .

وقوله (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) يقول : وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدى أوليائى وهزيمتكم ، ولن تغنى عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسبيكم وهزمكم ، فئتكم شيئا ولو كثرت ، يعنى جندهم وجماعتهم من المشركين ، كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المؤمنين شيئا (وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جلّ ذكره : وأن الله مع من آمن به من عباده ، على من كفر به منهم ، ينصرهم عليهم ، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى قوله (وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : يقول لقريش : وإن تعودوا نعد لمثل الوقعة التى أصابتكم يوم بدر (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) : أى وإن كثر عددكم فى أنفسكم ، لن يغنى عنكم شيئا ، وأن الله مع المؤمنين ، ينصرهم على من خالفهم .

وقد قيل : إن معنى قوله (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) : وإن تعودوا للاستفتاح ، نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا القول لامعنى له ، لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه ، إظهار دينه ، وإعلاء كلمته ، من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه ، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك : إن تنتهوا عن الاستفتاح ، فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، لأن الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) : استفتح المشركون أو لم يستفتحوا .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) : إن تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) : محمد وأصحابه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) ففتحها عامة قرّاء أهل المدينة بمعنى : ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين ، فعطف بأنّ على موضع ولو كثرت، كأنه قال لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين ، ويكون موضع أن حينئذ نصبا على هذا القول . وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت على (وأنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الكافِرينَ) ، (وأنَّ اللهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ)عطفا بالأخرى على الأولى . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين والبصريين (وإنَّ اللهَ) بكسر الألف، على الابتداء، واعتلوا بأنها فى قراءة عبد الله (وإنَّ اللهَ لَمَعَ المُؤْمِنِينَ) .

❊ وأولى القراءتين بالصواب، قراءة من كسر « إن » للابتداء ، لتقضّى الخبر قبل ذلك عما يقتضى قوله (وإنَّ اللهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ) .

القول فى تأويل قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)

❊ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ): فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه (وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ) يقول : ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مخالفين أمره ونهيه ، وأنتم تسمعون أمره إياكم ونهيه ، وأنتم به مؤمنون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وأنْتُمْ تَسْمَعُونَ) : أى لاتخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم مؤمنون.

القول فى تأويل قوله

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)

❊ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : لاتكونوا أيها المؤمنون فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم ، قالوا : قد سمعنا بآذاننا وهم لايسمعون ، يقول : وهم لايعتبرون مايسمعون بآذانهم ، ولاينتفعون به، لإعراضهم عنه ، وتركهم أن يُوعُوه قلوبهم ،ويتدبروه ، فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن ، وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم ، بمنزلة من لم يسمعها . يقول جلّ ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتكونوا أنتم فى الإعراض عن أمر رسول الله ، وترك الانتهاء إليه ، وأنتم تسمعونه بآذانكم ، كهؤلاء المشركين الذين

يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم، ويقولون: قد سمعنا، وهم عن الاستماع لها، والاتعاظ بها، معرضون، كمن لم يسمعها.

وكان ابن إسحاق يقول فى ذلك، ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لايَسْمَعُونَ): أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة، ويسرّون المعصية.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (وَهُمْ لايَسْمَعُونَ) قال: عاصون.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

وللذى قال ابن إسحاق وجه، ولكن قوله (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لايَسْمَعُونَ) فى سياق قصص المشركين، ويتلوه الخبر عنهم بذمهم، وهو قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لايَعْقِلُونَ) فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم، أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم.

القول فى تأويل قوله

* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: إن شرّ ما دبّ على الأرض من خلق الله عند الله، الذين يصغون عن الحقّ لئلا يستمعوه فيعتبروا به، ويتعظوا به، وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لايعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل؛

ذكر من قال ذلك:

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ) قال: الدوابّ: الخلق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جريج، عن عكرمة، قال: وكانوا يقولون: إنا صمّ بكم عما يدعونا إليه محمد، لانسمعه منه، ولا نجيبه به بتصديق، فقتلوا جميعا بأُحد، وكانوا أصحاب اللواء.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: الصمّ البكم: الذين لايعقلون، قال: الذين لايتبعون الحقّ.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لايَعْقِلُونَ) وليس بالأصمّ فى الدنيا، ولا بالأبكم، ولكن صمّ القلوب وبكمها وعميها، وقرأ (فَإِنَّهَا لاتَعْمَى الأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ).

واختلف فيمن عنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عُنى بها نفر من المشركين؛

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : الصمّ البكم الذين لايعقلون : نفر من بني عبد الدار ، لايتبعون الحقّ .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لايَعْقِلُونَ) قال : لايتبعون الحقّ ، قال : قال ابن عباس : هم نفر من بني عبدالدار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

وقال آخرون : عُنى بها المنافقون .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (إن شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لايَعْقِلُونَ) : لايعرفون ماعليهم فى ذلك من النعمة والسعة .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال بقول ابن عباس ، وأنه عُنى بهذه الآية مشركو قريش ، لأنها فى سياق الخبر عنهم .

القول فى تأويل قوله

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)

اختلف أهل التأويل ، فيمن عُنى بهذه الآية وفى معناها ، فقال بعضهم : عنى بها المشركون ، وقال : معناها : إنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمنوا به ، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لايؤمنون .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، وله (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لقالُوا : ائْتِ بِقُرآنٍ غيرِ هَذَا) ولقالوا : لولا اجتبيتها ، ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله « وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) قال: لوأسمعهم بعد أن يعلم أن لاخير فيهم، ما انتفعوا بذلك،ولتولوا وهم معرضون .

وحدثنى به مرّة أخرى ، فقال : لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لاخير فيهم ما نفعهم ، بعد أن نفذ علمه بأنهم لاينتفعون به .

وقال آخرون : بل عُنى بها المنافقون :

قالوا : ومعناه : ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ

خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ) لأنفذ لهم قولهم الذى قالوه بألسنتهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ، فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه .

⁂ وأولى القول فى تأويل ذلك بالصواب عندى : ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة ، وأن ذلك ليس من صفة المنافقين .

فتأويل الآية إذن : ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعِبَره ، حتى يعقلوا عن الله حججه منه ، ولكنه قد علم أنه لاخير فيهم ، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لايؤمنون ، ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا ، لتولوا عن الله ، وعن رسوله ، وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته ، مواعظ الله وعبره وحججه ، معاندون للحقّ بعد العلم به .

القول فى تأويل قوله

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ، وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ، وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) فقال بعضهم : معناه : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : أما يحييكم فهو الإسلام ، أحياهم بعد موتهم : بعد كفرهم .

وقال آخرون : للحقّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحقّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : للحقّ .

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى ما فى القرآن .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : هو هذا القرآن، فيه الحياة والعفة والعصمة فى الدنيا والآخرة .

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى الحرب ، وجهاد العدوّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) : أى للحرب الذى أعزّكم الله بها بعد الذلّ ، وقوّاكم بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحقّ ، وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلا فيه الأمر بإجابتهم ، لقتال العدوّ والجهاد ، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن ، وفى الإجابة إلى كلّ ذلك حياة المجيب . أما فى الدنيا ، فيقال : الذكر الجميل ، وذلك له فيه حياة . وأما فى الآخرة ، فحياة الأبد فى الجنان والخلود فيها .

وأما قول من قال : معناه : الإسلام ، فقول لامعنى له : لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاك إلى الإسلام والإيمان .

وبعد، ففيما حدثنا أحمد بن المقدام العجلىّ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال: ثنا روح بن القاسم ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبىّ ، وهو يصلى ، فدعاه : أى أبىّ ، فالتفت إليه أبىّ ، ولم يجبه ، ثم إن أبيًّا خفف الصلاة ، ثم انصرف إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك : أى رسول الله ، قال : وَعَلَيْكَ ، ما مَنَعَكَ إذْ دَعَوْتُكَ أنْ تُجِيبَنِى ؟ قال : يا رسول الله كنت أصلى ، قال : أفَلَمْ تَجِدْ فِيما أُوحِىَ إلىَّ ؟ (اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ؟) قال : بلى ، يا رسول الله ، لاأعود .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبىّ وهو قائم يصلى ، فصرخ به ، فلم يجبه ، ثم جاء فقال : يا أبىّ، مامنعك أن تجيبنى إذ دعوتك ، أليس الله يقول (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال أبىّ : لاجرم يارسول الله ، لاتدعونى إلا أجبت ، وإن كنت أصلى - مايبين[1] عن أن المعنىّ بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مافيه حياتهم ، بإجابتهم إليه من الحقّ بعد إسلامهم ، لأن أبيًّا لاشكّ أنه كان مسلما فى الوقت الذى قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا فى هذين الخبرين .

القول فى تأويل قوله (وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وأنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ) :

(١) قوله « ما يبين » : مبتدأ تقدم خبره ، وهو قوله « ففيما » .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان، عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازىّ ، عن سعيد بن جبير (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : بين الكافر أن يؤمن ، وبين المؤمن أن يكفر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أحمد ، قالا : ثنا سفيان ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثورىّ ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازىّ ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنى أبو زائدة زكريا بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن عبد الله ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنى أبو السائب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازىّ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله .

قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، وعبد العزيز بن أبى روّاد ، عن الضحاك ، فى قوله (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الكافر وطاعته ، وبين المؤمن ومعصيته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن أبى روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، بنحوه .

قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : يحول بين المرء وبين أن يكفر ، وبين الكافر وبين أن يؤمن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا عبد العزيز بن أبى روّاد ، عن الضحاك ابن مزاحم (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الكافر وبين طاعة الله ، وبين المؤمن ومعصية الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا ابن أبى روّاد ، عن الضحاك ، نحوه .

وحُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ، فذكر نحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن منهال ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عبد العزيز

ابن أبي روّاد يحدّث عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن ومعصيته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) يقول : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، ويحول بين الكافروبين الإيمان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) يقول : يحول بين الكافروبين طاعته ، ويحول بين المؤمن وبين معصيته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن ليث ، عن مجاهد (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي روّاد ، عن الضحاك (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، وبين المؤمن وبين معصيته .

قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب القميّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) يحول بين المؤمن والمعاصى ، وبين الكافر والإيمان .

قال : ثنا عبيدة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بينه وبين المعاصى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يحول بين المرء وعقله ، فلا يدري ما يعمل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابيّ ، قال : ثنا عبد المجيد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المرء وعقله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلبِهِ) حتى يتركه لايعقل .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : هي يحول بين المرء وقلبه ، حتى يتركه لايعقل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، عن حميد ، عن مجاهد (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل ؟

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خَصيف ، عن مجاهد (يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين قلب الكافر ، وأن يعمل خيرا .

وقال آخرون : معناه يحول بين المرء وقلبه ، أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه قريب من قلبه ، لايخفى عليه شىء أظهره أو أسرّه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : هى كقوله (أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) .

⁂ وأولى الأقوال بالصواب عندى فى ذلك : أن يقال : إن ذلك : خبر من الله عزّ وجل ، أنه أملك لقلوب عباده منهم ، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لايقدر ذو قلب أن يدرك به شيئا من إيمان أو كفر ، أو أن يعىَ به شيئا ، أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته ، وذلك أن الحول بين الشىء والشىء ، إنما هو الحجز بينهما ، وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه فى شىء أن يدركه أو يفهمه ، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل . وإذا كان ذلك معناه ، دخل فى ذلك قول من قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان ، وقول من قال : يحول بينه وبين عقله ، وقول من قال : يحول بينه وبين قلبه ، حتى لايستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه ، لأن الله عزّ وجلّ إذا حال بين عبد وقلبه ، لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه ، ما منع إدراكه به على ما بينت . غير أنه ينبغى أن يقال : إن الله عمّ بقوله : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخصص من المعانى التى ذكرنا شيئا دون شىء ، والكلام محتمل كلّ هذه المعانى ، فالخبر على العموم ، حتى يخصه مايجب التسليم له .

وأما قوله (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه ، أن الله الذى يقدر على قلوبكم ، وهو أملك بها منكم ، إليه مصيركم ومرجعكم فى القيامة ، فيوفيكم جزاء أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه ، وأن لاتستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم ، فيوجب ذلك سخطه ، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه .

القول فى تأويل قوله

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)

⁂ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : اتقوا أيها المؤمنون فتنة ، يقول : اختبارا من الله يختبركم ، وبلاء يبتليكم ، لاتصيبنّ هذه الفتنة التى حذرتكموها الذين ظلموا ، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله ،

إما أجرام أصابوها ، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها ، يحذّرهم جلّ ثناؤه أن يركبوا له معصية ، أو يأتوا مأثما، يستحقون بذلك منه عقوبة . وقيل: إن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين عُنُوا بها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا الحسن بن أبي جعفر ، قال : ثنا داود ابن أبي هند ، عن الحسن ، فى قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً) قال : نزلت فى علىّ وعثمان وطلحة والزبير ، رضى الله عنهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً) قال قتادة : قال الزبير بن العوّام : لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ، ثم خصتنا فى إصابتنا خاصة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا زيد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أن الزبير بن العوّام ، قال : نزلت هذه الآية (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً) وما نظننا أهلها ، ونحن عُنينا بها .

قال: ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الصلت بن دينار ، عن ابن صهْبان ، قال : سمعت الزبير بن العوّام يقول: قرأت هذه الآية زمانا ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيّون بها (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً) قال: هذه نزلت فى أهل بدر خاصة ، وأصابتهم يوم الجمل ، فاقتتلوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن السدىّ (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) قال : أصحاب الجمل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً ؟ قال : أمر الله المؤمنين أن لايقرّوا المنكر بين أظهرهم ، فيعمهم الله بالعذاب ؛

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً) قال : هى أيضا لكم :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً) قال : الفتنة : الضلالة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودىّ ، عن القاسم ، قال : قال عبد الله : ما منكم من

أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، إن الله يقول (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) فليستعذ بالله من مُضِلات الفتن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قال الزبير : لقد خوّفنا بها ، يعني قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) .

واختلف أهل العربية في تأويل ذلك ، فقال بعض نحويّي البصرة (اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا) قوله : لاتصيبنّ ، ليس بجواب ، ولكنه نهي بعد أمر ، ولو كان جوابا ما دخلت النون . وقال بعض نحويّي الكوفة : قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أمرهم ثم نهاهم ، ومنكم ظرف من الجزاء وإن كان نهيا ، قال : ومثله قوله (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ) أمرهم ثم نهاهم ، وفيه تأويل الجزاء ، وكأن معنى الكلام عنده : اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم .

وأما قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فإنه تحذير من الله ، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) يقول : اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه ، وخالف أمره ، فأثم به .

القول في تأويل قوله

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)

⁂ وهذا تذكير من الله عزّ وجلّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة، يقول : أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون ، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ، ولا تخالفوا أمره ، وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدّة ، فإن الله يهوّنه عليكم بطاعتكم إياه ، ويعجل لكم منه ما تحبون ، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه، وأنتم قليل يستضعفكم الكفار ، فيفتنونكم عن دينكم ، وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم، تخافون منهم أن يتخطفوكم ، فيقتلوكم ، ويصطلموا جميعكم . فآواكم ، يقول : فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم (وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ) يقول : وقوّاكم بنصره عليهم ، حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا .(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) : يقول : لكي تشكروا على ما رزقكم ، وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم .

واختلف أهل التأويل في الناس الذين عُنُوا بقوله (أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) فقال بعضهم : كفار قريش .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله

(وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ . تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) قال : يعنى بمكة مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ أو قتادة أو كليهما (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ) أنها نزلت فى يوم بدر ، كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس ، فآواهم الله وأيدهم بنصره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقال آخرون : بل عُنِى به غيرُ قريش .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنى أبى ، قال : سمعت وهب ابن منبه يقول فى قوله عزّ وجلّ (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) قال : فارس .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول ، وقرأ (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) والناس إذ ذاك : فارس ، والروم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ) قال : كان هذا الحىّ من العرب أذلّ الناس ذلاً ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم ردّى فى النار ، يُؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرّ منهم منزلا ، حتى جاء الله بالإسلام ، فمكّن به فى البلاد ، ووسّع به فى الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس ، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فإن ربكم منعم يحبّ الشكر ، وأهل الشكر فى مزيد من الله تبارك وتعالى .

* وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عُنى بذلك مشركو قريش ، لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم ، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم ، وأشدّهم عليهم يومئذ ، مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المسلمين .

وأما قوله (فَآوَاكُمْ) فإنه يعنى : آواكم المدينة، وكذلك قوله (وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ) بالأنصار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَآوَاكُمْ) قال : إلى الأنصار بالمدينة (وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ)، وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أيدهم بنصره يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (فَآوَاكُمْ وأيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) : يعنى المدينة .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ، وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : يأيها الذين صدَّقوا الله ورسوله ، لاتخونوا الله ، وخيانتهم الله ورسوله ، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمان فى الظاهر والنصيحة ، وهو يستسرّ الكفرَ والغشَّ لهم فى الباطن ، يدُلون المشركين على عورتهم ، ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم .

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية ، وفى السبب الذى نزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت فى منافق كتب إلى أبى سفيان يطلعه على سرّ المسلمين .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا شَبَابة بن سوّار ، قال : ثنا محمد بن المحرم ، قال : لقيت عطاء بن أبى رباح ، فحدثنى ، قال : ثنى جابر بن عبد الله : أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريل النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إنَّ أبا سُفْيانَ فى مَكانِ كَذَا وكَذَا ، فاخرُجُوا إلَيْهِ واكْتُمُوا ، قال : فكتب رجل من المنافقين إلى أبى سفيان : إن محمدا يريدكم ، فخذوا حذركم ، فأنزل الله عزّ وجلّ (لاَ تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) .

وقال آخرون : بل نزلت فى أبى لُبابة للذى كان من أمره وأمر بنى قُرَيظة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قوله (لاَ تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) قال : نزلت فى أبى لُبابة ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، قال الزهرىّ : فقال أبولبابة : لا والله لاأذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت ، أو يتوب الله علىّ ، فمكث سبعة أيام لايذوق طعاما ولا شرابا ، حتى خرّ مغشيا عليه ، ثم تاب الله عليه ، فقيل له : يا أبا لبابة قد تيب عليك ، قال : والله لاأحلّ نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى ، فجاءه فحلّه بيده ، ثم قال أبو لبابة : إن من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب ، وأن أنخلع من مالى ، قال : يجزيك الثلث أن تصدّق به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت عبد الله بن أبي قتادة ، يقول : نزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : فى أبى لبابة .

وقال آخرون : بل نزلت فى شأن عثمان رضى الله عنه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا يونس بن الحارث الطائفى ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفىّ ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : نزلت هذه الآية فى قتل عثمان رضى الله عنه (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ) . . . الآية .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب :أن يقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيانته ، وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته ، وجائز أن تكون نزلت فى أبى لبابة ، وجائز أن تكون نزلت فى غيره ، ولا خبر عندنا بأىّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته ؛ فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ) قال : نهاكم أن تخونوا الله و الرسول ، كما صنع المنافقون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ) . . . الآية ،قال : كانوا يسمعون من النبىّ صلى الله عليه وسلم الحديث، فيفشونه حتى يبلغ المشركين .

واختلفوا فى تأويل قوله (وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فقال بعضهم : لاتخونوا الله والرسول ، فإن ذلك خيانة لأماناتكم ، وهلاك لها .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) فإنهم إذا خانوا الله والرسول، فقد خانوا أماناتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : أى لاتظهروا لله من الحق مايرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السرّ إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم ، فعلى هذا التأويل ، قوله (وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) فى موضع نصب على الظرف ، كما قال الشاعر :

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1]

ويروى : وتأتى مثله .

(١) البيت تقدم إنشاده وشرحه ، وانظره فى (ج ٢ : ١٨٥) .

وقال آخرون : معناه : لاتخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) يقول : لا تخونوا : يعني لاتنقصوها . فعلى هذا التأويل : لاتخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم .

واختلف أهل التأويل في معنى الأمانة التي ذكرها الله في قوله (وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) ، فقال بعضهم : هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) والأمانة : الأعمال التي أمن الله عليها العباد ، يعني : الفريضة ، يقول : ولا تخونوا : يعني لاتنقصوها .

حدثنا عليّ بن داود ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ) يقول : بترك فرائضه ، والرسول ، يقول : « بترك سننه ، وارتكاب معصيته » قال : وقال مرّة أخرى : لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ، والأمانة : الأعمال ثم نحو حديث المثنى .

وقال آخرون : معنى الأمانات ههنا : الدين .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وتَخُونُوا أماناتِكُمْ) : دينكم (وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) قال : قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الإيمان ، وقرأ (وَإذَا قامُوا إلى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى) . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا ، أظهروا الإيمان ، وأسرّوا الكفر .

فتأويل الكلام إذن : يا أيها الذين آمنوا لاتنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه ، لاتنقصوهما ، وتخونوا أماناتكم ، وتنقصوا أديانكم ، وواجب أعمالكم ، ولازمها لكم ، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم ، وواجبة بالحجج ، التي قد ثبتت لله عليكم .

القول في تأويل قوله

وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)

❁ يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي خولكموها الله ، وأولادكم التي

وهبها الله لكم ، اختبار وبلاء أعطاكموها ، ليختبركم بها ويبتليكم ، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حقّ الله عليكم فيها ، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها (وأنّ اللهَ عِنْدَهُ أجرٌ عَظِيم) يقول : واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم فى أموالكم وأولادكم ، التى اختبركم بها فى الدنيا ، وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها ، تنالوا به الجزيل من ثوابه فى معادكم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا المسعوديّ ، عن القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود ، فى قوله (إنَّمَا أمْوَالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) قال : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فمن استعاذ منكم ، فليستعذ بالله من مُضِلات الفتن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاعْلَمُوا أنَّمَا أمْوَالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) قال : فتنة الاختبار ، اختبارهم ، وقرأ (وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرّ والخَيْرِ فِتْنَةً ، وإلَيْنا تُرْجَعُونَ) .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ، إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ، وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ، وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (٢٩)

❊ يقول تعالى ذكره : (يَاأيُّها الَّذِينَ) صدقوا الله ورسوله (إنْ تَتَّقُوا اللهَ) بطاعته ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وترك خيانته ، خيانة رسوله ، وخيانة أماناتكم (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا) : يقول : يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين ، بنصره إياكم عليهم ، وإعطائكم الظفر بهم . (ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ) : يقول : ويمحو عنكم ماسلف من ذنوبكم بينكم وبينه . (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : ويغطيها ، فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها . (وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) : يقول : والله الذى يفعل ذلك بكم ، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ، بفعله ذلك ، وفعل أمثاله ، وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التى اكتسبها ، حتى استحقّ من ربه الجزاء الذى وعده عليها .

وقد اختلف أهل التأويل فى العبارة عن تأويل قوله (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً) فقال بعضهم : مَخْرَجا . وقال بعضهم : نجاة . وقال بعضهم : فصلا ، وكلّ ذلك متقارب المعنى ، وإن اختلفت العبارات عنها ، وقد بيَّنت صحة ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .

ذكر من قال معناه : المخرج .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً) قال : مخرجا .

قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) قال : مخرجا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد (فُرْقَاناً) : مخرجا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فُرْقَاناً) قال : مخرجا فى الدنيا والآخرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هانئُ بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فُرْقَاناً) قال : الفرقان : المخرج .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فُرْقَاناً) يقول : مخرجا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن مجاهد (فُرْقَاناً) : مخرجا .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا عبد الله بن رجاء البصرىّ ، قال : ثنا زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (فُرْقَاناً) قال : مخرجا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : سمعت عبيدا يقول : سمعت الضحاك يقول (فُرْقَاناً) : مخرجا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد ، عن زهير ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : الفرقان : المخرج .

ذكر من قال : معناه : النجاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عكرمة (إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) قال : نجاة .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن رجل ، عن عكرمة ومجاهد ، فى قوله (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) قال عكرمة : المخرج ، وقال مجاهد : النجاة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) قال : نجاة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) : يقول يجعل لكم نجاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) : أى نجاة .

ذكر من قال فصلا (يأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً) قال : فرقان يفرق فى قلوبهم بين الحقّ والباطل ، حتى يعرفوه ، ويهتدوا بذلك الفرقان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً) : أى فصلا بين الحقّ والباطل ، يظهر به حقكم ، ويخفى به باطل من خالفكم ، والفرقان فى كلام العرب مصدر ، من قولهم : فرَقْتُ بين الشىء والشىء ، أفرُق بينهما فرقا وفرقانا .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مُذكِّرَه نعمه عليه : واذكر يا محمد ، إذ يمكر بك الذين كفروا من مشركى قومك ، كى يثبتوك .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لِيُثْبِتُوكَ) فقال بعضهم : معناه : ليقيدوك .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) يعنى : ليوثقوك ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيُثْبِتُوكَ) : ليوثقوك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) . . . الآية ، يقول : ليشدّوك وَثاقا ، وأرادوا بذلك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ومِقْسم ، قالا : قالوا : أوثقوه بالوَثاق .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لِيُثْبِتُوكَ) قال : الإثبات : هو الحبس والوثاق .

وقال آخرون : بل معناه : الحبس .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء ، عن قوله (لِيُثْبِتُوكَ) قال : يَسْجنُوك ، وقالها عبد الله بن كثير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قالوا : اسجنوه .

وقال آخرون : بل معناه : ليسحروك .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن إسماعيل البصرىّ المعروف بالوساوسىّ ، قال : ثنا عبد المجيد بن أبى روّاد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير بن المطلب بن أبى وداعة ، أن أباطالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يأتمر به قومك ؟ قال : يُرِيدُونَ أنْ يَسْحَرُونِى ويَقْتُلُونِى ويُخْرِجُونِى ، فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : ربى ، قال : نعم الربّ ربك ، فاستوص به خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أسْتَوْصِى بِهِ ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِى بِى خَيْرًا ، فنزلت (وَإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ أوْ يُخْرِجُوكَ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : لما ائتمروا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه ، قال له أبوطالب : هل تدرى ما ائتمروا بك ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فأخبره ، قال : من أخبرك ؟ قال : رَبِّى ، قال : نعم الربّ ربك ، استوص به خيرا ، قال : أنا أسْتَوْصِى بِهِ ، أوْ هُوَ يَسْتَوْصِى بِى ؟

وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه . كما حدثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : وحدثنى الكلبىّ ، عن زاذان مولى أم هانئ ، عن ابن عباس ، أن نفرا من قريش من أشراف كلّ قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ جليل ؛ فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم منى رأى ونصح ، قالوا : أجل ، ادخل ، فدخل معهم ، فقال : انظروا فى شأن هذا الرجل ، والله ليوشِكنّ أن يواثبكم فى أموركم بأمره [١] ، قال : فقال قائل : احبسوه فى وثاق ، ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زُهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم ، قال : فصرخ عدوّ الله الشيخ النجدىّ ، فقال : والله ما هذا لكم رأى ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكنّ أن يثبوا عليه ، حتى يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قالوا : فانظروا فى غير هذا ، قال : فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم ، تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضرّكم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره فى غيركم ، فقال الشيخ النجدىّ : والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه ، والله لئن فعلتم ، ثم استعرض العرب ، لتجتمعنّ عليكم ، ثم ليأتينّ إليكم ، حتى يخرجكم من بلادكم ، ويقتل أشرافكم . قالوا : صدق والله ، فانظروا رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل : والله لأشيرنّ عليكم برأى ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره ، قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كلّ قبيلة غلاما وسطا ، شابا نَهْدا ، ثم يعطى كلّ غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرّق دمه فى القبائل كلها ، فلا أظنّ هذا الحىّ من بنى هاشم ، يقدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا ارأوا

(١) فى سياق هذا الخبر اختلاف فى اللفظ عما فى السيرة لابن هشام والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية .

ذلك قبلوا العَقْل واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه . فقال الشيخ النجدىّ : هذا والله الرأى، القول ما قال الفتى ، لاأرى غيره ، قال : فتفرّقوا على ذلك وهم مجمعون له ، قال : فأتى جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن لايبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه تلك الليلة ،وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال ، يذكره نعمه عليه ، وبلاءه عنده (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ،وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)،وأنزل فى قولهم: (تَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) وكان يسمى ذلك اليوم : يوم الزحمة ، للذى اجتمعوا عليه من الرأى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ومِقْسَم ، فى قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قالا : تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه ؛ فلما أصبحوا رأوا عليا رضى الله عنه ، فردّ الله مكرهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنى أبى ، عن عكرمة ، قال : لما خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، أمَرَ علىّ بن أبى طالب ، فنام فى مضجعه ، فبات المشركون يحرُسونه ، فإذا رأوه نائما حسبوا أنه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتركوه ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ، وهم يحسبون أنه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا هم بعلىّ ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لاأدرى ، قال : فركبوا الصعب والذلول فى طلبه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : أخبرنى عثمان الجريرىّ: أن مقسما مولى ابن عباس،أخبره عن ابن عباس،فى قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ): قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبىّ صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات علىّ رضى الله عنه على فراش النبىّ صلى الله عليه وسلم ، تلك الليلة ، وخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم، حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا ، يحسبون أنه النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ؛ فلما رأوه عليا رضى الله عنه ، ردّ الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لاأدرى ، فاقتصوا أثره ؛ فلما بلغوا الجبل ، ومرّوا بالغار ، رأوا على بابه نسج العنكبوت ، قالوا : لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابه ، فمكث فيه ثلاثا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) قال: اجتمعت مَشْيَخة قريش يتشاورون فى النبىّ صلى الله عليه وسلم، بعد ما أسلمت الأنصار ، وفَرِقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه ، فجاء إبليس فى صورة رجل من أهل نجد ،

فدخل معهم فى دار الندوة ؛ فلما أنكروه قالوا : من أنت ؟ فوالله ما كلَّ قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا . قال : أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم ، وأشير عليكم، فاستحيَوْا فخلَّوْا عنه ، فقال بعضهم : خذوا محمدا إذا اصطبح على فراشه، فاجعلوه فى بيت ، نتربص به ريب المنون ، والريب : هو الموت ، والمنون : هو الدهر ، قال إبليس : بئسما قلتَ، تجعلونه فى بيت، فيأتى أصحابه فيخرجونه، فيكون بينكم قتال . قالوا : صدق الشيخ ؛ قال : أخرجوه من قريتكم ، قال إبليس : بئسما قلت : تخرجونه من قريتكم وقد أفسد سفهاءكم ، فيأتى قرية أخرى، فيفسد سفهاءهم . فيأتيكم بالخيل والرجال . قالوا : صدق الشيخ ؛ قال أبو جهل،وكان أولاهم بطاعة إبليس . . . بل نعمد إلى كلّ بطن من بطون قريش،فنخرج منهم رجلا، فنعطيهم السلاح ، فيشدّون على محمد جميعا ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشا ، فليس لهم إلا الدية ، قال إبليس : صدق ، وهذا الفتى هو أجودكم رأيا . فقاموا على ذلك ، وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فنام على الفراش ، وجعلوا عليه العيون ؛ فلما كان فى بعض الليل ، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار ، ونام علىّ بن أبى طالب على الفراش ، فذلك حين يقول الله : (لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) . والإثبات : هو الحبس والوثاق ، وهو قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَنْ لايَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) يقول : يهلكهم ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقيه عمر ، فقال له : ما فعل القوم ؟ وهو يرى أنهم قد أُهلكوا حين خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وكذلك كان يصنع بالأمم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أخِّرُوا بالقِتال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) قال : كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، نحوه إلا أنه قال : فعلوا ذلك بمحمد .

حدثنى محمد بن سعد قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) . . . الآية ، هو النبىّ صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) . . . إلى آخر الآية، قال : اجتمعوا فتشاوروا فى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : اقتلوا هذا الرجل ، فقال بعضهم : لايقتله رجل إلا قُتل به . قالوا : خذوه فاسجنوه، واجعلوا عليه حديدا ، قالوا : فلا يدعكم أهل بيته . قالوا : أخرجوه ، قالوا : إذن يستغوىَ الناس عليكم . قال :

وإبليس معهم فى صورة رجل من أهل نجد، واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستلم، أن يجتمعوا عليه، فيغمُّوه ويقتلوه، فإنه لايدرى أهله من قتله، فيرضون بالعقل، فنقتله ونستريح ونعقله؛ فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه، فغمُّوه، فأُتِىَ أبو بكر، فقيل له ذاك، فأتى، فلم يجد مدخلا؛ فلما أن لم يجد مدخلا، قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ قال: ثم فرَّجها الله عنه؛ فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام، فقال: من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان، فقال: لا، نحن أعلم بهم منك يا محمد، هو ناموس ليل[١]، قال: وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام، فأتى بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقدم أحدهم إلى جبريل، فكحله، ثم أرسله، فقال: ما صُورَتُه يا جِبْرِيلُ؟ قال: كفيته يا نبىّ الله، ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة، ثم أرسله فقال: ماصُورَتُه ياجِبْرِيلُ؟ فقال: كفيته يا نبىّ الله، ثم أُتِى بآخر، فنقر فى ركبته، فقال: ماصُورَتُه يا جِبْرِيلُ، قال: كفيته، ثم أُتِى بآخر، فسقاه مَذْقَةً، فقال: ماصُورَتُه يا جِبْرِيلُ؟ قال: كفيته يانبىّ الله، وأتى بالخامس، فلما غدا من بيته مرّ بنبال، فتعلق مِشْقَص بردائه فالتوى، فقطع الأكحل من رجله؛ وأما الذى كحلت عيناه فأصبح وقد عمى؛ وأما الذى سُقِى مذقة، فأصبح وقد استسق بطنُه؛ وأما الذى نقر فوق رأسه، فأخذته النقدة، والنقدة: قرحة عظيمة، أخذته فى رأسه؛ وأما الذى طعن فى ركبته، فأصبح وقد أقعد، فذلك قول الله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ): أى فكرت لهم بكيدى المتين، حتى خلصتك منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال: هذه مكية. قال ابن جريج: قال مجاهد: هذه مكية.

فتأويل الكلام إذن: واذكر يامحمد نعمتى عندك، بمكرى بمن حاول المكر بك من مشركى قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمرى فى حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يرعبنك كثرة عددهم، فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به، وعبد غيره، وخالف أمره ونهيه. وقد بيَّنا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

القول فى تأويل قوله

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا، قَالُوا: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ، إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)

(١) كذا بالأصل. ومن معانى الناموس فى لسان العرب: الاحتيال والمكر والخداع. فلعله يريد: ليس هؤلاء الذين سميتهم هم الذين يريدون الأذى والمكر بك وحدهم، وإنما هم قوم كثير تآمروا عليك، ونحن أعلم بهم منك.

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله، الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه، قالوا: جهلا منهم، وعنادا للحقّ، وهم يعلمون أنهم كاذبون فى قيلهم (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) الذى تلى علينا. (إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ): يعنى أنهم يقولون: ماهذا القرآن الذى يتلى عليهم إلا أساطير الأوّلين، والأساطيرُ: جمع أسطر، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر: سطر، ثم يجمع السطر: أسطر وسطور، ثم يجمع الأسطر: أساطير وأساطر. وقد كان بعض أهل العربية يقول: واحد الأساطير: أسطورة.

وإنما عَنَى المشركون بقولهم (إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ): إن هذا القرآن الذي تتلوه علينا يامحمد إلا ما سطره الأوّلون، وكتبوه من أخبار الأمم، كأنهم أضافوه إلى أنه أُخذ عن بنى آدم، وأنه لم يوحه الله إليه.

وبنحو الذي قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هذَا) قال: كان النضر بن الحارث يختلف تاجرا إلى فارس، فيمرّ بالعباد[1] وهم يقرءون الإنجيل، ويركعون ويسجدون، فجاء مكة، فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه، وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا، للذى سمع من العباد، فنزلت (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا، قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هذَا) قال: فقصّ ربنا ما كانوا قالوا بمكة، وقصّ قولهم (إِذْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية.

حدثنى محمد بن الحسن، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: كان النضر بن الحارث بن علقمة، أخو بنى عبد الدار، يختلف إلى الحيرة، فيسمع سجع أهلها وكلامهم؛ فلما قدم مكة، سمع كلام النبىّ صلى الله عليه وسلم والقرآن، فقال (قَدْ سَمِعْنَا، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا، إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ) يقول: أساجيع أهل الحيرة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير قال: قتل النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر صَبْرا، عُقْبة بن أبى مُعَيط، وطُعيمة بن عدىّ، والنضر بن الحارث؛ وكان المقداد أسر النضْر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله أسيرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فى كتاب اللهِ ما يَقُولُ، فأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بقتله، فقال المقداد: أسيرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ أغْنِ المِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ،

(١) العباد، بكسر العين: ألفاف من قبائل شتى، اجتمعوا بالحيرة على النصرانية، فسموا عبادا، منهم عدى بن زيد التميمى العبادى.

فقال المقداد : هذا الذى أردتُ ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) . . . الآية .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا : المطعم بن عدىّ [1] ، والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط ، قال : فلما أمر بقتل النضر ، قال المقداد بن الأسود : أسيرى يا رسول الله ، قال : إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فى كِتَابِ الله وفى رَسُولِه ما كَانَ يَقُولُ ، قال : فقال ذلك مرّتين أو ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ أَغْنِ المِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ ، وكان المقداد أسر النضر .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ قَالُوا : ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢)

❊ يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد أيضا ما حلَّ بمن قال (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) إذ مكرت لهم ، فأتيتهم بعذاب أليم ، وكان ذلك العذاب : قتلَهم بالسيف يوم بدر . وهذه لآية أيضا ذُكر أنها نزلت فى النضر بن الحارث.

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) قال : نزلت فى النضر بن الحارث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) قال : قول النضْر بن الحارث بن علقمة [2] بن كَلَدَة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة ، من بنى عبد الدار ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) قال : هو النضر بن الحارث بن كَلَدَة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : قال رجل من بنى عبد الدار ، يقال له : النضر بن كَلَدَة (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فقال الله (وَقَالُوا : رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ) وقال (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وقال (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) قال عطاء : لقد نزل فيه بضعَ عشرة آية من كتاب الله .

(١) قال ابن كثير : ذكر المطعم بدل طعيمة غلط ، لأن المطعم لم يكن حيا يوم بدر . اه. (٢) علقمة ساقط من لفظ ابن إسحاق .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : فقال يعنى النضر بن الحارث : اللهمّ إن كان ما يقول محمد (هو الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) قال الله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية ، قال (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية، قال : قال ذلك سَفَهَةَ هذه الأمة وجهلتها ، فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك : أى ما جاء به محمد ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم : أى ببعض ما عذّبت به الأمم قبلنا .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول «هو» فى الكلام، فقال بعض البصريين: نصب الحقّ ، لأن هو ـ والله أعلم ـ حوّلت زائدة فى الكلام صلة توكيد، كزيادة ما، ولا تزاد إلا فى كلّ فعل لايستغنى عن خبر ، وليس هو بصفة لهذا ، لأنك لو قلت : رأيت هذا هو لم يكن كلاما ، ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة، ولكنها تكون من صفة المضمرة ، نحو قوله (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ، وَتَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وأَعْظَمَ أَجْرًا) لأنك تقول: وجدته هو وإياى ، فتكون هو صفة، وقد تكون فى هذا المعنى أيضا غير صفة ، ولكنها تكون زائدة ، كما كان فى الأوّل ، وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعدها إن كان ما بعدها ظاهرا أو مضمرا فى لغة بنى تميم ، يقولون فى قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ، وَتَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَخَيْرًا وأَعْظَمَ أَجْرًا) كما تقول: كانوا آباؤهم الظالمون، جعلوا هذا المضمر نحو هو وهما، وأنت زائدا فى هذا المكان، ولم تجعل مواضع الصفة، لأنه فصل، أراد أن يبين به أنه ليس مابعده صفة لما قبله ، ولم يحتج إلى هذا فى الموضع الذى لايكون له خبر . وكان بعض الكوفيين يقول : لم تدخل «هو» التى هى عماد فى الكلام، إلا لمعنى صحيح، وقال : كأنه قال : زيد قائم ، فقلت : أنت : بل عمرو هو القائم ، فهو لمعهود الاسم ، والألف واللام لمعهود الفعل التى هى صلة فى الكلام مخالفة لمعنى هو ، لأن دخولها وخروجها واحد فى الكلام ، وليست كذلك هو ؛ وأما التى تدخل صلة فى الكلام ، فتوكيد شبيه بقولهم : وجدته نفسه يقول ذلك ، وليست بصفة كالظريف والعاقل .

القول فى تأويل قوله

وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ

أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ، إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) : أى وأنت مقيم بين أظهرهم . قال : وأنزلت هذه على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو مقيم بمكة ، قال : ثم خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فاستغفر من بها من المسلمين ، فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم ، فعذّب الكفار .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن ابن أبزى ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : فخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقُوا فيها يستغفرون ، يعنى بمكة ؛ فلما خرجوا أنزل الله عليه (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) قال : فأذن الله له فى فتح مكة ، فهو العذاب الذى وعدهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصين ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعنى : من بها من المسلمين (وما لهم ألَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) يعنى مكة ، وفيها الكفار .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبى مالك ، فى قول الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) يعنى : أهل مكة (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ) وفيهم المؤمنون يستغفرون : يغفر لمن فيهم من المسلمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل الرازىّ وأبو داود الحَفَرىّ ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : بقية من بقى من المسلمين منهم ، فلما خرجوا ، قال (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حُصين ، عن أبى مالك (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : أهل مكة .

وأخبرنا أبىّ ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : المؤمنون من أهل مكة (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال : المشركون من أهل مكة .

قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : المؤمنون يستغفرون بين ظَهرانَيهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة ، حتّى أخرجك والذين آمنوا معك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال : ابن عباس لم يعذّب قرية حتى يخرج النبيّ منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني المؤمنين ، ثم أعاد إلى المشركين ، فقال (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ) قال : يعني أهل مكة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذّب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يامحمد، حتى أخرجك من بينهم (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ) وهؤلاء المشركون يقولون : يا ربّ غفرانك، وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول ، قالوا : وقوله (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) في الآخرة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن منصور الرماديّ ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا عكرمة ، عن أبي زميل ، عن ابن عباس : إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون : لبيك لاشريك لك لبيك ، فيقول النبيّ صلى الله عليه وسلم : قَدْ قَدْ ، فيقولون : لاشريك لك،إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، ويقولون : غفرانك غفرانك ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فقال ابن عباس : كان فيهم أمانان: نبيّ الله،والاستغفار ، قال : فذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم،وبقي الاستغفار (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ،إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ المُتَّقُونَ) قال: فهذا عذاب الآخرة ، قال : وذاك عذاب الدنيا.

حدثني الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبومعشر ، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا) . . . الآية ؛ فلما أمسَوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا : غفرانك اللهمّ ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) . . . إلى قوله (لايَعْلَمُونَ) .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانوا يقولون : يعني المشركين : والله إن الله لايعذّبنا ونحن نستغفر ،ولا يعذّب أمة ونبيها معها ، حتى يخرجه عنها ، وذلك من قولهم ،ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ

السَّماءِ) كما أمطرتها على قوم لوط ، وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) : أى بقولهم : وإن كانوا يستغفرون كما قال (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ) من آمن بالله وعبده : أى أنت ومن تبعك .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا أبو بُردة ، عن أبي موسى ، قال : إنه كان فيكم أمانان : قوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : أما النبيّ صلى الله عليه وسلم فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عامر أبي الخطاب الثوريّ ، قال : سمعت أبا العلاء يقول : كان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمَنتان : فذهبت إحداهما ، وبقيت الأخرى (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ) . . الآية .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم يا محمد ، وما كان الله معذّب المشركين وهم يستغفرون : أن لو استغفروا. قالوا : ولم يكونوا يستغفرون، فقال جلّ ثناؤه : إذ لم يكونوا يستغفرون : (وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : إن القوم لم يكونوا يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عذّبوا ، وكان بعض أهل العلم يقول : هما أمانان أنزلهما الله . فأما أحدهما فمضى ، نبيّ الله ، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم ، الاستغفار والتوبة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : قال الله لرسوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ، ولو استغفروا وأقرّوا بالذنوب لكانوا مؤمنين ، وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون ؟ وما لهم ألا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن محمد وعن المسجد الحرام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يقول : لو استغفروا لم أعذّبهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليعذّبهم وهم يُسلمون .

قالوا : واستغفارهم كان فى هذا الموضع : إسلامَهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حُدير ، عن عكرمة ، فى قوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : سألوا العذاب فقال : لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ، ولم يكن ليعذّبهم وهم يدخلون فى الإسلام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنْتَ فِيهِمْ) قال : بين أظهرهم ، وقوله (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يُسلمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ) بين أظهرهم (وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : وهم يُسلِمون (وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا محمد بن عبيد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ) قال : بين أظهرهم (وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : دخولهم فى الإسلام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيهم مَن قد سبق له من الله الدخول فى الإسلام .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ) يقول : ما كان الله سبحانه يعذّب قوما ، وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ، ثم قال (وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : ومنهم من قد سبق له من الله الدخول فى الإيمان ، وهو الاستغفار ، ثم قال (وَما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) فعذّبهم يوم بدر بالسيف .

وقال آخرون : بل معناه : وما كان الله معذّبهم وهم يصلون .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعنى : يصلون، يعنى بهذا أهلَ مكة .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ ، قال : ثنا حسين الجعفيّ ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ ،وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله (وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ) يعنى : أهل مكة ، يقول : لم أكن لأعذّبكم وفيكم محمد ، ثم قال (وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعنى : يؤمنون ويصلون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : وهم يصلون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذّب المشركين وهم يستغفرون، قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحويّ ، عن عكرمة والحسن البصريّ ، قالا : قال فى الأنفال (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فنسختها الآية التى تليها (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) . . . إلى قوله (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) فقوتلوا بمكة ، وأصابهم فيها الجوع والحصر .

❊ وأولى هذه الأقوال عندى فى ذلك بالصواب: قول من قال : تأويله : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد ، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم ، لأنى لاأهلك قرية وفيها نبيها ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ، ولكنهم لايستغفرون من ذلك ، بل هم مصرّون عليه ، فهم للعذاب مستحقون ، كما يقال : ما كنت لأحسن إليك ، وأنت تسىء إلىّ ، يراد بذلك : لاأحسن إليك إذا أسأت إلىّ ، ولو أسأت إلىّ لم أحسن إليك ، ولكن أحسن إليك، لأنك لاتسىء إلىّ، وكذلك ذلك ، ثم قيل (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بمعنى : وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذّبهم الله وهم لايستغفرون الله من كفرهم ، فيؤمنوا به ، وهم يصدّون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن القوم : أعنى مشركى مكة ، كانوا استعجلوا العذاب فقالوا : اللهمّ إن كان ما جاء به محمد ، هو الحقّ ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فقال الله لنبيه : ما كنت لأعذّبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذّبهم لو استغفروا ، وكيف لاأعذّبهم بعد إخراجك منهم ، وهم يصدّون عن المسجد الحرام ، فأعلمه جلّ ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب ، حائق بهم ونازل ، وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم ، ولا وجه لإيعادهم العذاب فى الآخرة ، وهم مستعجلوه فى العاجل ، ولا شكّ أنهم فى الآخرة إلى العذاب صائرون ، بل فى تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر ، الدليل الواضح على أن القول فى ذلك ما قلنا ، وكذلك لاوجه لقول من وجه قوله (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) إلى أنه عَنَى به المؤمنين ، وهو فى سياق الخبر عنهم ، وعما الله فاعل بهم ، ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضى ، وعلى أن ذلك به عُنُوا ، ولا خلاف فى تأويله من أهله موجود ، وكذلك أيضا لاوجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . الآية لأن قوله جلّ ثناؤه (وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) خبر ، والخبر لايجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهى .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « أن » فى قوله (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) فقال بعض نحويّ البصرة : هى زائدة ههنا، وقد عملت كما عملت « لا » وهى زائدة ، وجاء فى الشعر :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لاذُنُوبَ لَهَا إلَىَّ لامَ ذَوُو أحْسابِها عُمَرَا[1]

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال: لم تدخل « أن » إلا لمعنى صحيح ، لأن معنى (وَمَا لَهُمْ) ما يمنعهم من أن يعذّبوا ، قال : فدخلت « أن » لهذا المعنى ، وأخرج بلا ، ليعلم أنه بمعنى الجحد ، لأن المنع جحد. قال : و«لا» فى البيت صحيح معناها ، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا . وقال : ألا ترى إلى قولك : ما زيد ليس قائما ، فقد أوجبت القيام ، قال : وكذلك « لا » فى هذا البيت .

القول فى تأويل قوله (وَمَا كانُوا أوْلِياءَهُ ، إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ ، وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) .

❊ يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذّبهم الله ، وهم يصدّون عن المسجد الحرام ، ولم يكونوا أولياء الله ، إن أولياؤه ، يقول : ما أولياء الله إلا المتقون ، يعنى : الذين يتقون الله، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر المشركين لايعلمون أن أولياء الله المتقون ، بل يحسبون أنهم أولياء الله .

وبنحو ما قلنا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ) هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إنَّ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ) مَنْ كانوا ، وحيث كانوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَمَا كانُوا أوْلِياءَهُ ، إنْ أوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ): الذين يخرجون منه ، ويقيمون الصلاة عنده : أى أنت ، يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك (وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ)

(١) البيت من شواهد النحويين (الخزانة ٢ : ٨٧) على أن « لا » فى قوله « لاذنوب لها » زائدة ، ومع ذلك عملت عمل « لا » النافية للجنس ، فبنيت النكرة معها على الفتح ، والمعنى : لها ذنوب إلى ، و عمل لا الزائدة شاذ . والبيت للفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزارى ؛ وفى رواية الخزانة : « إذن للام . . . الخ » . ومعناه : لو كانت غطفان غير مسيئة إلى ، للام أشرافها عمر بن هبيرة فى تعرضه لى ، ومنعوه منى . وكان عمر بن هبيرة من عمال سليمان بن عبد الملك .

القول فى تأويل قوله

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)

❊ يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله ، وهم يصدّون عن المسجد الحرام الذى يُصَلُّون لله فيه ويعبدونه ، ولم يكونوا لله أولياء ، بل أولياؤه الذين يصدّونهم عن المسجد الحرام ، وهم لايصلون فى المسجد الحرام (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ) يعنى : بيت الله العتيق (إِلاَّ مُكاءً) وهو الصفير ، يقال منه : مكا يمكو مَكْوًا ومُكَاء . وقد قيل: إن المكو : أن يجمع الرجل يديه ، ثم يدخلهما فى فيه ، ثم ويصيح ، ويقال منه : مكتِ است الدابة مكاء : إذا نفخت بالريح ، ويقال : إنه لايمكو إلا است مكشوفة ، ولذلك قيل للاست المَكْوَة ، سميت بذلك ، ومن ذلك قول عنترة :

وَحَلِيلِ غانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلا تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ[١]

وقول الطرماح :

فَنَحا لِأُولاها بِطَعْنَةِ مُحْفَظٍ تَمْكُو جَوَانِبُها مِنَ الإِنْهارِ[٢]

بمعنى : تصوّت. وأما التصدية فإنها التصفيق ، يقال منه : صَدَّى يُصَدِّى تصدية ، وصفَّق وصفَّح بمعنى : واحد.

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن موسى بن قيس ، عن حجر بن عنبس (إِلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) قال : المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) المكاء : التصفير . والتصدية : التصفيق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) يقول : كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء ، يعنى : التصفير ، وتصدية ، يقول : التصفيق .

---

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، وهو السادس والأربعون فى معلقته (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ٣٧٥) . والحليل : الزوج ، يروى بالحاء وبالخاء جميعا . والغانية : الشابة . وقيل : هى المرأة غنيت بجمالها عن الزينة . أو غنيت وأقامت فى خدرها لا تبرحه ، لأن لها من يخدمها . ومجدلا : مصروعا على الجدالة ، وهى الأرض . وتمكو : تصفر بخروج الدم . والفريصة : لحمة تحت الإبط ، بحذاء القلب ، ترعد عند الخوف . والأعلم : مشقوق الشفة العليا . يقول : إن فريصة الفارس تصفر صفيرا كصفير شدق البعير ، من اتساع الطعنة ، وشدة خروج الدم منها . وانظره فى (اللسان : مكا) .

(٢) البيت للطرماح بن حكيم يصف الثور حين طعن الكلاب (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٢٧ ص ١٤٩) و (كتاب المعانى الكبير لابن قتيبة ص ٩٨٣) وقال فى شرحه : نحا : انحرف . والمحفظ : المغضب . تمكو : تصفر ، وذلك عند سيلانها . والإنهار : أن توسع الطعنة ، ومنه قول قيس بن الخطيم « . . . فأنهرت فتقها » .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا فضيل ، عن عطية (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) قال : التصفيق والصفير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قرّة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : المكاء : التصفيق ، والتصدية : الصفير . قال : وأمال ابن عمر خدّه إلى جانب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن قرة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) قال : المكاء والتصدية : الصفير والتصفيق .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت محمد بن الحسين يحدّث عن قرة بن خالد ، عن عطية العوفى ، عن ابن عمر ، قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق . وقال قرة : وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر ، وأمال خدّه ، وصفق بيديه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول فى قول الله (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) قال بكر : فجمع لى جعفر كفيه ، ثم نفخ فيهما صفيرا ، كما قال له أبو سلمة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : المُكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عمر (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) قال تصفير وتصفيق

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت قريش يطوفون بالبيت ، وهم عُراة ، يصفرون ويصفقون ، فأنزل الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتى أخْرَجَ لِعِبادِهِ) فأمروا بالثياب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : كانت قريش يعارضون النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الطواف يستهزئون به ، يصفرون به ويصفقون ، فنزلت (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلاَّ مُكاءً) قال : كانوا ينفخون فى أيديهم ، والتصدية : التصفيق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ

مُكاءً وتَصْدِيَةً) قال : المكاء : إدخال أصابعهم فى أفواههم ، والتصدية : التصفيق ، يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه لم يقل صلاته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المكاء : إدخال أصابعهم فى أفواههم ، والتصدية : التصفيق . قال نفر من بنى عبد الدار : كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) قال : من بين الأصابع ، قال أحمد : سقط علىَّ حرف ، وما أراه إلا الخذف ، والنفخ والصفير منها ، وأرانى سعيد بن جبير حيث كانوا يمكون من ناحية أبى قبيس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : أخبرنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) قال : المكاء : كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها ، فذلك المكاء . قال : وأرانى سعيد بن جبير المكان الذى كانوا يمكون فيه ، نحو أبى قبيس .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، فى قوله (مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) قال : المكاء : النفخ ، وأشار بكفه قِبَل فيه ، والتصدية : التصفيق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) قال : كنا نحدَّث أن المكاء : التصفيق بالأيدى ، والتصدية : صياح كانوا يعارضون به القرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) قال : المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) والمكاء : الصفير على نحو طير أبيض ، يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز . التصدية : التصفيق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ

البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وتَصْدِيَةً) قال : المكاء : صفير ، كان أهل الجاهلية يعلنون به ، قال : وقال فى المكاء أيضا : صفير فى أيديهم ولعب . وقد قيل فى التصدية ؛ إنها الصدّ عن بيت الله الحرام ، وذلك قول لاوجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل : صدّيت تصدية . وأما الصدّ فلا يقال منه : صدّيت ، إنما يقال منه صددت ، فإن شدّدت منها الدال على معنى تكرير الفعل ، قيل : صدّدت تصدية ، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجّه التصدية إلى أنه من صدّدت ، ثم قلبت إحدى داليه ياء ، كما يقال : تظنيت من ظننت ، وكما قال الراجز :

تَقَضِّىَ البازِى إذَا البازِى كَسَرْ [١]

يعنى : تقضُّضَ البازى ، فقلب إحدى ضاديه ياء ، فيكون ذلك وجها يوجه إليه .

ذكر من قال ما ذكرنا فى تأويل التصدية .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير (وَما كانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وتَصْدِيَةً) : صدّهم عن بيت الله الحرام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : أخبرنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير (وتَصْدِيَةً) قال : التصدية : صدّهم الناسَ عن البيت الحرام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وتَصْدِيَةً) قال : التصدية عن سبيل الله ، وصدّهم عن الصلاة ، وعن دين الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكاءً وتَصْدِيَةً) قال : ما كان صلاتهم التى يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلامكاء وتصدية ، وذلك ما لايرضى الله ، ولا يحبّ ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به .

وأماقوله (فَذُوقُوا العَذابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) فإنه يعنى العذاب الذى وعدهم به ، بالسيف يوم بدر ، يقول للمشركين الذين قالوا : (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ) . . . الآية ، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب ، ذوقوا : أى اطعموا ، وليس بذوق بفم ، ولكنه ذوق بالحسّ ، ووجود طعم ألمه بالقلوب . يقول لهم : فذوقوا العذاب بما كنتم

(١) البيت للعجاج (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ١٧ من قصيدة له مطولة) من مشطور الرجز ، مطلعها : « قد جبر الدين الإله فجبر » ، يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان وجهه إلى أبى فديك الحرورى حين خرج عليه ، فأوقع به . وبيت الشاهد هو الخامس والسبعون ، وقبله :

إذَا الكِرامُ ابْتَدَرُوا البَاعَ ابْتَدَرْ ... دَانَى جَناحَيْــهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ

وقد أنشده صاحب اللسان مع البيت الأول من هذين البيتين . شبهه بطائر ضم جناحيه إلى نفسه ، وانقض على الصيد . ويحتمل أن يكون شبهه بالعقاب ، وشبه الجيش حوله بالجناحين ، لأن جيشه أنهضه إلى ما أراد ، كما ينهض العقاب جناحاها . ومعنى كسر : ضم جناحيه وانقض . وقوله « تقضى البازى » : أراد تقضضه ، كالتمطى أصله التمطط ، فأبدل الضاد التى هى لام الفعل ياء ، استثقالا لاجتماع الأمثال ، وكسر ماقبلها لتصح ، وانتصابه على المصدر المشبه به . والتقدير : مر مرورا مثل تقضى البازى . (الاقتضاب لابن السيد ص ٤١٣) .

تجحدون أن الله معذّبكم به على جحودكم توحيدَ ربكم ، ورسالةَ نبيكم صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) : أى ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) قال : هؤلاء أهل بدر يوم عذّبهم الله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يعنى أهل بدر عذّبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)

❁ يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم ، فيعطونها أمثالهم من المشركين ، ليتقوّوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله ، عن الإيمان بالله ورسوله ، فسينفقون أموالهم فى ذلك ، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة ، يقول : تصير ندامة عليهم ، لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله ، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله ، لأن الله معلى كلمته ، وجاعل كلمة الكفر السفلى ، ثم يغلبهم المؤمنون ، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم ، فيعذّبون فيها ، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك؛ أما الحىّ فحُرِب ماله، وذهب باطلا فى غير دَرك ولا نفع، ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا؛ وأما الهالك : فقتل وسلب ، وعُجّل به إلى نار الله يُخلّد فيها ، نعوذ بالله من غضبه ، وكان الذى تولى النفقة التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمىّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . الآية (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) قال : نزلت فى أبى سفيان بن حرب ، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بنى كنانة ، فقاتل بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك :

وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحابِيشُ مِنْهُمْ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

ثَلاثَةُ آلافٍ وَنَحْنُ نَصِيبَةٌ ثَلاثُ مِئِينَ إنْ كَثُرْنا فَأرْبَعُ [١]

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القُمِّيّ ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : نزلت فى أبى سفيان ، استأجر يوم أُحد ألفين ، ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سوى من استجاش من العرب. قال: أخبرنا أبى ، عن خطاب بن عثمان العصفرىّ ، عن الحكم بن عتيبة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : نزلت فى أبى سفيان ، أنفق على المشركين يوم أُحد أربعين أوقية من ذهب ، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) . . . الآية، قال : لما قدم أبوسفيان بالعير إلى مكة ، أنشد الناس ، ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبىّ الله من العام المقبل ، وكانت بدر فى رمضان يوم الجمعة ، صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان ، وكانت أُحد فى شوّال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه فى العام الرابع .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال الله فيما كان المشركون ، ومنهم أبو سفيان ، يستأجرون الرجال ، يقاتلون محمدا بهم : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) يقول : ندامة يوم القيامة ، وويلا ، ثم يغلبون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) . . . الآية ، حتى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) قال : فى نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أُحد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرىّ ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن ، وعمرو بن سعد بن معاذ ، قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَلِيب ، ورجع فلّهم إلى مكة ، ورجع أبوسفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كان له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ، ففعلوا ، قال : ففيهم كما ذُكِر عن ابن عباس أنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) .

(١) البيتان لكعب بن مالك ، أوردهما ابن هشام فى مختصر سيرة ابن إسحاق (ج ٣ : ١٤١ طبعة الحلبى) . الحاسر : الذى لادرع عليه ولا مغفر . والمقنع : الذى لبس المغفر على رأسه . والنصية : خيار القوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) . . . إلى قوله (يُحْشَرُونَ) : يعنى النفر الذين مشوا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ففعلوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن عطاء بن دينار ، فى قول الله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . الآية ، نزلت فى أبى سفيان بن حرب ،

وقال بعضهم : عنى بذلك المشركون من أهل بدر .

ذكر من قال ذلك :

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) . . . الآية ، قال : هم أهل بدر .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى ما قلنا ، وهو أن يقال : إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركى قريش : أنهم ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، لم يخبرنا بأىّ أولئك عنى ، غير أنه عمّ بالخبر الذين كفروا ، وجائز أن يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر ، وجائز أن يكون عنى الفريقين .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالصواب فى ذلك أن يَعُمّ كما عمّ جلّ ثناؤه الذين كفروا من قريش .

القول فى تأويل قوله

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ ، فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ، أُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)

❊ يقول تعالى ذكره : يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم ، وينفقون أموالهم للصدّ عن سبيل الله ، إلى جهنم ، ليفرّق بينهم وهم أهل الخبث ، كما قال وسماهم : الخبيث ، وبين المؤمنين بالله وبرسوله ، وهم الطيبون ، كما سماهم جلّ ثناؤه ، فميز جلّ ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته ، وأنزل أهل الكفر ناره .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضّل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ثم ذكر

المشركين ، وما يصنع بهم يوم القيامة ، فقال (لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) يقول : يميز المؤمن من الكافر (فَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ) ويعنى جل ثناؤه بقوله (فَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ) فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض (فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً) يقول : فيجعلهم رُكاما ، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ، كما قال جل ثناؤه فى صفة السحاب (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً) : أى مجتمعا كثيفا .

وكما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً) قال : فيجمعه جميعا بعضه على بعض ، وقوله (فَيَجْعَلَهُ فِى جَهَنَّمَ) يقول : فيجعل الخبيث جميعا فى جهنم ، فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله (لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ) ، ثم قال (أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) ، فجمع ولم يقل : ذلك هو الخاسر ، فرده إلى أول الخبر ، ويعنى بأولئك : الذين كفروا ، وتأويله : هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون ، ويعنى بقوله : (الخاسِرُونَ) الذين غُبِنت صفقتهم ، وخسرت تجارتهم ، وذلك أنهم شَرَوا بأموالهم عذاب الله فى الآخرة ، وتعجلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبى الله والمؤمنين به الخزى والذل .

القول فى تأويل قوله

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ، وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (٣٨)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين كفروا من مشركى قومك : إن ينتهوا عما هم عليه مقيمون ، من كفرهم بالله ورسوله ، وقتالك وقتال المؤمنين ، فيُنيبوا إلى الإيمان ، يغفر الله لهم ، ما قد خلا ومضى من ذنوبهم ، قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، بإيمانهم وتوبتهم . وإن يعودوا : يقول : وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التى أوقعتها بهم يوم بدر ، فقد مضت سنتى فى الأولين منهم ببدر ، ومن غيرهم من القرون الخالية ، إذ طَغَوا وكذبوا رسلى ، ولم يقبلوا نصحهم ، من إحلال عاجل النقم بهم ، فأحل بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك ، مثل الذين أحللت بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) فى قريش يوم بدر وغيرها من الأمم قبل ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) قال : فى قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فى قوله (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ ، وَإِنْ يَعُودُوا) لحربك (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) : أى من قتل منهم يوم بدر .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : وإن يعودوا لقتالك ، فقد مضت سنة الأوّلين من أهل بدر .

القول فى تأويل قوله

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وإن يعُد هؤلاء لحربك ، فقد رأيتم سنتى فيمن قاتلكم منهم يوم بدر ، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم ، فقاتلوهم حتى لايكون شرك ، ولا يُعبَد إلا الله وحده ، لاشريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض ،وهو الفتنة ، ويكون الدين كله لله ، يقول : حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ) يعنى : حتى لايكون شرك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : الفتنة : الشرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ): يقول : قاتلوهم حتى لايكون شرك ، (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) حتى يقال : لاإله إلا الله ، عليها قاتل النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وإليها دعا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لايكون شرك .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لايكون بلاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لاتكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ): أى لايفتَتَن مؤمن عن دينه . ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ، ويخلع مادونه من الأنداد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لايكون كفر (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ) لايكون مع دينكم كفر .

حدثنى عبدالوارث بن عبدالصمد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه « أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك ، الذى لاإله إلا هو . أما بعد : فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن مَخرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله :

كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، أن الله أعطاه النبوّة ، فنعم النبىّ ، ونعم السيد ، ونعم العشيرة ، فجزاه الله خيرا ، وعرّفنا وجهه فى الجنة ، وأحيانا على ملته ، وأماتنا عليها ، وبعثنا عليها . وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه ، لم ينفروا منه أوّلَ ما دعاهم إليه ، وكانوا يسمعون له ، حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، أنكر ذلك عليه ناس ، واشتدّوا عليه ، وكرهوا ما قال ، وأغرَوا به من أطاعهم ، فانعطف عنه عامة الناس ، فتركوه ، إلا من حفظه الله منهم ، وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله ، من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال ، فافتتن من افتتن ، وعصم الله من شاء منهم ، فلما فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح ، يقال له النجاشىّ ، لايُظلَم أحد بأرضه ، وكان يُثنَى عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ، ومساكن لتجارتهم ، يجدون فيها رِتاعا من الرزق وأمنا ، ومتجرا حسنا ، فأمرهم بها النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخافوا عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فمكث ذلك سنوات ، يشتدّون على من أسلم منهم ، ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومَنَعتهم ؛ فلما رأوا ذلك استرخَوْا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، وكانت الفتنة الأولى هى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قِبَل أرض الحبشة مخافتها ، وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال ، فلما استرخى عنهم ، ودخل فى الإسلام من دخل منهم ، تحدث بهذا الاسترخاء عنهم ، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة ، وأنهم لايُفتَنون ، فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون ويكثرون . وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطفِق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ؛ فلما رأت قريش ذلك ، توامرت[1] على أن يفتنوهم ، ويشدّوا عليهم ، فأخذوهم ، وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، فكانت ثنتين فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة . ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا ،

(١) توامرت : لغة يمنية فى تآمرت ونحوه ، يقولون : آكله وواكله ، وآساه وواساه .

رءوسُ الذين أسلموا ، فوافَوْه بالحجّ ، فبايعوه بالعقبة ،وأعطوه على : أنا منك وأنت منا ، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا ، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهى الفتنة الآخرة ،التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وخرج هو ، وهى التى أنزل الله فيها (وقاتِلُوهُمْ حتى لاتكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلهِ) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، أنه كتب إلى الوليد : أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وعندى بحمد الله من ذلك علم بكلّ ما كتبت تسألنى عنه ، وسأخبرك إن شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا قيس ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَقاتِلُوهُمْ حتى لاتكُونَ فِتْنَةٌ) قال : يساف ونائلة ، صنمان كانا يعبدان .

وأما قوله (فإنِ انْتَهَوْا) فإن معناه : فإن انتهوا عن الفتنة ، وهى الشرك بالله ، وصاروا إلى الدين الحقّ معكم (فإنّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِير) يقول : فإن الله لايخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر ، والدخول فى دين الإسلام ، لأنه يبصركم ، ويبصر أعمالكم ، والأشياء كلها متجلية له ، لاتغيب عنه ، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرّة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا فى كتاب مبين .

وقد قال بعضهم : معنى ذلك : فإن انتهوا عن القتال .

والذى قلنا فى ذلك أولى بالصواب ، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال ، فإنه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يُسلموا .

القول فى تأويل قوله

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم إليه أيها المؤمنون ،من الإيمان بالله ورسوله ، وترك قتالكم على كفرهم ، فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم ، فقاتلوهم ،وأيقنوا أن الله معينكم عليهم ، وناصركم (نِعْمَ المَوْلَى) هو لكم ،يقول :نعم المعين لكم ولأوليائه ،(وَنِعْمَ النَّصِيرُ) وهوالناصر.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ، (فإنّ اللهَ هُوَ مَوْلاكُمْ) الذى أعزّكم ونصركم عليهم يوم بدر ، فى كثرة عَدَدهم ،وقلة عُددكم (نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) .

تمّ الجزء التاسع من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ ،
ويليه الجزء العاشر
وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ)

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء العاشر

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء العاشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤١	واعلموا أنما غنمتم من شيء . . .	١
٤٢	إذ أنتم بالعدوة الدنيا . . .	٩
٤٣	إذ يريكهم الله فى منامك قليلا . . .	١٢
٤٤	وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم . . .	١٣
٤٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة . . .	١٤
٤٦	وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا . . .	١٥
٤٧	ولا تكونوا كالذين خرجوا . . .	١٦
٤٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم . . .	١٨
٤٩	إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم . . .	٢٠
٥٠	ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا . . .	٢٢
٥١	ذلك بما قدمت أيديكم . . .	٢٣
٥٢	كدأب آل فرعون والذين من قبلهم . . .	٢٣
٥٣	ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة . . .	٢٤
٥٤	كدأب آل فرعون والذين من قبلهم . . .	٢٤
٥٥	إن شرّ الدوابّ عند الله . . .	٢٥
٥٦	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون . . .	٢٥
٥٧	فإما تثقفنهم فى الحرب فشرّد بهم . . .	٢٥
٥٨	وإما تخافنّ من قوم خيانة . . .	٢٦
٥٩	ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا . . .	٢٨
٦٠	وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة . . .	٢٩
٦١	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها . . .	٣٣
٦٢	وإن يريدوا أن يخدعوك . . .	٣٥
٦٣	وألف بين قلوبهم . . .	٣٥
٦٤	يا أيها النبيّ حسبك الله ومن اتبعك . . .	٣٧
٦٥	يا أيها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال . . .	٣٨
٦٦	الآن خفف الله عنكم . . .	٣٨
٦٧	ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى . . .	٤٢
٦٨	لولا كتاب من الله سبق . . .	٤٤
٦٩	فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا . . .	٤٨
٧٠	يا أيها النبيّ قل لمن فى أيديكم . . .	٤٨
٧١	وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا . . .	٥٠
٧٢	إن الذين آمنوا وهاجروا . . .	٥١
٧٣	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض . . .	٥٤
٧٤	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا . . .	٥٦
٧٥	والذين آمنوا من بعد وهاجروا . . .	٥٧
	سورة التوبة	
١	براءة من الله ورسوله . . .	٥٨
٢	فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر . . .	٥٨
٣	وأذان من الله ورسوله إلى الناس . . .	٦٧
٤	إلا الذين عاهدتم من المشركين . . .	٧٦
٥	فإذا انسلخ الأشهر الحرم . . .	٧٧
٦	وإن أحد من المشركين استجارك . . .	٧٩
٧	كيف يكون للمشركين عهد عند الله . . .	٨١
٨	كيف وإن يظهروا عليكم . . .	٨٣
٩	اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا . . .	٨٦
١٠	لايرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة . . .	٨٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	فإن تابوا وأقاموا الصلاة . . .	٨٦
١٢	وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . . .	٨٧
١٣	ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم . . .	٨٩
١٤	قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم . . .	٩٠
١٥	ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله . . .	٩١
١٦	أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله . . .	٩٢
١٧	ما كان للمشركين أن يعمروا . . .	٩٣
١٨	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله . . .	٩٤
١٩	أجعلتم سقاية الحاجّ . . .	٩٤
٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا . . .	٩٧
٢١	يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . . .	٩٧
٢٢	خالدين فيها أبدا . . .	٩٧
٢٣	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم . . .	٩٨
٢٤	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم . . .	٩٨
٢٥	لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة . . .	٩٩
٢٦	ثم أنزل الله سكينته على رسوله . . .	١٠٤
٢٧	ثم يتوب الله من بعد ذلك . . .	١٠٤
٢٨	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون . . .	١٠٥
٢٩	قاتلوا الذين لايؤمنون بالله . . .	١٠٩
٣٠	وقالت اليهود عزير ابن الله . . .	١١٠
٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا . . .	١١٣
٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله . . .	١١٦
٣٣	هو الذى أرسل رسوله بالهدى . . .	١١٦
٣٤	يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا . . .	١١٧
٣٥	يوم يحمى عليها فى نار جهنم . . .	١٢٣
٣٦	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر . . .	١٢٤
٣٧	إنما النسىء زيادة فى الكفر . . .	١٢٩
٣٨	يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل . . .	١٣٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	إلا تنفروا يعذّبكم عذابا أليما . . .	١٣٤
٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله . . .	١٣٥
٤١	انفروا خفافا وثقالا . . .	١٣٧
٤٢	لو كان عرضا قريبا . . .	١٤١
٤٣	عفا الله عنك لم أذنت لهم . . .	١٤١
٤٤	لايستأذنك الذين يؤمنون بالله . . .	١٤٢
٤٥	إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله . . .	١٤٣
٤٦	ولو أرادوا الخروج . . .	١٤٤
٤٧	لو خرجوا فيكم . . .	١٤٤
٤٨	لقد ابتغوا الفتنة من قبل . . .	١٤٦
٤٩	ومنهم من يقول ائذن لى . . .	١٤٨
٥٠	إن تصبك حسنة تسؤهم . . .	١٤٩
٥١	قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . . .	١٥٠
٥٢	قل هل تربصون بنا . . .	١٥٠
٥٣	قل أنفقوا طوعا أو كرها . . .	١٥١
٥٤	وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم . . .	١٥٢
٥٥	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم . . .	١٥٣
٥٦	ويحلفون بالله إنهم لمنكم . . .	١٥٤
٥٧	لو يجدون ملجأ أو مغارات . . .	١٥٤
٥٨	ومنهم من يلمزك فى الصدقات . . .	١٥٥
٥٩	ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله . . .	١٥٧
٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . .	١٥٧
٦١	ومنهم الذين يؤذون النبىّ . . .	١٦٧
٦٢	يحلفون بالله لكم ليرضوكم . . .	١٧٠
٦٣	ألم يعلموا أنه من يحادد الله . . .	١٧٠
٦٤	يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة . . .	١٧١
٦٥	ولئن سألتهم ليقولنّ . . .	١٧١
٦٦	لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . . .	١٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض...	١٧٤
٦٨	وعد الله المنافقين والمنافقات . . .	١٧٥
٦٩	كالذين من قبلكم كانوا أشدّ . . .	١٧٥
٧٠	ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم . . .	١٧٧
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء . . .	١٧٨
٧٢	وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات . . .	١٧٩
٧٣	يا أيها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين ...	١٨٣
٧٤	يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا . . .	١٨٤
٧٥	ومنهم من عاهد الله . . .	١٨٨
٧٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به . . .	١٨٨
٧٧	فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم . . .	١٨٨
٧٨	ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم . . .	١٩٣
٧٩	الذين يلمزون المطوّعين . . .	١٩٤
٨٠	استغفر لهم أو لاتستغفر لهم . . .	١٩٨
٨١	فرح المخلفون بمقعدهم . . .	٢٠٠
٨٢	فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا . . .	٢٠٢
٨٣	فإن رجعك الله إلى طائفة منهم . . .	٢٠٣
٨٤	ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا . . .	٢٠٤
٨٥	ولا تعجبك أموالهم وأولادهم . . .	٢٠٦
٨٦	وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله . . .	٢٠٧
٨٧	رضوا بأن يكونوا مع الخوالف . . .	٢٠٧
٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا . . .	٢٠٨
٨٩	أعدّ الله لهم جنات تجرى . . .	٢٠٩
٩٠	وجاء المعذّرون من الأعراب . . .	٢٠٩
٩١	ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى . . .	٢١١
٩٢	ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم . . .	٢١٢

٢ ــ فهرس الموضوعات

الصفحة

١ معنى الغنيمة والفيء .
٢ المصرف للغنيمة ، والخلاف في ذلك .
١١ التقاء المشركين بالمؤمنين في بدر كان على غير ميعاد .
١٣ ما جعله الله من الأسباب لنصر المؤمنين ببدر .
١٥ ما أصاب المؤمنين من الفشل يوم أحد كان بأسباب المنازعة .
١٨ ما صنعه إبليس يوم بدر من تصوّره بصورة سراقة بن مالك وفراره .
٢٦ ما يجوز به فسخ المعاهدة التي بين المسلمين وغيرهم .
٢٩ معنى القوّة التي أمر الله بإعدادها للعدوّ .
٣٨ ما يجب على المؤمنين من مصابرتهم لمثليهم من العدوّ .
٤٢ ما عاتب الله به المؤمنين على أخذهم الفداء من المشركين يوم بدر .
٤٨ ما وعد الله به الأسرى من الغفران والخير إن علم ما في قلوبهم ، وتمام ذلك لبعضهم .
٥٧ ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث .
٥٨ القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة .
٦٢ الصواب في الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين .
٦٤ تولية أبي بكر للحجّ بالناس ، وإرسال عليّ لقطع العلائق بين رسول الله والمشركين .

الصفحة

٦٧ الخلاف في يوم الحجّ الأكبر ، والسبب في هذه التسمية .
٨١ القبائل التي كان لهم عهد عند المسجد الحرام ، ومن نقض منهم ذلك .
٩٠ ما فعلته قريش من نقض العهد بقتالهم خزاعة حلفاء رسول الله .
٩٤ ما أبطله الله من افتخار المشركين بسقاية الحاجّ وغيرها .
٩٩ قصة حنين وتعيين المكان .
١٠٥ السبب في تسمية المشركين نجسا .
١١٠ من قال من اليهود في عزير إنه ابن الله ، والسبب في اعتقادهم فيه .
١١٤ معنى اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله .
١١٨ الخلاف في معنى الكنز الذي ورد فيه الوعيد
١٢٤ المراد بالأشهر الحرم ، ومعنى ظلم الناس فيهنّ .
١٢٩ معنى النسيء وما كانت العرب تفعله في حجها .
١٣٥ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار لما أراد الخروج إلى الهجرة .
١٤١ طرف من غزوة تبوك ، وما فعله المنافقون بها .
١٥٥ ما لمز به المنافقون رسول الله في أمر الصدقة .

الصفحة

١٥٧ أصناف مصرف الصدقة ، وذكر الخلاف بين الأئمة فى بعضها .
١٦٧ ما كان المنافقون يقولونه فى شأن النبىّ ويسرّونه ، ففضحهم الله به .
١٨٣ الخلاف فى معنى الجهاد المأمور به فى حقّ المنافقين .
١٨٨ قصة ثعلبة بن أبى حاطب الذى دعا له رسول الله بالغنى .
١٩٤ ما كان أهل اليسار وذو الفاقة يتصدّقون به وعيب المنافقين لهم .
٢٠٤ ما كان عليه النبىّ من الرحمة حتى بأهل النفاق ، وما تمّ له مع عبد الله بن أبىّ .
٢١١ من عذرهم الله فى عدم الخروج للجهاد .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
أ	
السَّواءِ	٢٧
ب	
المُطَّلِبْ	١٠٣
لايكْذِبُ	٨٥
وكَئِيبُ	٨٣
والرَّهَبِ	٣١
غالبِ	٣٣
ت	
تفَلَّتِ	١٥٢
المَلَكاتِ	٢٠٩
لِداتِى	١٦٥
مَعْلُوفاتِها	١٢٨
د	
خمدوا	١٥٤
عَدَدِ	١٥
نَدِى	٩٧
المُلْحَدِ	٢٨
ر	
الجُؤْذَرُ	١١
حَصِيرا	٢٠٠
بَرًّا	١١٢
مِكَرًّا	١١٢
قَرًّا	١١٢
ز	
مَكْنُوزُ	١٢١
اللمَزَه	١٥٦
وَلَمْزِى	١٥٥
س	
القَلَمَّسْ	١٣٢
ع	
وأضَعْ	١٤٤
ف	
مُختَلِفُ	١٢٢
ك	
فَدَكُ	١٠٩
ل	
يَعِيلُ	١٠٦
القُبَلُ	١٣٣
الأبْطال	٩٩
وجمائِلُهْ	٢٨
بإقْبالِ	١١
م	
الرَّحِيمْ	٨٥
وحَمُوا	٢٠
النعّامِ	٨٥
ن	
وأذَنْ	١٦٨
عَدَنْ	١٨٠
كلانا	٣٣
جُنُونا	١٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)

قال أبو جعفر : وهذا تعليم من الله عزّ وجلّ المؤمنين قَسْمَ غنائمهم إذا غنموها ، يقول تعالى ذكره : واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة .

واختلف أهل العلم فى معنى الغنيمة والفىء ، فقال بعضهم : فيهما معنيان ، كلّ واحد منهما غير صاحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، قال : سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) وهذه الآية (ما أَفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ) قال : قلت : غَنِمْتُم . ما الفىء ، وما الغنيمة ؟ قال : إذا ظهر المسلمون على المشركين ، وعلى أرضهم ، وأخذوهم عَنْوة ، فما أخذوا من مال ظهروا عليه ، فهو غنيمة ، وأما الأرض فهى فى سوادنا هذا فىء .

وقال آخرون : الغنيمة ما أخذ عَنْوة ، والفىء : ما كان عن صلح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان الثورىّ ، قال : الغنيمة : ما أصاب المسلمون عَنْوة بقتال ، فيه الخمس ، وأربعة أخماسه لمن شهدها ، والفىء : ما صولحوا عليه بغير قتال ، وليس فيه خمس ، وهو لمن سمى الله .

وقال آخرون : الغنيمة والفىء بمعنى واحد ، وقالوا : هذه الآية التى فى الأنفال ناسخة قوله (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلهِ ولِلرَّسُولِ ولِذِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) : قال : كان الفىء فى هؤلاء ، ثم نسخ ذلك فى سورة الأنفال . فقال (وَاعلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ ولِذِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر ، وجعل الخمس لمن كان له الفىء فى سورة الحشر ، وسائر ذلك لمن قاتل عليه .

وقد بيَّنا فيما مضى الغنيمة ، وأنها المال يوصل إليه من مال من خوَّل الله ماله أهل دينه، بغلبة عليه، وقهر بقتال . فأما الفىء ، فإنه ما أفاءه الله على المسلمين من أموال أهل الشرك ، وهو ما ردَّه عليهم منها بصلح ، من غير إيجاف خيل ولا ركاب . وقد يجوز أن يسمى ما ردَّته عليهم منها سيوفهم ورماحهم ، وغير ذلك من سلاحهم ، فيئا ، لأن الفىء إنما هو مصدر من قول القائل : فاء الشىء يفىءُ فيئا : إذا رجع ، وأفاءه الله : إذا ردَّه ، غير أن الذى ورد حكم الله فيه من الفىء يحكيه فى سورة الحشر ، إنما هو ما وصفت صفته من الفىء ، دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب ، لعلل قد بينتها فى كتابنا : « كتاب لطيف القول فى أحكام شرائع الدين » وسنبينه أيضا فى تفسير سورة الحشر ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى .

وأما قول من قال : الآية التى فى سورة الأنفال ناسخة الآية التى فى سورة الحشر ، فلا معنى له، إذ كان لا معنى فى إحدى الآيتين ، ينفى حكم الأخرى . وقد بيَّنا معنى النسخ ، وهو نفى حكم قد ثبت بحكم بخلافه ، فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (مِنْ شَىْءٍ) فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شىء، مما خوَّله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين ، مما وقع فيه القَسْم ، حتى الخيط والمخيط .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وَاعلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ) قال : المخيط من الشىء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله

(فَأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ ولِذِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) :

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : قوله (فَأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ) مفتاح كلام ، ولله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإنما معنى الكلام : فأن للرسول خمسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن

عن قول الله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ) قال: هذا مفتاح كلامٍ، لله الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن بن محمد ، عن قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : هذا مفتاح كلام ، لله الدنيا والآخرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سَرِيَّةً فغنموا، خَمَّسَ الغنيمة، فضرب ذلك الخمس فى خمسة، ثم قرأ (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ): قال : و قوله (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) مفتاح كلام ، لله ما فى السموات وما فى الأرض ، فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ،عن مغيرة ، عن إبراهيم (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : لله كلّ شىء .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : لله كلّ شىء ، وخمس لله ورسوله ، ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس، لمن قاتل عليها ، ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس ، فخمس لله والرسول .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا أبان ، عن الحسن ، قال : أوصى أبو بكر [1] رضى الله عنه بالخمس من ماله ، وقال : ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ) قال :خمس الله وخمس رسوله واحد ، كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يحمل منه ، ويصنع فيه ما شاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال: ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أصحابه ، عن إبراهيم: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : كل شىء لله ، الخمس للرسول ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن لبيت الله خمسه وللرسول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحىّ ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بالغنيمة ، فيقسمها على خمسة،تكون

(١) الذى فى ابن كثير ، عن ابن جرير : أوصى الحسن .

أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه ؛ فيأخذ منه الذى قَبَضَ كَفُّه، فيجعله للكعبة، وهو سهم الله ، ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول ، وسهم لذى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو جعفر الرازىّ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . . . إلى آخر الآية، قال : فكان يجاء بالغنيمة، فتوضع، فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم ، فيجعل أربعة بين الناس ، ويأخذ سهما ، ثم يضرب بيده فى جميع ذلك السهم ، فما قبض عليه من شىء جعله للكعبة ، فهو الذى سُمِّى لله، ويقول : لاتجعلوا لله نصيبا ، فإن لله الدنيا والآخرة ، ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم: سهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وسهم لذوى القُرْبَى ، وسهم لليتامىَ ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

وقال آخرون: ما سمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، فإنما هو مراد به قرابته، وليس لله ولا لرسوله منه شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة، فربع لله والرسول ولذى القربى ، يعنى قرابة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا ، والربع الثانى لليتامى ، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: قول من قال ، قوله (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) افتتاح كلام ، وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم، كما قال أبو العالية، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم . وإنما اختلف أهل العلم فى قسمه على خمسة فما دونها ، فأما على أكثر من ذلك ، فما لانعلم قائلا قاله ، غير الذى ذكرنا من الخبر عن أبى العالية، وفى إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا . فأما من قال: سهم الرسول لذوى القربى ، فقد أوجب للرسول سهما، وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوى قرابته ، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم :

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . . . الآية ، قال : كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة جعلت أخماسا ، فكان خمس لله ولرسوله ، ويقسم المسلمون ما بقى ، وكان الخمس الذى جعل لله ولرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فكان هذا الخمس خمسة أخماس : خمس لله ورسوله ، وخمس لذوى القُرْبَى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، قال : سألت يحيى بن الجزار ، عن سهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو خمس الخمس

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، وجرير عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله.

حدثنا أحمد ابن إسحاق ، قال: ثنا أبو أحمد، قال : ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن يحيى بن الجزار ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس.والخمس الباقى لله ، وللرسول خمسه،يضعه حيث رأى ، وخمسه لذوى القربىَ وخمسه لليتامى ، وخمسه للمساكين ، ولابن السبيل خمسه .

وأما قوله (وَلِذِي القُرْبَى) فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم ، فقال بعضهم : هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن شريك ، عن خَصيف ، عن مجاهد ، قال : كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لاتحلّ لهم الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خَصيف ، عن مجاهد ، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لايأكلون الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خَصيف ، عن مجاهد ، قال: قد علم الله أن فى بنى هاشم الفقراء ، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المزنىّ ، عن السدىّ ، عن ابن الديلمىّ ، قال : قال علىّ بن الحسين رضى الله عنه لرجل من أهل الشأم : أما قرأت فى الأنفال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية ؟ قال : نعم ، قال : فإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصيف ، عن مجاهد ، قال: هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين لاتحلّ لهم الصدقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن نَجْدة كتب إليه يسأله عن ذوى القربى ، فكتب إليه كتابا ، نزعم أنا نحن هم ، فأبى ذلك علينا قومنا .

قال : حدثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقى لله وللرسول ، خمسه ،يضعه حيث رأى ، وخمس لذوى القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، ولابن السبيل خمسه .

وقال آخرون : بل هم قريش كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرني عبد الله بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المَقْبُرِيّ ، قال : كتب نَجْدَة إلى ابن عباس، يسأله عن ذى القربى ، قال : فكتب إليه ابن عباس : قد كنا نقول : إنا هم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوو قُرْبَى .

وقال آخرون : سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صار من بعده لولىّ الأمر من بعده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذى القربى ، فقال : كان طُعْمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا ، فلما توفى جعل لولىّ الأمر من بعده .

وقال آخرون : بل سهم ذى القربى كان لبنى هاشم وبنى المطلب خاصة ، وممن قال ذلك الشافعىّ ، وكانت علته فى ذلك، ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم ، قال : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذى القربى من خيبر على بنى هاشم وبنى المطلب ، مشيت أنا وعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقلنا يا رسول الله ، هؤلاء إخوتك بنوهاشم ، لاننكر فضلهم ، لمكانك الذى جعلك الله به منهم ، أرأيت إخواننا بنى المطلب ، أعطيتهم وتركتنا ، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال : « إنَّهُمْ لَمْ يُفارِقُونا فى جاهِلِيَّةٍ وَلا إسْلامٍ ، إنَّمَا بَنُو هاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَىْءٌ وَاحِدٌ » ، ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى » .

۞ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : سهم ذى القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وحلفائهم من بنى المطلب ، لأن حليف القوم منهم ، ولصحة الخبر الذى ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العلم فى حكم هذين السهمين ، أعنى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذى القربى : بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : يُصرفان فى معونة الإسلام وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذى القربى ، فجُعِل هذان السهمان فى الخيل والسلاح ، وجُعِل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ، لايعطى غيرهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن عن قول الله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ ، فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى) قال هذا مفتاح كلام ، لله الدنيا والآخرة .

ثم اختلف الناس فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال قائلون : سهم النبيّ صلى الله عليه وسلم لقرابة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال قائلون : سهم القرابة لقرابة الخليفة ، واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدّة فى سبيل الله ، فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن بن محمد ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يجعلان سهم النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الكُراع والسلاح ، فقلت لإبراهيم : ما كان علىّ رضى الله عنه يقول فيه ؟ قال : كان علىّ أشدّهم فيه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ) . . . الآية . قال ابن عباس : فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، أربعة بين من قاتل عليها ، وخُمُس واحد يقسم على أربعة : لله ، وللرسول ، ولذى القربى ، يعنى قرابة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا ، فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ردّ أبو بكر رضى الله عنه نصيب القرابة فى المسلمين ، فجعل يحمل به فى سبيل الله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لانُورَثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذى القربى ، فقال : كان طُعْمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توفى حمل عليه أبو بكر وعمر فى سبيل الله صدقة على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ولىّ أمر المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن عمران بن ظَبيان ، عن حكيم ابن سعد ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : يعطى كلّ إنسان نصيبه من الخمس ، ويلى الإمام سهم الله ورسوله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذوى القربى ، فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا، فلما توفى جُعِل لولىّ الأمر من بعده .

وقال آخرون : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس ، والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم ، على اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وذلك قول جماعة من أهل العراق .

وقال آخرون : الخمس كله لقرابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، قال : سألت عبد الله بن محمد بن علىّ ، وعلىّ بن الحسين عن الخمس ، فقال : هو لنا ، فقلت لعلىّ : إن الله يقول (واليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فقال : يتامانا ومساكيننا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس ، والخمس مقسوم على أربعة أسهم ، على ما روى عن ابن عباس : للقرابة سهم ، ولليتامى سهم ، وللمساكين سهم ، ولابن السبيل سهم ، لأن الله أوجب الخمس لأقوام موصوفين بصفات ، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين ، وقد أجمعوا أن حقّ الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم ، فكذلك حقّ أهل الخمس لن يستحقه غيرهم ، فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم ، كما غير جائز أن تخرج بعض السُّهمان التى جعلها الله لمن سماه فى كتابه بفقد بعض من يستحقه ، إلى غير أهل السهمان الأخر . وأما اليتامى : فهم أطفال المسلمين الذين قدهلك آباؤهم . والمساكين : هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين . وابن السبيل : المجتاز سفرا قد انقُطِع به .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : الخمس الرابع لابن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين .

القول فى تأويل قوله

(إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) :

يقول تعالى ذكره : أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شىء ، فمقسوم القَسْم الذى بينته ، وصدّقوا به إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ، وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فَرَق بين الحقّ والباطل ببدر ، فأبان فَلَجَ المؤمنين وظهورهم على عدوّهم ، وذلك يوم التقى الجمعان : جمع المؤمنين ، وجمع المشركين ، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدى المؤمنين ، وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لايمتنع عليه شىء أراده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الفُرْقَانِ) يعنى بالفرقان : يوم بدر ، فَرَق الله فيه بين الحقّ والباطل .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني الليث ، قال : ثني عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عُروة بن الزبير وإسحاق ، قالا : ثنا عبد الرزاق،عن معمر ، عن الزهريّ ، عن عُروة بن الزبير ، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله (يَوْمَ الفُرْقانِ): يوم فرق الله بين الحقّ والباطل، وهو يوم بدر، وهو أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة ، فالتقوا يوم الجمعة، لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا ، والمشركون ما بين الألف والتسع مئة ، فهزم الله يومئذ المشركين،وقُتِل منهم زيادة على سبعين ، وأُسِر منهم مثل ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،عن مِقْسَم (يَوْمَ الفُرْقانِ): قال : يوم بدر ، فرق الله بين الحقّ والباطل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عثمان الجزريّ ، عن مقسم ، في قوله (يَوْمَ الفُرْقانِ) قال : يومَ بدر فرق الله بين الحقّ والباطل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعانِ) يوم بدر ، وبدر بين المدينة ومكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفيّ ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ عبد الله بن حبيب، قال : قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : كانت ليلة الفرقان : يوم التقى الجمعان ، لسبع عشرة من شهر رمضان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ التَقَى الجَمْعانِ) قال ابن جريج : قال ابن كثير : يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعانِ) : أي يوم فرق بين الحقّ والباطل ببدر ، أي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ) وذاكم يوم بدر ، يوم فرق الله بين الحقّ والباطل .

القول في تأويل قوله

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ، وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)

❊ يقول تعالى ذكره: أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا : أن قسم الغنيمة على ما بيّنه لكم ربكم: إن كنتم آمنتم

بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحقّ والباطل ، من نصر رسوله (إِذْ أَنْتُمْ) حينئذ (بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا) يقول : بشفير الوادى الأدنى إلى المدينة (وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى) : يقول : وعدوّكم من المشركين نزول بشفير الوادى الأقصى إلى مكة (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه فى موضع أسفل منكم ، إلى ساحل البحر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا) قال : شفير الوادى الأدنى ، وهم بشفير الوادى الأقصى (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) قال أبو سفيان وأصحابه : أسفل منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا ، وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى) وهما شفيرا الوادى ، كان نبيّ الله أعلى الوادى ، والمشركون بأسفله . (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) يعنى أبا سفيان انحدر بالعير على حَوْزته ، حتى قدم بها مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا ، وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى) من الوادى إلى مكة (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) : أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها ، وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقيا على ماء بدر ، من[1] يسقى لهم كلهم ، فاقتتلوا ، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فأسروهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذكر منازل القوم والعير ، فقال (إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيا ، وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى) والركب : هو أبو سفيان وعيره . أسفل منكم : على شاطئ البحر .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدنيين والكوفيين : (بِالعُدْوَةِ) بضم العين . وقرأه بعض المكيين والبصريين (بِالعِدْوَةِ) بكسر العين ، وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، يُنْشَد بيت الراعى :

(١) قوله « من يسقى » : بدل من الألف فى قوله : التقيا . ويفسره قوله الآتى قريبا : حتى التقت السقاة .

وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَا قِيهِما كما نظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ[1]

بكسر العين من العِدْوة ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حَجَر :

وفارِسٍ لَوْ تَحِلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَهُ وَلَّوْا سِرَاعاً وَمَا هَمُّوا بِإقْبالِ[2]

القول فى تأويل قوله

(وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِى المِيعادِ ، وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً) :

يعنى تعالى ذكره : ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون ، وعدوكم من المشركين ، عن ميعاد منكم ومنهم ، لاختلفتم فى الميعاد ، لكثرة عدد عدوكم ،وقلة عددكم ، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا ،وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله ، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر ، بالقتل والأسر .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِى المِيعادِ) : ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، ما لقيتموهم . (وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً) : أى ليقضى الله ما أراد بقدرته ، من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، عن غير بلاء منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر : إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش ، حتى جمع الله بينهم ، وبين عدوهم على غير ميعاد .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن عمر بن إسحاق ، قال : أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ، ولا هؤلاء بهؤلاء ، حتى التقت السُّقاة ، قال : ونظر الناس بعضهم لبعض .

القول فى تأويل قوله

(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : ولكن الله جمعهم هنالك ، ليقضى أمرا كان مفعولا (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ) . وهذه اللام فى قوله (لِيَهْلِكَ) مكررة على اللام فى قوله (لِيَقْضِيَ) ، كأنه قال : ولكن ليهلك من هلك عن بينة جَمَعَكم .

(١) فى اللسان : العدوة بالضم والكسر (فى العين) : جانب الوادى . وقيل : العدوة : المكان المرتفع شيئا على ما هو منه .اه . والجؤذر ، بضم الذال وفتحها : ولد الظبية . والمعنى : ينظر الجؤذر إلى عدوة الوادى ، أو إلى جانب الأرض التى هو فيها ، ماذا يبصره ، هل يرى شيئا يريبه ؟

(٢) عدوته : ناحيته وجانبه ، كما فى الشاهد السابق ، والمعنى : أن الخيل لو حلت بجانب الفارس أو قريبا منه ، لفزعت من منظره وهوله ، وولت مسرعة عنه . ولعل البيت من قصيدته التى يرثى بها فضالة بن كلدة الأسدى (انظر شعراء النصرانية ص ٤٩٢) .

ويعنى بقوله (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ): ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له ، وقطعت عذره ، وعبرة قد عاينها ورآها (وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ): يقول: وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له ، وظهرت لعينه فعلمها ، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك .

وقال ابن إسحاق فى ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ) لما رأى من الآيات والعبر ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .

وأما قوله (وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) فإن معناه: وإن الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم، حين يرى الله نبيه فى منامه ، ويريكم عدوكم فى أعينكم قليلا وهم كثير ، ويراكم عدوكم فى أعينهم قليلا ، عليم بما تضمره نفوسكم ، وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ ، وفى كل حال يقول جلّ ثناؤه لهم ولعباده : واتقوا ربكم أيها الناس فى منطقكم أن تنطقوا بغير حقّ ، وفى قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد ، فإن الله لايخفى عليه خافية ، من ظاهر أو باطن .

القول فى تأويل قوله

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً ، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ، وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ، إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤٣)

❁ يقول تعالى ذكره : وإن الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك ، عليم بما يضمرونه ، إذ يريك الله عدوّك وعدوّهم (فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً) يقول: يريكهم فى نومك قليلا ، فتخبرهم بذلك ، حتى قويت قلوبهم ، واجترءوا على حرب عدوّهم ، ولو أراك ربك عدوّك وعدوّهم كثيرا لفشل أصحابك ، فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب القوم ، ولتنازعوا فى ذلك، ولكن الله سلمهم من ذلك، بما أراك فى منامك من الرؤيا ، إنه عليم بما تخفيه الصدور ، لايخفى عليه شىء مما تضمره القلوب .

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً) : أى فى عينك التى تنام بها ، فصيّر المنام هو العين ، كأنه أراد : إذ يريكهم الله فى عينك قليلا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً) قال : أراه الله إياهم فى منامه قليلا ، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ، فكان تثبيتا لهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً) ... الآية ، فكان أوّل ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوّهم ، وكفاهم بها ما تخوّف عليهم من ضعفهم ، لعلمه بما فيهم .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ) فقال بعضهم : معناه : ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم ، حتى أظهرهم على عدوّهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ) يقول : سلم الله لهم أمرهم ، حتى أظهرهم على عدوّهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولكن الله سلم أمره فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ) قال : سلم أمره فيهم .

❁ وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى : ما قاله ابن عباس ، وهو أن الله سلم القوم ، بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه ، من الفشل والتنازع ، حتى قويت قلوبهم ، واجترءوا على حرب عدوّهم ، وذلك أن قوله (وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ) عقيب قوله (وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ) ، فالذى هو أولى بالخبر عنه ، أنه سلمهم منه جلّ ثناؤه ما كان مخوفا منه ، لو لم يُرِ نبيه صلى الله عليه وسلم ، من قلة القوم فى منامه .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤٤)

❁ يقول تعالى ذكره : وإن الله لسميع عليم إذ يُرِى الله نبيه فى منامه المشركين قليلا ، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم فى أعينهم قليلا ، وهم كثير عددهم ، ويقلل المؤمنين فى أعينهم ، ليتركوا الاستعداد لهم ، فيهون على المؤمنين شوكتهم .

كما حدثنى ابن بزيع البغدادىّ ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لقد قُلِّلُوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبى : تراهم سبعين ، قال أراهم مئة ، قال : فأسرنا رجلا منهم ، فقلنا : كم هم ؟ قال : كنا ألفا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً) قال ابن مسعود : قُللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل : أتراهم يكونون مئة ؟

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال ناس من المشركين : إن العير قد انصرفت فارجعوا ، فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه ، فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم ، وقال : يا قوم لاتقتلوهم بالسلاح ، ولكن خذوهم أخذا ، فاربطوهم بالحبال ، يقوله من القدرة فى نفسه .

وقوله (لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً) يقول جلّ ثناؤه: قللتكم أيها المؤمنون فى أعين المشركين، وأريتكموهم فى أعينكم قليلا، حتى يقضىَ الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضا ، وإظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين ، والظفر بهم ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وذلك أمر كان الله فاعله ، وبالغافيه أمره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً) أى ليؤلف بينهم على الحرب ، للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته . (وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) ، يقول جلّ ثناؤه : مصير الأمور كلها إليه فى الآخرة، فيجازى أهلها على قدر استحقاقهم : المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)

۞ وهذا تعريف من الله جلّ ثناؤه أهل الإيمان به ، السيرةَ فى حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعال التى ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم ، والظفر بهم ، ثم يقول لهم جلّ ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا : صدّقوا الله ورسوله، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال ، فاثبتوا لقتالهم ، ولا تهزموا عنهم ، ولا تولوهم الأدبار هاربين إلا متحرّفا لقتال ، أو متحيزا إلى فئة منكم (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا) يقول : وادعوا الله بالنصر عليهم ، والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره . (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) : يقول : كيما تنجحوا ، فتظفروا بعدوكم ، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) افترض الله ذكره عند أشغلَ ما تكونون ، عند الضراب بالسيوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) يقاتلونكم

فى سبيل الله (فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا) : اذكروا الله الذى بذلتم له أنفسكم ، والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

القول فى تأويل قوله

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله ، فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ، ولا تخالفوهما فى شىء.(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا):يقول : ولا تختلفوا فتفرّقوا:وتختلف قلوبكم فتفشلوا ، يقول : فتضعفوا وتجبنوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) وهذا مَثَل ، يقال للرجل إذا كان مقبلا عليه مايحبه ويسرّ به : الريح مقبلة عليه ، يعنى بذلك ما يحبه ، ومن ذلك قول عَبيد بن الأبرص :

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطِبٍ ... وَالفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ[١]

يعنى من البأس والكثرة ، وإنما يراد به فى هذا الموضع : وتذهب قوّتكم وبأسكم فتضعفوا ، ويدخلكم الوهن والخلل .

(وَاصْبِرُوا) يقول : اصبروا مع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوّكم ، ولا تهزموا عنه وتتركوه . (إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) يقول : اصبروا فإنى معكم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : نصركم ، قال: وذهبت ريح أصحاب رسول الله،صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أُحد .

حدثنا ابن نُمَير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) فذكر نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ريح أصحاب محمد ، حين تركوه يوم أُحد .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : حربكم وجدّكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال: ريح الحرب .

(١) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٣ ص ٤٦) . وشطب : اسم جبل بديار بنى أسد . وفى معجم ما استعجم للبكرى : بديار بنى تميم . والنعف : أسفل الجبل . والفضل للقوم : يقول : الريح معهم ، والعدد لهم . ويروى : « من صوت ومن عرد » . والعرد : يريد الصوت ههنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال: الريح :النصر ، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدوّ ، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا): أى لاتختلفوا فيتفرّق أمركم ، (وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ): فيذهب جدّكم (وَاصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ): أى إنى معكم إذا فعلتم ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا) قال : الفشل : الضعف عن جهاد عدوّه ، والانكسار لهم ، فذلك الفشل .

القول فى تأويل قوله

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)

❊ وهذا تقدّم من الله جلّ ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله — لايعملوا عملا إلا لله خاصة، وطلب ماعنده، لارئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين فى مسيرهم إلى بدر، طلب رئاء الناس، وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقيل لهم : انصرفوا فقد سلمت العير التى جئتم لنصرتها ، فأبوا وقالوا: نأتى بدرا، فنشرب بها الخمر ،وتعزف علينا القيان، وتتحدث بنا العرب ،لمكاننا فيها، فسُقُوا مكان الخمر كؤوس المنايا .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا أبان ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : كانت قريش قبل أن يلقاهم النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر، قد جاءهم راكب من أبى سفيان، والركب الذين معه ، إنا قد أجزنا القوم فارجعوا، فجاء الركب الذين بعثهم أبوسفيان، الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجُحْفَة، فقالوا : والله لانرجع ،حتى ننزل بدرا ، فنقيم فيه ثلاث ليال ، ويرانا من غَشِيَنا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا، وهم الذين قال الله : (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ) والتقوا هم والنبىّ صلى الله عليه وسلم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر ، وشَفَى صدور المؤمنين منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق فى حديث ذكره ، قال : ثنى محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو ، وعبد الله بن أبى بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، عن ابن عباس ، قال :لما رأى أبوسفيان أنه أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ،فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نَرِد بدرا ، وكان بدر موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كلّ عام ، فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجُزُر ، ونطعم الطعام،ونُسْقَى الخمور ، وتَعزفَ علينا القيان،وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدا، فامضوا .

قال ابن حميد : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ) : أى لاتكونوا كأبى جهل وأصحابه الذين قالوا : لانرجع حتى نأتىَ بدرا ، وننحر بها الجُزُر ، ونُسقَى بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا . أى لايكونن أمركم رياء ولا سُمعَة ولا التماس ما عند الناس ، وأخلصوا لله النية والحِسْبة فى نصر دينكم ، ومؤازرة نبيكم : أى لاتعملوا إلا لله ، ولا تطلبوا غيره .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ؛ وحدثنا أحمد ابن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ) قال : أصحاب بدر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ) قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : هم مشركو قريش ، وذلك خروجهم إلى بدر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ) : يعنى المشركين الذين قاتلوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ) قال : هم قريش وأبو جهل وأصحابه ، الذين خرجوا يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) قال : كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبىّ الله يوم بدر خرجوا ، ولهم بغى وفخر ، وقد قيل لهم يومئذ : ارجعوا ، فقد انطلقت عيركم ، وقد ظفرتم . قالوا : لا والله ، حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا . قال : وذُكِر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « اللَّهُمَّ إنَّ قُرَيْشا أقْبَلَتْ بِفَخْرِها وخُيَلائِها ، لِتُحادَّكَ وَرَسُولَكَ » .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذكر المشركين وما يطعمون على المياه ، فقال (لاتَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا) قال : هم المشركون خرجوا إلى بدر أشَرًا وبطرا .

حدثني الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ ، قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر ، خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله (وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

❁ فتأويل الكلام إذن : ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله فى العمل بالرياء والسُّمْعة ، وترك إخلاص العمل لله، واحتساب الأجر فيه، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله ، الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراءاة الناس، بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم، وشدة بطانتهم، (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) . يقول: ويمنعون الناس من دين الله، والدخول فى الإسلام ، بقتالهم إياهم، وتعذيبهم من قدَروا عليه من أهل الإيمان بالله ، والله بما يعملون من الرياء ، والصدّ عن سبيل الله ، وغير ذلك من أفعالهم، محيط ، يقول : عالم بجميع ذلك ، لايخفى عليه منه شىء ، وذلك أن الأشياء كلها له متجلية ، لايعزُب عنه منها شىء ، فهو لهم بها معاقِب ، وعليها معذّب .

القول فى تأويل قوله

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، وَقَالَ : لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ، إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ) : وحين زين لهم الشيطان أعمالهم .

وكان تزيينه ذلك لهم كما حدثنى المثنى ،قال: ثنا عبد الله بن صالح ،قال: ثنى معاوية، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين ،معه رايته ، فى صورة رجل من بنى مُدْلِج ، فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم ، فقال الشيطان للمشركين : لاغالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم . فلما اصطفّ الناس ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب ، فرمى بها فى وجوه المشركين ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده فى يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ، فولىّ مدبرا هو وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقة ، تزعم أنك لنا جار ؟ قال : (إِنّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ ، إِنّى أخافُ اللهَ ، وَاللهُ شَدِيدُ العِقابِ) وذلك حين رأى الملائكة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أتَى المشركين إبليسُ فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم الكنانىّ الشاعر ، ثم المدلجىّ ، فجاء على فرس ، فقال للمشركين (لاغالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النّاسِ) فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا جاركم سُراقة ، وهؤلاء كنانة قد أتوكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، ثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر ، يعنى من الحرب ، فكاد ذلك أن يثبطهم ، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجىّ ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، فى قوله (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ ، وَقالَ لاغالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّى جارٌ لَكُمْ) فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم ، حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، من الحرب التى كانت بينهم ، يقول الله (فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ) ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوّهم (نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ ، وَقالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ ، إِنِّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ) وصدق عدوّ الله أنه رأى ما لايرون ، وقال : (إِنِّى أَخافُ اللهَ ، وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ) ، فأوردهم ثم أسلمهم ، قال : فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لاينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان ، كان الذى رآه حين نكص ، الحارث بن هشام ، أو عمير بن وهب الجمحىّ ، فذكر أحدهما ، فقال : أين سراقة ، أسلمتنا عدوُّ الله وذهب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ) . . . إلى قوله (شَدِيدُ الْعِقابِ) قال : ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة ، فزعم عدوّ الله أنه لايَدَىْ له بالملائكة ، وقال : إنى أرى ما لاترون ، إنى أخاف الله ، وكذب والله عدوّ الله ، ما به مخافة الله ، ولكن علم أن لاقوّة له ، ولا منعة له ، وتلك عادة عدوّ الله لمن أطاعه واستعاذ به ، حتى إذا التقى الحقّ والباطل ، أسلمهم شرّ مُسْلَمٍ ، وتبرأ منهم عند ذلك .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ) . . . الآية ، قال : لما كان يوم بدر ، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى فى قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم ، وإنى جار لكم ، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة ، نكص على عقبيه ، قال : رجع مدبرا ، وقال (إِنِّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن الفرج ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، قال : ثنا مالك ، عن إبراهيم ابن أبى عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مارُؤِىَ إِبْلِيسُ يَوْماً هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلا أَحْقَرُ وَلا أَدْحَرُ وَلا أَغْيَظُ ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَذلِكَ مِمَّا يَرَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ عَنِ الذُّنُوبِ ، إِلاَّ ما رأى يَوْمَ بَدْرٍ ، قالوا : يا رسول الله ، وما رأى يوم بدر ؟ قال : أَمَا إِنَّهُ رأى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلائِكَةَ » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن

الحسن ، فى قوله (إِنِّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ) قال : رأى جبريل معتجرا ببرد ، يمشى بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى يده اللجام ما ركب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، قال : قال الحسن : وتلا هذه الآية (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ) . . . الآية ، قال : سار إبليس مع المشركين ببدر ، برايته وجنوده ، وألقى فى قلوب المشركين : أن أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ، ولن تُغْلَبوا كثرة ، فلما التقوا ، نكص على عقبيه ، يقول : رجع مدبرا ، وقال : إنى برىء منكم ، إنى أرى ما لاترون ، يعنى الملائكة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبومعشر ، عن محمد بن كعب ، قال : لما أجمعت قريش على السير ، قالوا : إنما نتخوّف من بنى بكر ، فقال لهم إبليس فى صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم : أنا جار لكم من بنى بكر ، ولا غالب لكم اليوم من الناس .

❊ فتأويل الكلام : وإن الله لسميع عليم فى هذه الأحوال ، وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون ، لحربكم وقتالكم ، وحسّن ذلك لهم ، وحثهم عليكم ، وقال لهم : لاغالب لكم اليوم من بنى آدم ، فاطمئنوا وأبشروا ، وإنى جار لكم من كنانة ، أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم ، أجيركم وأمنعكم منهم ، ولا تخافوهم ، واجعلوا جدّكم وبأسكم على محمد وأصحابه . (فَلَمَّا تَراءَتِ الفِئَتانِ) : يقول : فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين ، وجنود الشيطان من المشركين ، ونظر بعضهم إلى بعض . (نَكَصَ على عَقِبَيْهِ) : يقول : رجع القهقرَى على قفاه هاربا ، يقال منه : نَكَصَ ينكُص وينكِص نكوصا ، ومنه قول زهير :

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ البَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لاينْكُصُونَ إذا ما اسْتُلْحِمُوا وحَمُوا[1]

وقال للمشركين (إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ ، إِنِّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ) يعنى : أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين ، والمشركون لايرونهم ، إنى أخاف عقاب الله ، وكَذَب عدوّ الله ، والله شديد العقاب .

القول فى تأويل قوله

إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ، وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)

❊ يقول تعالى ذكره : وإن الله لسميع عليم فى هذه الأحوال ، وإذ يقول المنافقون ، وكرّ بقوله (إِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ) على قوله (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِى مَنامِكَ قَلِيلاً) . (والَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعنى : شكّ فى الإسلام ، لم يصح يقينهم ، ولم تشرح بالإيمان صدورهم . (غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ) :

(١) البيت لزهير (ديوانه : مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبى ص ٢٦٢) وحبيك البيض : طرائقه . الواحدة : حبيكة . وقال أبو منصور الأزهرى (اللسان : نكص) : نكص ينكص (بضم الكاف وكسرها) . والنكوص : الإحجام والانقداع عن الشيء ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه من الخير ، ولا يقال ذلك إلا فى الرجوع عن الخير خاصة . واستلحموا : أدركوا ولو يسوا . وحموا : اشتد غضبهم .

يقول : غرّ هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينُهم، وذلك الإسلام ، وذكر أن الذين قالوا هذا القول، كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركي قريش، ولم يستحكم الإسلام فى قلوبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ) قال : كان ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين ، قالوا : (غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ) .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ) قال : فئة من قريش: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبوقيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلىّ بن أمية بن خلف ، والعاصى بن منبه بن الحجاج ، خرجوا مع قريش من مكة، وهم على الارتياب، فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : غرّ هؤلاء دينهم ، حتى قدموا على ما قدموا عليه ، مع قلة عددهم ، وكثرة عدوّهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ) قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا منافقين . قال معمر ، وقال بعضهم : قوم كانوا أقرّوا بالإسلام وهم بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غرّ هؤلاء دينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ) . . . إلى قوله (فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) قال : رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله . وذُكِر لنا أن أبا جهل عدوّ الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال : والله لايُعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوّا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج فى قوله (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فى قُلُوبِهِم مَرَضٌ) قال : ناس كانوا من المنافقين بمكة، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعةَ عشرَ رجلا .

قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ) قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلّل الله المسلمين فى أعين المشركين ، وقلل المشركين فى أعين المسلمين ، فقال المشركون : غرّ هؤلاء دينهم ، وإنما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم ، لايشكون فى ذلك ، فقال الله : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فإنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وأما قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ) فإن معناه: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به، ويرض بقضائه ، فإن الله حافظه وناصره ، لأنه عزيز لايغلبه شيء ، ولا يقهره أحد ، فجاره منيع ، ومن يتوكل عليه يكفه . وهذا أمر من الله جلّ ثناؤه ،المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ،أن يفوّضوا أمرهم إليه ، ويسلموا لقضائه ، كيما يكفيهم أعداءهم ، ولا يستذلهم من ناوأهم ، لأنه عزيز غير مغلوب ، فجاره غير مقهور . حكيم ، يقول : هو فيما يدبر من أمر خلقه ، حكيم لايدخل تدبيره خلل .

القول فى تأويل قوله

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ، وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو تُعاين يا محمد حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار ، فتنزعها من أجسادهم ، تضرب الوجوه منهم والأستاه ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار التى تحرقكم يوم ورودكم جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن أسلم ، عن إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ) قال : وأستاهم ، ولكن الله كريم يكنى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد ، فى قوله (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ) قال : وأستاههم ، ولكن الله كريم يكنى .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : أخبرنا شعبة ، عن يعلَى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ) قال : إن الله كنى ،ولو شاء لقال : أستاههم ، وإنما عنى بأدبارهم : أستاههم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أستاههم يوم بدر .

قال ابن جريج : قال ابن عباس :إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ، ضربوا وجوههم بالسيوف ، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة ، فضربوا أدبارهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : قال رجل : يا رسول الله، إنى رأيت بظهر أبى جهل ، مثل الشراك ، فما ذاك ؟ قال : ضَرْبُ المَلائِكَةِ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، أن رجلا قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنى حملت على رجل من المشركين ، فذهبت لأضربه ، فندر رأسه ، فقال : سَبَقَكَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني حرملة ، أنه سمع عمر مولى غُفْرة يقول : إذا سمعت الله يقول (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ) فإنما يريد أستاههم .

﴿ قال أبو جعفر : وفي الكلام محذوف ، استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره ، وهو قوله (وَيَقُولُونَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) حذفت يقولون ، كما حذفت من قوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) بمعنى : يقولون : ربنا أبصرنا .

القول فى تأويل قوله

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)

﴿ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر : إنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم : ذوقوا عذاب الله الذى يحرقكم ، هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم : أى بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار ، واجترحتم من معاصى الله أيام حياتكم ، فذوقوا اليوم العذاب ، وفى معادكم عذاب الحريق ، وذلك لكم ، بأن الله ليس بظلام للعبيد ، لايعاقب أحدا من خلقه إلا بجُرم اجترمه ، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه ، لأن الظلم لايجوز أن يكون منه ، وفى فتح « أن » من قوله ، وأن الله : وجهان من الإعراب : أحدهما النصب ، وهو للعطف على « ما » التى فى قوله (بِمَا قَدَّمَتْ) بمعنى : ذلك بما قدمت أيديكم ، وبأن الله ليس بظلام للعبيد ، فى قول بعضهم ، والخفض فى قول بعض ، والآخر الرفع على ذلك بما قدمت ، وذلك أن الله .

القول فى تأويل قوله

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)

﴿ يقول تعالى ذكره : فَعَلَ هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم ، وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ، ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك . وقد بيّنا فيما مضى أن الدأب : هو الشأن والعادة ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثني الحارث ، قال : ثني عبد العزيز ، قال : ثنا شيبان ، عن جابر ، عن عامر ومجاهد وعطاء (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) : كفعل آل فرعون ، كسُنَن آل فرعون .

وقوله (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) : يقول : فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ، ومعصيتهم ربهم ،

كما عاقب أشكالهم ، والأمم الذين قبلهم (إنَّ اللهَ قَوِيّ) لايغلبه غالب ، ولا يردّ قضاءه رادّ ، ينفذ أمره ، ويمضى قضاءه فى خلقه ، شديد عقابه لمن كفر بآياته ، وجحد حججه .

القول فى تأويل قوله

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم ، وفعلنا ذلك بهم ، بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به ، من ابتعاثه رسولَه منهم ، وبين أظهرهم ، بإخراجهم إياه من بينهم ، وتكذيبهم له ، وحربهم إياه ، فغيّرنا نعمتنا عليهم ، بإهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ، ممن طغى علينا ، وعصى أمرنا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ذلكَ بأنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أنْعَمَها على قَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنْفُسِهِمْ) يقول : نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم به على قريش وكفروا ، فنقله إلى الأنصار .

وقوله (وأنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : لايخفى عليه شىء من كلام خلقه ، يسمع كلام كلّ ناطق منهم بخير نطق أو بشرّ ، عليم بما تضمره صدورهم ، وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرّا فشرّا .

القول فى تأويل قوله

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ، وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ، فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ، وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : غيَّر هؤلاء المشركون بالله ، المقتولون ببدر ، نعمةَ ربهم التى أنعم بها عليهم ، بابتعاثه محمدا منهم ، وبين أظهرهم ، داعيا لهم إلى الهدى ، بتكذيبهم إياه ، وحربهم له (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) : كسنة آل فرعون وعادتهم ، وفعلهم بموسى نبىّ الله ، فى تكذيبهم إياه ، وتصدّيهم لحربه ، وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم . (فأهلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) : بعضا بالرجفة ، وبعضا بالخسف ، وبعضا بالريح ، (وأغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ) فى اليم . (وكُلٌّ كانُوا ظالِمِينَ) : يقول : كل هؤلاء الأمم التى أهلكناها ، كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله ، من تكذيبهم رسل الله ، والجحود لآياته ، فكذلك أهلكنا

هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر ، إذ غيّروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف ، وأذللنا بعضهم بالإسار والسِّباء .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : إن شرّ ما دبّ على الأرض عند الله الذين كفروا بربهم ، فجحدوا وحدانيته ، وعبدوا غيره فهم لايؤمنون ، يقول : فهم لايصدقون رسل الله ، ولا يقرّون بوحيه وتنزيله .

القول فى تأويل قوله

الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره: إن شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا ، الذين عاهدت منهم يامحمد ، يقول: أخذتَ عهودهم ومواثيقهم أن لايحاربوك، ولا يظاهروا عليك محاربا لك، كقريظة ونظرائهم، ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ، ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم ، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك ، وهم لايتقون الله ، ولا يخافون فى فعلهم ذلك ، أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم .

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ) قال : قريظة مالئوا على محمد يوم الخندق أعداءه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول فى تأويل قوله

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإما تلقين فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتَهم ، فنقضوا عهدك مرّة بعد مرّة من قريظة، فتأسرهم (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ): يقول: فافعل بهم فعلا يكون مشرِّدا مَن خلفهم من نظرائهم، ممن بينك وبينه عهد وعقد، والتشريد : التطريد والتبديد والتفريق ، وإنما أمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم، إذا قدر عليهم، فعلا يكون إخافة لمن وراءهم، ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد، حتى لايجترئوا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية ، من نقض العهد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس

قوله : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) يعنى : نكّل بهم مَن بعدهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) : يقول : نكّل بهم مَن وراءهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) يقول : عظ بهم من سواهم من الناس .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) يقول: نكل بهم من خلفهم ، مَنْ بَعْدَهم من العدوّ، لعلهم يحذرون أن ينكثوا ، فيُصْنَع بهم مثل ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) قال : أنذر بهم مَن خلفهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قال: نكّل بهم من خلفهم ، من بعدهم . قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : نكّل بهم مَن وراءهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) : أى نكل بهم مَن وراءهم ، لعلهم يعقلون .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) يقول : نكل بهم مَن بعدهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله الله (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) قال: أخِفْهم بما تصنع بهؤلاء ، وقرأ (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاتَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) .

وأما قوله (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) فإن معناه : كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم ، فيحذروا نقض العهد الذى بينك وبينهم ، خوف أن ينزل بهم منك ، ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه .

القول فى تأويل قوله

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ (٥٨)

❊ يقول تعالى ذكره : وإمّا تخافنّ يا محمد من عدوّ لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهده، وينقض عقده، ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر (فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ على سَوَاءٍ) يقول : فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم ،أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ،بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة

منهم ؛حتى تصير أنت وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب،فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر. (إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائِنِينَ): الغادرين بمن كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه، أن يغدر به، فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب ، وأنه قد فاسخه العقد .

فإن قال قائل : وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة، والخوف ظنٌّ لايقين ؟ قيل : إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معناه : إذا ظهرت آثار الخيانة من عدوّك ، وخفت وقوعهم بك ، فألق إليهم مقاليد السلم، وآذنهم بالحرب ، وذلك كالذى كان من بنى قُريظة ، إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين، إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحاربتهم معه بعد العهد الذى كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ، ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خوف الغدر به وبأصحابه منهم ، فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر، مثل الذى ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها ، فحقٌّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ، ويؤذنهم بالحرب .

ومعنى قوله (عَلَى سَوَاءٍ): أى حتى يستوى علمك وعلمهم، بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه، لاسلم . وقيل : نزلت الآية فى قريظة :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) قال قريظة .

وقد قال بعضهم : السواء فى هذا الموضع : المَهَل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : إنه مما تبين لنا أن قوله (فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) أنه على مَهَل .

كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان فى قول الله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) .

وأما أهل العلم بكلام العرب ، فإنهم فى معناه مختلفون ، فكان بعضهم يقول : معناه : فانبذ إليهم على عَدْل ، يعنى حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة ، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز :

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدُرِ الأَعْدَاءِ حَتّى يُجِيبُوكَ إلى السَّوَاءِ[1]

يعنى إلى العدل . وكان آخرون يقولون : معناه الوسط من قول حسان :

(١) السواء والسوية : العدل والنصفة. قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، أى عدل . وقال زهير :

أَرُونِي خُطَّةً لاعَيْبَ فِيهَا يُسَوِّى بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

يا وَيْحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ[١]

بمعنى فى وسط اللحد ، وكذلك هذه المعانى متقاربة ، لأن العدل وسط : لايعلو فوق الحقّ ، ولا يقصر عنه ، وكذلك الوسط عدل ، واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة ، عدل من الفعل ووسط . وأما الذى قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المتمهّل ، فما لاأعلم له وجها فى كلام العرب .

القول فى تأويل قوله

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ) بكسر الألف من « إنهم » ، وبالتاء فى « تحسبنّ » ، بمعنى : ولا تحسبنّ يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم ، ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم ، فقيل : إن هؤلاء الكفرة لا يُعْجِزون ربهم إذا طلبهم ، وأراد تعذيبهم وإهلاكهم بأنفسهم ، فيفوتوه بها . وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة : (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالياء فى يحسبنّ ، وكسر الألف من إنهم ، وهى قراءة غير حميدة لمعنيين : أحدهما : خروجها من قراءة القرّاء ، وشذوذها عنها ، والآخر : بعدها من فصيح كلام العرب ، وذلك أن يحسب يطلب فى كلام العرب منصوبا وخبره ، كقوله : عبد الله يحسب أخاك قائما ، ويقوم وقام ، فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبرا لغير مخبر عنه مذكور ، وإنما كان مراده بظنّ : ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا ، أنهم لايعجزوننا ، فلم يفكر فى صواب مخرج الكلام وسقمه ، واستعمل فى قراءته ذلك كذلك ، ما ظهر له من مفهوم الكلام ، وأحسب أن الذى دعاه إلى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله ، وذلك أنه فيما ذكر فى مصحف عبد الله (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لايُعْجِزُونَ) وهذا فصيح صحيح إذا أدخلت أنهم فى الكلام ، لأن يحسبنّ عاملة فى أنهم ، وإذا لم يكن فى الكلام أنهم كانت خالية من اسم تعمل فيه . وللذى قرأ ذلك من القرّاء وجهان فى كلام العرب ، وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم : أحدهما أن يكون أريد به : ولا يحسبنّ الذين كفروا أن سبقوا ، أو أنهم سبقوا ، ثم حذف أن وأنهم ، كما قال جلّ ثناؤه (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً) بمعنى : أن يريكم ، وقد ينشد فى نحو ذلك بيت لذى الرمة :

أَظَنَّ ابْنُ طُرْثُوثٍ عُيَيْنَةُ ذَاهِبا بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهْ[٢]

بمعنى : أظنّ ابنُ طرثوث أن يذهب بعاديّتى تكذابُه وجعائله . وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء ، يوجه

(١) البيت لحسان بن ثابت من قصيدة يرثى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . أورده صاحب اللسان فى (سوا) شاهدا على أن : سواء الشيء وسواه (بضم السين وكسرها) : وسطه . وقال تعالى . « فاطلع فرآه فى سواء الجحيم » .

(٢) البيت لذى الرمة (ديوانه طبع كيمبردج ١٩١٢ ص ٤٧٣) والرواية فيه « لعل » فى موضع « لظن » . وعيينة فى موضع عيينه ، وأشار فى هامشه إلى رواية الطبرى هذه . والعادية : بئر اختصما فيها . والبئر العادية : هى القديمة تنسب إلى عاد لأنه لا يعلم من حفرها . والجعائل : جمع جعالة ، وهى ما يجعل للحاكم من الرشا . ورواية المؤلف كرواية الفراء فى معانى القرآن ص١٢١ من مصورة جامعة القاهرة . وكلامه فى تخريج الإعراب مؤسس على كلام الفراء .

سبقوا إلى سابقين على هذا المعنى ، والوجه الثانى : على أنه أراد إضمار منصوب بيحسب ، كأنه قال : ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا ، ثم حذف الهمز وأضمر . وقد وجه بعضهم معنى قوله (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) إنما ذلكم الشيطان يخوّف المؤمن من أوليائه ، وأن ذكر المؤمن مضمر فى قوله يخوّف ، إذ كان الشيطان عنده لايخوّف أولياءه. وقرأ ذلك بعض أهل الشام (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالتاء من تحسبن (سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَايُعْجِزُونَ) بفتح الألف من أنهم ، بمعنى : ولا تحسبنّ الذين كفروا أنهم لايعجزون ، ولا وجه لهذه القراءة يعقل، إلا أن يكون أراد القارئ بلا التى فى يعجزون ، « لا » التى تدخل فى الكلام حشوا وصلة .

فيكون معنى الكلام حينئذ : ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ، ولا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله إلى التطويل ، بغير حجة يجب التسليم لها ، وله فى الصحة مخرج .

❁ قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى : قراءة من قرأ (لَا تَحْسَبَنَّ) بالتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ) بكسر الألف من (إِنَّهُمْ لَايُعْجِزُونَ) بمعنى : ولا تحسبنّ أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذّبوا بها سبقونا بأنفسهم ، ففاتونا ، إنهم لايعجزوننا : أى يفوتوننا بأنفسهم ، ولا يقدرون على الهرب منا .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ، إِنَّهُمْ لَايُعْجِزُونَ) يقول : لايفوتون .

القول فى تأويل قوله

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ، وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ، وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)

❁ يقول تعالى ذكره : وأعدّوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم ، الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله . ما استطعتم من قوّة ، يقول : ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التى تكون قوّة لكم عليهم ، من السلاح والخيل (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) يقول : تخيفون بإعدادكم ذلك عدوّ الله وعدوّكم من المشركين .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : سمعت أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن

رجل من جهينة يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وأعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ألا إنَّ الرَّمْيَ هُوَ القُوَّةُ ، ألا إنَّ الرَّمْيَ هُوَ القُوَّةُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سعيد بن شرحبيل ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الكريم بن الحارث ، عن أبي عليّ الهمْدانيّ ، أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : قال الله : (وأعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ) ألا وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « (قالَ اللهُ : (وأعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ثلاثا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة بن عامر الجهنيّ ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر « وأعدّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ) فقال : ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ، ثلاث مرات » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة ابن عامر ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ، فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا أحمد بن حيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه محمد بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، في قوله : (وأعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ) .

حدثناا بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن شعبة بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله (وأعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) قال : الحصون (وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ) قال : الإناث .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن رجاء بن أبي سلمة ، قال : لقي رجل مجاهدا بمكة ، ومع مجاهد جُوالق ، قال : فقال مجاهد : هذا من القوّة ، ومجاهد يتجهز للغزو .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وأعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ، من سلاح .

وأما قوله (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) فقال ابن وكيع : حدثنا أبي عن إسرائيلَ ، عن عثمان بن المغيرة الثقفيّ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) قال : تخزون به عدوّ الله وعدوّكم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عثمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصيف ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) قال : تخزون به عدوّ الله وعدوّكم[١] ، وكذا كان يقرأ : بها ترهبون .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة وخَصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (تُرْهِبُونَ بِهِ) تخزون به .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

يقال منه : أرهبت العدوّ ورهبته ، فأنا أرهبه وأرهبه إرهابا وترهيبا ، وهو الرهب والرهب ، ومنه قول طفيل الغَنَوىّ :

وَيْلُ امِّ حَيٍّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِم ... بَنِي كِلابٍ غَداةَ الرُّعْبِ والرَّهَبِ[٢]

القول فى تأويل قوله
(وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاتَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) :

اختلف أهل التأويل فى هؤلاء الآخرين من هم وما هم ؟ فقال بعضهم : هم بنو قريظة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) يعنى من بنى قريظة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) قال قريظة .

وقال آخرون : من فارس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاتَعْلَمُونَهُمُ ، اللهُ يَعْلَمُهُمْ) هؤلاء أهل فارس .

وقال آخرون : هم كل عدوّ للمسلمين ، غير الذى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يشرّد بهم مَن خلفهم ، قالوا : وهم المنافقون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قول الله (فإمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الحَرْبِ

(١) يريد أن ابن عباس كان يقرأ « تخزون » بدل « ترهبون » كما نقله عنه فى الكشاف . اه .

(٢) البيت لطفيل الغنوى (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٢٧) ص ٥٦ ، وهو أحد ثلاثة أبيات يمدح بها بنى جعفر بن كلاب ، يصفهم بالشجاعة ، وأن من عاداهم فلأمه الويل والثكل . قال : ويروى : لله قوم دفعتم فى جنوبهم . وأشار محققه إلى أن هذه الرواية فى النقائض ص ٥٣٤ ، ورأيناها ثمة .

فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُمْ) قال : أخِفْهم بهم ، لما تصنع بهؤلاء ، وقرأ (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاتَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاتَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون لاتعلمونهم ، لأنهم معكم يقولون : لاإله إلا الله ، ويغزون معكم .

وقال آخرون : هم قوم من الجنّ .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب ، ومايتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوّهم من المشركين ، من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل . ولاوجه لأن يقال : عنى بالقوّة معنى دون معنى من معانى القوّة ، وقد عمّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد بين أن ذلك مراد به الخصوص ، بقوله « ألا إنّ القُوَّةَ الرَّمْىُ » قيل له : إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك ، فليس فى الخبر ما يدلّ على أنه مراد بها الرمى خاصة ، دون سائر معانى القوّة عليهم ، فإن الرمى أحد معانى القوّة ، لأنه إنما قيل فى الخبر « ألا إنّ القُوَّةَ الرَّمْىُ » ولم يقل دون غيرها . ومن القوّة أيضا السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمى ، أو أبلغ من الرمى فيهم ، وفى النكاية منهم ، هذا مع وَهْىِ سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاتَعْلَمُونَهُم) فإن قول من قال : عنى به الجنّ أقرب ، وأشبه بالصواب ، لأنه جلّ ثناؤه قد أدخل بقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) الأمر بارتباط الخيل ، لإرهاب كلّ عدوّ لله وللمؤمنين يعلمونهم ، ولا شكّ أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب ، ولا معنى لأن يقال : وهم يعلمونهم لهم أعداء ، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ، ولكن معنى ذلك : إن شاء الله تُرهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيلَ ، عدوّ الله وأعداءكم من بنى آدم ، الذين قد علمتم عداوتهم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم ، لاتعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ، لأن بنى آدم لايرونهم . وقيل : إن صهيل الخيل يرهب الجنّ ، وإن الجنّ لاتقرب دارا فيها فرس .

فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لايعلمون ماعليه المنافقون ، فما تنكر أن يكون عُنِىَ بذلك المنافقون؟ قيل : فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم ، وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم ، التى كانوا يستسرّون من الكفر ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوّة لإرهاب العدوّ ، فأما من لم يرهبه ذلك ، فغير داخل فى معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون ، وقيل لاتعلمونهم ، فاكتفى للعلم بمنصوب واحد فى هذا الموضع ، لأنه أريد لاتعرفونهم ، كما قال الشاعر :

فإنَّ اللهَ يَعْلَمُنِى ووَهْبا وأنَّا سَوْفَ يَلْقاهُ كِلانا[١]

القول فى تأويل قوله

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب ، أو كراع ، أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله من المشركين ، يخلفه الله عليكم فى الدنيا ، ويدّخر لكم أجوركم على ذلك عنده ، حتى يوفيكموها يوم القيامة (وأنتم لا تُظْلَمُونَ) يقول : يفعل ذلك بكم ربكم ، فلا يضيع أجوركم عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأنتم لا تُظْلَمُونَ) : أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدرا ، فانبذ إليهم على سواء ، وآذنهم بالحرب : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) : وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ ، إما بالدخول فى الإسلام ، وإما بإعطاء الجزية ، وإما بموادعة ، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح . (فاجْنَحْ لَهَا) : يقول : فمل إليها ، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه . يقال منه : جَنَحَ الرجل إلى كذا يَجْنَحُ إليه جنوحا ، وهى لتميم . وقيس فيما ذُكِر عنها ، تقول : يجنُح بضم النون . وآخرون : يقولون : يجنِح بكسر النون ، وذلك إذا مال ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا الْتَقَى الْجَمْعانِ أَوَّلُ غالِبِ[٢]

جوانح : موائل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) البيت للنمر بن تولب ، أورده الزمخشرى فى المفصل فى باب ما يضاف إليه « كلا » قال : وحق ما يضاف إليه « كلا » أن يكون معرفة ومثنى ، أو ما هو فى معنى المثنى ، كقوله : . . . البيت . وفى (اللسان : علمت) ، وعلمت يتعدى إلى مفعولين ، تقول علمت عبد الله عاقلا . ويجوز أن تقول : علمت الشىء ، بمعنى : عرفته وخبرته . (ولم يورد له شاهدا) .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى فى (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ١٦١ وهو الثالث عشر من قصيدة يمدح بها الحارث الأعرج الغسانى وجوانح : جمع جانح . وهو منصوب على الحال من عصائب الطير فى بيت قبله . ومعناه أن الطير ترتقب غزوة هذا الملك ، لتشبع من قرائنه حالة كونهن جوانح ، أى مائلات متهيئات للوقوع على القرائن . وفى تاج العروس : جنح إليه يجنح ، كيمنع على القياس : لغة تميم ، وهى الفصيحة ، ويجنح بالضم : لغة قيس ، ويجنح بالكسر ، وقد قرىء بها شاذا كما فى المحتسب وغيره ، نقله شيخنا ، جنوحا ، بالضم : مال ، قال الله عز وجل : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » أى : إن مالوا إليها فمل إليها ، والسلم : المصالحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ) قال : للصلح ، ونسخها قوله (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ) إلى الصلح (فَاجْنَحْ لَهَا) قال : وكانت هذه قبل براءة ، كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل ، فإما أن يسلموا ، وإما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعد فى براءة ، فقال (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقال (قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) ونبذ إلى كلّ ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم ، حتى يقولوا: لا إله إلا الله ويُسلموا، وألاّ يقبل منهم إلا ذلك ، وكل عهد كان فى هذه السورة ، وفى غيرها ، وكلّ صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به ،فإن براءة جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال ، حتى يقولوا : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرىّ ، قالا (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا): نسخها الآية التى فى براءة قوله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) يقول : وإن أرادوا الصلح فأرده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) : أى إن دعوك إلى السلم ، إلى الإسلام ، فصالحهم عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) قال : فصالحهم ، قال : وهذا قد نسخه الجهاد .

فأما ماقاله قتادة ومن قال مثل قوله، من أن هذه الآية منسوخة، فقول لادلالة عليه من كتاب ولاسنة، ولا فطرة عقل . وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، على أن الناسخ لايكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائن ناسخا ، وقول الله فى براءة (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، غير ناف حكمه حكم قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)، لأن قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ) إنما عُنى به بنو قريظة ، وكانوا يهودا أهل كتاب ، وقد أذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ، ومتاركتهم الحرب ، على أخذ الجزية منهم . وأما قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فإنما عُنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لايجوز قبول الجزية منهم ، فليس فى إحدى الآيتين نفى حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ) قال : قريظة .

وأما قوله (وَتَوَكَّلْ على اللهِ): يقول: فوّض إلى الله يا محمد أمرك، واستكفه واثقا به أنه يكفيك.

كالذي حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَتَوَكَّلْ على اللهِ) إن الله كافيك.

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) يعني بذلك: إن الله الذي تتوكل عليه سميع لما تقول أنت، ومن تسالمه وتتاركه الحرب، من أعداء الله وأعدائك، عند عقد السلم بينك وبينه، ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط. والعليم بما يضمره كلّ فريق منكم للفريق الآخر، من الوفاء بما عاقده عليه، ومن المضمر ذلك منكم في قلبه، والمنطوي على خلافه لصاحبه.

القول في تأويل قوله

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ، هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)

❊ يقول تعالى ذكره: وإن يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء، إن خفت منهم خيانة، وبمسالمتهم، إن جنحوا للسلم، خداعك والمكر بك (فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ) يقول: فإن الله كافيكهم، وكافيك خداعهم إياك، لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان، ومتضمن أن يجعل كلمته العليا، وكلمة أعدائه السفلى: (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ) يقول: الله الذي قوّاك بنصره إياك على أعدائه، وبالمؤمنين: يعني: بالأنصار.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) قال: قريظة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ): هو من وراء ذلك.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ) قال: بالأنصار.

القول في تأويل قوله

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

❊ يريد جلّ ثناؤه بقوله (وأَلَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ) وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرّق والتشتت، على دينه الحقّ، فصيّرهم به جميعا، بعد أن كانوا أشتاتا، وإخوانا بعدأن كانوا أعداء.

وقوله (لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد

صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت يامحمد ما في الأرض جميعا من ذهب وورق وعرَض ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ، ولكن الله جمعها على الهدى ، فائتلفت واجتمعت ، تقوية من الله لك ، وتأييدا منه ، ومعونة على عدوك . يقول جلّ ثناؤه : والذى فعل ذلك ، وسبّبه لك ، حتى صاروا لك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغاك سوءا ، هو الذى إن رام عدوّ منك مراما يكفيك كيده ، وينصرك عليه ، فثق به ، وامض لأمره ، وتوكل عليه .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وألَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ) قال : هؤلاء الأنصار ، ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن بشير بن ثابت رجل من الأنصار ، أنه قال في هذه الآية (لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ) : يعنى الأنصار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وألَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ) على الهدى الذى بعثك به إليهم . (لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ ألَّفَ بَيْنَهُمْ) بدينه الذى جمعهم عليه ، يعنى الأوس والخزرج .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إبراهيم الخوزىّ ، عن الوليد بن أبى مغيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفِر لهما . قال : قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ فقال مجاهد : أما سمعته يقول (لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ) فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم منى .

حدثنا عبد الكريم بن أبى عُمير ، قال : ثنى الوليد ، عن أبى عمرو ، قال : ثنى عبدة بن أبى لُبابة ، عن مجاهد ، ولقيته ، وأخذ بيدى ، فقال : إذا تراءى المتحابان في الله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك إليه ، تحاتّت خطاياهما ، كما يتحات ورق الشجر . قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير ، قال : لاتقل ذلك ، فإن الله يقول : (لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ) قال عبدة : فعرفت أنه أفقه منى .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا فضيل بن غزوان ، قال : أتيت أبا إسحاق ، فسلمت عليه ، فقلت : أتعرفنى ؟ فقال فضيل : نعم ، لولا الحياء منك لقبّلتك .

حدثنى أبو الأحوص ، عن عبد الله ، قال : نزلت هذه الآية في المتحابين في الله (لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمير بن إسحاق ، قال : كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس ، أو قال عن الناس : الأُلفة .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعىّ ، قال : ثنى عبدة بن أبى لبابة ، عن مجاهد ، ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم ، عن الوليد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، قال : سمعت عبد الله يقول : (لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، قال : هم المتحابون فى الله .

وقوله (إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله الذى ألف بين قلوب الأوس والخزرج ، بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما ، وجعلهم لك أنصارا . عزيز : لايقهره شىء ، ولا يردّ قضاءه رادّ ، ولكنه ينفذ فى خلقه حكمه . يقول : فعليه فتوكل ، وبه فثق . حكيم : فى تدبير خلقه .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبىّ حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين اللهَ ، يقول لهم جلّ ثناؤه : ناهضوا عدوّكم ، فإن الله كافيكم أمرهم ، ولايهولنكم كثرة عددهم ، وقلة عددكم ، فإن الله مؤيدكم بنصره .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن شوذب بن معاذ ، عن الشعبىّ فى قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) قال : حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله .

حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الأودىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن شوذب ، عن الشعبىّ ، فى قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمنينَ) قال : حسبك الله ، وحسب من معك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن شوذب ، عن عامر ، بنحوه ، إلا أنه قال : حسبك الله ، وحسب من شهد معك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) قال : يا أيها النبىّ حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، أن حسبك أنت وهم الله ، فَمَنْ ، من قوله (وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) على هذا التأويل الذى ذكرناه عن الشعبىّ ، نصب عطفا على معنى الكاف فى قوله (حَسْبُكَ اللهُ) لا على لفظه ، لأنها فى محل خفض فى الظاهر ، وفى محل نصب فى المعنى ، لأن معنى الكلام يكفيك الله ، ويكفى من اتبعك من المؤمنين . وقد قال بعض

أهل العربية فى « مَن » : إنها فى موضع رفع على العطف على اسم الله ، كأنه قال : حسبك الله ، ومتبعوك إلى جهاد العدوّ من المؤمنين ، دون القاعدين عنك منهم ، واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله (حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ) .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ (٦٦)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ) حُثَّ متبعيك ومصدقيك ، على ما جئتهم به من الحق ، على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُون) رجلا (صابِرُونَ) عند لقاء العدوّ ، يحتسبون أنفسهم ، ويثبتون لعدوّهم ، (يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) من عدوّهم ويقهروهم (وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ) عند ذلك (يَغْلِبُوا) منهم (ألفا) . (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) : يقول : من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ، ولا لطلب أجر ولا احتساب ، لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا ، وطلب موعود الله فى المعاد ، ما وعد المجاهدين فى سبيله ، فهم لايثبتون إذا صدقوا فى اللقاء خشية أن يقتلوا ، فتذهب دنياهم ، ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين ، إذ علم ضعفهم فقال لهم : (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً) : يعنى أن فى الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوّهم ضعفا (فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صابِرَةٌ) عند لقائهم للثبات لهم (يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) منهم (وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ) منهم (بِإذْنِ اللهِ) يعنى بتخلية الله إياهم لغلبتهم ، ومعونته إياهم (وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) لعدوّهم ، وعدوّ الله احتسابا فى صبره ، وطلبا لجزيل الثواب من ربه ، بالعون منه له ، والنصر عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبب ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن عطاء فى قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) قال : كان الواحد لعشرة ، ثم جعل الواحد باثنين ، لاينبغى له أن يفرّ منهما .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار ، فقال (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ

يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) فخفف ذلك عنهم ، فجعل على الرجل رجلان ، قال ابن عباس : فما أحبّ أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، ثنى عبد الله بن أبي نجيح المكيّ ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ، ثقُلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ، ومئة ألفا ، فخفف الله عنهم ، فنسخها بالآية الأخرى ، فقال (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أن فِيكُمْ ضَعْفاً، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) قال : وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوّهم لم ينبغ لهم أن يفرّوا منهم ، وإن كانوا دون ذلك ، لم يجب عليهم أن يقاتلوا ، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) قال : كان لكل رجل من المسلمين عشرة لاينبغى له أن يفرّ منهم ، فكانوا كذلك حتى أنزل الله (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ ،وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين ، فنسخ الأمر الأول ،وقال مرّة أخرى فى قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ)، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار ، فشقّ ذلك على المؤمنين ورحمهم الله ، فقال (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُونَ أَلْفَيْنِ بِإذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) ، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القِتالِ) . . . إلى قوله (بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدوّ يؤشّبهم، يعنى يغريهم بذلك ، ليوطنوا أنفسهم على الغزو ، وإن الله ناصرهم على العدوّ ، ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ، ولكن كان تحريضا ، ووصية أمر الله بها نبيه، ثم خفف عنهم، فقال (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً)، فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم ، فتوكلوا على الله ، واصبروا واصدقوا ، ولو كان عليهم واجبا الغزو إذن ، بعُد كل رجل من المسلمين، عمن لقى من الكفار ، إذا كانوا أكثر منهم، فلم يقاتلوهم ، فلا يغرنك قول رجال ، فإنى قد سمعت رجالا يقولون: إنه لايصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان ، وحتى يكون على كل رجلين أربعة ، ثم بحساب ذلك ، وزعموا أنهم يعصُون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك ، وأنه لاحرج عليهم ألا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان ، وعلى كل رجلين أربعة ، وقد قال الله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ، وَاللهُ رَءُوفٌ بالعِبادِ) وقال الله (فقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ

لاتُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ ، وَحَرِّضِ المُؤْمِنِينَ) فهو التحريض الذى أنزل الله عليهم فى الأنفال ، فلا يعجزك قائل : قد سقطت بين ظهرى أناس كما شاء الله أن يكونوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحصين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن قالا : قال فى سورة الأنفال (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) ثم نسخ فقال (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً) . . . إلى قوله (وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة ، فى قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) قال : واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ، ثم خفف عنهم ، فجعل عليهم ألا يفرّ رجل من رجلين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) . . . إلى قوله (وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ) قال : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار ، فضجوا من ذلك ، فجعل على الرجل رجلين ، تخفيفا من الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار وأبى معبد عن ابن عباس ، قال : إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة ، والعشرة لمئة ، إذ المسلمون قليل ؛ فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم ، فأمر الرجل أن يصبر لرجلين ، والعشرة للعشرين ، والمئة للمئتين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) قال : كان فرض عليهم إذا لقى عشرون مئتين أن لايفرّوا ، فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم ، وقال (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وإن يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) فيقول : لاينبغى أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) : جعل الله على كل رجل رجلين ، بعد ما كان على كل رجل عشرة . وهذا الحديث عن ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الخرّيت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ، قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُونَ أَلْفاً)

فشقّ ذلك عليهم ، فأنزل الله التخفيف ، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين ، قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) فخفف الله عنهم ، ونُقِصوا من الصبر بقدر ذلك .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضّل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) يقول : يقاتلوا مئتين ، فكانوا أضعف من ذلك ، فنسخها الله عنهم ، فخفف فقال : (فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) ، فجعل أوّل مرّة الرجلَ لعشرة ، ثم جعل الرجل لاثنين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مِئَتَيْنِ) قال : كان فَرَض عليهم إذا لَقى عشرون مئتين ألاّ يفرّوا ، فإنهم إن لم يفرّوا غَلَبوا ، ثم خفف الله عنهم ، فقال (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإذْنِ اللهِ) فيقول : لاينبغى أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صَبَروا لهم غلبوهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال كان هذا واجبا : ألا يفرّ واحد من عشرة .

وبه قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ليث ، عن عطاء ، مثل ذلك .

وأما قوله (بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) فقد بينا تأويله .

وكان ابن إسحاق يقول فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) : أى لايقاتلون على نيّة ، ولا حقّ فيه ، ولا معرفة لخير ولا شرّ .

وهذه الآية ، أعنى قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) وإن كان مَخْرجها مَخْرج الخبر ، فإن معناها الأمر ، يدلّ على ذلك قوله (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ) فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل ، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوّهم ، كان غير فرض عليهم قبل التخفيف ، وكان ندبا ، لم يكن للتخفيف وجه ، لأن التخفيف إنما هو ترخيص فى ترك الواحد من المسلمين الثبوتَ للعشرة من العدوّ ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما ، لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً) ناسخ لحكم قوله (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، وقد بيّنا فى كتابنا « كتاب لطيف البيان ، عن أصول الأحكام » أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء ، وعلى تركه عقابا وعذابا ، وإن لم يكن خارجا ظاهره مخرج الأمر ، ففى معنى الأمر ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً) فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين (وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضُعْفا) بضم الضاد فى جميع القرآن ، وتنوين الضعف على المصدر ، من ضعف الرجل ضعفا . وقرأ

ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً) بفتح الضاد، على المصدر أيضا من ضعف، وقرأه بعض المدنيين ضُعَفَاء على تقدير فُعَلاء، جمع ضعيف على، ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء، والرحيم رحماء.

❊ وأولى القراءة فى ذلك بالصواب: قراءة من قرأه: وعلم أن فيكم ضَعفا وضُعفا، بفتح الضاد أو ضمها، لأنهما القراءتان المعروفتان، وهما لغتان مشهورتان فى كلام العرب فصيحتان، بمعنى واحد، فبأيّتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب. فأما قراءة من قرأ ذلك ضَعَفَاء فإنها عن قراءة القرّاء شاذة، وإن كان لها فى الصحة مخرج، فلا أحبّ لقارئ القراءة بها.

القول فى تأويل قوله عز ذكره

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)

❊ يقول تعالى ذكره: ما كان لنبيّ أن يحتبس كافرا قَدَرَ عليه، وصار فى يده، من عَبَدَة الأوثان، للفداء أو للمنّ. والأسر فى كلام العرب: الحبس، يقال منه: مأسور، يراد به: محبوس، ومسموع منهم: أناله الله أسرا، وإنما قال الله جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.

وقوله (حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ) يقول: حتى يبالغ فى قتل المشركين فيها، ويقهرهم، غَلَبَة وقَسْرا، يقال منه: أثخن فلان فى هذا الأمر إذا بالغ فيه، وحُكى أثخنته معرفة، بمعنى: قتلته معرفة (تريدون): يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تريدون أيها المؤمنون عَرَض الدنيا بأسركم المشركين، وهو ماعرض للمرء منها من مال ومتاع، يقول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها (وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ) يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة، وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته فى جنّاته، بقتلكم إياهم، وإثخانكم فى الأرض، يقول لهم: واطلبوا ما يريد الله لكم، وله اعملوا، لاما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم، من الرغبة فى الدنيا وأسبابها. (وَاللهُ عَزِيزٌ) يقول: إن أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدوّ لكم، لأن الله عزيز، لايقهر ولا يغلب، وأنه (حَكِيمٌ) فى تدبيره أمر خلقه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (ماكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حتى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ) وذلك يوم بدر، والمسلمون يومئذ قليل؛ فلما كثروا، واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا فى الأسارى (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً) فجعل الله النبىّ والمؤمنين فى أمر الأسارى بالخيار، إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فادَوْهم.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ أسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا) ... الآية ، قال : أراد أصحاب نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ، ففادَوْهم بأربعة آلاف ، ولعمري ، ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وكان أوّل قتال قاتله المشركين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، قال : الإثخان : القتل

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ أسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ) قال : إذا أسرتموهم ، فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل .

قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ أسْرَى) . . . الآية ، نزلت الرخصة بعد ، إنْ شئت فمنْ ، وإن شئت ففاد .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ أسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ) يعنى : الذين أُسِروا ببدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ أسْرَى) من من عدوه (حَتَّى يُثْخِنَ فى الأرْضِ) : أى يثخن عدوَّه ، حتى ينفيهم من الأرض (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا) : أى المتاع والفداء ، بأخذ الرجال (وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ) بقتلهم ، لظهور الدين ، الذى يريدون إطفاءه ، الذى به تُدرك الآخرة .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يومُ بدر ، وجىء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تَقُولُونَ فى هَؤُلاءِ الأسْرَى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومُك وأهلُك ، استبقهم واستأنِ بهم ، لعلَّ الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله ، كذّبوك وأخرجوك ، قدّمهم فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله ابن رواحة : يا رسولَ الله ، انظر واديا كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم نارا ، قال : فقال له العباس : قطعت رَحِمك ، قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم دخل فقال ناسٌ : يأخُذُ بِقَوْلِ أبي بَكْرٍ ، وقالَ ناسٌ : يأخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ ، وقالَ ناسٌ : يأخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بنِ رَوَاحَةَ ، ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنَّ اللهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجالٍ ، حَتَّى تَكُونَ ألْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ ، وإنَّ اللهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجالٍ ، حَتَّى تَكُونَ أشَدَّ مِنَ الحِجارَةِ ، وَإنَّ مَثَلَكَ يا أبا بَكْرٍ مَثَلُ إبْرَاهِيمَ ، قالَ : مَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَمَثَلَكَ يا أبا بَكْرٍ مَثَلُ عِيسَى ، قالَ : إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ) . . . الآية ، وَمَثَلَكَ يا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ ، قالَ : رَبِّ لاتَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) ،

وَمَثَلُكَ يا بْنَ رَوَاحَةَ كَمَثَلِ مُوسَى ، قالَ (رَبَّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ ، فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنْتُمُ اليَوم عالَةٌ ، فَلا يَنفَلِتَنَّ أحَدٌ مِنْهُمْ إلاَّ بِفِداءٍ ، أوْ ضَرْبِ عُنُقٍ . قال عبد الله بن مسعود : إلا سُهَيل ابن بيضاء ، فإنى سمعته يذكر الإسلام ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتُنِى فى يوم أخوف أن تقع علىَّ الحجارة من السماء، منى فى ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلاَّ سُهَيْلَ ابْنَ بَيْضَاءَ ، قال : فأنزل الله (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ فى الأرْضِ) . . . إلى آخر الثلاث الآيات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عكرمة بن عمار ، قال : ثنا أبو زُمَيل ، قال : ثنى عبد الله بن عباس ، قال : لما أسروا الأسارى، يعنى يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيْنَ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعَلِىٌّ ؟ قال : ما ترون فى الأُسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله، هم بنو العم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوّة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تَرَى يا بْنَ الخَطَّابِ ؟ فقال : لا، والذى لاإله إلا هو، ما أرى الذى رأى أبو بكر يا نبىَّ الله، ولكن أرى أن تمكننا منهم ، فتمكن عليا من عَقيل، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس ، فيضرب عنقه ، وتمكننى من فلان، نسيب لعُمر ، فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت . قال عمر : فلما كان من الغد جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى من أىّ شىء تبكى أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبْكِى لِلَّذِى عَرَضَ لأصْحابِى، مِنْ أخْذِهِمُ الفِداءَ ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَىَّ عَذَابُكُمْ أدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عزّ وجلّ (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ فِى الأرْضِ) . . . إلى قوله (حَلالاً طَيِّبًا) وأحلَّ الله الغنيمة لهم .

القول فى تأويل قوله

لَوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)

يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) يقول : لولا قضاء من الله سبق لكم أهلَ بدر فى اللوح المحفوظ، بأن الله مُحِلّ لكم الغنيمة، وأن الله قضى فيما قضى ، أنه لايُضِلّ قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون ، وأنه لايعذّب أحدا شهد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ناصرا دين الله، لنالكم من الله، بأخذكم الغنيمة والفداء، عذاب عظيم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) . . . الآية ، قال : إن الله كان مطعم هذه الأمة الغنيمة ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به ، قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) . . . الآية ،وذلك يوم بدر ،أخذ أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم المغانم والأسارى ،قبل أن يؤمروا به،وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب:المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته ، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغانم ، وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم فى ذلك ، قال الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) يعنى فى الكتاب الأول،أن المغانم والأسارى حلال لكم (لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) . . . الآية ، وكانت الغنائم قبل أن يُبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الأمم ،إذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان ، وحرّم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا ، حرم ذلك على كل نبىّ ،وعلى أمته ، فكانوا لا يأكلون منه ، ولا يَغُلُّون منه ، ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا ، إلا عذبهم الله عليه،وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا ، فلم يحلّه لنبىّ،إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سبق من الله فى قضائه أن المغنم له ولأمته حلال ، فذلك قوله يوم بدر فى أخذ الفداء من الأسارى (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عروة ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) قال : إن الله كان معطىَ هذه الأمة الغنيمة ، وفعلوا الذى فعلوا قبل أن تحِلّ الغنيمة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الأعمش ، فى قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) قال : سبق من الله أن أحلّ لهم الغنيمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن بشير بن ميمون ، قال : سمعت سعيدا يحدث عن أبى هريرة ، قال : قرأ هذه الآية (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال : يعنى : لولا أنه سبق فى علمى أنى سأحلّ الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، وأبو معاوية ، بنحوه ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أُحِلَّتِ الغَنائِمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ

مِنْ قَبْلِكُمْ ، كانَتْ تَنْزِلُ نارٌ مِنَ السَّماءِ وَتأكُلُها » حتى كان يومُ بدر ، فوقع الناس فى الغنائم ، فأنزل الله (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) . . . حتى بلغ (حَلالاً طَيِّباً) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، قال : فلما كان يوم بدر أسرع الناس فى الغنائم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين ، وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْتارُوا أنْ تأخُذُوا مِنْهُمُ الفِداءَ ، فَتَتَقَوَّوْا بِهِ على عَدُوِّكُمْ ، وَإنْ قَبِلْتُمُوه قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ ، أوْ تَقْتُلُوهُمْ » ، فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ، وقتل منهم سبعون » قال عبيدة : وطلبوا الخيرتين كلتيهما.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : كان فداء أسارى بدر : مئة أوقية ، والأوقية أربعون درهما ، ومن الدنانير : ستة دنانير .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، أنه قال فى أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ، وَإنْ شِئْتُمْ فادَيْتُمُوهُمْ ، وَاسْتُشْهِدَ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ » ، فقالوا : بلى ، نأخذ الفداء ، فنستمتع به ، ويستشهد منا بعدتهم » .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا همام بن يحيى ، قال ثنا عطاء بن السائب ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : أمر عمر رضى الله عنه بقتل الأسارى ، فأنزل الله (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) قال : كان المغنم محرّما على كلّ نبىّ وأمته ، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار ، وكان سبق فى قضاء الله وعلمه أن يحلّ المغنم لهذه الأمة ، يأكلونه فى بطونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء فى قول الله (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) قال : كان فى علم الله أن تحلّ لهم الغنائم ، فقال : لولا كتاب من الله سبق بأنه أحلّ لكم الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لايعذبهم ، لمسهم عذاب عظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبوأحمد الزبيرىّ ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) قال : لأهل بدر من السعادة .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) لأهل بدر مشهدهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) قال : سبق من الله خير لأهل بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْلا كتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) كان سبق لهم من الله خير ، وأحل لهم الغنائم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) قال : سبق أن لايعذّب أحدا من أهل بدر .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) لأهل بدر ومشهدهم إياه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر ، قبل أن أحلها لكم ، فقال : سبق من الله العفو عنهم ، والرحمة لهم ؛ سبق أنه لايعذّب المؤمنين ، لأنه لايعذّب رسوله ، ومن آمن به ، وهاجر معه ونصره .

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق أن لايؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) لأهل بدر ومشهدهم إياه ، قال : كتاب سبق لقوله (وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) سبق ذلك وسبق أن لايؤاخذ قوما فعلوا شيئا بجهالة (لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ) قال ابن جريج : قال ابن عباس : فيما أخذتم مما أسرتم ، ثم قال بعد : (فَكُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : عاتبه فى الأسارى ، وأخذ الغنائم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدوّ له .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى أبوسلمة ، عن محمد ، قال : ثنى أبوجعفر محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ ، وأُحِلَّتْ لِىَ المَغانِمُ ، ولَمْ تَحِلَّ لِنَبِىٍّ كانَ قَبْلِى ، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ ، خَمْسٌ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِىٌّ كانَ قَبْلِى . قال محمد : فقال (ما كانَ لِنَبِىٍّ) أى قبلك (أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) . . . إلى قوله (لَوْلا كِتابٌ

مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ) أى من الأسارى والمغانم (عَذَابٌ عَظِيمٌ) : أى لولا أنه سبق منى أن لاأعذب إلا بعد النهى، ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم، ثم أحلها له ولهم، رحمة ونعمة، وعائدة من الرحمن الرحيم.

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل ، وذلك أن قوله (لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) خبر عام، غير محصور على معنى دون معنى، وكل هذه المعانى التى ذكرتها عمن ذكرت، مما قد سبق فى كتاب الله أنه لايؤاخذ بشىء منها هذه الأمة، وذلك ماعملوا من عمل بجهالة ، وإحلال الغنيمة، والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم . وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى ، وقد عم الله الخبر بكل ذلك ، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر إلا أحب الغنائم، إلا عمر بن الخطاب ، جعل لايلقى أسيرا إلا ضرب عنقه، وقال: يا رسول الله مالنا وللغنائم ؟ نحن قوم نجاهد فى دين الله، حتى يُعْبَد الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ عُذِّبْنَا فِى هَذَا الأَمْرِ يا عُمَرُ ما نَجَا غيرُكَ - قال الله : لاتعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : : قال ابن إسحاق : لما نزلت (لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) . . . الآية ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إلاَّ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - لقوله : يانبى الله ، كان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

القول فى تأويل قوله

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر : فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين، حلالا بإحلاله لكم طيبا.(وَاتَّقُوا اللهَ) يقول : وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا فى دينكم شيئا بعد هذه، من قبل أن يعهد فيه إليكم ، كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم.(إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم .

وتأويل الكلام : فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا إن الله غفور رحيم ، واتقوا الله ، ويعنى بقوله (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) لذنوب أهل الإيمان من عباده (رَحِيمٌ) بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ: لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبى ، قل لمن فى يديك وفى يدى أصحابك من

أسرى المشركين، الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا، يقول: إن يعلم الله فى قلوبكم إسلاما، يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جُرمكم الذى اجترمتموه، بقتالكم نبىّ الله وأصحابه، وكفركم بالله (وَاللهُ غَفُورٌ) لذنوب عباده إذا تابوا (رَحِيمٌ) بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة. وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول: فىّ نزلت هذه الآية.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبى إسحاق، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال العباس: فىّ نزلت (ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ تكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ فى الأرْضِ) فأخبرت النبىّ صلى الله عليه وسلم بإسلامى، وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الأوقية التى أخذ منى، فأبى، فأبدلنى الله بها عشرين عبدا، كلهم تاجر، مالى فى يديه.

وقد حدثنا بهذ الحديث ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد: ثنى الكلبىّ، عن أبى صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رِئاب، قال: كان العباس بن عبد المطلب يقول: فىّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامى، ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قُلْ لِمَنْ فِى أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى) ... الآية، قال: ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين، ثمانون ألفا، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما أعطى يومئذ شاكيا، ولا حرم سائلا، وما صلى يومئذ حتى فرّقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثى، فأخذ. قال: وكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِى أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى) ... الآية، وكان العباس أُسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقيه من ذهب، فقال العباس حين نزلت هذه الآية: لقد أعطانى الله خَصْلتين، ما أحبّ أن لى بهما الدنيا، إنى أُسرت يوم بدر، ففديت نفسى بأربعين أوقية، فآتانى أربعين عبدا، وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِى أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى) ... إلى قوله (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى بذلك من أُسر يوم بدر، يقول: إن عملتم بطاعتى، ونصحتم لرسولى، آتيتكم خيرا مما أُخذ منكم، وغفرت لكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانىّ، عن ابن عباس (يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِى أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى) عباس وأصحابه، قال: قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم: آمنا بما جئت به، ونشهد أنك لرسول الله، لننصحنّ لك على قومنا؛ فنزل (إنْ

يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) إيمانا وتصديقا ، يُخْلِف لكم خيرا مما أصيب منكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) الشرك الذى كنتم عليه ، قال : فكان العباس يقول : ما أحبّ أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لى الدنيا ، لقد قال (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) فقد أعطانى خيرا مما أخذ منى مئة ضعف ، وقال (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) وأرجو أن يكون قد غفر لى .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يا أيها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى) . . . الآية ، يعنى العباس وأصحابه أُسروا يوم بدر ، يقول الله : إن عملتم بطاعتى ، ونصحتم لى ولرسولى ، أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم ، وغفرت لكم . وكان العباس بن عبد المطلب يقول : لقد أعطانا الله خصلتين ، ما شىء هو أفضل منهما : عشرين عبدا . وأما الثانية ، فنحن فى موعود الصادق ، ننتظر المغفرة من الله سبحانه .

القول فى تأويل قوله

وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين فى أيديكم خيانتك : أى الغدر بك والمكر والخداع ، بإظهارهم لك بالقول ، خلاف ما فى نفوسهم ، فقد خانوا الله من قبلُ ، يقول : فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر ، وأمكن منهم ببدر المؤمنين ، والله عليم بما يقولون بألسنتهم ، ويضمرونه فى نفوسهم ، حكيم فى تدبيرهم ، وتدبير أمور خلقه سواهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) يعنى : العباس وأصحابه فى قولهم : آمنا بما جئتَ به ، ونشهد أنك رسول الله ، لننصحن لك على قومنا ، يقول : إن كان قولهم خيانة ، فقد خانوا الله من قبلُ ، فأمكن منهم : يقول : قد كفروا وقاتلوك ، فأمكنك الله منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) . . . الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلا كتب لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عَمَد فنافق ، فلحق بالمشركين بمكة ، ثم قال : ما كان محمد يكتب إلا ما شئتُ ؛ فلما سمع ذلك رجل من الأنصار ، نذر : لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف ؛ فلما كان يوم الفتح ، أمَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، ومِقْيَس بن صُبابة ، وابن خَطَل ، وامرأة كانت تدعو على النبىّ صلى الله عليه وسلم كل صباح ، فجاء عثمان بابن أبى سَرْح ، وكان رضيعه : أو أخاه من الرضاعة ، فقال : يا رسول الله ، هذا فلان

أقبل تائبا نادما ، فأعرض نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع به الأنصارىّ أقبل متقلدا سيفه ، فأطاف به ، وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجاء أن يومئ إليه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه ، فقال : أما والله لقد تلومتك فيه،لتوفى نذرك ، فقال : يانبىّ الله إنى هبتك ، فلولا أومضت إلىّ ، فقال : إنه لاينبغى لنبىّ أن يومض .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ):يقول : قد كفروا بالله،ونقضوا عهده، فأمكن منهم ببدر .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ، أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ، وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله (وَهاجَرُوا):يعنى : هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم،يعنى : تركوهم، وخرجوا عنهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم (وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ): يقول : بالغوا فى إتعاب نفوسهم وإنصابها فى حرب أعداء الله من الكفار فى سبيل الله ، يقول فى دين الله الذى جعله طريقا إلى رحمته ، والنجاة من عذابه (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) يقول : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه،يعنى أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه ، وهو: المَثْوَى والمسكن، يقول : أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن ، إذ أخرجهم قومهم من منازلهم (ونصروا): يقول : ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين (أولئك بعضهم أولياء بعض): يقول : هاتان الفرقتان ، يعنى المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله،وبعضهم إخوان لبعض، دون أقربائهم الكفار . وقد قيل: إنما عنَى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وإن الله ورّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة ، دون القرابة والأرحام، وإن الله نسخ ذلك بعد بقوله وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يعنى فى الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار، دون ذوى الأرحام، قال الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا): يقول : ما لكم من ميراثهم من شىء ، وكانوا يعملون بذلك ، حتى أنزل الله هذه الآية (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فى الميراث، فنسخت التى قبلها ، وصار الميراث لذوى الأرحام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : لاهجرة بعد الفتح ، إنما هو الشهادة بعد ذلك (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) ... إلى قوله (حَتَّى يُهَاجِرُوا) وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل : منهم المؤمن المهاجر المباين لقومه فى الهجرة . خرج إلى قوم مؤمنين فى ديارهم وعقارهم وأموالهم. وفى قوله (آوَوْا وَنَصَرُوا) وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة ، وشهروا السيوف على من كذب وجحد ، فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض ،كانوا يتوارثون بينهم ،إذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الأنصارى، بالولاية فى الدين ، وكان الذى آمن ولم يهاجر لايرث ،من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم ، وهى الولاية التى قال الله (ما لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم إن قاتلوا، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبىّ صلى الله عليه وسلم ميثاق، فلا نصر لهم عليهم، إلا على العدو الذين لاميثاق لهم ، ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا، والذين آمنوا ولم يهاجروا، فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ، وبقوله (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال الثلاث الآيات خواتيم الأنفال ، فيهنّ ذكر ما كان من وَلاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين ، وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا) . . إلى قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) قال : بلغنا أنها كانت فى الميراث ،لايتوارث المؤمنون الذين هاجروا، والمؤمنون الذين لم يهاجروا، قال: ثم نزل بعد (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فتوارثوا ولم يهاجروا. قال ابن جريج: قال مجاهد : خواتيم الأنفال الثلاث الآيات، فيهنّ ذكر ما كان والى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) . . . إلى قوله (ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا) قال : لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابيّ المسلم لايرث من المهاجر شيئا ، فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ ، إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً) : أى من أهل الشرك ، فأجيزت الوصية ، ولا ميراث لهم ، وصارت المواريث بالملل ، والمسلمون يرث بعضهم بعضا من المهاجرين والمؤمنين ، ولا يرث أهل ملتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن ، قالا (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) . . . إلى قوله (مالَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا) كان الأعرابيّ لايرث المهاجر ، ولا يرثه المهاجر ، فنسخها فقال (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ ، إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ) في الميراث ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا) وهؤلاء الأعراب (مالَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) فى الميراث (وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : بأنهم مسلمون (فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ) فى الميراث (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ ، فأُولَئِكَ مِنْكُمْ) الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، فتوارث الأعراب والمهاجرون .

القول فى تأويل قوله

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا ، وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) :

يعنى بقوله تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) الذين صدقوا بالله ورسوله (وَلَمْ يُهاجِرُوا) قومهم الكفار ، ولم يفارقوا دار الكفر إلى دار الإسلام (ما لَكُمْ) أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرضَ الحرب (مِنْ وَلايَتِهِمْ) يعنى : من نصرتهم وميراثهم ، وقد ذكرت قول بعض من قال : معنى الوَلاية ههنا : الميراث ، وسأذكر إن شاء الله من حضرنى ذكره بعد (مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا) قومهم ودُورهم ، من دار الحرب إلى دار الإسلام (وَإنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا فى الدين . يعنى بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين ، فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر ، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، يعنى عهد قد وثق به بعضكم على بعض ألا يحاربه (وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) : يقول : والله بما تعملون

فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والأنصار . وتركِ ولاية من آمن ولم يهاجر ، ونصرتكم إياهم عند استنصاركم فى الدين ، وغير ذلك من فرائض الله التى فرضها عليكم ، بصير : يراه ويبصره ، فلا يخفى عليه من ذلك ، ولا من غيره شىء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتى يُهاجِرُوا) قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وآخى النبىّ صلى الله عليه وسلم بينهم ، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة ، وكان الرجل يُسلم ولا يهاجر لايرث أخاه ، فنسخ ذلك قوله (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل فى الإسلام ، فقال : تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتحجّ البيت ، وتصوم رمضان ، وأنك لاترى نار مشرك إلا وأنت حرب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ) يعنى : إن استنصركم الأعراب المسلمون أيها المهاجرون والأنصار على عدوّهم فعليكم أن تنصروهم (إلا على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ) .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ترك النبىّ صلى الله عليه وسلم الناس يوم تُوُفِّىَ على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، والأنصار ، وأعرابىّ مؤمن لم يهاجر إن استنصره النبىّ صلى الله عليه وسلم نصره ، وإن تركه فهو إذن له ، وإن استنصر النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الدين ، كان حقا عليه أن ينصره ، فذلك قوله (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) والرابعة : التابعون بإحسان .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا) . . . إلى آخر السورة ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، ومسلم أعرابىّ ، والذين آووا ونصروا ، والتابعون بإحسان .

القول فى تأويل قوله

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ) يقول : بعضهم أعوان بعض وأنصاره ، وأحقّ به من المؤمنين بالله ورسوله . وقد ذكرنا قول من قال : عنى بيان أن بعضهم أحقّ بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين ، وسنذكر بقية من حضرنا ذكره .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : قال رجل : نورّث أرحامنا من المشركين ؟ فنزلت (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) . . . إلى قوله (وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) قال : كان المؤمن المهاجر ، والمؤمن الذى ليس بمهاجر لايتوارثان ، وإن كانا أخوين مؤمنين، قال : وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد قليلا ، حتى كان يوم الفتح؛ فلما كان يوم الفتح ، وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالأرحام ، وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لاهِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ »، وقرأ (وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ) .

وقال آخرون : معنى ذلك: أن الكفار بعضهم أنصار بعض ، وأنه لايكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) قال : كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول : إن ظهر هؤلاء كنتُ معهم ، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم ، فأبى الله عليهم ذلك ، وأنزل الله فى ذلك ، فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك إلا صاحب جزية مقرّا بالخراج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حضّ الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين ، دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض .

وأما قوله (إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم : معناه: إلاتفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به، من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة ، والأنصار بالإيمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ، ودون الكفار، تكن فتنة، يقول : يحدث بلاء فى الأرض بسبب ذلك ، وفساد كبير ، يعنى : ومعاصى الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) إلا تفعلوا هذا ، تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون، تكن فتنة

فى الأرض وفساد كبير ، قال : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة ، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يعنى فى الميراث (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) يقول : إلا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به (تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلاتناصروا أيها المؤمنون فى الدين، تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين، دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ، ثم ردّ المواريث إلى الأرحام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) قال : إلا تعاونوا وتناصروا فى الدين ، تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير .

❊ قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المُقام فى دار الحرب ، وتركَ الهجرة ، لأن المعروف فى كلام العرب من معنى الولىّ أنه النصير والمعين ،أو ابن العم والنسيب . فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه، إلا بمعنى أنه يليه فى القيام بإرثه من بعده ، وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّن أن أولى التأويلين بقوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) تأويل من قال : إلاتفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين ، تكن فتنة فى الأرض إذ كان مبتدأ الآية من قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) بالحثّ على الموالاة على الدين والتناصر جاء ، وكذلك الواجب أن يكون خاتمها به .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)

❊ يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ، ونصروهم ونصروا دين الله ، أولئك هم أهل الإيمان

بالله ورسوله حقا، لامن آمن ولم يهاجر دار الشرك ، وأقام بين أظهر أهل الشرك ، ولم يغز مع المسلمين عدوّهم (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول : لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : لهم فى الجنة طعم ومشرب هنىّ كريم ، لايتغير فى أجوافهم فيصير نجوا ، ولكنه يصير رشحا كرشح المسك ، وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا : إن معنى قول الله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) فى هذه الآية ، وقوله (ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) إنما هو النصرة والمعونة، دون الميراث ، لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار ، والخبر عما لهم عنده، دون من لم يهاجر بقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) . . . الآية ، ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحثّ على مضىّ الميراث على ما أمر وفى صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لاناسخ فى هذه الآيات لشىء ولا منسوخ .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ ، فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ؛ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)

❁ يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبيانى ما بينتُ من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا ، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر ، وهاجروا دار الكفر إلى دار الإسلام ، وجاهدوا معكم أيها المؤمنون ، فأولئك منكم فى الولاية يجب عليكم لهم من الحقّ والنصرة فى الدين والموارثة مثل الذى يجب لكم عليهم ، ولبعضكم على بعض .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم رد المواريث إلى الأرحام التى بينهم فقال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ) أى فى الميراث (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله

(وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) :

❁ يقول تعالى ذكره : والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض فى الميراث ، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا ، وحظا من الحليف والولىّ (فِي كِتَابِ اللهِ) يقول : فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ ، والسابق من القضاء (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله عالم بما يصلح عباده فى توريثه بعضهم من بعض فى القرابة ، والنسب ، دون الحلف بالعقد ، وبغير ذلك من الأمور كلها ، لايخفى عليه شىء منها .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا قتادة، أنه قال : كان لايرث الأعرابيّ المهاجر ، حتى أنزل الله (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِى كتابِ اللهِ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن عيسى بن الحارث ، أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِّيّة ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زوّجت ، فولدت غلاما ، ثم ماتت السُّرِّيّة ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضى فى ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث فى كتاب الله ، قال : فقضى شريح بالميراث للغلام ، قال (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللهِ) فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، وأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن الزبير إلى شريح ، أن ميسرة أخبرنى أنك قضيت بكذا وكذا وقلت (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللهِ) وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية ، أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول : ترثنى وأرثك ، فنزلت (وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللهِ) فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح : أعتقها جنين بطنها ، وأبى أن يرجع عن قضائه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : ثنى عيسى بن الحارث ، قال : كانت لشريح بن الحارث سرية ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : كان الرجل يعاقد الرجل يقول : ترثنى وأرثك ؛ فلما نزلت ، ترك ذلك .

القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها التوبة

القول فى تأويل قوله عز ذكره

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ، وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢)

يعنى بقوله جل ثناؤه (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) : هذه براءة من الله ورسوله ، فبراءة مرفوعة بمحذوف ، وهو هذه ، كما قوله (سُورَةٌ أنْزَلْناها) مرفوعة بمحذوف هو : هذه ، ولو قال قائل : براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله (إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ) وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها ، وهى قوله (مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) كالمعرفة ، وصار معنى الكلام براءة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين ، كان مذهبا غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجب إلىّ ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين ، هذا وهذه ، فيقولون عند معاينتهم الشىء الحسن : حسن والله ، والقبيح ، قبيح والله ، يريدون هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ، فلذلك اخترت القول الأول ، وقال (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ) والمعنى : إلى الذين عاهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، لأن العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يتولى عقدَها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه ، وأن عقود النبيّ صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم ، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ، ولعقوده عليهم مسلّمين ، فصار عقده عليهم ، كعقودهم على أنفسهم ، فلذلك قال (إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله إليه ، من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين ، فأذن له فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر ، فقال بعضهم : هم صنفان من المشركين : أحدهما: كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلّ من أربعة أشهر ، وأمهل بالسياحة أربعة أشهر : والآخر منهما . كانت مدة عهده بغير أجل محدود ، فقصر به على أربعة أشهر ، ليرتاد لنفسه ، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين ، يقتل حيثما أدرك ، ويؤسر إلا أن يتوب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه أميرا على الحاجّ من سنة تسع ، ليقيم للناس حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، ونزلت سورة براءة ، فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم ، ألا يُصَدّ عن البيت أحد جاءه ، وألا يخاف أحد فى الشهر الحرام ، وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى أجل مسمى ، فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تَبُوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمّى لنا ، ومنهم من لم يسمّ لنا ، فقال (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب ، (فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) . . . إلى قوله (أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أى بعد هذه الحجة .

وقال آخرون : بل كان إمهال الله عزّ وجلّ بسياحة أربعة أشهر ، مَن كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد ، فإنما كان أجله خمسين ليلة ، وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرّم كله ، قالوا : وإنما كان ذلك كذلك ، لأن أجل الذين لاعهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم ، كما قال الله (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) . . . الآية ، قالوا : والنداء ببراءة كان يوم الحجّ الأكبر ، وذلك يوم النحر فى قول قوم ؛ وفى قول آخرين : يوم عرفة ، وذلك خمسون يوما ، قالوا : وأما تأجيل الأشهر الأربعة ، فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يوم نزلت براءة . قالوا : ونزلت فى أوّل شوّال ،

فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الأشهر الحرم ، وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول : ابتداء التأجيل كان للفريقين واحدا ، أعني الذى له العهد ، والذى لاعهد له ، غير أن أجل الذى كان له عهد ، كان أربعة أشهر ، والذى لا عهد له : انسلاخ الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرّم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) قال : حدّ الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر ، يسيحون فيها حيثما شاءوا ، وحدّ أجل من ليس له عهد ، انسلاخ الأشهر الحرم ، من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم ، فذلك خمسون ليلة ، فإذا أنسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ) . . . إلى (وأَنَّ اللهَ مُخْزِى الكافِرِينَ) يقول : براءة من المشركين الذين كان لهم عهد ، يوم نزلت براءة ، فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر ، وأمرهم أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبلَ أن ينزل براءة ، انسلاخ الأشهر الحرم ، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أُذِّن ببراءة إلى انسلاخ المحرّم ، وهى خمسون ليلة : عشرون من ذى الحجة ، وثلاثون من المحرّم ، فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، إلى قوله (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) يقول : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة ، وانسلخ الأشهر الحُرُم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ) قبل أن تنزل براءة ، عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم ، فنزلت براءة من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين ، فإنى أنقض العهد الذى بينك وبينهم ، فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاءوا من الأرض آمنين ، وأجّل من لم يكن بينه وبين النبىّ صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة ، وأذن بها يوم النحر ، فكان عشرين من ذى الحجة والمحرّم ثلاثين ، فذلك خمسون ليلة ، فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرّم ، أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم ، حتى يدخلوا فى الإسلام ، وأمر بمن كان له عهدا إذ انسلخ أربعة من يوم النحر ، أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم ، حتى يدخلوا فى الإسلام ، فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ، ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر ، من يوم النحر إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) . . . إلى قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) قال : ذُكِر لنا أن عليا نادى بالأذان ، وأمّر على الحاجّ أبو بكر رضى الله عنهما ، وكان العام الذى حجّ فيه المسلمون والمشركون ، ولم يحجّ المشركون بعد ذلك العام .

قوله (الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . . . إلى قوله (إِلَى مُدَّتِهِمْ) قال : هم مشركو قريش، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، وأمر الله نبيه أن يوفّى بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لاعهد له انسلاخ المحرم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمر بقتالهم ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا أن الله ، وأن محمدا رسول الله ، ولا يقبل منهم إلا ذلك .

وقال آخرون : كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر ، وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا ، قالوا : وكان ابتداؤه يوم الحجّ الأكبر ، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قال : لما نزلت هذه الآية ، برئ من عهد كلّ مشرك ، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد ، وأجرى لكلٍّ مدتهم (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) لمن دخل عهده فيها من عشر ذى الحجة ، والمحرّم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من شهرربيع الآخر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبومعشر ، قال : ثنا محمد بن كعب القُرَظىّ وغيره ، قالوا : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع ، وبعث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة ، فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجّل المشركين عشرين من ذى الحجة ، والمحرّم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، وقال : لايحُجَّنَّ بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُرْيان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) عشرون من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر ، كان ذلك عهدهم الذى بينهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) إلى أهل العهد : خزاعة ، ومُدْلِج ، ومن كان له عهد من غيرهم ، أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تَبُوك حين فرغ ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجّ ، ثم قال : إنه يحضر المشركون ، فيطوفون عُراة ، فلا أحبّ أن أحجّ ، حتى لايكون ذلك ، فأرسل أبا بكر وعليا رضى الله عنهما ، فطافا بالناس بذى المجاز ، وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالمواسم كلها ، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا

أربعة أشهر ، فهى الأشهر المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لاعهد لهم ، وآذن الناس كلها بالقتال إلا أن يؤمنوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ) قال : أهل العهد مُدْلِج ، والعرب الذين عاهدهم ، ومن كان له عهد ، قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحجّ ، ثم قال : « إنَّهُ يَحْضُرُ البَيْتَ مُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ عُرَاةً ، فَلا أُحِبُّ أنْ أحُجَّ حَتى لايكُونَ ذلكَ » ؛ فأرسل أبا بكر وعليا رضى الله عنهما ، فطافا بالناس بذى المجاز ، وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالموسم كله ، وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر الحرُم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لاعهد لهم ، وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا ، فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد . وقال حين رجع من الطائف مضى ، من فوره ذلك ، فغزا تبوك بعد إذ جاء إلى المدينة .

وقال آخرون ممن قال : ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا ، كان ابتداؤه يوم نزلت براءة ، وانقضاؤه انقضاء الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى (فَسِيحُوا فِى الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ) قال : نزلت فى شوّال ، فهذه الأربعة الأشهر : شوّال ، وذو القعدة ، وذوالحجة والمحرّم .

وقال آخرون : إنما كان تأجيل الله الأشهر الأربعة المشركين فى السياحة ، لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقلّ من أربعة أشهر . أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر ، فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتمّ له عهده إلى مدته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الكلبىّ : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر ، فأتمّ له الأربعة ، ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر ، فهو الذى أمر أن يتمّ له عهده ، وقال (أتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ) .

قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : الأجل الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين ، وأذِن لهم بالسياحة فيه بقوله (فَسِيحُوا فِى الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ) إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته ، فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ، ولم يظاهروا عليه ، فإن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه

وبينهم إلى مدته بقوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ، فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .

فإن ظنّ ظانّ أن قول الله تعالى ذكره (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) يدلّ على خلاف ما قلنا فى ذلك ، إذ كان ذلك ينبئ عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم ، قتل كل مشرك ، فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن الآية التى تتلو ذلك تنبئ عن صحة ماقلنا ، وفساد ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر الحرم ، كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم يكن كان له منه عهد ، وذلك قوله (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فهؤلاء مشركون ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم فى عهدهم ما استقاموا لهم ، بترك نقض صلحهم ، وترك مظاهرة عدوّهم عليهم ، وبعد : فى الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه حين بعث عليا رضى الله عنه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم ، أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهده إلى مدته ، أوضح الدليل على صحة ما قلنا ، وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل ، فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه ، وأنه إنما أجل أربعة أشهر مَنْ كان قد نقض عهده قبل التأجيل ، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود ، فأما من كان أجل عهده محدودا ، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأمورا ، وبذلك بعث مناديَه ينادى به فى أهل الموسم من العرب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : ثنى محرّر بن أبى هريرة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كنت مع علىّ رضى الله عنه حين بعثه النبىّ صلى الله عليه وسلم ينادى ، فكان إذا صَحِل صوته ناديت ، قلت : بأى شىء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع : لايطف بالكعبة عُرْيان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهده إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحجّ بعد عامنا هذا مشرك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، قال : ثنا الشيبانىّ ، عن الشعبىّ ، قال : أخبرنا المحرّر بن أبى هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علىّ رضى الله عنه ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهده إلى أجله . وقد حدّث بهذا الحديث شعبة ، فخالف قيسا فى الأجل ، فحدثنى يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبىّ ، عن المحرّر بن أبى هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علىّ حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة ، فكنت أنادى حتى صَحِل صوتى ، فقلت :

بأي شيء كنتَ تنادي ؟ قال : أمرنا أن تنادي أنه لايدخله الجنة إلا مؤمن ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأجله إلى أربعة أشهر ، فإذا حلّ الأجل ، فإن الله بريء من المشركين ورسولُه ، ولا يطف بالبيت عُريان ، ولا يحجّ بعد العام مشرك .

قال أبو جعفر رحمه الله: وأخشى أن يكون هذا الخبر وَهْمًا من ناقله في الأجل ، لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه ، مع خلاف قيس شعبةَ في نفس هذا الحديث على ما بينته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور عن عليّ رضي الله عنه ، قال : أمرت بأربع : أمرت ألا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطف رجل بالبيت عريانا ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة ، وأن يتمّ إلى كل ذي عهد عهده .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال: ثنا أبو أحمد ، قال: ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْعٍ(١) ، قال : نزلت براءة ، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، ثم أرسل عليًا ، فأخذها منه ، فلما رجع أبو بكر ، قال : هل نزل فيّ شيء ؟ قال : لا ، ولكني أمرت أن أبلغها أنا ورجل من أهل بيتي ، فانطلق إلى مكة ، فقام فيهم بأربع : ألا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطف بالكعبة عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد ، فعهده إلى مدّته .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْع ، عن عليّ ، قال : بعثني النبيّ صلى الله عليه وسلم ، حين أنزلت براءة بأربع : أن لايطف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : بعثت إلى أهل مكة بأربع ، ثم ذكر الحديث .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال : ثنا حسين بن محمد ، قال : ثنا سليمان بن قرم ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ، ثم أتبعه عليا ، فأخذها منه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله حدَثَ فيّ شيء ؟ قال : لا ، أنتَ صَاحِبي فِي الغارِ وَعلى الحَوْضِ ، ولا يُؤدّي عَنّي إلاّ أنا أوْ عليّ » ، وكان الذي بعث به عليا أربعا: لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عُريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ، فنادى : ألاَ لايَحُجَّنّ بعد العام مشرك ، ولا يطفْ بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد ، فأجله إلى مدّته ، والله بريء من المشركين ورسولُه .

(١) في الخلاصة : زيد بن يثيع . بمعجمتين مصغر . وقيل أثيع ، بهمزة . وفي القاموس : يثيع ، بالعين المهملة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ بن حسين بن علىّ ، قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم الحجّ للناس ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت إلى أبى بكر ، فقال : لايُؤَدِّى عَنِّى إلاّ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِى ، ثم دعا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : اخْرُجْ بِهَذِهِ القِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ ، وأذِّنْ فى النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى : أنَّه لايَدْخُلُ الجَنَّةَ كافِرٌ ، ولا يَحُجُّ بَعْدَ العامِ مُشْرِكٌ ، ولا يَطُفْ بالبَيْتِ عُرْيان ، ومَنْ كانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَهْدٌ ، فَهُوَ إلى مُدَّتِهِ ، فخرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَضْباء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق ؛ فلما رآه أبو بكر ، قال : أمير ، أو مأمور ؟ قال : مأمور ، ثم مضيا رضى الله عنهما ، فأقام أبو بكر للناس الحجّ ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحجّ ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهوله إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان . ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك ، من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمَّى .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية ، بعث بهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر ، وأمّره على الحجّ ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحُلَيفة ، أتبعه بعلىّ ، فأخذها منه ، فرجع أبوبكر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، أنزل فى شأنى شىء ؟ قال : لا ، وَلَكِنْ لايُبَلِّغُ عَنِّى غَيْرِى ، أوْ رَجُلٌ مِنِّى ، أما تَرْضَى يا أبا بَكْرٍ أنَّكَ كُنْتَ مَعِى فِى الغارِ ، وأنَّكَ صاحِبِى على الحَوْضِ ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فسار أبوبكر على الحاجّ ، وعلىّ يُؤَذِّن ببراءة ، فقام يوم الأضحى ، فقال : لايقربنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لايدخل الجنة إلا من كان مسلما ، فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ، إلا من الطعن والضرب ، فرجع المشركون ، فلام بعضهم بعضا ، وقالوا : ما تصنعون ؟ وقد أسلمت قريش ، فأسلموا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبى إسحاق ، عن زيد ابن يثيع ، عن علىّ ، قال : أمرت بأربع : ألاّ يقرب البيت بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن يتمّ إلى كل ذى عهد عهده ، قال معمر : وقاله قتادة .

❊ قال أبو جعفر رحمه الله ، فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا ، وإن أجل الأشهر الأربعة

إنما كان لمن وصفنا ، فأما من كان عهده إلى مدة معلومة ، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ، ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَفَّى له عهده إلى مدته ، عن أمر الله إياه بذلك ، وعلى ذلك دلّ ظاهر التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وأما الأشهر الأربعة، فإنها كانت أجلَ من ذكرنا، وكان ابتداؤها يوم الحجّ الأكبر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة فى الأرض ، يذهبون حيث شاءوا ، لايعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ، ولا قتل ، ولا سلب .

فإن قال قائل : فإذا كان الأمر فى ذلك كما وصفتَ ، فما وجه قوله (فإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرم، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر ، وإنما بين يوم الحج الأكبر، وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يوما أكثره ، فأين الخمسون يوما من الأشهر الأربعة ؟ قيل : إن انسلاخ الأشهر الحرم ، إنما كان أجل من لاعهد له من المشركين ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأشهر الأربعة لمن له عهد، إما إلى أجل غير محدود ، وإما إلى أجل محدود قد نقضه ، فصار بنقضه إياه بمعنى مَن خيف خيانته، فاستحقّ النبذ إليه على سواء ، غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه ، والارتياد لها من الأجل الأربعة الأشهر ، ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة ، ويصفهم بأنهم أهل عهد (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَسِيحُوا فى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى الله)، ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلا بأنهم أهل شرك. لاأهل عهد، فقال (وأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) . . . الآية (إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ) . . . الآية ، ثم قال (فإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فأمر بقتل المشركين الذين لاعهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، وبإتمام عهد الذين لهم عهد إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين ، وإدخال النقص فيه عليهم .

فإن قال قائل : وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحجّ الأكبر ، دون أن يكون كان من شوّال على ما قاله قائلو ذلك ؟ قيل له : إن قائلى ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة ، وذلك غير جائز أن يكون صحيحا ، لأن المجعول له أجل السياحة إلى وقت محدود، إذا لم يعلم ما جعل له ، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه ، فكمن لم يجعل له ذلك ، لأنه إذا لم يعلم ماله فى الأجل الذى جعل له ، وماعليه بعد انقضائه، فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الأجل، ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك، إلا حين نُودى فيهم بالموسم، وإذا كان ذلك كذلك صحّ أن ابتداءه ما قلنا، وانقضاءه كان ماوصفنا.

وأما قوله (فَسِيحُوا فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) فإنه يعنى : فسيروا فيها مقبلين ومدبرين ، آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، يقال منه : ساح فلان فى الأرض يسيح سياحة وسُيُوحا وسَيَحانا .

وأما قوله (واعْلَمُوا أنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ) فإنه يقول لأهل العهد، من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية: اعلموا أيها المشركون أنكم إن سحتم في الأرض، واخترتم ذلك مع كفركم بالله، على الإقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله، غير معجزي الله، يقول: غير مفيتيه بأنفسكم، لأنكم حيث ذهبتم، وأين كنتم من الأرض، ففي قبضته وسلطانه، لايمنعكم منه وزير، ولايحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب مَعْقِل ولامَوْئِل، إلا الإيمان به وبرسوله، والتوبة من معصيته، يقول: فبادروا عقوبته بتوبة، ودعوا السياحة التي لاتنفعكم.

وأما قوله (وأنَّ اللهَ مُخْزِي الكافِرِينَ) يقول: واعلموا أن الله مُذِلّ الكافرين، ومورثهم العارَ في الدنيا، والنارَ في الآخرة.

القول في تأويل قوله عز ذكره

وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)

❊ يقول تعالى ذكره: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر. وقد بيّنا معنى الأذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده.

وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: زعم سليمان بن موسى الشاميّ أن قوله (وأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال: الأذان القَصَص، فاتحة براءة حتى تختم (وإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) فذلك ثمان وعشرون آية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وأذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال: إعلام من الله ورسوله، ورفع قوله (وأذانٌ مِنَ اللهِ) عطفا على قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ) كأنه قال: هذه براءة من الله ورسوله، وأذان من الله.

وأما قوله (يَوْمَ الحَجِّ الأكْبَرِ) فإن فيه اختلافا بين أهل العلم، فقال بعضهم: هو يوم عرفة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زرعة، وهبة الله بن راشد، قالا: أخبرنا حَيْوَة بن شريح، قال: أخبرنا أبو صخر، أنه سمع أبا معاوية البجَليّ من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكريّ، وهو يقول: سألت عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، عن يوم الحجّ الأكبر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه، يقيم للناس الحجّ، وبعثني معه

بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة ، فخطب الناس يوم عرفة ؛ فلما قضى خطبته التفت إليّ ، فقال : قم يا عليّ وأدّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صدرنا حتى أتينا منى ، فرميت الجَمْرة ، ونحرت البَدَنة ، ثم حلقت رأسى ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفقت أتتبع بها الفساطيط ، أقرؤها عليهم ، فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت أبا جحيفة عن يوم الحجّ الأكبر ، فقال : يوم عرفة ، فقلت : أمن عندك ، أو من أصحاب محمد ؟ قال : كل ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحجّ الأكبر : يوم عرفة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمر بن الوليد الشَّنّيّ ، عن شهاب بن عباد العصريّ ، عن أبيه ، قال : قال عمر رضى الله عنه : يوم الحجّ الأكبر : يوم عرفة ، فذكرته لسعيد بن المسيب ، فقال : أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال : الحجّ الأكبر : عرفة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمر بن الوليد الشنيّ ، قال : ثنا شهاب بن عباد العصريّ ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول : هذا يوم عرفة ، يوم الحجّ الأكبر ، فلا يصومنّه أحد ؛ قال : فحججت بعد أبي ، فأتيت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد ابن المسيب ، فأتيته فقلت : إنى سألت عن أفضل أهل المدينة ، فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرنى عن صوم يوم عرفة ، فقال : أُخبرك عمن هو أفضل منى أضعافا : عمر أو ابن عمر ، كان ينهى عن صومه ، ويقول : هو يوم الحجّ الأكبر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الصمد بن حبيب ، عن معقل بن داود ، قال : سمعت ابن الزبير يقول : يوم عرفة هذا يوم الحجّ الأكبر ، فلا يصمه أحد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا غالب بن عبيد الله ، قال : سألت عطاء عن يوم الحجّ الأكبر ؟ فقال : يوم عرفة ، فأفض منها قبل طلوع الفجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى محمد بن قيس بن مَخْرمة قال : خطب النبيّ صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ، ثم قال : أما بعد ، وكان لا يخطب إلا قال : أما بعد ، فإن هذا يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم عرفة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن سلمة بن محبّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني طاوس ، عن أبيه ، قال : قلنا : ما الحجّ الأكبر ؟ قال : يوم عرفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : « هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ » .

وقال آخرون : هو يوم النحر .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، قال : سألت عليا عن الحجّ الأكبر ، فقال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيبانيّ ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى ، عن الحجّ الأكبر ؟ قال : فقال : يوم النحر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عياش العامريّ ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك ، قال : دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى ، قال : فسألته عن يوم الحجّ الأكبر ؟ فقال : يوم النحر ، يوم يُهَرَاق فيه الدم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيبانيّ ، قال : سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : هو يوم النحر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، وسئل عن قوله (يَوْمَ الحَجِّ الأكْبَرِ) قال : هو اليوم الذي يُراق فيه الدم ، ويحلَق فيه الشعر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن عليّ ، أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء ، يريد الجبانة ، فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته ، فسأله عن الحجّ الأكبر ؟ فقال : هو يومك هذا ، خلّ سبيلها .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا إسحاق ، عن مالك بن مِغْوَل وشتير ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ ، قال : سئل عن يوم الحجّ الأكبر ؟ قال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن عليّ ، أنه لقيه رجل يوم النحر ، فأخذ بلجامه ، فسأله عن يوم الحجّ الأكبر ؟ قال : هو هذا اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى ابن آدم ، عن قيس ، عن عبد الملك بن عمير وعياش العامريّ ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : هو اليوم الذي يُهْراق فيه الدماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أبي أوفى ، قال : الحجّ الأكبر : يوم تُهراق فيه الدماء ، ويُحلَق فيه الشعر ، ويحلّ فيه الحرام .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : ثنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير ، فقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطَبَنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير ، وقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيبانيّ ، قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى جُحَيفة ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال : اختصم علىّ بن عبد الله بن عباس ، ورجل من آل شيبة فى يوم الحجّ الأكبر ، قال علىّ : هو يوم النحر ، وقال الذى من آل شيبة : هو يوم عرفة ، فأرسل إلى سعيد بن جبير فسألوه ، فقال : هو يوم النحر ، ألا ترى أن من فاته يوم عرفة ، لم يفته الحجّ ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحجّ .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر ، قال : فقلت له : إن عبد الله بن شيبة ومحمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك ، فقال محمد بن علىّ : هويوم النحر ، وقال عبد الله : هو يوم عرفة ، فقال سعيد بن جبير : أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة ، أكان يفوته الحجّ ؟ وإذا فاته يوم النحر فاته الحجّ .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيبانىّ ، عن سعيد بن جبير ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عبادة ، قال : ذو الحجة العاشر النحر ، وهو يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن شداد ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، والحجّ الأصغر : العُمرة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن شداد ابن الهاد ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن مسلم الحَجَبىّ ، قال : سألت نافع بن جبير بن مطعم ، عن يوم الحجّ الاكبر ؟ قال : يوم النحر .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال: كان يقال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال: يوم الحجّ الأكبر : يوم يهراق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .

حدثنى يعقوب، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، الذى يحلّ فيه كلّ حرام .

قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبىّ ، عن علىّ ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن ابن عون ، قال : سألت محمدا عن يوم الحجّ الأكبر ؟ فقال : كان يوما وافق فيه حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحجّ أهل الوبَر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن ذرّ ، قال : سألت مجاهدا عن يوم الحجّ الأكبر ، فقال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد: يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد ، يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : يوم الحجّ الأكبر يوم النحر . وقال عكرمة : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، يوم تُهراق فيه الدماء ، ويحلّ فيه الحرام . قال : وقال مجاهد : يوم يجمع فيه الحجّ كله ، وهو يوم الحجّ الأكبر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن محمد بن عليّ ، يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : قال عليّ : الحجّ الأكبر : يوم النحر ، قال : وقال الزهريّ : يوم النحر : يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني يونس وعمرو عن الزهريّ ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حِجة الوداع في رهط يؤذّنون في الناس يوم النحر : ألا لايحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال الزهريّ : فكان حميد يقول : يوم النحر : يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشعبيّ ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عبد الله بن شداد ، عن الحجّ الأكبر ، والحجّ الأصغر ، فقال : الحجّ الأكبر : يوم النحر ، والحجّ الأصغر : العُمرة .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عبد الله بن شداد ، فذكر نحوه .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الله ابن أبي أوفى يقول : يوم الحجّ الأكبر : يوم يُوضع فيه الشعر ، ويُهراق فيه الدم ، ويَحلّ فيه الحرام .

قال : ثنا الثوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن عليّ ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن عياش العامرىّ ، عن عبد الله بن أبى أوفى ، أنه سئل ، عن يوم الحجّ الأكبر ؟ فقال : سبحان الله ، هو يوم تُهراق فيه الدماء ، ويحلّ فيه الحرام ، ويوضع فيه الشعر : هو يوم النحر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خَطَبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له ، فقال : هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحجّ الأكبر .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، ويحلّ فيه الحرام .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه ، قال : لما كان ذلك اليوم ، قعد على بعير له النبىُّ ، وأخذ إنسان بخطامه أو زمامه ، فقال : أىّ يوم هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه ، فقال : أليس يوم الحجّ ؟

حدثنا سهل بن محمد الحسانىّ ، قال : ثنا أبو جابر الحرَمىّ ، قال : ثنا هشام بن الغازى الجُرَشىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع ، فقال : هذا يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن مرّة الهمدانىّ ، عن رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة ، فقال : أَتَدْرُونَ أَىُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ ؟ قالوا : يوم النحر ، قال : صَدَقْتُمْ يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عمرو بن مرّة ، قال ثنا مرّة ، قال : ثنا رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حجّ أبو بكر بالناس ، فنادى ببراءة : أنه يوم الحجّ الأكبر ، ألا إنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ألا ولا يطوف بالبيت عُريان ، ألا ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد ، فأجله إلى مدته ، والله برىء من المشركين ورسولُهُ .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى هشيم ، عن حجاج بن أرطاةَ ، عن عطاء ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ) قال : يوم النحر : يوم يَحِلّ فيه المحرِم ، وينحر فيه البُدن. وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر ، وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة ، ولم أسمع أحدا يقول : إنه يوم عرفة إلا ابن عباس . قال ابن زيد : والحجّ يفوت بفوت يوم النحر ، ولا يفوت بفوت يوم عرفة ، إن فاته اليوم لم يفته الليل ، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : يوم الأضحى : يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : ثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتي هذه ، حسبته ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة فقال « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمُ النَّحْرِ ، وَهَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ » .

وقال آخرون : معنى قوله (يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ) حين الحجّ الأكبر ووقته ، قال : وذلك أيام الحجّ كلها ، لايوم بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ) حين الحجّ ، أيامه كلها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الحجّ الأكبر : أيام مِنى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بذى المجاز وعكاظ ومجنة ، حين نودى فيهم ألايجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وألاّ يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهده إلى مدته .

حدثني الحارث ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : كان سفيان يقول : يوم الحجّ ، ويوم الجمل ، ويوم صِفّين : أى أيامه كلها .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ) قال حين الحج ، أى أيامه كلها .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا : قول من قال : (يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ) : يوم النحر ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم براءة يوم النحر ، هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : يوم النحر : « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ » ، وبعد : فإن اليوم إنما يضاف إلى المعنى الذى يكون فيه ، كقول الناس : يوم عرفة ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ؛ ويوم الأضحى ، وذلك يوم يضحون فيه ؛

ويوم الفطر ، وذلك يوم يفطرون فيه ، وكذلك يوم الحجّ ، يوم يحجون فيه ، وإنما يحجّ الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن فى ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة، كان إلى طلوع الفجر ، وفى صبيحتها يعمل أعمال الحجّ ،فأما يوم عرفة فإنه وإن كان الوقوف بعرفة،فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحجّ كله يوم النحر .

وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحجّ إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزا فى كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعرف فى كلام العرب من معانيه ، بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد ، وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل لهذا اليوم : يوم الحجّ الأكبر ، فقال بعضهم : سمّى بذلك ، لأن ذلك كان فى سنة اجتمع فيها حجّ المسلمين والمشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : إنما سمى الحجّ الأكبر ،من أجل أنه حجّ أبو بكر الحجة التى حجها، واجتمع فيها المسلمون والمشركون ، فلذلك سمى الحجّ الأكبر ، ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال:ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : يوم الحجّ الأكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حجّ المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال قوله (يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ) قال : إنما سمى الحجّ الأكبر ، لأنه يوم حجّ فيه أبو بكر ، ونُبِذت فيه العهود .

وقال آخرون : الحجّ الأكبر : القِران ، والحجّ الأصغر : الإفراد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال: ثنا أبو بكر النَّهشلىّ ، عن حماد ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : الحجّ الأكبر ، والحجّ الأصغر ، فالحجّ الأكبر : القِران، والحجّ الأصغر : إفراد الحجّ .

وقال آخرون : الحجّ الأكبر : الحجّ ، والحجّ الأصغر : العمرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحجّ الأكبر : الحجّ ، والحجّ الأصغر : العمرة .

قال : ثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر ، قال : قلت له : هذا الحجّ الأكبر ، فا الحجّ الأصغر؟ قال : العُمرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبيّ ، قال : كان يقال : الحجّ الأصغر : العُمرة في رمضان .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : الحجّ الأصغر : العمرة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي أسماء ، عن عبد الله بن شداد ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، والحجّ الأصغر : العمرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ، أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحجّ الأصغر : العمرة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك عندى: قول من قال : الحجّ الأكبر : الحجّ لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها ، فقيل له الأكبر لذلك . وأما الأصغر فالعمرة ، لأن عملها أقلّ من عمل الحجّ ، فلذلك قيل لها الأصغر ، لنقصان عملها عن عمله .

وأما قوله (أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) فإن معناه : أن الله برىء من عهد المشركين ورسولُه بعد هذه الحجة ، ومعنى الكلام: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس فى يوم الحجّ الأكبر ، أن الله ورسولَه من عهد المشركين بريئان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أى بعد هذه الحجة .

القول فى تأويل قوله

(فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) :

يقول تعالى : فإن تبتم من كفركم أيها المشركون ، ورجعتم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، دون الآلهة والأنداد، فالرجوع إلى ذلك خير لكم من الإقامة على الشرك فى الدنيا والآخرة (وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ): يقول: وإن أدبرتم عن الإيمان بالله ، وأبيتم إلا الإقامة على شرككم (فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ) يقول: فأيقنوا أنكم لاتفيتون الله بأنفسكم،من أن يحلّ بكم عذابه الأليم، وعقابه الشديد، على إقامتكم على الكفر ، كما فعل بذويكم من أهل الشرك ، من إنزال نقمه به ، وإحلاله العذاب عاجلا بساحته (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول: وأعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك، وخالفوا أمر ربهم ،بعذاب موجع يحلّ بهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ،قوله (فَإِنْ تُبْتُمْ) : قال آمنتم.

القول فى تأويل قوله

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ، فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)

* يقول تعالى ذكره (وأذانٌ منَ اللهِ ورَسولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأكْبَرِ أنَّ اللهَ بَرِيءٌ منَ المُشْرِكِينَ ورَسولُهُ)، (إلاَّ) من عهد (الَّذِينَ عاهَدْتُمْ منَ المُشْرِكِينَ) أيها المؤمنون (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً) من عهدكم الذى عاهدتموه . (ولَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أحَداً) من عدوّكم ، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ، ولا بسلاح ، ولا خيل ، ولا رجال (فَأتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ) : يقول: فَفُوا لهم بعهدهم الذى عاهدتموهم عليه ، ولا تنصبوا لهم حربا إلى انقضاء أجل عهدهم ،الذى بينكم وبينهم (إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ): يقول : إن الله يحبّ من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ) يقول : إلى أجلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ منَ المُشْرِكِينَ) : أى العهد الخاصّ إلى الأجل المسمى (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ منَ المُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً ، ولَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أحَداً) . . . الآية ، قال : هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، فأمر الله نبيه أن يوفىَ لهم بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لاعهد له إلى انسلاخ المحرّم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن لايقبل منهم إلا ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قال : مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة ،أربعة أشهر من يوم أُذِّن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر ، وذلك أربعة أشهر ، فإن نقض المشركون عهدهم ،وظاهروا عدوّا،فلا عهد لهم ، وإن وفوا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يظاهروا عليه عدوّا ، فقد أمر أن يؤدى إليهم عهدهم ، ويفى به .

القول فى تأويل قوله

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ، فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)

* يعنى جلّ ثناؤه بقوله (فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ) فإذا انقضى ومضى وخرج ، يقال منه :

سلخنا شهر كذا، نسلخه سلخا وسلوخا ، بمعنى : خرجنا منه ، ومنه قولهم : شاة مسلوخة ، بمعنى : المنزوعة من جلدها ، المخرجة منه . ويعنى بالأشهر الحرم : ذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرّم ، أو إنما أريد فى هذا الموضع انسلاخ المحرّم وحده ، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحجّ الأكبر ، فمعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها . وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى ، ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخَرَين قبله الحرامين ، وكان هو لهما ثالثا ، وهى كلها متصل بعضها ببعض ، قيل : فإذا انسلخ الأشهر الحرم .

ومعنى الكلام : فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم ، أو عن الذين كان لهم عهد ، فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداءَ على رسول الله وعلى أصحابه ، أو كان عهدهم إلى أجل غير معلوم ، (فاقْتُلُو المُشْرِكِينَ) يقول : فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، يقول : حيث لقيتموهم من الأرض فى الحرم ، وغير الحرم ، فى الأشهر الحُرم وغير الأشهر الحرم (وَخُذُوهُمْ) يقول : وأْسِروهم (وَاحْصُرُوهُمْ) يقول : وامنعوهم التصرف فى بلاد الإسلام ودخول مكة (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ): يقول : واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كلّ مرصد، يعنى: كلّ طريق ومَرْقَب ، وهو مَفْعَل ، من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا ، بمعنى : رقبته (فإنْ تابُوا) يقول : فإن رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله ، وجحود نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، دون الآلهة والأنداد ، والإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم (وأقامُوا الصَّلاةَ) يقول : وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها ، وأَعْطَوُا الزكاةَ ، التى أوجبها الله عليهم فى أموالهم أهلها (فخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) : يقول : فدعوهم يتصرّفون فى أمصاركم ، ويدخلون البيت الحرام (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب من عباده ، فأناب إلى طاعته بعد الذى كان عليه من معصيته ، ساتر على ذنبه ، رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة ، قبل توبته بعد التوبة . وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى الذين أجلوا إلى انسلاخ الأشهر الحرم .

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ عن الربيع ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فارَقَ الدُّنْيا على الإخْلاصِ لِلّهِ وَحْدَهُ ، وَعِبادَتِهِ لايُشْرِكُ بِه شَيْئاً ، فارَقَها واللهُ عَنْهُ راضٍ » قال : وقال أنس : هو دين الله الذى جاءت به الرسل ، وبلغوه عن ربهم قبل هَرْجِ الأحاديثِ ، واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما أنزل الله ، قال الله (فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) قال : توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال فى آية أخرى (فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فإخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) حتى ختم آخر الآية . وكان قتادة يقول : خلوا سبيل

من أمركم الله أن تخلوا سبيله ، فإنما الناس ثلاثة رهط : مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية ، وصاحب حرب يأمن بتجارته فى المسلمين إذا أعطى عشور ماله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) وهى الأربعة التى عددت لك ، يعنى عشرين من ذى الحجة والمحرّم وصفر وربيعا الأول وعشرا من شهر ربيع الآخر . وقال قائلو هذه المقالة : قيل لهذه الأشهر الحرم ،لأن الله عزّ وجلّ حرّم على المؤمنين فيها دماء المشركين ، والعرض لهم إلا بسبيل خير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبى بكر ، أنه أخبره ، عن مجاهد وعمرو بن شعيب ، فى قوله (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) إنها الأربعة التى قال الله (فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ) قال : هى الحُرُم من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسيحوها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَسِيحُوا فى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) قال : ضرب لهم أجل أربعة أشهر ، وتبرأ من كلّ مشرك ، ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) لاتتركوهم يضربون فى البلاد ، ولا يخرجون للتجارة ، ضيقوا عليهم ،بعدها أمر بالعفو (فَإِنْ تابُوا وأَقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكَاةَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) يعنى الأربعة التى ضرب الله لهم أجلا لأهل العهد العام من المشركين (فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك يا محمد من المشركين ،الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحدٌ ،ليسمع كلام الله منك ، وهو القرآن الذى أنزله الله عليه. فأجره : يقول : فأمّنه حتى يسمع كلام الله ، وتتلوه عليه (ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) يقول : ثم ردّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يُسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله ، فيؤمّن إلى مأمنه . يقول: إلى حيث يأمن منك ، وممن فى طاعتك ،حتى يلحق بداره وقومه من المشركين: (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَعْلَمُونَ): يقول: تفعل ذلك

بهم من إعطائك إياهم الأمان ، ليسمعوا القرآن ، وردّك إياهم ، إذا أبَوْا الإسلام ، إلى مأمنهم ، من أجل أنهم قوم جهلة ، لايفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون مالهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوزر والإثم ، بتركهم الإيمان بالله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ) : أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم (فَأَجِرْهُ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) : أما كلام الله : فالقرآن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) قال : إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ، ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن ، حتى يأتيك ، فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا ، فلقى العدوّ ، وأخرج المسلمون رجلا من المشركين ، وأشرعوا فيه الأسنة ، فقال الرجل : ارفعوا عنى سلاحكم ، وأسمعونى كلام الله تعالى ، فقالوا : تشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد ، وتتبرأ من اللاتِ والعزّى ، فقال : فإني أشهدكم أني قد فعلت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) قال : إن لم يوافقه ما تقول عليه وتحدّثه ، فأبلغه ، قال : وليس هذا بمنسوخ .

واختلف في حكم هذه الآية ، هل هو منسوخ ، أو هو غير منسوخ ؟ فقال بعضهم : هو غير منسوخ ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك .

وقال آخرون : هو منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) نسختها (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) .

قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

وقال آخرون : بل نسخ قوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) قوله (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان، عن ابن أبي عَروبة ، عن قتادة (حتى إذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ) نسخها قوله (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى: قول من قال : ليس ذلك بمنسوخ ، وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفى حكم قد كان ثبت، بحكم آخر غيره، ولم تصحّ حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل ، بكلّ حال، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ، ولا على وجه المنّ عليهم . فإذ كان ذلك كذلك، فكان الفداء والمنّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أوّل حرب حاربهم ، وذلك من يوم بدر ، كان معلوما أن معنى الآية ،فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المنّ أو الفداء واحصروهم ، وإذا كان ذلك معناه ، صحّ ما قلنا فى ذلك دون غيره .

القول فى تأويل قوله

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : أنّى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وبأىّ معنى يكون للمشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله ، يوفَّى لهم به ، ويتركوا من أجله آمنين ، يتصرفون فى البلاد ، وإنما معناه : لاعهد لهم، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم، إلا الذين أُعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم ، فإن الله جلّ ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم ، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ)، فقال بعضهم : هم قوم من جَذيمة بن الدِّيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) : هم بنو جَذيمة بن الدِّيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، قوله (إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ) قال : هم جذيمة بكر من كنانة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ) الذين كانوا وأنتم على العهد العام ، بأن لاتمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم، ولا فى الشهر الحرام (عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) وهى قبائل بنى بكر ، الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم

يكن نقضها إلا هذا الحىّ من قريش ، وبنو الدِّيل من بكر ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) . . . الآية .

وقال آخرون : هم قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) : هم قريش .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يعنى : أهل مكة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يقول : هم قوم كان بينهم وبين النبىّ صلى الله عليه وسلم مدة ، ولا ينبغى لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ، ولا يعطى المسلم الجزية (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) يعنى : أهل العهد من المشركين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) قال : هؤلاء قريش ، وقد نسخ هذا الأشهر التى ضربت لهم ، وغدروا بهم فلم يستقيموا ، كما قال الله : فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر ، يختارون من أمرهم : إما أن يسلموا ، وإما أن يلحقوا بأىّ بلاد شاءوا ، قال : فأسلموا قبل الأربعة الأشهر ، وقبل ، وقبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) قال : هم قوم جذيمة ، قال : فلم يستقيموا ، نقضوا عهدهم : أى أعانوا بنى بكر حلف قريش ، على خزاعة حلف النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : هم قوم من خزاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال : أهل العهد من خزاعة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى : قول من قال : هم بعض بنى بكر من كنانة ، ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية ، من العهد مع قريش ، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بنى الدِّيل ، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن

كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم ، وقد بيّنا أن هذه الآيات ، إنما نادى بها علىّ فى سنة تسع من الهجرة ، وذلك بعد فتح مكة بسنة ، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ، بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده ، لأن من كان منهم من ساكنى مكة ، كان قد نقض العهد ، وحورب قبل نزول هذه الآيات .

وأما قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فإن معناه : إن الله يحبّ من اتقى وراقبه فى أداء فرائضه ، والوفاء بعهده لمن عاهده ، واجتناب معاصيه ، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده .

القول فى تأويل قوله

كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم ، أو لمن لاعهد له منهم منكم أيها المؤمنون، عهد وذمة ، وهم إن يظهروا عليكم: يغلبوكم ، لايرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة ، واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنىّ بها قبلها ، وكذلك تفعل العرب إذا أعادت الحرف بعد مضىّ معناه ، استجازوا حذف الفعل ، كما قال الشاعر :

وَخَبَّرْتُمانِي أَنَّمَا المَوْتُ فِي القُرَى　　　فَكَيْفَ وَهَــذِى هَضْبَةٌ وكَثِيبُ[1]

فحذف الفعل بعد كيف لتقدّم ما يراد بعدها قبلها .

ومعنى الكلام : فكيف يكون الموت فى القرى ، وهذى هَضْبة وكَثيب لاينجو فيهما منه أحد .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) فقال بعضهم : معناه : لايرقبوا الله فيكم ولا عهدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا) قال الله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن سليمان ، عن أبى مجلز ، فى قوله (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) قال : مثل قوله جبرائيل ميكائيل إسرافيل ، كأنه يقول : يضاف جبر وميكا وإسراف إلى إيل ، يقول عبد الله ، لايرقبون فى مؤمن إلاّ ، كأنه يقول : لايرقبون الله .

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوى (مجموع أشعار العرب ١ : ١٤) من قصيدة له ، عدة أبياتها ثلاثة وعشرون ، وهو التاسع عشر فيها ، يرثى أخا له . ورواية البيت فيه :

وَحَدَّثْتُمانِي أَنَّمَا المَوْتُ فِي القُرَى　　　فَكَيْفَ وَهاتا رَوْضَــةٌ وَقَلِيبُ

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) لايرقبون الله ولا غيره .

وقال آخرون : الإلّ : القرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لايَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) يقول : قرابة ولا عهدا ، وقوله (وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) قال : الإلّ : يعنى القرابة ، والذمة : العهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) الإلّ : القرابة ، والذمة : العهد ، يعنى : أهل العهد من المشركين ، يقول : ذمتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، وعبدة عن حوشب ، عن الضحاك : الإلّ : القرابة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن عبد الله ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لايَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) قال : الإلّ : القرابة . والذمة : العهد .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لايَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) الإلّ : القرابةُ والذمة : الميثاق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) المشركون ، لايرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا .

وقال آخرون : معناه : الحلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) قال : الإلّ : الحلف ، والذمة : العهد .

وقال آخرون : الإلّ : هو العهد ، ولكنه كرّر لما اختلف اللفظان ، وإن كان معناهما واحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلاًّ) قال : عهدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً) قال : لايرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة . قال : إحداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم ، قال : فالكلمة واحدة ، وهى تفترق ، قال : والعهد هو الذمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن خَصيف ، عن مجاهد (وَلا ذِمَّةً) قال : العهد .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَلَا ذِمَّةً) قال : الذمة : العهد .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كلّ مرصد، أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلاًّ ، والإلّ : اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد ، والعقد ، والحلف ، والقرابة ، وهو أيضا بمعنى الله ؛ فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يعمّ ذلك كما عمّ بها جلّ ثناؤه معانيها الثلاثة ؛ فيقال : لايرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة ، ولا عهدا ، ولا ميثاقا . ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل :

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإلَّ وأعْرَاقَ الرَّحِمِ[1]

بمعنى : قطعوا القرابة ؛ وقول حسان بن ثابت :

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعامِ[2]

وأما معناه إذا كان بمعنى العهد ، فقول القائل :

وَجَدْنَاهُمُ كاذِباً إلُّهُمْ وذُو الإلِّ والعَهْدِ لا يَكْذِبُ[3]

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين ، أن الإلّ والعهد والميثاق واليمين واحد ، وأن الذمة في هذا الموضع : التذمم ممن لاعهد له ، والجمع : ذمم . وكان ابن إسحاق يقول : عني بهذه الآية : أهل العهد العام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أي المشركون الذين لاعهد لهم إلى مدة من أهل العهد العام (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) .

فأما قوله (يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) : فإنه يقول : يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء ، (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ) : أي تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم ، يحذر جلّ ثناؤه أمرهم المؤمنين ، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم ، حيث وجدوا من أرض الله ، وألا يقصروا في مكروههم بكل ما قدروا عليه (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) : يقول : وأكثرهم مخالفون عهدكم ، ناقضون له ، كافرون بربهم ، خارجون عن طاعته .

---

(١) الخلوف : جمع خلف ، بسكون اللام ، وهم الذين يخلفون غيرهم في ديارهم ، خيارا كانوا أو أشرارا . وقيل إنه خاص بالأشرار ، يقال : هؤلاء خلف سوء ، وهم الأخساء الأردياء . والإل في البيت بمعنى القرابة وهو بمعنى ما بعده .

(٢) البيت أورده صاحب (اللسان : أل) ونسبه لحسان بن ثابت ، واستشهد به على أن الإل في البيت معناه القرابة .

(٣) الإل هنا : بمعنى العهد ، بقرينة عطف « العهد » عليه .

القول فى تأويل قوله

أَشْتَرَوْاْ بِئَايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩)

يقول جلّ ثناؤه : ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم، بتركهم اتباع ما احتجّ الله به عليهم من حججه، يسيرا من العوض، قليلا من عرض الدنيا، وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبوسفيان بن حرب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (اشْتَرَوْا بآياتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً) قال : أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه ، وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ): فإن معناه : فمنعوا الناس من الدخول فى الإسلام ،وحاولوا ردّ المسلمين عن دينهم (إنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ):يقول جلّ ثناؤه : إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ، ساء عملهم الذى كانوا يعملون ،من اشترائهم الكفرَ بالإيمان ، والضلالة بالهدى ، وصدّهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله ، أو من أراد أن يؤمن .

القول فى تأويل قوله

لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره: لايتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم،فى قتل مؤمن لو قدروا عليه (إلاً وَلا ذِمَّةً): يقول : فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون ، كما لايبقون عليكم لو ظهروا عليكم (وأُولَئِكَ هُمُ المُعْتَدُونَ) : يقول : المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم ، بالظلم والاعتداء .

القول فى تأويل قوله

فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)

يقول جلّ ثناؤه: فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم،عن كفرهم وشركهم بالله، إلى الإيمان به وبرسوله ، وأنابوا إلى طاعته ، وأقاموا الصلاة المكتوبة ، فأدّوها بحدودها ، وآتوا الزكاة المفروضة أهلَها (فإخْوَانُكُمْ فِى الدّينِ) يقول: فهم إخوانكم فى الدين، الذى أمركم الله به، وهو

الإسلام (وَنُفَصِّلُ الآياتِ) يقول : ونبين حجج الله وأدلته على خلقه (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) مابيّن لهم فنشرحها لهم مفصلة ، دون الجهال الذين لايعقلون عن الله بيانه ، ومحكمَ آياته .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ ، فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : إن تركوا اللات والعزّى ، وشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله (فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، ونُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن رجل ، عن ابن عباس (فَإِنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ) قال : حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعا ، لم يفرق بينهما ، وقرأ (فَإِنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ ، فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . وقال : رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه !

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أمرتم بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزكّ فلا صلاة له . وقيل (فإخْوَانُكُمْ) فرفع بضمير فهم إخوانكم ، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل ، كما قال (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) : بمعنى : فهم إخوانكم فى الدين .

القول فى تأويل قوله

وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ ، فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)

﴿ يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم ألاّ يقاتلوكم ، ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم . (وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) : يقول : وقدحوا فى دينكم الإسلام ، فثلبوه وعابوه . (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ) : يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله . (إِنَّهُمْ لاأيْمَانَ لَهُمْ) : يقول : إن رؤساء الكفر لاعهد لهم . (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) : لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم ، والمظاهرة عليكم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم فى المعنيّين بأئمة الكفر ، فقال بعضهم : همْ أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، ونظراؤهم . وكان حذيفة يقول : لم يأت أهلها بعد .

ذكر من قال : هم من سميت

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) . . . إلى (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) يعنى : أهل العهد من المشركين ، سماهم أئمة الكفر ، وهم كذلك . يقول الله لنبيه : وإن نكثوا العهد الذى بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر ، لأنهم لاأيمان لهم ، لعلهم ينتهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) . . . إلى (يَنْتَهُونَ) ، فكان من أئمة الكفر : أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان ، وسُهيل بن عمرو ، وهم الذين هموا بإخراجه .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : أئمة الكفر : أبوسفيان ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، وسُهيل بن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قال ابن وكيع : ثنا غُنْدَر ، وقال ابن بشار : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاأَيْمَانَ لَهُمْ) قال أبوسفيان منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) . . . إلى (يَنْتَهُونَ) هؤلاء قريش ، يقول : إن نكثوا عهدهم الذى عاهدوا على الإسلام وطعنوا فيه ، فقاتلوهم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) يعنى : رأس المشركين ، أهل مكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) أبوسفيان بن حرب ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهمّوا بإخراج الرسول ، وليس والله كما تأوّله أهل الشبهات والبدع والفرْى على الله ، وعلى كتابه .

ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب ، قال : كنت عند حذيفة ، فقرأ هذه الآية (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قرأ حذيفة (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زُفَر (إِنَّهُمْ لاأَيْمَانَ لَهُمْ) لاعهد لهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) عهدهم الذى عاهدوا على الإسلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صلة ، عن عمار بن ياسر ، فى قوله (لاأَيْمَانَ لَهُمْ) قال : لاعهد لهم .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة فى قوله (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاأَيْمَانَ لَهُمْ) قال : لاعهد لهم . وأما النكث فإن أصله : النقض ، يقال منه : نكث فلان قُوَى حبله : إذا نقضها . والأيمان : جمع اليمين .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِنَّهُمْ لاأَيْمَانَ لَهُمْ)، فقرأه قرّاء الحجاز والعراق وغيرهم (إِنَّهُمْ لاأَيْمَانَ لَهُمْ) بفتح الألف من « أيمان » بمعنى : لاعهود لهم، على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه . وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرأ ذلك (إِنَّهُمْ لاإِيمَانَ لَهُمْ) بكسر الألف ، بمعنى : لاإسلام لهم ، وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا ، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك : أنهم لاأمان لهم : أى لاتؤمِّنوهم ، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم ، كأنه أراد المصدر، من قول القائل : آمنته ، فأنا أومنه إيمانا .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القراءات فى ذلك الذى لاأستجيز القراءة بغيره : قراءة من قرأ بفتح الألف دون كسرها ، لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ، ورفض خلافه ، ولإجماع أهل التأويل على ماذكرت من أن تأويله لاعهد لهم ، والأيمان التى هى بمعنى العهد ، لاتكون إلا بفتح الألف ، لأنها جمع يمين ، كانت على عقد كان بين المتوادعين .

القول فى تأويل قوله

أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ أَتَخْشَوْنَهُمْ؟ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

❊ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله ، حاضًا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين : ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذى بينكم وبينهم ، وطعنوا فى دينكم ، وظاهروا عليكم أعداءكم ، وهموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، فأخرجوه ، وهم بدءوكم أول مرّة بالقتال ، يعنى فعلهم

ذلك يوم بدر. وقيل : قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة.(أَتَخْشَوْنَهُمْ):يقول : أتخافونهم على أنفسكم ، فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم.(فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ) يقول : فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته، بترككم جهادَهم، وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين، الذين لايملكون لكم ضرًا ولا نفعا إلا بإذن الله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ):يقول: إن كنتم مقرّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) يقول : همّوا بإخراجه فأخرجوه (وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) بالقتال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) قال : قتال قريش حلفاءَ محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نُمَير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد ، ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا ، إلا أن يعودوا فيها على دينهم ، فيقبل بعد ، ثم قال (ألا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) . . . إلى قوله (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

القول فى تأويل قوله

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ، ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم ،وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم.(يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ): يقول:يقتلهم الله بأيديكم.(وَيُخْزِهِمْ):يقول : ويذلهم بالأسر والقهر : (وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ) فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة.(وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ):يقول : ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله،بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم، وإذلالكم وقهركم إياهم ، وذلك الداء هو ما كان فى قلوبهم عليهم من الموجدة،بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه . وقيل : إن الله عنى بقوله : (وَيَشْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) : صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمعونتهم بكرا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال : خزاعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال خزاعة يشف صدورهم من بنى بكر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) خزاعة حلفاء محمد ، صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) : قال : حلفاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله

وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)

❊ يقول الله تعالى ذكره : ويذهب وجدَ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة ، على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما فيها من الوجد عليهم ، بمعونتهم بكرا .

كما حدثنى ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) حين قتلهم بنو بكر ، وأعانتهم قريش .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، مثله ، إلا أنه قال : وأعانهم عليهم قريش .

وأما قوله (وَيَتُوبُ اللهُ على مَنْ يَشاءُ) فإنه خبر مبتدأ ، ولذلك رفع وجزم الأحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم فإنكم إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ثم ابتدأ فقال (وَيَتُوبُ اللهُ على مَنْ يَشاءُ) لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله ، وهو موجب لهم العذاب من الله ، والخزى ، وشفاء صدور المؤمنين ، وذهاب غيظ قلوبهم ، فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ، ولم يكن موجبا القتال التوبة ، فابتدأ الحكم به ورفع .

ومعنى الكلام : ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه ، والله عليم بسرائر عباده ، ومن هو للتوبة أهل ، فيتوب عليه، ومَن منهم غير أهل لها فيخذله ، حكيم فى تصريف

عباده من حال كفر ، إلى حال إيمان ، بتوفيق من وفقه لذلك ، ومن حال إيمان إلى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده ، وغير ذلك من أمرهم .

القول في تأويل قوله

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين ، الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) . . . الآية ، حاضا على جهادهم : أم حسبتم أيها المؤمنون أن يتركَكم الله بغير محنة يمتحنكم بها ، وبغير اختبار يختبركم به ، فيعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا) : يقول : أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله ، من المضيعين أمر الله في ذلك المفرّطين ، (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ) يقول : ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ، ولا من دون المؤمنين (وَلِيجَةً) هو الشيء يدخل في آخر غيره ، يقال منه : ولج فلان في كذا يلجه فهو وليجة . وإنما عنى بها في هذا الموضع : البطانة من المشركين . نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوّهم من المشركين أولياء يفشون إليهم أسرارهم.(وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) :يقول : والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به ، أولياء وبطانة ، بعد ما قد نهاكم عنه ، لايخفى ذلك عليه ، ولا غيره من أعمالكم ، والله مجازيكم على ذلك ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرّا فشرّا .

وبنحو الذي قلت في معنى الوليجة ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً) يتولجها من الولاية للمشركين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (وَلِيجَةً) قال : دَخَلاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا) . . . إلى قوله (وَلِيجَةً) قال: أبي أن يدَعهم دون التمحيص، وقرأ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) ، وقرأ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) . (وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . الآيات كلها ، أخبرهم ألا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم ، وقرأ (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) لايختبرون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) أبى الله إلا أن يمحص .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَلِيجَةً) قال : هو الكفر والنفاق ، أو قال : أحدهما .

وقيل (أمْ حَسِبْتُمْ) ولم يقل : أحسبتم ، لأنه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ، فأدخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ ، وقد بيّنت نظائر ذلك فى غير موضع من الكتاب .

القول فى تأويل قوله

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ، أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ، وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله ، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر ، يقول : إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها ، لا للكفر به ، فمن كان بالله كافرا ، فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله .

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، فإنها كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللهِ شاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ) يقول : ما ينبغى لهم أن يعمروها . وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر : فإن النصرانىّ يسئل : ما أنت ؟ فيقول : نصرانىّ ، واليهودىّ ، فيقول : يهودىّ ، والصابئ ، فيقول : صابئ ، والمشرك يقول إذا سألته : ما دينك ؟ فيقول : مشرك ، لم يكن ليقوله أحد إلا العرب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ (ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللهِ) قال : يقول : ما كان ينبغى لهم أن يعمروها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ (شاهِدِينَ على أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ) قال : النصرانىّ يقال له : ما أنت ؟ فيقول : نصرانىّ ، واليهودىّ يقال له : ما أنت ؟ فيقول : يهودىّ ، والصابئ يقال له : ما أنت ؟ فيقول : صابئ .

وقوله (أُولَئِكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ) يقول : بطلت وذهبت أجورها ، لأنها لم تكن لله ، بل كانت للشيطان (وفِى النَّارِ هُمْ خالِدُونَ) يقول : ماكثون فيها أبدا ، لاأحياء ولا أمواتا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللهِ) : فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (مَساجِدَ اللهِ) على الجمع ، وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (مَسْجِدَ اللهِ) على التوحيد ، بمعنى المسجد الحرام ، وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله (مَساجِدَ اللهِ) على الجمع ، لأنه إذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجمع ، لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ، كقولهم : عليه ثوب أخلاق .

القول فى تأويل قوله

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ، فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨)

❊ يقول تعالى ذكره : إنما يعمر مساجد الله المصدّق بوحدانية الله، المخلص له العبادة، واليوم الآخر، يقول : الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة ، وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها ، وأدّى الزكاة الواجبة عليه فى ماله ، إلى من أوجبها الله له (وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) يقول : ولم يرهب عقوبة شىء على معصيته إياه سوى الله (فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) يقول : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحقّ وإصابة الصواب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول : من وحد الله ، وآمن باليوم الآخر. يقول : أقرّ بما أنزل الله (وَأَقَامَ الصَّلاةَ) يعنى الصلوات الخمس (وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) يقول : ثم لم يعبد إلا الله ، قال (فَعَسَى أُولَئِكَ) يقول : إن أولئك هم المفلحون ، كقوله لنبيه (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) يقول : إن ربك سيبعثك مقاما محمودا ، وهى الشفاعة ، وكل عسى فى القرآن فهى واجبة .

❊ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسُقاة الحاجّ ، وعمّار هذا البيت ، ولا أحدَ أفضل منا ، فقال (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، إنما يعمر مساجد الله : أى من عمرها بحقها ، (من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقامَ الصّلاةَ ، وآتى الزّكاةَ ، وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) فأولئك عُمّارها ، (فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وعسى من الله : حق .

القول فى تأويل قوله

۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ؟ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩)

❊ وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن الفخر فى الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والجهاد فى سبيله لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية ، وبذلك جاءت الآثار ، وتأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو الوليد الدمشقىّ أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى معاوية بن سلامّ ، عن جده أبى سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصارىّ ، قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالى ،لا أعمل عملا بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر : بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم ، فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال : لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا صليتُ الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، قال : ففعل ، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ) . . . إلى قوله (وَاللهُ لَا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) قال العباس بن عبد المطلب حين أُسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقى الحاجّ ،ونفكّ العانى ،قال الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ) . . . إلى قوله (الظَّالِمِينَ): يعنى أن ذلك كان فى الشرك ، ولا أقبل ما كان فى الشرك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ) . . . إلى قوله (الظَّالِمِينَ) وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد،وكانوا يفخرون بالحرم،ويستكبرون به ، من أجل أنهم أهله وعُماره، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين (قَدْ كَانَتْ آيَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ على أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ .مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ):يعنى أنهم يستكبرون بالحرم ، (وقال به سامرا) لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبىّ صلى الله عليه وسلم فخيّر الإيمان بالله والجهاد مع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم على عُمران المشركين البيت ، وقيامهم على السقاية، ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ، ويخدمونه ، قال الله (لَايَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ، وَاللهُ لَايَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعنى :الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم الله ظالمين بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن النعمان بن بشير ، أن رجلا قال : ما أبالى ألا أعمل عملا بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاجّ ، وقال آخر : ما أبالى ألاّ أعمل عملا بعد الإسلام،إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر،وقال : لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك

يوم الجمعة ، ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه ، فنزلت (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) . . . إلى قوله (لايَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : نزلت فى علىّ وعباس وعثمان وشيبة ، تكلموا فى ذلك ، فقال العباس : ما أرانى إلا تارك سقايتنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَقِيمُوا على سِقَايَتِكُمْ ، فإنَّ لَكُمْ فيها خَيْرًا » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، قال : نزلت فى علىّ والعباس ، تكلما فى ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرت عن أبى صخر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظىّ يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلىّ بن أبى طالب ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معى مفتاحه ، لو أشاء بتّ فيه . وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بتّ فى المسجد ، وقال علىّ : ما أدرى ما تقولان : لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) . . . الآية كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : لما نزلت (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ) قال العباس : ما أرانى إلا تارك سقايتنا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أَقِيمُوا على سِقَايَتِكُمْ ، فإنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا » .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ لايَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ) قال : افتخر علىّ وعباس وشيبة بن عثمان ، فقال العباس : أنا أفضلكم ، أنا أسقى حجاج بيت الله ، وقال شيبة : أنا أعمر مسجد الله، وقال علىّ : أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاهد معه فى سبيل الله ، فأنزل الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ) . . . إلى (نَعِيمٌ مُقِيمٌ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ) . . . الآية ، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أُسروا يوم بدر يعيّرونهم بالشرك، فقال العباس : أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونفكّ العانىَ ، ونحجب البيت ، ونسقى الحاجّ ، فأنزل الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ) . . . الآية .

۞ فتأويل الكلام إذن : أجعلتم أيها القوم سقاية الحاجّ ، وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد فى سبيل الله ، لايستوون هؤلاء وأولئك ، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما ، لأن الله تعالى لايقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملا (واللهُ لايَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) : يقول : والله

لايوفق لصالح الأعمال من كان به كافرا ، ولتوحيده جاحدا ، ووضع الاسم موضع المصدر فى قوله (كَمَنْ آمَنَ باللهِ) إذ كان معلوما معناه ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما الفِتْيانُ أنْ تَنْبُتَ اللِّحَى وَلَكِنَّما الفِتْيانُ كُلُّ فَتًى نَدِي[1]

فجعل خبر الفتيان « أن » ، وهو كما يقال : إنما السخاء حاتم ، والشعر زهير .

القول فى تأويل قوله

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ، وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)

⁂ وهذا قضاء من الله بين فِرَق المفتخرين ، الذين افتخر أحدهم بالسقاية ، والآخر بالسِّدانة ، والآخر بالإيمان بالله ، والجهاد فى سبيله . يقول تعالى ذكره : (الَّذِينَ آمنوا) بالله : صدقوا بتوحيده من المشركين ، (وهاجروا) دُور قومهم ، (وجاهَدُوا) المشركين فى دين الله بأموالهم وأنفسهم ، (أَعْظَمُ درجةً عنْد الله) ، وأرفع منزلة عنده من سُقاة الحاجّ ، وعُمّار المسجد الحرام ، وهم بالله مشركون . (وأُولئكَ) : يقول : وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا ، (هم الفائزونَ) بالجنة ، الناجون من النار .

القول فى تأويل قوله

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ربهم ، برحمة منه لهم ، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم ، وبرضوان منه لهم ، بأنه قد رضى عنهم ، بطاعتهم إياه ، وأدائهم ما كلفهم . وجنات ، يقول : وبساتين لهم فيها نعيم مقيم ، لايزول ولا يَبِيد ، ثابت دائم أبدا لهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الموسوىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنةَ ، قال الله سبحانه : أعطيكم أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا ، أىّ شىء أفضل من هذا ؟ قال : رضوانى .

القول فى تأويل قوله

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ، إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : (خالِدِينَ فيها) ماكثين فيها ، يعنى فى الجنات (أبَدًا) لانهاية لذلك ولا حد

(١) البيت من شواهد الكسائى ، أنشده الفراء فى معانى القرآن ص ١٢٤ مصورة جامعة القاهرة ، عند قوله تعالى : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) ؟ قال : لم يقل سقاة الحاج وعامرى . . . كمن آمن ، فهذا مثل قوله (ولكن البر من آمن بالله) يكون المصدر يكفى من الأسماء ، والأسماء من المصدر ، إذا كان المعنى مستدلا عليه بهما ، أنشدنى الكسائى : لعمرك . . البيت ومعنى البيت : لايبلغ الفتى كمال الفتوة والمروءة بنبات لحيته ، ولكن باستحكام عادة السخاء والجود فيه .

(إنَّ اللهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جلّ ثناؤه النعت الذى ذكر فى هذه الآية ، أجر : ثواب على طاعتهم لربهم ، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال ، عظيم ، وذلك النعيم الذى وعدهم أن يعطيهم فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ، وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تُفشون إليهم أسراركم ، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله ، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام . (إنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ على الإيمَانِ) : يقول : إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به ، والإقرار بتوحيده (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ) : يقول : ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ، ويؤثر المُقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) : يقول : فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله ، فوضعوا الولاية فى غير موضعها ، وعصوا الله فى أمره ، وقيل : إن ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم ، الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) قال : أمروا بالهجرة ، فقال العباس بن عبد المطلب : أنا أسقى الحاجّ ، وقال طلحة أخو بنى عبد الدار : أنا صاحب الكعبة ، فلا نهاجر ، فأنزلت (لاتَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإخْوَانَكُمْ أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (يَأْتِىَ اللهُ) بالفتح بِأمْرِهِ ، فى أمره إياهم بالهجرة ، هذا كله قبل فتح مكة .

القول فى تأويل قوله

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ (٢٤)

يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام ، المقيمين بدار الشرك : إن كان المُقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وكانت أموال اقترفتموها : يقول : اكتسبتموها (وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها) بفراقكم بلدكم (ومَساكِنُ

تَرْضَوْنَهَا) فسكنتموها، أحبَّ إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك، ومن جهاد فى سبيله ، يعنى : فى نصرة دين الله الذى ارتضاه (فَتَرَبَّصُوا) يقول : فتنظَّروا (حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ) : حتى يأتى الله بفتح مكة (وَاللهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : والله لايوفق للخير الخارجين عن طاعته، وفى معصيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ) بالفتح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ) فتح مكة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) يقول: تخشون أن تكسد فتبيعوها (وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا) قال : هى القصور والمنازل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا) يقول : أصبتموها .

القول فى تأويل قوله

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره: لقد نصركم الله أيها المؤمنون فى أماكن حرب تُوطِّنون فيها أنفسكم على لقاء عدوِّكم، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة . (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ): يقول: وفى يوم حنين أيضا قد نصركم . وحنين: وادٍ فيما ذُكر بين مكة والطائف، وأُجْرِىَ لأنه مذكراسم لمذكر، وقد يترك إجراؤه ، ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التى هو بها ، ومنه قول الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ وَشَدُّوا أَزْرَهُ　　بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأَبْطَالِ [١]

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن

(١) البيت لحسان بن ثابت (تاج العروس : حنن) وحنين كزبير : موضع بين الطائف ومكة ، يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف . قال الفراء فى معانى القرآن : وقوله (ويوم حنين) : واد بين مكة والطائف ، وجرى حنين لأنه اسم لمذكر ، وإذا سميت ماء أو واديا أو جبلا باسم مذكر لا علة فيه أجريته ، من ذلك حنين وبدر وأحد وحراء وثبير ودابق وواسط ، وإنما سمى واسطا بالقصر الذى بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة ؛ ولو أراد البلدة أو اسما مؤنثا لقال واسطة ؛ وربما جعلت العرب واسط وحنين وبدر اسما لبلدته التى هو بها ، فلا يجرونه . وأنشد فى بعضهم : « نصروا نبيهم » . . . . البيت .

عروة ، عن عروة ، قال: حنين: واد إلى جنب ذى المجاز . (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) وكانوا ذلك اليوم فيما ذُكِر لنا اثنى عشر ألفا . ورُوى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : ذلك اليوم « لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قِلَّةٍ » . وقيل : قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الله (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) يقول : فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) : يقول: وضاقت الأرض بسعتها عليكم ، والباء ههنا فى معنى فى ، ومعناه : وضاقت عليكم الأرض فى رحبها وبرحبها ، يقال منه : مكان رحيب : أى واسع ؛ وإنما سميت الرحاب رحابا لسعتها . (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) عن عدوكم منهزمين . مدبرين . يقول : وليتموهم الأدبار ، وذلك الهزيمة ؛ يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده ، وأنه ليس بكثرة العدد ، وشدة البطش ، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ، ويخلّى القليل ، فيهزم الكثير .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) حتى بلغ (وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ) قال: وحنين : ماء بين مكة والطائف ، قاتل عليها نبىّ الله هوازن وثقيف ، وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بنى نصر ، وعلى ثقيف عبد يا ليل بن عمرو الثقفىّ ، قال: وذُكِرَ لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا ، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وألفان من الطُّلَقاء . وذُكِر لنا أن رجلا قال يومئذ : لن نغلب اليوم بكثرة . قال : وذُكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس ، وجلَوا عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل عن بغلته الشهباء ، وذُكر لنا أن نبىّ الله قال : « أَىْ رَبِّ آتِنِى ما وَعَدْتَنِى » قال : والعباسُ آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : نادِ يامَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، وَيا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ ، فجعل ينادى الأنصار فَخِذًا فخذا ، ثم نادى: يا أصحاب سورة البقرة ، قال : فجاء الناس عُنُقا واحدا ، فالتفت نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عصابة من الأنصار ، فقال : هَلْ مَعَكُمْ غيرُكُمْ ؟ فقالوا : يانبىّ الله ، والله لو عَمَدْت إلى بِرْك الغِماد من ذى يمن ، لكنا معك ، ثم أنزل الله نصره ، وهزم عدوّهم ، وتراجع المسلمون ، قال : وأخذ رسول الله كفًّا من تراب ، أو قبضة من حصباء ، فرمى بها وجوه الكفار ، وقال : شاهَتِ الوُجُوهُ ، فانهزموا ؛ فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم ، وأتى الجِعْرانة ، فقسم بها مغانم حنين ، وتألف أناسا من الناس ، فيهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام ، وسُهيل بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، فقالت الأنصار : حنّ الرجل إلى قومه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى قبة له من أدَم ، فقال: يامَعْشَرَ الأَنْصارِ ، ما هَذَا الَّذِى بَلَغَنِى ، أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ ، وكُنْتُمْ أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللهُ ، وكُنْتُمْ وكُنْتُمْ ، قال : فقال سعد بن عُبادة رحمه الله : ائذن لى فأتكلم ، قال : تَكَلَّمْ ، قال : أما قولك :

كنتم ضُلَّالًا فهداكم الله ، فكنا كذلك ، وكنتم أذلة فأعزكم الله ، فقد علمت العرب ماكان حيّ من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم ، منا؛ فقال عُمر : ياسعد أتدرى من تكلم ؟ فقال : نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ سَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِياً وَالنَّاسُ وَادِياً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ . وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الأَنْصَارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ،وتَجاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أما تَرْضَوْنَ أَنْ يَنْقَلِبَ النَّاسُ بالإبِلِ والشَّاءِ ، وَتَنْقَلِبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إلى بُيُوتِكُمْ ؟ فقالت الأنصار : رضينا عن الله ورسوله ، والله ما قلنا ذلك إلا حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ ويَعْذِرَانِكُمْ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ، أو ظئره من بنى سعد بن بكر ، أتته فسألته سبايا يوم حُنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّى لا أمْلِكُهُمْ ، وإنَّما لى مِنْهُمْ نَصِيبِي ، وَلَكِنِ ائْتِينِى غَداً فَسَلِينِى والنَّاسُ عِنْدِى ، فإنّى إذَا أعْطَيْتُكِ نَصِيبِي أعْطاكِ النَّاسُ ، فجاءت الغَدَ ، فبسط لها ثوبا ، فقعدت عليه ، ثم سألته ، فأعطاها نصيبه ، فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) . . . الآية : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال : يا رسول الله لن نُغلب اليوم من قلة ، وأعجبته كثرة الناس ، وكانوا اثنى عشر ألفا ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُكِلوا إلى كلمة الرجل ، فانهزموا عن رسول الله ، غير العباس ، وأبى سفيان ابن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، قُتل يومئذ بين يديه ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيْنَ الأَنْصَارُ ، أيْنَ الَّذِينَ بايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ؟ فتراجع الناس ، فأنزل الله الملائكة بالنصر ، فهزموا المشركين يومئذ ، وذلك قوله (ثُمَّ أنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ ، وأنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن كثير بن عباس ابن عبد المطلب ، عن أبيه ، قال : لما كان يومُ حنين التقى المسلمون والمشركون ، فولّى المسلمون يومئذ ، قال : فلقد رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم وما معه أحد إلا أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، آخذا بغَرْز النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لايألو ما أسرع نحو المشركين ، قال : فأتيت حتى أخذت بلجامه ، وهو على بغلة له شهباء ، فقال : ياعبَّاس نادِ أصحابَ السَّمُرَةِ ، وكنتُ رجلا صيِّتا ، فأذّنت بصوتىَ الأعلى : أين أصحاب السمُرة ، فالتفتوا كأنها الإبل إذا حنت إلى أولادها ، يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، يا لبيك! وأقبل المشركون ، فالتقوا هم والمسلمون ، وتنادت الأنصار : يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة فى

بنى الحارث بن الخزرج ، فتنادَوا : يا بنى الحارث بن الخزرج ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته ، كالمتطاول إلى قتالهم ، فقال : هذا حين حَمِيَ الوَطِيس ، ثم أخذ بيده من الحصباء ، فرماهم بها ، ثم قال : انْهزَمُوا وربِّ الكَعْبَةِ ، انْهزَمُوا وربِّ الكَعْبَةِ ، قال : فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا ، حتى هزمهم الله ؛ قال : فلكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهرىّ ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبىٍ ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، أنت خير الناس وأبرّ الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ عِنْدِى مَنْ تَرَوْنَ ، وإنَّ خَيْرَ القَوْلِ أصْدَقُهُ ، اخْتارُوا إمَّا ذَرارِيَّكُمْ ونِساءَكُمْ ، وإمَّا أمْوالَكُمْ ، قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنَّ هؤُلاءِ قَدْ جاءُونِى مُسْلِمِينَ ، وإنَّا خَيَّرْناهُمْ بينَ الذَّرارِى والأمْوالِ ، فَلَمْ يَعْدِلُوا بالأحْسابِ شَيْئاً ، فَمَنْ كانَ بِيَدِهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ، فَطابَتْ نَفْسُهُ أنْ يَرُدَّهُ فَلْيَفْعَلْ ذلكَ ، ومَنْ لا ، فَلْيُعْطِنا ، ولْيَكُنْ قَرْضًا عَلَيْنا ، حتى نُصِيبَ شَيْئًا فَنُعْطِيَهُ مَكانَهُ . فقالوا : يا نبىَّ الله ، رضينا وسلَّمنا ، فقال : إنِّى لا أدْرِى ، لَعَلَّ مِنْكُمْ مَنْ لا يَرْضَى ، فَمُرُوا عُرَفاءَكُمْ ، فَلْيَرْفَعُوا ذلكَ إلَيْنا ، فرفعت إليه العُرَفاء : أن قد رَضُوا وسلموا .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا يعلى بن عطاء ، عن أبى همام ، عن أبى عبد الرحمن ، يعنى الفهرىّ ، قال : كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ؛ فلما ركدت الشمس ، لبست لأمتى ، وركبت فرسى ، حتى أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو فى ظلّ شجرة ، فقلت : يا رسول الله قد حان الرَّواح ، فقال أجَلْ ، فنادى : يا بِلالُ ، يا بلالُ ، فقام بلال من تحت سَمُرَة ، فأقبل كأن ظله ظل طير ، فقال : لبيك وسعديك ، ونفسى فدؤاك يا رسول الله ! فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : أسْرِجْ فَرَسِي ، فأخرج سرجا دَفَّتاه حشوهما ليف ، ليس فيهما أشر ، ولا بطر ، قال : فركب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فصافقناهم يومنا وليلتنا ؛ فلما التقى الخيلان ولّى المسلمون مدبرين ، كما قال الله ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عِبادَ اللهِ ، يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ ! قال : ومال النبىّ صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، فأخذ حَفْنَة من تراب ، فرمى بها وجوههم ، فولوا مدبرين ، قال يعلى بن عطاء : فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم ، أنهم قالوا : ما بقى منا أحد إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت البَراء ، وسأله رجل من قيس : فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقال البراء : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ ، وكانت هوازن يومئذ رُماة ، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا ، فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول :

أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ		أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ[١]

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : سأله رجل : يا أبا عمارة ، ولّيتم يوم حنين ، فقال البَراء : وأنا أسمع : أشهد أن رسول الله لم يولّ يومئذ دُبُره ، وأبو سفيان يقود بغلته ، فلما غشيه المشركون ، نزل فجعل يقول :

أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ		أنا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

فما رُؤِي يومئذ أحد من الناس كان أشدّ منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابيّ ، عن عبد الرحمن مولى أم برثُن ، قال : ثنى رجل كان من المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام ، لم يقفوا لنا حَلْبَ شاة أن كشفناهم ، فبينا نحن نسوقهم ، إذا نتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، فتلقانا رجال بيض ، حِسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا ، وركبنا القوم ، فكانت إياها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : أمدّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ، قال : ويومئذ سمى الله الأنصار مؤمنين ، قال (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) قال : كانوا اثنى عشر ألفا .

حدثنا محمد بن يزيد الآدمى ، قال : ثنا معن بن عيسى ، عن سعيد بن السائب الطائفىّ ، عن أبيه ، عن يزيد بن عامر ، قال : لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ، ضرب النبىّ صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض ، فأخذ منها قبضة من تراب ، فأقبل بها على المشركين وهم يتّبعون المسلمين ، فحثاها فى وجوههم وقال : ارْجِعُوا ، شاهَتِ الوُجُوهُ ، قال : فانصرفنا ما يلقى أحدٌ أحدا إلا وهو يمسح القذى عن عينيه .

وبه عن يزيد بن عامر السُّوائىّ ، قال : قيل له : يا أباحاجز : الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ، ماذا وجدتم ؟ قال : وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطَّسْتِ ، فيطنّ ، ثم يقول : كان فى أجوافنا مثل هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى المعتمر بن سليمان ، عن عوف ، قال : سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن ، أو أم مريم ، قال : ثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لم يقوموا لنا حلب شاة ، قال : فلما كشفناهم جعلنا

(١) هذان بيتان من مجزوء الرجز ، ينسبان إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن النبى شاعرا ، ونفى الله عنه صنعة الشعر (وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له) وإنما هو صاحب قرآن ، ورسالة إنسانية شاملة ، ومثل هذا القدر من القول الموزون ، مما يتفق وقوعه فى كلام كثير من عامة الناس ، فضلا عن خاصتهم ، ولا يسمى قائله شاعرا (انظر شرح النووى على صحيح مسلم فى غزوة حنين) .

نسوقهم فى أدبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض ، حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، قال : فانهزمنا ، وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَت وتَوَلّيتكم الأعداء أدباركم ، كشف الله نازل البلاء عنكم ، بإنزاله السكينة ، وهى الأمنة والطمأنينة عليكم . وقد بينّا أنها فعيلة من السكون ، فيما مضى من كتابنا هذا قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (وأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْها) : وهى الملائكة التى ذُكِرت فى الأخبار التى قد مضى ذكرها (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : وعذّب الله الذين جحدوا وحدانيته ، ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبى الأهلين والذرارىّ ، وسلب الأموال والذلة . وذلك جزاء الكافرين . يقول : هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى جزاء الكافرين ، يقول : هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : قتلهم بالسيف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفَرىّ ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال : بالهزيمة والقتل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكافِرِينَ) قال : من بقى منهم .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه ، من بعد عذابه الذى به عذّب من هلك منهم ، قتلا بالسيف . على من يشاء : أى يتوب الله على من يشاء من الأحياء ، يقبل به إلى طاعته ، والله غفور لذنوب من أناب وتاب إليه ، منهم ومن غيرهم منها ، رحيم بهم ، فلا يعذبهم بعد توبتهم ، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم .

القول فى تأويل قوله

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) ﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، وأقرّوا بوحدانيته : ما المشركون إلا نجس .

واختلف أهل التأويل فى معنى النجَس ، وما السبب الذى من أجله سماهم بذلك ؟ فقال بعضهم : سماهم بذلك لأنهم يُجنِبون فلا يغتسلون ، فقال : هم نجس ، ولا يقربوا المسجد الحرام، لأن الجنب لاينبغى له أن يدخل المسجد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، فى قوله (إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ) : لاأعلم قتادة إلا قال : النجَس : الجنابة .

وبه عن معمر ، قال : وبلغنى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لقى حذيفة ، وأخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال حذيفة : يا رسول الله ، إنى جُنُب ، فقال : « إنَّ المُؤْمِنَ لايَنْجُسُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ) : أى أجناب .

وقال آخرون : معنى ذلك : ما المشركون إلا رجس : خنزير أو كلب ، وهذا قول رُوى عن ابن عباس من وجه غير حميد ، فكرهنا ذكره .

وقوله (فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا) : يقول للمؤمنين : فلا تدَعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم . وإنما عنى بذلك منعهم من دخول الحرم ، لأنهم إذا دخلوا الحرَم فقد قربوا المسجد الحرام .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر وابن المثنى ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : الحرَم كله قبلة ومسجد ، قال (فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ) لم يعن المسجد وحده ، إنما عنى مكة والحرم، قال : ذلك غير مرة .

وذُكر عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير ، قال : ثنى الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو : أن عمر بن عبد العزيز كتب : أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين ، وأتبعَ فى نهيه قولَ الله (إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن (إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ) قال : لاتصافحوهم ، فمن صافحهم فليتوضأ .

وأما قوله (بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا) فإنه يعنى : بعد العام الذى نادى فيه علىّ رحمة الله عليه ببراءة ، وذلك عامَ حجّ بالناس أبو بكر ، وهى سنة تسع من الهجرة

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا) وهو العام الذى حجّ فيه أبو بكر ، ونادى علىّ رحمة الله عليهما بالأذان ، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وحجّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل ، حجة الوداع ، لم يحجّ قبلها ولا بعدها .

وقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) : يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقة وفقرا، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ) يقال منه : عال يَعِيل عَيْلَةً وعيولا ، ومنه قول الشاعر .

وَما يَدْرِى الفَقِيرُ مَتَى غِناهُ وَما يَدْرِى الغَنِىُّ مَتَى يَعِيلُ[١]

وقد حُكى عن بعضهم أن من العرب من يقول فى الفاقة : عال يَعُول بالواو . وذكر عن عمرو بن فائد ، أنه كان تأول قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) بمعنى : وإذ خفتم ، ويقول : كان القوم قد خافوا ، وذلك نحو قول القائل لأبيه : إن كنت أبى فأكرمنى ، بمعنى : إذ كنت أبى ، وإنما قيل ذلك لهم ، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم،انقطاع تجاراتهم، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك ، وأمنهم الله من العَيْلة ، وعوّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم،ما هو خير لهم منه،وهو الجزية ، فقال لهم (قاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ باللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ ، وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ) . . . إلى (صاغِرُونَ) . وقال قوم : بإدرار المطر عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا) قال : لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن ، قال : من أين تأكلون وقد نُفى المشركون ، وانقطعت عنكم العير ،فقال الله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ) فأمرهم بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم من فضله .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، من أربعة أبيات ذكرها صاحب اللسان : ف (عيل) . وعال يعيل من باب ضرب ، عيلة وعيولا : افتقر . وتقدم البيت فى (الجزء الرابع ص ٢٣٩) .

آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت ، ويجيئون معهم بالطعام ، ويتّجرون فيه ؛ فلما نُهُوا أن يأتوا البيت، قال المسلمون : من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله : (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) ، فأنزل عليهم المطر ، وكثر خيرهم ، حين ذهب عنهم المشركون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن عليّ بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . الآية ، ثم ذكر نحو حديث هناد ، عن أبي الأحوص .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من يأتينا بطعامنا ، ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن واقد مولى زيد بن خليدة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة ، فنزلت هذه الآية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (عَيْلَةً) قال : الفقر (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية العوفيّ ، قال : قال المسلمون : قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم ، فنزلت (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (مِنْ فَضْلِهِ).

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، أحسبه قال : أنبأنا أبو جعفر ، عن عطية ، قال : لما قيل : ولا يحجّ بعد العام مشرك ، قالوا : قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم ، قال : فنزلت (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) يعني : بما فاتهم من بياعاتهم .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : بالجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان وأبو معاوية ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، قال : أُخرج المشركون من مكة ، فشقّ ذلك على المسلمين ، وقالوا : كنا نصيب منهم التجارة والميرة، فأنزل الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) كان ناس من المسلمين يتألفون العير ، فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثُقِفوا، وأن يقعدوا لهم كل مرصد ، قذف الشيطان في قلوب المؤمنين ، فمن أين تعيشون ، وقد أمرتم بقتال أهل العير ، فعلم الله من ذلك ما علم ، فقال : أطيعوني ، وامضوا لأمري ، وأطيعوا رسولي ، فإني سوف أغنيكم من فضلي ، فتوكل لهم الله بذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) : قال : قال المؤمنون : كنا نصيب من متاجر المشركين ، فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله،عوضا لهم بأن لايقربوهم المسجد الحرام ، فهذه الآية من أول براءة فى القراءة ، ومن آخرها فى التأويل (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى قوله (عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ، شقّ ذلك على المسلمين ، وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) فأغناهم بهذا الخراج،الجزية الجارية عليهم ، يأخذونها شهرا شهرا ، عاما عاما ، فليس لأحد من المشركين أن يقرَب المسجد الحرام بعد عامهم بحال ، إلا صاحب الجزية ، أو عبد رجل من المسلمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج، قال : أخبرنا أبوالزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة .

قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : إلا صاحب جزية ، أو عبدا لرجل من المسلمين .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج ، عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، قال : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى هذه الآية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ،فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا ، وعاما فعاما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن الحجاج ، عن أبى الزبير ، عن جابر (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : لايقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمىّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لَتُقْطَعَنَّ عنا الأسواق ، ولَتَهلِكَنَّ التجارة ، وليذهبنّ ماكنا نصيب فيها من المرافق ، فنزل (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ

اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) من وجه غير ذلك (إنْ شاءَ) . . . إلى قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، فى هذا عوض مما تخوّفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية .

وأما قوله (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فإن معناه : إن الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون، من خوف العيلة عليها، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده . حكيم : فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .

القول فى تأويل قوله

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم (قاتِلُوا) أيها المؤمنون القوم (الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ باللهِ وَلا بالْيَوْمِ الآخِرِ) : يقول : ولا يصدقون بجنة ولا نار (وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ،وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقّ) :يقول : ولا يطيعون الله طاعة الحقّ ، يعنى : أنهم لايطيعون طاعة أهل الإسلام (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ) وهم اليهود والنصارى ، وكل مطيع ملكا ، أو ذا سلطان ، فهو دائن له ، يقال منه : دان فلان لفلان ، فهو يدين له دينا ، قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِى بَنِى أَسَدٍ　　فِى دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بيْنَنَا فَدَكُ [١]

وقوله (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ) يعنى : الذين أُعطوا كتاب الله ، وهم أهل التوراة والإنجيل . (حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ) والجزية : الفِعلة ، من جزى فلان فلانا ما عليه : إذا قضاه،يجزيه،والجزية مثل القِعدة والجِلسة .

ومعنى الكلام : حتى يعطوا الخراج عن رقابهم ، الذى يبذلونه للمسلمين دفعا عنها .

وأما قوله (عَنْ يَدٍ) فإنه يعنى : من يده إلى يد من يدفعه إليه ، وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرا له شيئا ، طائعا له أو كارها : أعطاه عن يده، وعن يد ، وذلك نظير قولهم : كلمته فَمًا لفم،ولقيته كفة لكفة ، وكذلك أعطيته عن يد ليد .

وأما قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) فإن معناه : وهم أذلاء مقهورون ، يقال للذليل الحقير : صاغر .

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم ، فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك .

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى ، من قصيدته الكافية المشهورة (مختار الشعر الجاهلى ، طبعة الحلبى ص ٢٥٥) وهو الثانى والثلاثون فيها . وجو : واد بعينه،ودين عمرو : طاعته وسلطانه، يريد عمرو بن هند . وفدك . قرية فى وادى القرى . يقول : لئن حللت بحيث لا أدركك ، ليردن عليك هجوى ، ولأدنسن به عرضك ، كما يدنس الودك القبطية . يخاطب الحارث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد ، وكان أغار على بنى عبد الله بن غطفان فغنم ، واستاق إبل زهير ، وراعيه يسارا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) حين أُمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذى عناه الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أن يعطيها وهو قائم ، والآخذ جالس .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوريّ ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن سعد ، عن عكرمة (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : أي تأخذها وأنت جالس ، وهو قائم .

وقال آخرون : معنى قوله (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) عن أنفسهم بأيديهم ، يمشون بها وهم كارهون ، وذلك قول رُوى عن ابن عباس ، من وجه فيه نظر .

وقال آخرون : إعطاؤهم إياها : هو الصَّغار .

القول في تأويل قوله

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ : عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ، وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى : ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ، ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ، قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠)

اختلف أهل التأويل في القائل (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) فقال بعضهم : كان ذلك رجلا واحدا . وهو فنحاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير ، قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) ، قال : قالها رجل واحد ، قالوا : إن اسمه فنحاص ، وقالوا : هو الذي قال : (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) .

وقال آخرون : بل كان ذلك قول جماعة منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلامُ بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا :

كيف نتبعك ، وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله ، فأنزل فى ذلك من قولهم : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ) . . . إلى (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ) وإنما قالوا : هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان فى أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ، ثم أضاعوها ، وعملوا بغير الحق ، وكان التابوت فيهم ؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة ، وعملوا بالأهواء ، رفع الله عنهم التابوت ، وأنساهم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، وأرسل الله عليهم مرضا ، فاستطلقت بطونهم ، حتى جعل الرجل يمشى كبده ، حتى نسُوا التوراة ، ونُسخت من صدورهم ، وفيهم عزير ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا ، بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عُزير قبلُ من علمائهم ، فدعا عزير الله ، وابتهل إليه أن يردّ إليه الذى نسخ من صدره من التوراة ، فبينما هو يصلى مبتهلا إلى الله ، نزل نور من الله فدخل جوفه ، فعاد إليه الذى كان ذهب من جوفه من التوراة ، فأذّن فى قومه ، فقال : ياقوم ، قد آتانى الله التوراة ، وردّها إلىّ ، فَعلِق يعلمهم ، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم ، ثم إن التابوت نزل بعد ذلك ، وبعد ذهابه منهم ؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم ، فوجدوه مثله ، فقالوا : والله ما أوتى عزير هذا إلا أنه ابن الله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ) إنما قالت ذلك ، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم ، وأخذوا التوراة ، وذهب علماؤهم الذين بقُوا ، فدفنوا كتب التوراة فى الجبال ، وكان عزير غلاما يتعبد فى رءوس الجبال ، لا ينزل إلا يوم عيد ، فجعل الغلام يبكى ويقول : ربّ تركت بنى إسرائيل بغير عالم ، فلم يزل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، فنزل مرّة إلى العيد ؛ فلما رجع إذا هو بامرأة قد مُثّلت له عند قبر من تلك القبور ، تبكى وتقول : يا مطعماه ، ويا كاسياه ! فقال لها : ويحك ، من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل ؟ قالت : الله . قال : فإن الله حىّ لم يمت . قالت : يا عزير ، فمن كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل ؟ قال : الله . قالت : فلم تبكى عليهم ؟ فلما عرف أنه قد خُصِم ، ولّى مدبرا ، فدعته فقالت : يا عزير ، إذا أصبحت غدا ، فأت نهر كذا وكذا ، فاغتسل فيه ، ثم اخرج فصل ركعتين ، فإنه يأتيك شيخ ، فما أعطاك فخذه ، فلما أصبح ، انطلق عزير إلى ذلك النهر ، فاغتسل فيه ، ثم خرج فصلى ركعتين ، فجاءه الشيخ فقال : افتح فمك ، ففتح فمه ، فألقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة ، مجتمعا كهيئة القوارير ، ثلاث مرار ، فرجع عزير ، وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بنى إسرائيل ، إنى قد جئتكم بالتوراة ، فقالوا يا عزير ما كنت كذّابا ، فعَمد فربط على كلّ أصبع له قلَما ، وكتب بأصابعه كلها ، فكتب التوراة كلها ، فلما رجع العلماء ، أخبروا بشأن عزير ، فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من

التوراة فى الجبال ، وكانت فى خوابٍ مدفونة ، فعارضوها بتوراة عزير ، فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللهِ) لاينوّنون عزيرا ، وقرأه بعض المكيين والكوفيين « عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ » بتنوين عزير ، قال : هو اسم مُجْرًى وإن كان أعجميا ، لخفته ، وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله ، فيكون بمنزلة قول القائل : زيد ابن عبد الله ، وأوقع الابن موقع الخبر ، ولو كان منسوبا إلى الله ، لكان الوجه فيه إذا كان الابن خبرا : الإجراء والتنوين ، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه ؟ وأما من ترك تنوين عزير ، فإنه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن ، والتقى ساكنان ، فحذف الأوّل منهما استثقالا لتحريكه ، قال الراجز :

لَتَجِدَنِّى بالأَمِيرِ بَرًّا ... وبالقَنَاةِ مِدْعَسًا مِكَرًّا ... إذا غُطَيْفُ السُّلَمِىُّ فَرَّا[1]

فحذف النون للساكن الذى استقبلها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك : قراءة من قرأ (عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ) بتنوين عزير ، لأن العرب لاتنوّن الأسماء إذا كان الابن نعتا للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن عُزير بأنه ابن الله ، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا ، والابن فى هذا الموضع خبر لعزير ، لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك ، إنما أخبروا عن عزير أنه كذلك ، وإن كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين . (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) : يعنى قول اليهود (عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ) يقول : نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله ، والفرية عليه ، ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابن ، ككذب اليهود وفريتهم على الله ، فى نسبتهم عزيرا إلى أنه لله ابن ، ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه ، بل له ما فى السموات والأرض ، كل له قانتون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : يشبّهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) ضاهت النصارى قولَ اليهود قبلهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) النصارى يضاهئون قول اليهود فى عزير .

---

(١) هذه أبيات ثلاثة من شطور الرجز ، ذكرها صاحب اللسان فى (دعس) قال : ورجل مدعس : طعان . قال : . . . الأبيات . وذكر البيتين : الأولين منها فى (دعص) قال : ورجل مدعص بالرمح : طعان . قال : . . . وذكر البيتين ، ولم ينسبهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : النصارى يضاهئون قول اليهود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال: ثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان . وقد قيل : إن معنى ذلك : يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا : اللاتُ والعُزَّى ومنَاة الثالثة الأخرى .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (يُضَاهُونَ) بغير همز ، وقرأه عاصم (يُضَاهِئُونَ) بالهمز ، وهي لغة لثقيف ، وهما لغتان، يقال : ضاهيته على كذا، أضاهيه مضاهاة، وضاهأته عليه مضاهأة : إذا مالأته عليه وأعنته .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز ، لأنها القراءة المستفيضة في قرَأة الأمصار، واللغة الفصحى .

وأما قوله (قَاتَلَهُمُ اللهُ) : فإن معناه فيما ذُكِر عن ابن عباس، ما حدثني المثنى ، قال: ثنا أبو صالح، قال ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (قَاتَلَهُمُ اللهُ) يقول: لعنهم الله، وكلّ شيء في القرآن قتل ، فهو لعن .

وقال ابن جُريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (قَاتَلَهُمُ اللهُ) يعني النصارى، كلمة من كلام العرب. فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون معناه : قتلهم الله . والعرب تقول: قاتعك الله ، وقاتعها الله، بمعنى: قاتلك الله ، قالوا: وقاتعك الله أهون من قاتله الله ، وقد ذكروا أنهم يقولون : شاقاه الله ما باقاه ، يريدون : أشقاه الله ما أبقاه ؛ قالوا : ومعنى قوله (قَاتَلَهُمُ اللهُ) كقوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ ، وقُتِلَ أَصحابُ الأُخْدُودِ) واحد ، وهو بمعنى التعجب ، فإن كان الذي قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس ، لأن فاعلتُ لاتكاد أن تجيء فعلا إلا من اثنين ، كقولهم : خاصمت فلانا وقاتلته ، وما أشبه ذلك ، وقد زعموا أن قولهم : عافاك الله منه ، وأن معناه : أعفاك الله ، بمعنى الدعاء لمن دعا له ، بأن يعفيه من السوء .

وقوله (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول : أيّ وجه يُذْهَب بهم ويحيدون، كيف يصدّون عن الحقّ؟. وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله

﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ، وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ، لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾

يقول جلّ ثناؤه : اتخذ اليهود أحبارَهم ، وهم العلماء . وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا ، قيل واحدهم حِبر ، وحَبر : بكسر الحاء منه وفتحها. وكان يونس الجرميّ ¹ فيما ذكر عنه ، يزعم أنه

(١) نبهنا مرارا على أن يونس النحوي ، هو ابن حبيب الضبي مولاهم ، ولكن الكاتب يخطئ فيها ، ويجعلها الجرمي .

لم يسمع ذلك إلا حِبر ،بكسر الحاء ، ويحتجّ بقول الناس : هذا مداد حِبر ، يراد به : مداد عالم . وذكر الفراء أنه سمعه حِبرا وحَبرا ،بكسر الحاء وفتحها .والنصارى رهبانهم ، وهم أصحاب الصوامع ،وأهل الاجتهاد فى دينهم منهم

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك (ٱتَّخَذُوا أحبارَهم وَرُهْبانَهُمْ) قال: قرّاءهم وعلماءهم (أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) يعنى : سادة لهم من دون الله،يطيعونهم فى معاصى الله، فيحلون ما أحلوه لهم ، مما قد حرّمه الله عليهم ، ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحله الله لهم .

كما حدثنى الحسن بن يزيد الطحان ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب الملائى ،عن غُطَيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدىّ بن حاتم ، قال : انتهيت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ فى سورة براءة (ٱتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) فقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يحلون لهم ، فيحلون .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا مالك بن إسماعيل ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب ، قال : ثنا غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدىّ بن حاتم ، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفى عنقى صليب من ذهب ، فقال : يا عدىّ اطرح هذا الوثن من عنقك ،قال : فطرحته ،وانتهيت إليه ،وهو يقرأ فى سورة براءة، فقرأ هذه الآية (ٱتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) قال: قلت : يارسول الله،إنا لسنا نعبدهم ، فقال : « أليس يحرّمون ما أحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فَتِلْكَ عِبادَتُهُمْ » . واللفظ لحديث أبى كريب .

حدثنى سعيد بن عمرو والسكونى ، قال: ثنا بقية عن قيس بن الربيع ، عن عبد السلام بن حرب النهدىّ ، عن غطيف ، عن مصعب بن سعد ، عن عدىّ بن حاتم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة ، فلما قرأ (ٱتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) قلت : يا رسول الله،أما إنهم لم يكونوا يُصَلُّونَ لهم ؟ قال : « صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ كانُوا يُحِلُّونَ لَهُمْ ما حَرَّمَ اللهُ ، فَيَسْتَحِلُّونَهُ ، وَيُحَرِّمُونَ ما أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ ، فَيُحَرِّمُونَهُ » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البخترىّ ، عن حذيفة ، أنه سئل عن قوله (ٱتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) كانوا يعبدونهم ، قال : لا ، كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبى البخترىّ ، قال : قيل لأبى حذيفة فذكر نحوه،غير أنه قال : ولكن كانوا يحلون لهم الحرام، فيستحلونه ، ويحرّمون عليهم الحلال،فيحرّمونه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن العوّام بن حوشب ، عن حبيب ، عن أبى البخترىّ قال : قيل لحذيفة : أرأيت قول الله (ٱتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ)؟ قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ، ولا

يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا حلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا أحله الله لهم حرّموه، فتلك كانت رُبوبيتهم .

قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن عطاء، عن أبي البختريّ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) قال : انطلقوا إلى حلال الله ، فجعلوه حراما ، وانطلقوا إلى حرام الله، فجعلوه حلالا ، فأطاعوهم فى ذلك ، فجعل الله طاعتهم عبادتَهم ، ولو قالوا لهم : اعبدونا لم يفعلوا .

حدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البختريّ ، قال : سأل رجل حذيفة ، فقال : يا أبا عبد الله أرأيت قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن أشعث ، عن الحسن (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً) ، قال : فى الطاعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : وزينوا لهم طاعتهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) قال عبد الله بن عباس : لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ، ولكن أمروهم بمعصية الله ، فأطاعوهم ، فسماهم الله بذلك أربابا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نُمَير ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً) قال : قلت لأبى العالية : كيف كانت الربوبية التى كانت فى بنى إسرائيل ؟ قال قالوا : ما أمرونا به ائتمرنا، وما نَهَوْنا عنه انتهينا لقولهم : وهم يجدون فى كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحوا الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

حدثنى بشر بن سويد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى البختريّ ، عن حذيفة (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) قال : لم يعبدوهم ، ولكنهم أطاعوهم فى المعاصى .

وأما قوله (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) فإن معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله .

وأما قوله (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً) فإنه يعنى به : وما أُمر هؤلاء اليهودُ والنصارى ، الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا ، إلا أن يعبدوا معبودا واحدا ، وأن يطيعوا إلا ربا واحدا ، دون أرباب شتى ، وهو الله الذى له عبادة كلّ شىء ، وطاعة كلّ خلق ، المستحقّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية ، لا إله إلا هو . يقول تعالى ذكره : لاتنبغى الألوهة إلا لواحد ، الذى أمر الخلق بعبادته ، ولزمت جميعَ العباد طاعته (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) : يقول : تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك فى طاعته

وربوبيته ، القائلون : عزير ابن الله ، والقائلون : المسيح ابن الله ، المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله .

القول في تأويل قوله

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : يُريدُ هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا (أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بأفْوَاهِهِمْ) يعني : أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعث به رسوله ، وصدّهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه ، وهو النور الذي جعله الله لخلقه ضياء (وَيَأْبَى اللهُ إلاَّ أنْ يُتِمَّ نُورَهُ) : يعلو دينه ، وتظهر كلمته ، ويتمّ الحقّ الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولو كره إتمام الله إياه الكافرون ، يعني : جاحديه المكذّبين به .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يُرِيدُونَ أنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بأفْوَاهِهِمْ) : يقول : يريدن أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .

القول في تأويل قوله

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : الله الذي يأبى إلا إتمام دينه ، ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه ، الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ، يعني : ببيان فرائض الله على خلقه ، وجميع اللازم لهم ، وبدين الحقّ ، وهو الإسلام ، ليظهره على الدين كله ، يقول : ليعلي الإسلام على الملل كلها ، ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله (لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ) ، فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى ، حين تصير الملل كلها واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا شقيق ، قال : ثني ثابت الحداد أبو المقدام ، عن شيخ ، عن أبي هريرة في قوله (لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ) قال : حين خروج عيسى ابن مريم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، قال : ثني من سمع أبا جعفر (لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ) قال : إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين .

وقال آخرون : معنى ذلك : ليعلمه شرائع الدين كلها ، فيطلعه عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله ، فيعطيه إياه كله ، ولا يخفى عليه منه شىء ، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك .

القول فى تأويل قوله

* يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)

ﷻ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بوحدانية ربهم : إن كثيرا من العلماء والقرّاء من بنى إسرائيل من اليهود والنصارى (لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ) : يقول : يأخذون الرُّشَا فى أحكامهم ، ويحرّفون كتاب الله ، ويكتبون بأيديهم كتبا ، ثم يقولون : هذه من عند الله ، ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) : يقول : ويمنعون من أراد الدخول فى الإسلام الدخولَ فيه بنهيهم إياهم عنه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ) أما الأحبار ، فمن اليهود ؛ وأما الرهبان : فمن النصارى ؛ وأما سبيل الله : فمحمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ، وَلا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) :

ﷻ يقول تعالى ذكره : (إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ) ويأكلها أيضا معهم (الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ، وَلا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول : بشر الكثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، بعذاب أليم لهم يوم القيامة ، موجع من الله .

واختلف أهل العلم في معنى الكنز ، فقال بعضهم : هو كلّ مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤدّ زكاته ، قالوا : وعنَى بقوله (وَلا يُنْفِقُونَها في سَبِيلِ الله) ولا يؤدون زكاتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كلّ مال أديت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفونا ، وكلّ مال لم تؤدّ زكاته فهو الكنز الذى ذكره الله في القرآن ، يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفونا .

حدثنا الحسين بن الجنيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : كلّ مال أُدّيت منه الزكاة ، فليس بكنز وإن كان مدفونا ، وكلّ مال لم تؤدّ منه الزكاة وإن لم يكن مدفونا ، فهو كنز .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أيما مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض ، وأيما مال لم تؤدّ زكاته فهو كنز ، يكوى به صاحبه ، وإن كان على وجه الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى وجرير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز .

قال : ثنا أبى ، عن العمرىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا .

قال : ثنا جرير ، عن الشيبانى ، عن عكرمة ، قال : ما أُدّيت زكاته فليس بكنز .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أما الذين يكنزون الذهب والفضة . فهؤلاء أهل القبلة ، والكنز : ما لم تؤدّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض ، وإن قلّ ؛ وإن كان كثيرا قد أدّيت زكاته ، فليس بكنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، قال : قلت لعامر : مال على رفّ بين السماء والأرض لا تؤدّى زكاته ، أكنز هو ؟ قال : يكوى به يوم القيامة .

وقال آخرون : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم ، فهو كنز ، أدّيت منه الزكاة ، أو لم تؤدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن أبى الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن علىّ رحمة الله عليه ، قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، فما كان أكثر من ذلك فهو كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن أبى الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن علىّ ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشعبىّ ، قال : أخبرنى أبو حصين ،

عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ رحمة الله عليه ، في قوله (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كنز .

وقال آخرون : الكنز كلّ ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن أنس ، عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال : كان نعل سيف أبي هريرة من فضة ، فنهاه عنها أبوذرّ ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَرَكَ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ كُوِيَ بِهَا » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش وعمرو بن مرّة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : لما نزلت (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تَبًّا لِلذَّهَبِ ، تَبًّا لِلْفِضَّةِ ، يقول لها ثلاثا ، قال : فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قالوا : فأيّ مال نتخذه ؟ فقال عمر : أنا أعلَمُ لكم ذلك ، فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شقّ عليهم ، وقالوا : فأيّ المال نتخذ ؟ فقال : لِسَاناً ذَاكِرًا ، وَقَلْباً شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان ، بمثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن منصور ، عن عمرو ابن مرّة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : لما نزلت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ) قال : المهاجرون ، وأيّ المال نتخذ ؟ فقال عمر : أسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه ، قال : فأدركته على بعير ، فقلت : يا رسول الله إن المهاجرين قالوا : فأيّ المال نتخذه ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِسَاناً ذَاكِرًا ، وَقَلْباً شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة ، قال : تُوُفِّيَ رجل من أهل الصُّفَّة ، فوجد في مِئْزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيَّةٌ » ، ثم توفي آخر ، فوجد في مئزرة ديناران ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : كَيَّتَانِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن صُدَيّ بن عجلان أبي أمامة ، قال : مات رجل من أهل الصفة ، فوجد في مئزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيَّةٌ » ، ثم توفي آخر ، فوجد في مئزره ديناران ، فقال نبيّ الله : كَيَّتَانِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ، عن ثوبان ، قال : كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المهاجرون : لوددنا أنا علمنا أيُّ المال خير فنتخذه ، إذ نزل

فى الذهب والفضة ما نزل ، فقال عمر : إن شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالوا : أجَلْ . فانطلق فتبعته أُوضع على بعيرى ، فقال : يا رسول الله ، إن المهاجرين لما أنزَل الله فى الذهب والفضة ما أنزل ، قالوا : وددنا أنا علمنا أىُّ المال خير فنتخذه ، قال : « نَعَمْ فَيَتَّخِذُ أحَدُكُمْ لِسانًا ذَاكِرًا ، وقَلْبًا شاكِرًا ، وزَوْجَةً تُعِينُ أحَدَكُمْ على إيمانِهِ » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : القول الذى ذُكِر عن ابن عمر من أن كلَّ مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر ، وأن كلَّ مالم تؤدَّ زكاته ، فصاحبه معاقب مستحقٌّ وعيدَ الله ، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه ، وإن قل ، إذا كان مما يجب فيه الزكاة ؛ وذلك أن الله أوجب فى خمس أواق من الوَرِق على لسان رسوله رُبْع عشرها ، وفى عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها ، فإذ كان ذلك فرض الله فى الذهب والفضة على لسان رسوله ، فمعلوم أن الكثير من المال وإن بلغ فى الكثرة ألوف ألوف لو كان - وإن أدّيت زكاته - من الكنوز التى أوعد الله أهلها عليها العقاب ، لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من ربع العشر ، لأن ما كان فرضا إخراج جميعه من المال ، وحرام اتخاذه ، فزكاته الخروج من جميعه إلى أهله ، لا ربع عشره ، وذلك مثل المال المغصوب ، الذى هو حرام على الغاصب إمساكه ، وفُرِض عليه إخراجه من يده إلى يده ، فالتطهر منه ردّه إلى صاحبه ، فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم ، أو ما فضل عن حاجة ربه التى لابد منها ، مما يستحقّ صاحبه باقتنائه ، إذا أدّى إلى أهل السّهمان حقوقهم منها من الصدقة ، وعيد الله ، لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره ، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله ، وصرفه فيما يجب عليه صرفه ، كالذى ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله ، ردّه على ربه .

وبعد ، فإن فيما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : قال معمر : أخبرنى سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مامِنْ رَجُلٍ لايُؤَدّى زَكاةَ مالِهِ إلاَّ جُعِلَ يَوْمَ القِيامَةِ صَفائِحَ مِنْ نارٍ ، يُكْوَى بِها جَنْبُهُ وَجَبْهَتُهُ وَظَهْرُهُ ، فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ ، حتى يُقْضَى بينَ النَّاسِ ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ وَإنْ كانَتْ إبِلاً إلاَّ أُبْطِحَ لَها بِقاعٍ قَرْقَرٍ ، تَطَؤُهُ بِأخْفافِها » حسبته قال « وَتَعَضُّهُ بِأفْواهِها ، يَرِد أولاها على أُخْراها ، حتى يُقْضَى بينَ النَّاسِ ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ ، وَإنْ كانَتْ غَنَمًا فَمِثْلَ ذلكَ ، إلا أنَّها تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها ، وَتَطَؤُهُ بِأظْلافِها » وفى ذلك نظائر من الأخبار التى كرهنا الإطالة بذكرها ، الدلالة الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التى لم تؤدَّ الوظائف المفروضة فيها لأهلها من الصدقة ، لا على اقتنائها واكتنازها

وفيما بينا من ذلك ، البيان الواضح على أن الآية لخاصّ كما قال ابن عباس ، وذلك ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أليمٍ) يقول : هم أهل الكتاب ،

وقال : هى خاصة وعامة يعنى بقوله : هى خاصة وعامة : هى خاصة من المسلمين فيمن لم يؤدِّ زكاة ماله منهم ، وعامة فى أهل الكتاب ، لأنهم كفار لاتقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا .

يدلّ على صحة ما قلنا فى تأويل قول ابن عباس هذا ، ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا) . . . إلى قوله (هَذَا ما كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا ماكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) قال : هم الذين لايؤدّون زكاة أموالهم ، قال : وكلّ مال لاتؤدّى زكاته كان على ظهر الأرض ، أو فى بطنها فهو كنز ، وكل مال تؤدّى زكاته فليس بكنز ، كان على ظهر الأرض أو فى بطنها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ) قال : الكنز : ما كنز عن طاعة الله وفريضته ، وذلك الكنز ، وقال : افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما . وإنما قلنا ذلك على الخصوص ، لأن الكنز فى كلام العرب : كلّ شىء مجموع بعضه على بعض فى بطن الأرض كان أو على ظهرها ، يدلّ على ذلك قول الشاعر :

لا دَرَّ دَرِّىَ إنْ أطْعَمْتُ نازِلَهُمْ قِرْفَ الحَتِىِّ وَعِنْدِى البُرُّ مَكْنُوزُ[١]

يعنى بذلك : وعندى البرّ مجموع بعضه على بعض ، وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع : مكتنز ، لانضمام بعضه إلى بعض . وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم ، وكان قوله (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ) معناه : والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض (وَلا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ) وهو عامّ فى التلاوة ، لم يكن فى الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة ، الذى إذا جمع بعضه إلى بعض استحقّ الوعيد ، كان معلوما أن خصوص ذلك إنما أدرك بوقف الرسول عليه ، وذلك كما بينا من أنه المال الذى لم يؤدّ حقّ الله منه من الزكاة ، دون غيره ، لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته .

وقد كان بعض الصحابة يقول : هى عامة فى كلّ كنز ، غير أنها خاصة فى أهل الكتاب ، وإياهم عنى الله بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررت بالرَّبَذَة ، فلقيت أبا ذرّ ، فقلت : يا أبا ذرّ ، ما أنزلك هذه البلاد ؟ قال : كنت بالشأم ، فقرأت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ) . . . الآية ، فقال معاوية : ليست هذه الآية فينا ، إنما هذه الآية فى أهل الكتاب ، فقال : فقلت : إنها لفينا وفيهم ، قال : فارتفع فى ذلك بينى وبينه القول ، فكتب إلى عثمان يشكونى ، فكتب إلىّ عثمان أن أقبل إلىّ ، قال : فأقبلت ؛ فلما قدمت

(١) البيت لبعض الهذليين ، أورده صاحب اللسان فى (حتا) قال : والحتىّ ، على فعيل : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه . قال الهذلى . . . البيت . والقرف بكسر القاف : القشر ، والقرفة : القشرة . يريد أنه لا يطعم ضيفانه إذا نزلوا به ، الخبز المتخذ من قشر الحتى ، مع أن البر كثير عنده مكدس بعضه على بعض ، فذلك لؤم لا يرضاه لنفسه .

المدينة ركبنى الناس، كأنهم لم يرونى قبل يومئذ . فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال لى : تنحَّ قريبا ، قلت : والله لن أدع ما كنت أقول .

حدثنا أبو كريب وأبوالسائب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررنا بالربذة ، ثم ذكر عن أبى ذرّ نحوه .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشعث وهشام ، عن أبى بشر ، قال : قال أبوذرّ : خرجت إلى الشام، فقرأت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلايُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ) فقال معاوية : إنما هى فى أهل الكتاب ، قال : فقلت : إنها لفينا وفيهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررت بالربذة ،فإذا أنا بأبى ذرّ ، قال : قلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام ، فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ) قال : فقال : نزلت فى أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين .

فإن قال قائل : فكيف قيل (وَلا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ) فأخرجت الهاء والألف مخرج الكناية عن أحد النوعين . قيل : يحتمل ذلك وجهين : أحدهما :أن يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز ، كأنه قيل (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ) الكنوز (وَلا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ) لأن الذهب والفضة هى الكنوز فى هذا الموضع . والآخر :أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما فى عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها ، وذلك كثير موجود فى كلام العرب وأشعارها ، ومنه قول الشاعر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْىُ مُخْتَلِفُ [1]

فقال : راضٍ ، ولم يقل : راضون ، وقال الآخر :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـــوَدَ ما لَمْ يُعاصَ كانَ جُنُونا [2]

فقال :يُعاصَ ، ولم يقل : يعاصيا ،فى أشياء كثيرة ، ومنه قول الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) ولم يقل : إليهما .

(١) البيت لقيس بن الخطيم ، وهو التاسع والخمسون من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٣٨) قال الأعلم فى شرحه للبيت : استشهد به مقويا لما جاز من حذف المفعول الذى هو فضلة مستغنى عنها فى قولهم : ضربت وضربنى زيد ، لأنه حذف فى البيت خبر المبتدأ الأول الذى هو محتاج إليه ، لايتمّ الكلام إلا به ، وجاز هذا الحذف لأن خبر المبتدأ الثانى دال عليه ، إذ كان معناه كمعناه ، والتقدير : نحن راضون وأنت راض . وهذا يقوى مذهب سيبويه فى تقدير الحذف من الأول فى قوله عزوجل : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، لأن قوله « راض » لا يكون خبرا البتة لنحن ، ولا من تقدير حذف خبره ضرورة .

(٢) البيت لحسان بن ثابت (حماسة البحترى طبع بيروت ص ١٩٨) . وديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٥١ من مقطوعة له سبعة أبيات ، وهو أولها . وشرخ الشباب : أوله . والشاهد فى البيت أن قوله مالم يعاص ، راجع إلى الشعر الأسود وحده ، وإلا لقال : مالم يعاصيا . فحذف هذا القيد من الأول ، وأبقاه مع الثانى .

القول فى تأويل قوله

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فى نارِ جَهَنَّمَ) فاليوم من صلة العذاب الأليم ، كأنه قيل : يبشرهم بعذاب أليم ، يعذّبهم الله به فى يوم يحمى عليها ، ويعنى بقوله (يُحْمَىٰ عَلَيْهَا) تدخل النار فيوقد عليها : أى على الذهب والفضة التى كنزوها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وكل شىء أدخل النار ، فقد أحمى إحماء ، يقال منه : أحميت الحديدة فى النار أُحميها إحماء . وقوله (فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ) يعنى بالذهب والفضة المكنوزة ، يحمى عليها فى نار جهنم ، يكوى الله بها ، يقول : يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم (هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ) ومعناه : ويقال لهم : هذا ما كنزتم فى الدنيا أيها الكافرون ، الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم (فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) يقول : فيقال لهم : فأطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها ، مكاثرة ومباهاة ، وحذف من قول هذا ما كنزتم ، ويقال لهم لدلالة الكلام عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن حُميد بن هلال ، قال : كان أبوذرّ يقول : بشر الكنازين بكيّ فى الجباه ، وكيّ فى الجنوب ، وكيّ فى الظهور ، حتى يلتقى الحرّ فى أجوافهم .

قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن الجريرى ، عن أبى العلاء بن الشِّخِّير ، عن الأحنف بن قيس ، قال : قدمت المدينة ، فبينا أنا فى حلقة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجل خشن الثياب ، خشن الجسد ، خشن الوجه ، فقام عليهم ، فقال بشِّر الكنازين برَضْف يحمى عليه فى نار جهنم ، فيوضع على حلمة ثدى أحدهم ، حتى يخرج من نغض كتفه ، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل ، قال : فوضع القوم رءوسهم ، فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا ، قال : وأدبر فاتبعته ، حتى جلس إلى سارية ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلتَ ، فقال : إن هؤلاء لايعقلون شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنى عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة الجملىّ ، عن أبى نصر عن الأحنف بن قيس ، قال : رأيت فى مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب ، رثّ الهيئة ، يطوف فى الحلَق وهو يقول : بشر أصحاب الكنوز بكيّ فى جنوبهم ، وكيّ فى جباههم ، وكيّ فى ظهورهم ، ثم انطلق وهو يتذمّر يقول : ما عسى تصنع بى قريش ؟ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبو ذرّ : بشر أصحاب الكنوز بكيّ فى الجباه ، وكيّ فى الجنوب ، وكيّ فى الظهور .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نارِ جَهَنَّمَ) قال : حية تنطوى على جبينه وجبهته ، تقول : أنا مالك الذى بخلت به .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن معدان بن أبى طلحة ، عن ثوْبان ، أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعاً أقْرَعَ لَهُ زَبِيبتانِ ، يَتْبَعُهُ يَقُولُ : وَيْلَكَ ما أنْتَ ؟ فيَقُولُ : أنا كَنْزُكَ الذِى تَرَكْتَهُ بَعْدَكَ ، فَلا يَزالُ يَتْبَعُهُ حتى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَها ، ثُمَّ يَتْبَعُهُ سائِرَ جَسَدِهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن طاوس ، عن أبيه ، قال : بلغنى أن الكنوز تتحوّل يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه ، وهو يفرّ منه ويقول : أنا كنزك لايدرك منه شيئا إلا أخذه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : والذى لاإله غيره ، لايكوى عبد بكنز فيمسّ دينار دينارا ، ولا درهم درهما ، ولكن يوسع جلده ، فيوضع كلّ دينار ودرهم على حدته .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : ما من رجل يكوى بكنز ، فيوضع دينار على دينار ، ولا درهم على درهم ، ولكن يوسع جلده .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ، وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ، وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : إنّ عِدَّةَ شهور السنة عند الله اثنا عَشَرَ شَهْرًا فى كِتابِ الله الذى كتب فيه كلّ ما هو كائن فى قضائه الذى قضى (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ) يقول : هذه الشهور الاثنا عشر ، منها أربعة أشهر حرم ، كانت الجاهلية تعظمهن وتحرّمهن ، وتحرّم القتال فيهنّ ، حتى لو لقى الرجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يَهِجْه ، وهن : رجب مضر ، وثلاثة متواليات : ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرّم ، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا زيد بن الحُباب ، قال : ثنا موسى بن عبيدة الرَّبَذِىّ

قال : ثنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمِنًى فى أوسط أيام التشريق ، فقال : « يا أيُّها النَّاسُ ، إنَّ الزَّمانَ قَدِ استَدارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، أَوَّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَرَ ، بينَ جُمادَى وشَعْبانَ ، وذُو القَعْدَةِ ، وذُو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ » .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : ثنا روح ، قال : ثنا أشعث ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الزَّمانَ قَدِ استَدارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ ، ورَجَبُ مُضَرَ بينَ جُمادَى وشَعْبانَ »

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى بكرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع ، فقال : « ألا إنَّ الزَّمانَ قَدِ استَدارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَتا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ : ذُو القِعْدَةِ ، وذُو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ، ورَجَبُ مُضَرَ الَّذِى بينَ جُمادَى وشَعْبانَ »

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، قال : ثنى رجل بالبحرين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته فى حجة الوداع : « ألا إنَّ الزَّمانَ قَدِ استَدارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، وإنَّ عِدَّةَ الشهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ : ذُو القِعْدَةِ ، وذُو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ، ورَجَبٌ الَّذِى بينَ جُمادَى وشَعْبانَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبى نجيح ، قوله : (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) إن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ : ذُو القِعْدَةِ ، وذُو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ، ورَجَبُ الَّذِى بينَ جُمادَى وشَعْبانَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم منًى : « ألا إنَّ الزَّمانَ قَدِ استَدارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ، وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ ذُو القِعْدَةِ ، وذُو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ، ورَجَبُ مُضَرَ الَّذِى بينَ جُمادَى وشَعْبانَ » . وهو قول عامة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ

حُرُمٌ) أما أربعة حرم : فذو القِعدة ، وذو الحِجة، والمحرّم ، ورجب . وأما كتاب الله : فالذى عنده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) قال : يعرف بها شأن النسىء ما نقص من السنة .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قول الله (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ) قال :يذكر بها شأن النسىء .

وأما قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) . فإن معناه : هذا الذى أخبرتكم به ، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، وأن منها أربعة حرماً : هو الدين المستقيم .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) يقول : المستقيم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) قال: الأمر القيم ، يقول : قال تعالى : واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، فى كتاب الله الذى كتب فيه كل ما هو كائن ،وإن من هذه الاثنى عشر شهرا، أربعة أشهر حرما، ذلك دين الله المستقيم ، لاما يفعله النسىء من تحليله ما يحلل من شهور السنة ، وتحريمه مايحرمه منها .

وأما قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فإن معناه: فلا تعصُوا الله فيها ، ولا تُحِلوا فيهن ماحرّم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم مالاقِبَل لها به من سخط الله وعقابه .

كما حدثنى يونس ، قال : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : الظلم : العمل بمعاصى الله ، والترك لطاعته .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذى عادت عليه الهاء والنون فى قوله (فِيهِنَّ) ، فقال بعضهم : عاد ذلك على الاثنى عشر شهرا ، وقال : معناه : فلا تظلموا فى الأشهر كلها أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ،ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فى كلهن،ثم خصّ من ذلك أربعة أشهر ، فجعلهن حُرُما ،وعظم حرماتهن ،وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : فى الشهور كلها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا فى الأربعة الأشهر الحرُم أنفسكم، والهاء والنون عائدة على الأشهر الأربعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ،قال : ثنا سعيد،عن قتادة ، أما قوله (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فان الظلم فى الأشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها ،وإن كان الظلم على كل حال عظيما ،ولكن الله يعظم من أمره ما شاء ،وقال : إن الله اصطفى صفايا من خلقه ،اصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكرَه ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان ، والأشهرَ الحرُم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالى ليلة القدر ، فعظموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا فى تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالا ، وحلالها حراما أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا) . . . إلى قوله (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) : أى لاتجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، كما فعل أهل الشرك ،فإنما النسىء الذى كانوا يصنعون من ذلك زيادة فى الكفر يضلّ به الذين كفروا . . . الآية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : ظلم أنفسكم : أن لاتحرّموهن كحرمتهن .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ابن علىّ (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : ظلم أنفسكم ألا تحرموهنّ كحرمتهن .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، بنحوه .

* قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : فلا تظلموا فى الأشهر الأربعة أنفسكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظَّم حرمتها .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب فى ،تأويله لقوله (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع مابين الثلاثة إلى العشرة ، وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة : إذا كَنَتْ عنه : فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين ، قالت : فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت ، فكان فى قوله جلّ ثناؤه (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) وإخراجه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل ،من الثلاثة إلى العشرة ، الدليل الواضح ،على أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة ،دون الاثنى العشر لأن ذلك لو كان كناية عن الاثنى عشر شهرا لكان : فلا تظلموا فيها أنفسكم .

فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثنى عشر ،وإن كان الذى ذكرت هو المعروف

فى كلام العرب ، فقد علمت أن المعروف من كلامها إخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر بالهاء، دون النون وقد قال الشاعر :

أَصْبَحْنَ فِي قُرْحٍ وفِي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا[1]

ولم يقل : معلوفاتهن ، وذلك كناية عن السبع ؟ قيل : إن ذلك وإن كان جائزا فليس الأفصح الأعرف فى كلامها ، وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعرف ، أولى من توجيهه إلى الأنكر .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة ؟ قيل : ليس ذلك كذلك ، بل ذلك حرام علينا فى كل وقت وزمان ، ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرّفهن على سائر شهور السنة، فخصّ الذنب فيهنّ بالتعظيم ، كما خصهنّ بالتشريف ، وذلك نظير قوله (حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى) ولا شكّ أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله (حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ) ولم يبح ترك المحافظة عليهنّ بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما ، وعلى المحافظة عليها توكيدا ، وفى تضييعها تشديدا ، فكذلك ذلك فى قوله (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) .

وأما قوله (وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) فإنه يقول جلّ ثناؤه : وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعا ، مجتمعين غير متفرّقين .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، ن السدىّ (وقاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كافَّةً) أما كافة فجميع ، وأمركم مجتمع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً) يقول : جميعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً) : أى جميعا . والكافّة فى كلّ حال على صورة واحدة لاتذكّر ولا تجمع ، لأنها وإن كانت بلفظ فاعلة ، فإنها فى معنى المصدر ، كالعافية والعاقبة، ولا تدخل العرب فيها الألف واللام ، لكونها آخر الكلام مع الذى فيها من معنى المصدر ، كما لم يدخلوها ، إذا قالوا قاموا معا ، وقاموا جميعا .

---

(١) البيت فى اللسان (قرح) غير منسوب ، قال : وأما قول الشاعر :

حُبِسْنَ فِي قُرْحٍ وفِي دَارَتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا

فهو اسم وادى القرى . وقرح أيضا : اسم موضع فيه سوق وادى القرى . ولعله أراد الأول . ونسب الفراء البيت لأبى القمقام الفقعسى ، وقال : (ص ١٢٧ مصورة جامعة القاهرة) ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة : هن وهؤلاء . فإذا جزت العشرة قالوا : هى وهذه ، إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير ، ويجوز فى كل واحد ما جاز فى صاحبه ، قال أبو القمقام الفقعسى : أصبحن . . . البيت ولم يقل معلوفاتهن وهن سبع ، وكل ذلك صواب ، إلا أن المؤثر ما فسرت لك . ومثله (وقال نسوة فى المدينة) فذكر الفعل لقلة النسوة ، ووقوع هؤلاء عليهن ، كما يقع على الرجال ، ومنه قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولم يقل : انسلخت ، وكل صواب ، وقال تعالى « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك » لقلتهن ، و يقل تلك ، ولو لم قيلت كان صوابا .

وأما قوله (وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ) فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم إن قاتلتم المشركين كافَّة ، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ، ولم تخالفوا أمره فتعصوه ، كان الله معكم على عدوّكم وعدوّه من المشركين ، ومن كان الله معه لم يغلبه شيء ، لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه .

القول فى تأويل قوله

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٧)

❁ يقول تعالى ذكره : ما النسيء إلا زيادة فى الكفر . والنسيء مصدر ، من قول القائل : نسأت فى أيامك ، ونسأ الله فى أجلك : أى زاد الله فى أيام عمرك ، ومدة حياتك ، حتى تبقى فيها حيًّا ، وكلّ زيادة حدثت فى شيء ، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ، ولذلك قيل للبن إذا كثِّر بالماء نسيء ، وقيل للمرأة الحبلى نَسُوء ، ونسئت المرأة ، لزيادة الولد فيها ؛ وقيل : نسأت الناقة وأنسأتها : إذا زجرتها ليزداد سيرها ، وقد يحتمل أن النسيء فعيل ، صرف إليه من مفعول ، كما قيل : لعين وقتيل ، بمعنى : ملعون ومقتول ، ويكون معناه : إنما الشهر المؤخر زيادة فى الكفر ؛ وكأن القول الأوّل أشبه بمعنى الكلام ، وهو أن يكون معناه : إنما التأخير الذى يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة ، وتصييرهم الحرام منهنّ حلالا ، والحلال منهنّ حراما ، زيادة فى كفرهم وجحودهم أحكامَ الله وآياته ، وقد كان بعض القرّاء يقرأ ذلك (إنَّمَا النَّسِيّ) بترك الهمز وترك مده (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة الكوفيين (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يضلّ الله بالنسيء الذى ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (يَضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقا يسلكونه إلى مرضاته الذين كفروا . وقد حُكى عن الحسن البصرى (يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يضلّ بالنسيء الذى سنه الذين كفروا الناس .

❁ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : هما قراءتان مشهورتان ، قد قرأت بكلّ واحدة القرّاء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به ، وهما متقاربتا المعنى ، لأن من أضله الله فهو ضالّ ، ومن ضلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ ، فبأيّهما قرأ القارئ فهو للصواب فى ذلك مصيب . وأما الصواب من القراءة فى النسيء ، فالهمز ، وقراءته على تقدير فعيل ، لأنها القراءة المستفيضة فى قَرَأَة الأمصار ، التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه .

وأما قوله (يُحِلُّونَهُ عاماً) فإن معناه : يحلّ الذين كفروا النسىء ، والهاء فى قوله (يُحِلُّونَهُ) عائدة عليه .

ومعنى الكلام : يحلون الذين أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم عاما ، ويحرّمونه عاما (لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ) يقول : ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور ، وتحريمهم ما حرّموا منها ، عدّة ما حرّم الله (فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أعمالِهِمْ) يقول : حسن لهم ، وحبّب إليهم سيّ أعمالهم وقبيحها ، وما خولف به أمر الله وطاعته (وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الكافِرِينَ) يقول : والله لايوفّق لمحاسن الأفعال وحلها ، وما لله فيه رضا ، القوم الجاحدين توحيده ، والمنكرين نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) قال : النسىء : هو أن جنادة بن عوف بن أمية الكنانى كان يوافى الموسم كل عام ، وكان يكنى أبا ثمامة ، فينادى : ألا إن أبا ثمامة لايحاب ولا يعاب ، ألا وإن صفر العام الأوّل حلال ، فيحلّ الناس ، فيحرّم صفر عاما ، ويحرّم المحرّم عاما ، فذلك قوله تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) . . . إلى قوله (الكافِرِينَ) . وقوله (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) يقول : يتركون المحرّم عاما ، وعاما يحرّمونه .

قال أبو جعفر : وهذا التأويل من تأويل ابن عباس ، يدلّ على صحة قراءة من قرأ النسىّ بترك الهمز ، وترك المدّ ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه فعل من قول القائل : نسيت الشىء أنساه ، ومن قول الله (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ) بمعنى : تركوا الله فتركهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) قال : فهو المحرّم كان يحرّم عاما وصفر عاما ، وزيد صفر آخر فى الأشهر الحرم ، وكانوا يحرّمون صفرا مرّة ، ويحلونه مرّة ، فعاب الله ذلك ، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى وائل (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) قال : كان النسىء رجلا من بنى كنانة ، وكان ذا رأى فيهم ، وكان يجعل سنة المحرّم صفرا ، فيغزون فيه فيغنمون فيه ، ويصيبون ، ويحرّمه سنة .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى وائل (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ (. . . الآية ، وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسىء ، فكان يجعل المحرّم صفر ، ويستحلّ فيه الغنائم ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : كان رجل من بنى كنانة يأتى كلّ عام فى الموسم على حماره، فيقول: أيها الناس إنى لاأعاب ولاأجاب، ولا مردّ لما أقول إنا قد حرّمنا المحرّم ، وأخرنا صفر ، ثم يجىء العام المقبل بعده ، فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرمنا صفر ، وأخرنا المحرّم ، فهو قوله (لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ) قال: يعنى الأربعة ، فيحلوا ما حرّم الله لتأخير هذا الشهر الحرام .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ) النسيء : المحرّم، وكان يحرّم المحرّم عاما ، ويحرّم صفر عاما ، فالزيادة صفر ، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرّم ، فيحلوا ما حرّم الله ، وكانت هوازن وغطفان وبنوسليم يعظمونه ، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فى الكُفْرِ) . . . إلى قوله (الكافِرِين) عمَد أناس من أهل الضلالة ، فزادوا صفرا فى الأشهر الحرم ، فكان يقوم قائمهم فى الموسم ، فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرّم ، فيحرّمونه ذلك العام ، ثم يقوم فى العام المقبل فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرّمت صفر ، فيحرّمونه ذلك العام ، وكان يقال لهما : الصفران . قال : فكان أوّل من نسأ النسيء بنومالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة [١] أبوثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحارث . ثم أحد بنى كنانة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ) قال : فرض الله الحجّ فى ذى الحجة ، قال : وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحِجة ، والمحرّم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوّال ، وذو القَعدة ، وذو الحِجة ، يحجون فيه مرّة ، ثم يسكتون عن المحرّم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذا القعدة شوّالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرّم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون فى كل شهر عامين ، حتى وافق حجة أبى بكر رضى الله عنه الآخر من العامين فى ذى القعدة ، ثم حجّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حجته التى حجّ ، فوافق ذا الحجة ، فذلك حين يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم فى خطبته : « إِنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ) قال : حجوا فى ذى الحجة عامين ، ثم حجوا فى المحرّم عامين ، ثم حجوا فى صفر عامين ، فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبى بكر الآخر

(١) كذا فى الدر أيضا ، ولم يذكر الثلاثة ، وقد تقدم أن اسم أبى ثمامة : جنادة فحرر .

من العامين فى ذى القعدة قبل حجة النبىّ صلى الله عليه وسلم بسنة ، ثم حجّ النبىّ صلى الله عليه وسلم من قابل فى ذى الحجة ، فذلك حين يقول النبىّ صلى الله عليه وسلم فى خطبته : « إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبى مالك (إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ، فيجعلون المحرّم صفرا ، فيستحلون فيه الحرمات ، فأنزل الله (إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) . . . الآية . قال : هذا رجل من بنى كنانة يقال له القلمس ، كان فى الجاهلية ، وكانوا فى الجاهلية لايغير بعضهم على بعض فى الشهر الحرام ، يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمدّ إليه يده ؛ فلما كان هو ، قال : اخرجوا بنا ، قالوا له هذا المحرم ، فقال : ننسئه العام ، هما العام : صفران ، فاذا كان عام قابل قضينا ، فجعلناهما محرمين ، قال : ففعل ذلك ؛ فلما كان عام قابل ، قال : لاتغزوا فى صفر حرّموه مع المحرّم ، هما محرّمان : المحرّم أنسأناه عاما أوّل ، ونقضيه ذلك الإنساء ؛ وقال شاعرهم :

وَمِنَّا مُنْسِىءُ الشَّهْرِ القَلَمَّسُ[1]

وأنزل الله (إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فى الكُفْرِ) . . . إلى آخر الآية .

وأما قوله (زِيادَةٌ فِى الكُفْرِ) فإن معناه : زيادة كفر بالنسىء إلى كفرهم بالله ، وقيل ابتداعهم النسىء .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فى الكُفْرِ) يقول : ازدادوا به كفرا إلى كفرهم .

وأما قوله (لِيُوَاطِئُوا) فإنه من قول القائل : واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة : إذا وافقته عليه ، معينا له ، غير مخالف عليه .

ورُوى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ) يقول : يشبهون ، وذلك قريب المعنى مما بيّنا ، وذلك أن ماشابه الشىء فقد وافقه من الوجه الذى شابهه .

وإنما معنى الكلام : أنهم يوافقون بعدة الشهور التى يحرّمونها عدة الأشهر الأربعة التى حرّمها الله ، لايزيدون عليها ، ولا ينقصون منها ، وإن قدّموا وأخّروا فذلك مواطأة عدّتهم ، عدّة ما حرّم الله .

---

(١) لم أقف على قائل البيت . وقد أورده القرطبى فى تفسيره (مجلد ٨ : ١٣٨) وقال الفراء فى معانى القرآن (ص ١٢٧ مصورة جامعة القاهرة) : كانت العرب فى الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى ، قدم رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة ، وكان رئيس الموسم ، فيقول : أنا الذى لا أعاب ولا أجاب ، ولا يرد لى قضاء ؛ فيقولون : صدقت ؛ أنسئنا شهرا ، يريدون : أخر عنا حرمة المحرم ، واجعلها فى صفر ، وأحل المحرم . فيفعل ذلك ، وإنما دعاهم إلى ذلك ، توالى ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ، وإنما كان معاشهم من الإغارة . فيفعل ذلك عاما ، ثم يرجع إلى المحرم ، فيحرمه ويحل صفرا ، فذلك الإنساء .

القول فى تأويل قوله

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) ﴾

۞ وهذه الآية حثّ من الله جلّ ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبُوك ، يقول جلّ ثناؤه : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (مالَكُمْ) أىّ شىء أمركم ؟ (إذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) يقول : إذا قال لكم رسول الله محمد : انفروا : أى اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم . وأصل النفر : مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك ، ومنه نفور الدابة ، غير أنه يقال من النفر إلى الغزو : نفر فلان إلى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا ، وأحسب أن هذا من الفروق التى يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه ، وإن اتفقت معانى الخبر ، فمعنى الكلام : مالكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم : اخرجوا غزاة فى سبيل الله : أى فى جهاد أعداء الله (اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ) يقول تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها . وقيل : اثّاقلتم لأنه أدغم التاء فى الثاء ، فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها ، لأن التاء مدغمة فى الثاء ، ولو أسقطت الألف وابتدئ بها لم تكن إلا متحركة ، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها ، كما قال جلّ ثناؤه (حَتَّى إذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا) وكما قال الشاعر :

تُولِى الضَّجِيعَ إذَا مَا اسْتَافَهَا خَصِرًا عَذْبَ المَذَاقِ إذَا مَا اتَّابَعَ القُبَلُ [١]

فهو بنى الفعل افتعلتم من التثاقل .

وقوله (أَرَضِيتُمْ بالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ) يقول جلّ ثناؤه : أرضيتم بحظّ الدنيا والدعة فيها ، عوضا من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين فى جنانه (فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ) يقول : فما الذى يستمتع به المتمتعون فى الدنيا من عيشها ولذّاتها فى نعيم الآخرة والكرامة ، التى أعدّها الله لأوليائه ، وأهل طاعته (إلاَّ قَلِيلٌ) يسير ، يقول لهم : فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة ، وترف الكرامة التى عند الله لأوليائه بطاعته ، والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره فى النفير لجهاد عدوّه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مالَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ) أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح

---

(١) لم أقف على قائله . وتولى : تعطى وتمنح . والضجيع : من ينام معها فى فراشها . واستافها : شمها أو قبلها ، وخصرا : باردا ، يريد ثغرها . واتابع : أصله : تتابع ، أدغم المثلان المتحركان ، فاحتيج إلى ألف الوصل ، ومثله : اثاقل وادارك ، أدغم فيهما المتقاربان واجتلبت الألف لتيسير النطق . والبيت من شواهد الكسائى ، أنشده الفراء فى (معانى القرآن : ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة).

وبعد الطائف ، وبعد حنين ، أُمروا بالنفير فى الصيف حين خُرِفت النخل وطابت الثمار ، واشتهُوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ) . . . الآية ، قال : هذا حين أُمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين ، وبعد الطائف أمرهم بالنفير فى الصيف ، حين اختُرفت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهُوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج ؛ قال : فقالوا : منا الثقيل ، وذو الحاجة والضَّيعة والشغل ، والمنتشر به أمره فى ذلك كله ، فأنزل الله (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) .

القول فى تأويل قوله

إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ، متوعِّدهم على ترك النفْر إلى عدوّهم من الروم : إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله ، يعذّبكم الله عاجلا فى الدنيا ، بتركِكم النفر إليهم ، عذابا موجِعا (وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) يقول : يستبدل الله بكم نبيَّه قوما غيركم ، ينفرون إذا استُنفروا ، ويجيبونه إذا دعُوا ، ويطيعون الله ورسوله (وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً) يقول : ولا تضرّوا الله بتركِكم النفير ، ومعصيتكم إياه شيئا ، لأنه لا حاجة به إليكم ، بل أنتم أهل الحاجة إليه ، وهو الغنىّ عنكم ، وأنتم الفقراء : (وَاللهُ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) . يقول جلّ ثناؤه : والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم ، وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير ، وقد ذكر أن العذاب الأليم فى هذا الموضع ، كان احتباس القطر عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن الحُباب ، قال : ثنى عبد المؤمن بن خالد الحنفىّ ، قال : ثنى نجدة الخراسانىّ ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب ، فتثاقلوا عنه ، فأمسك عنهم المطر ، فكان ذلك عذابهم ، فذلك قوله (إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن نجدة ، قال : سألت ابن عباس ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) : استنفر الله المؤمنين فى لَهَبان الحرّ فى غزوة تبوك قِبَلَ الشأم على ما يعلم الله من الجهد .

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالا : قال (إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) وقال (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) . . . إلى قوله (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فنسخها الآية التى تلتها (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)

❊ قال أبو جعفر : ولا خبر بالذى قال عكرمة والحسن ، من نسخ حكم هذه الآية التى ذكروا ، يجب التسليم له ، ولا حجة تأتى بصحة ذلك ، وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد ، وجائز أن يكون قوله (إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) لخاصّ من الناس ، ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس . وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) نهيا من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها ، وإعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض ، وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن فى إحدى الآيتين نسخ للأخرى ، وكان حكم كلّ واحدة منهما ماضيا فيما عُنيت به .

القول فى تأويل قوله

إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

❊ وهذا إعلام من الله أصحابَ رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله ، على أعداء دينه ، وإظهاره عليهم دونهم ، أعانوه أو لم يعينوه ، وتذكير منه لهم فعل ذلك به ، وهو من العدد فى قلة ، والعدوّ فى كثرة ، فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدوّ فى قلة ، يقول لهم جلّ ثناؤه : إلا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولى إذا استنفركم ، فتنصروه ، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ، ومغنيه عنكم ، وعن معونتكم ونصرتكم ، كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) يقول : أخرجوه وهو أحد الاثنين : أى واحد من الاثنين ، وكذلك تقول العرب « هو ثانِيَ اثْنَيْنِ » يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ، ورابع أربعة ، يعنى : أحد الثلاثة ، وأحد الأربعة ، وذلك خلاف قولهم : هو أخو ستة ، وغلام سبعة ، لأن الأخ والغلام غير الستة والسبعة ، وثالث الثلاثة : أحد الثلاثة ، وإنما عَنَى جلّ ثناؤه بقوله (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ، رضى الله عنه ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من

قريش ، إذ همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،واختفيا فى الغار . وقوله (إِذْ هُما فِى الغارِ) :يقول : إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه فى الغار . والغار : النقب العظيم يكون فى الجبل. (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) :يقول : إذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر (لا تَحْزَنْ) وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تَحْزَنْ ،لأنَّ اللهَ مَعَنا ، وَاللهُ ناصِرُنا ، فَلَنْ يَعْلَمَ المُشْرِكُونَ بِنا ، وَلَنْ يَصِلُوا إلَيْنا» . يقول جلّ ثناؤه : فقد نصره الله على عدوّه ، وهو بهذه الحال من الخوف ،وقلة العدد ،فكيف يخذله ،ويحوجه إليكم ، وقد كثَّر الله أنصاره ، وعدد جنوده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ) ذكر ما كان فى أوّل شأنه حين بعثه ،يقول الله : فأنا فاعل ذلك به وناصره ، كما نصرته إذ ذاك وهو ثانى اثنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ) قال : ذكر ما كان فى أوّل شأنه حين بعث ، فالله فاعل به كذلك ،ناصره كما نصره إذ ذاك (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الغارِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ) . . . الآية ، قال : فكان صاحبه أبو بكر . وأما الغار : فجبل بمكة ، يقال له : ثور .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : لما خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ،وكان لأبى بكر مَنِيحة من غنم ،تروح على أهله ، فأرسل أبو بكر عامر بن فُهَيْرة فى الغنم إلى ثور ، وكان عامر بن فُهَيْرة يروح بتلك الغنم على النبىّ صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور ، وهو الغار الذى سماه الله فى القرآن .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطىّ ، قال : ثنا عفان وحبان ، قالا : ثنا همام ، عن ثابت ، عن أنس أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم ، قال : « بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وأقدامُ المشركين فوق رءوسنا ، فقلت : يا رسول الله ! لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا ، فقال : يا أبابكرٍ : ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثالِثُهُما ؟ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، قال : مكث أبو بكر مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (إِذْ هُما فِى الغارِ) : قال : فى الجبل الذى يسمى ثورا ، مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبيه ، أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه ، حين خطب قال: أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ قال رجل: أنا ، قال : اقرأ ، فلما بلغ (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ) بكى أبو بكر ، وقال : أنا والله صاحبه .

القول فى تأويل قوله

(فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا ، وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره : فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله ، وقد قيل : على أبى بكر، (وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) يقول: وقوّاه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم . (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وهى كلمة الشرك (السُّفْلَى) لأنها قُهرت وأذلت، وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها ، وكلّ مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب ، والغالب هو الأعلى . (وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا): يقول : ودين الله وتوحيده ، وقول : لاإله إلا الله ، وهى كلمته العليا على الشرك وأهله ، الغالبة .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) وهى : الشرك بالله (وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا) وهى : لاإله إلا الله .

وقوله (وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا) خبر مبتدأ غير مردود على قوله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) لأن ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الأولى لكان نصبا .

وأما قوله (وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فإنه يعنى : والله عزيز فى انتقامه من أهل الكفر به ، لايقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، ولا ينصر من عاقبه ناصر ، حكيم فى تدبيره خلقَه ، وتصريفه إياهم فى مشيئته .

القول فى تأويل قوله

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ، وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)

اختلف أهل التأويل فى معنى الخفة والثقل ، اللذَين أمر الله من كان به أحدهما بالنَّفْر معه ، فقال بعضهم : معنى الخفة التى عناها الله فى هذا الموضع : الشباب ، ومعنى الثقل : الشيخوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ، فى قوله (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً) قال : شِيبا وشُبانا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : شيوخا وشبانا .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عليّ بن زيد ، عن أنس ، عن أبي طلحة (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : كهولا وشبانا ، ما أسمع الله عذَرَ أحدا ، فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة بن النعمان ، قال : كان رجل من النخَع وكان شيخا بادِنا ، فأراد الغزو ، فمنعه سعد بن أبي وقاص ، فقال : إن الله يقول (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) ، فأذن له سعد ، فقتل الشيخ ، فسأل عنه بعدَ عمر ، فقال : ما فعل الشيخ الذى كان[1] من بنى هاشم ؟ فقالوا : قُتِل يا أمير المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : الشاب والشيخ .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن مالك بن مِغْول ، عن إسماعيل ، عن عكرمة ، قال : الشاب والشيخ .

قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك : كهولا وشبانا .

قال : ثنا حَيْوة أبو يزيد ، عن يعقوب القُمىّ ، عن جعفر بن حميد ، عن بشر بن عطية : كهولا وشبانا

حدثنا الوليد ، قال : ثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل ابن حيان ، فى قوله (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : شبانا وكهولا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : شبابا وشيوخا ، وأغنياء ومساكين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : شيوخا وشبانا .

حدثنى سعيد بن عمرو ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنى حبان بن زيد الشرعبىّ ، قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان واليا على حمص ، قِبَل الأفسوس إلى الجراجمة ، فلقيت شيخا كبيرا هِمًّا ، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت عليه فقلت : يا عمّ لقد أعذر الله إليك ، قال : فرفع حاجبيه فقال : يا بن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا ، من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده فيبقيه ، وإنما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ، ولم يعبد إلا الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : كل شيخ وشاب .

وقال آخرون : معنى ذلك مشاغيل ، وغير مشاغيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم ، فى قوله (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : مشاغيل ، وغير مشاغيل .

وقال آخرون : معناه : انفروا أغنياء وفقراء .

---

(١) لعله : مولى بنى هاشم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عمن ذكره ، عن أبى صالح (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : أغنياء وفقراء .

وقال آخرون : معناه : نِشاطا ، وغير نِشاط .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (انفِروا خِفافاً وَثِقالاً) يقول : انفروا نِشاطا : وغير نِشاط .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خِفافاً وَثِقالاً) قال : نِشاطا ، وغير نِشاط .

وقال آخرون : معناه : رُكبانا ومُشاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : قال أبوعمرو : إذا كان النفْر إلى دروب الشأم ، نفر الناس إليها خِفافا ركبانا ، وإذا كان النفر إلى هذه السواحل ، نفروا إليها خِفافا وثِقالا ، رُكْبانا ومُشاة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ذا ضَيْعة ، وغير ذى ضيعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) قال : الثقيل الذى له الضيعة ، فهو ثقيل ، يكره أن يضيع ضيعته ويخرج ، والخفيف الذى لاضيعة له ، فقال الله : (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمىّ أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا ، فيقول : إنى أحسبه قال : أنا لا آثم ، فأنزل الله (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : شهد أبوأيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو فى أخرى إلا عاما واحدا ، وكان أبو أيوب يقول (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) فلا أجدنى إلا خفيفا أو ثقيلا .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا جرير ، عن عثمان ، عن راشد بن سعد ، عمن رأى المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص ، وقد فضل عنه من عظمه ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أتت علينا سورة البعوث (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) .

حدثنا سعيد بن عمرو السَّكونىّ ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنى عبد الرحمن بن

ميسرة ، قال : ثنى أبو راشد الحبرانىّ ، قال : وافيت المقداد بن الأسود ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص ، قد فضل عنه من عظمه ، يريد الغزو ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أتت علينا سورة البعوث (انْفِرُوا خِفافا وَثِقالا) .

قال أبو جعفر : وأوْلى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر المؤمنين بالنفْر لجهاد أعدائه فى سبيله خفافا وثقالا ، وقد يدخل فى الخفاف كلّ من كان سهلا عليه النفْر ، لقوّة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال ، وقادرا على الظهر والركاب ، ويدخل فى الثقال كلّ من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ، ومن معسر من المال ، ومشتغل بضيعة ومعاش ، ومن كان لاظهر له ولا ركاب ، والشيخ ذو السنّ والعيال ، فإذ كان قديدخل فى الخفاف والثقال مَن وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ، ولم يكن الله جلّ ثناؤه خصّ من ذلك صنفا دون صنف فى الكتاب ، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا نصب على خصوصه دليلا ، وجب أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفْر للجهاد فى سبيله خفافا وثقالا ، مع رسوله صلى الله عليه وسلم ، على كلّ حال من أحوال الخفة والثقل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مسلم بن صبيح ، قال : أوّل ما نزل من براءة (انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى الضحى ، مثله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إن أوّل ما نزل من براءة (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) قال : يعرّفهم نصره ، ويوطّنهم لغزوة تبوك .

القول فى تأويل قوله

(وَجاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم ، فأنفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم ، حتى ينقادوا لكم ، فيدخلوا فيه طوعا أو كرها ، أو يعطوكم الجزية عن يد صَغارا ، إن كانوا أهل كتاب ، أو تقتلوهم (وَأَنْفُسِكُمْ) يقول : وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله ، وينصركم عليهم (ذلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : هذا الذى آمركم به من النفْر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا ، وجهادِ أعدائه بأموالكم وأنفسكم ، خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم ، والخلود إليها ، والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا ، عوضا من الآخرة ، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه .

القول فى تأويل قوله

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ، وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)

يقول جلّ ثناؤه للنبىّ صلى الله عليه وسلم: وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلف عنه ، حين خرج إلى تبوك فأذن لهم: لو كان ماتدعو إليه المتخلفين عنك، والمستأذنيك فى ترك الخروج معك إلى مغزاك، الذى استنفرتهم إليه (عرَضا قريبا) يقول: غنيمة حاضرة، (وسفَرا قاصدا)، يقول: وموضعا قريبا سهلا، لاتبعوك ونفروا معك إليهما ، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد ، وكلفتهم سفرا شاقًا عليهم ، لأنك استنهضتهم فى وقت الحرّ وزمان القيظ ، وحين الحاجة إلى الكِنّ . (وَسَيَحْلِفُونَ باللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ): يقول تعالى ذكره : وسيحلف لك يامحمد هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك اعتذارا منهم إليك بالباطل، لتقبل منهم عذرهم، وتأذن لهم فى التخلف عنك، بالله كاذبين: (لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ) يقول: لو أطقنا الخروج معكم بوجود السّعة والمراكب والظهور، وما لابدّ للمسافر والغازى منه، وصحة البدن والقُوى، لخرجنا معكم إلى عدوكم (يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) يقول: يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب، لأنهم يورثونها سخط الله، ويكسبونها أليم عقابه (وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) فى حلفهم بالله ، لواستطعنا لخرجنا معكم ، لأنهم كانوا للخروج مُطيقين، بوجود السبيل إلى ذلك ، بالذى كان عندهم من الأموال ، مما يحتاج إليه الغازى فى غزوه ، والمسافر فى سفره ، وصحة الأبدان ، وقوى الأجسام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ كانَ عَرَضًا قَرِيبًا) إلى قوله (لَكاذِبُونَ) إنهم يستطيعون الخروج ، ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان ، وزهادة فى الخير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْ كانَ عَرَضًا قَرِيبًا) قال : هى غزوة تبوك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) أى إنهم يستطيعون .

القول فى تأويل قوله

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم فى إذنه ، لمن أذن له فى التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم ، من المنافقين ، يقول جلّ ثناؤه (عَفَا اللهُ عَنْكَ) يا محمد ما كان منك فى إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك ، وفى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) لأىّ شىء أذنت لهم ؟ (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) : يقول : ماكان ينبغى لك أن تأذن لهم فى التخلف عنك ، إذ قالوا لك : لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم فى تخلفه ، ومن لاعذر له منهم ، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم مَن الكاذب منهم المتخلف نِفاقا ، وشكا فى دين الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) قال : ناس قالوا : استأذِنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) . . . الآية ، عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التى فى سورة النور ، فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء ، فقال (فإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) ، فجعله الله رخصة فى ذلك من ذلك .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأَوْدِىّ ، قال : اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشىء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأنزل الله (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : قرأت على سعيد بن أبى عَروبة ، قال : هكذا سمعته من قتادة ، قوله (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟) . . . الآية ، ثم أنزل الله بعد ذلك فى سورة النور (فإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) . . . الآية .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا موسى بن مروان ، قال : سألت مورّقا ، عن قوله (عَفَا اللهُ عَنْكَ) قال : عاتبه ربه .

القول فى تأويل قوله

لَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٤)

وهذا إعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين ، أن من علاماتهم التى يعرفون بها ، تخلفهم عن

الجهاد فى سبيل الله باستئذانهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة ، يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد لاتأذنَنّ فى التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك لمن استأذنك فى التخلف من غير عذر ، فإنه لايستأذنك فى ذلك إلا منافق ، لايؤمن بالله واليوم الآخر ، فأما الذى يصدّق بالله ويقرّ بوحدانيته ، وبالبعث ، والدار الآخرة ، والثواب والعقاب ، فإنه لايستأذنك فى ترك الغزو وجهاد أعداء الله بما له ونفسه (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ) يقول : والله ذو علم بمن خافه ، فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، والمسارعة إلى طاعته فى غزو عدوّه ، وجهادهم بماله ونفسه ، وغير ذلك من أمره ونهيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (لايَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ) فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا فى القعود عن الجهاد من غير عذر ، وعذر الله المؤمنين ، فقال : لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

القول فى تأويل قوله

إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : إنما يستأذنك يامحمد فى التخلف خلافك ، وترك الجهاد معك من غير عذر بيّن ، الذين لايصدّقون بالله ، ولا يقرّون بتوحيده . (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) : يقول : وشكت قلوبهم فى حقيقة وحدانية الله ، وفى ثواب أهل طاعته ، وعقابه أهل معاصيه ، فهم فى ريبهم يترددون ، يقول : فى شكهم متحيرون ، وفى ظلمة الحيرة مترددون ، لايعرفون حقا من باطل ، فيعملون على بصيرة ، وهذه صفة المنافقين .

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التى ذكرت فى سورة النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرىّ ، قالا : قوله (لايَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ) . . . إلى قوله (فَهُمْ فى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) نسختهما الآية التى فى النور (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ) . . . إلى (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وقد بيّنا الناسخ والمنسوخ ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول فى تأويل قوله

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ، وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يامحمد فى ترك الخروج معك لجهاد عدوك ، الخروجَ معك (لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً): يقول: لأعدّوا للخروج عُدّة، ولتأهبوا للسفر والعدوّ أُهبتهما . (وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُمْ) يعنى : خروجهم لذلك . (فَثَبَّطَهُمْ) : يقول : فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود فى منازلهم خلافك ، واستثقلوا السفر والخروج معك ، فتركوا لذلك الخروج (وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ) يعنى : اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لايجدون ما ينفقون ، ومع النساء والصبيان ، واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين فى سبيل الله ، وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، لعلمه بنفاقهم ، وغشّهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضرّوهم ولم ينفعوا ، وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود ، كانوا عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، والجدّ بن قيس ، ومن كان على مثل الذى كانا عليه .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذين استأذنوه فيا بلغنى من ذوى الشرف ، منهم : عبد الله بن أبىّ ابن سلُول ، والجدّ بن قيس ، وكانوا أشرافا فى قومهم ، فثبطهم الله ، لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده .

القول فى تأويل قوله

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ، وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)﴾

يقول تعالى ذكره : لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون (ما زادُوكُمْ إلاّ خَبالاً) يقول : لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادا وضرّا ، ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم . وقد بيّنا معنى الخبال بشواهده فيا مضى قبل . (ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ) يقول : ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم ، وأصله من إيضاع الخيل والركاب ، وهو الإسراع بها فى السير ، يقال للناقة إذا أسرعت السير ، وضَعَتِ الناقة تَضَعُ وضْعا ووُضوعا ، وأوضعها صاحبها : إذا جدّ بها وأسرع ، يُوضِعها إيضاعا ، ومنه قول الراجز :

يالَيْتَنِى فِيها جَذَعْ   أخُبُّ فيها وأضَعْ[١]

---

(١) هذان بيتان من مشهوك الرجز ينسبان إلى دريد بن الصمة ، قالهما مع آخرين فى غزوة حنين ، لما أشار على مالك بن عوف النصرى قائد المشركين ذلك اليوم برأى ، فلم يرجع إليه فيه ، فقال الأبيات الأربعة . والجذع : الشاب القوى . وأخب : من الخبب ، وهو ضرب من السير السريع . وأضع : من الوضع ، وهو العدو . وضع الرجل يضع وضعا : إذا عدا . وأوضع الدابة : حملها على الوضع .

وأما أصل الخلال : فهو من الخَلَل : وهى الفرج تكون بين القوم فى الصفوف وغيرها ؛ ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « تَرَاصُّوا فِى الصُّفُوفِ لايَتَخَلَّلُكُمْ أَوْلادُ الحَذَفِ » .

وأما قوله (يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) فإن معنى يبغونكم الفتنة : يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم فى مغزاكم ، بتثبيطهم إياكم عنه ، يقال منه : بغيته الشرّ ، وبغيته الخير ، أبغيه بغاء : إذا التمسته له ، بمعنى : بغيت له ، وكذلك عكمتك وحلبتك ، بمعنى : حلَبت لكَ وعكَمْتُ لك ، وإذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه ، قالوا : أبغيتك كذا ، وأحلبتك ، وأعكمتك : أى أعنتك عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ) بينكم (يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) بذلك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ) يقول : ولأوضعوا أسلحتهم [1] خلالكم بالفتنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) يبطئونكم ، قال : رفاعة بن التابوت ، وعبد الله بن أبىّ ابن سلول ، وأوس بن قيظىّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : (وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ) قال : لأسرعوا الأزقة خلالكم (يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) يبطّئونكم . عبد الله ابن نبتل ، ورفاعة بن تابوت ، وعبد الله بن أبىّ ابن سلول .

قال : حدثنا الحسن ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ) قال : لأسرعوا خلالكم (يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) بذلك حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً) قال : هؤلاء المنافقون فى غزوة تبوك ، يُسَلّى الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فقال : وما يُحزنكم ؟ (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مازَادُوكُمْ إلا خبالا) يقولون : قد جمع لكم وفَعَلَ وفَعَل ، يخذّلونكم (ولَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ) الكفر .

وأما قوله (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يؤدونه إليهم عيون لهم ، عليكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) يحدثون بأحاديثكم عيون غير منافقين .

---

(١) لعله خيلهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) قال : محدّثون عيون غير منافقين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) يسمعون ما يؤدونه لعدوّكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيكم من يسمع كلامهم ، ويطيع لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) وفيكم من يسمع كلامهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذين استأذنوا فيما بلغنى من ذوى الشرف منهم : عبد الله بن أبىّ بن سلول ، والجدّ بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم ، فقال (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) فعلى هذا التأويل : وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم إياهم عن السير معكم . وأما على التأويل الأوّل ، فإن معناه : وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم ، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم عيون لهم عليكم .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب : تأويل من قال : معناه : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يبلغونه عنكم عيون لهم ، لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم : سمّاع ، وصف من وصف به أنه سماع للكلام ، كما قال الله جلّ ثناؤه فى غير موضع من كتابه (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث . وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه ، وقبوله منه ، وانتهائه إليه ، فإنما تصفه بأنه له سامع مطيع ، ولا تكاد تقول : هو له سماع مطيع .

وأما قوله (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فإن معناه : والله ذو علم بمن يوجه أفعاله إلى غير وجوهها ، ويضعها فى غير مواضعها ، ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ، ومن يستأذنه شكا فى الإسلام ونفاقا ، ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ، ومن يسمعه ليسرّ بما سرّ المؤمنين ، ويساء بما ساءهم ، لا يخفى عليه شىء من سرائر خلقه وعلانيتهم ، وقد بيّنا معنى الظلم فى غير موضع من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد ، التمسوا صدّهم عن دينهم ، وحرَصوا على ردّهم إلى الكفر ، بالتخذيل عنه ، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أُحد ، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه ، وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل ، ويعنى بقوله (مِنْ قَبْلُ) : من قبل هذا (وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ) يقول : وأجالوا فيك وفى إبطال الدين الذى بعثك به الله ، الرأى بالتخذيل عنك ، وإنكار ما تأتيهم به ، وردّه عليك (حتى جاءَ الحَقُّ) يقول : حتى جاء نصر الله (وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ) يقول : وظهر دين الله الذى أمر به وافترضه على خلقه ، وهو الإسلام (وَهُمْ كارِهُونَ) يقول : والمنافقون لظهور أمر الله ونصره إياك كارهون ، وكذلك الآن يُظهرك الله ، ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ) : أى ليخذلوا عنك أصحابك ، ويردّوا عليك أمرك (حتى جاء الحَقُّ وظَهَرَ أَمْرُ اللهِ) وذكر أن هذه الآية نزلت فى نفر مُسَمَّيْن بأعيانهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ، عن الحسن ، قوله (وقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ) قال : منهم عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وعبد الله بن نبتل أخو بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع ، وزيد بن التابوت القَيْنُقاعىّ .

وكان تخذيل عبد الله بن أبىّ أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة ، كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، ويزيد بن رُومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، كلّ قد حدّث فى غزوة تَبُوكَ ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض ، وكلّ قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان عُسْرة من الناس ، وشدّة من الحرّ ، وجدب من البلاد ، وحين طاب الثمار ، وأُحِبت الظلال ، والناس يحبون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها ، على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذى يَصْمُد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيّنها للناس لبُعد الشُّقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذى صَمَد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، أمر الناس بالجهاد ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكُرْه لذلك الوجه لما فيه ـ مع ما عظّموا من ذكر الروم وغزوهم ، ثم إن رسول

الله صلى الله عليه وسلم حدّ في سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ١ ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله ؛ فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبيّ بن سلول عسكره على ذى حدة أسفلَ منه ، نحو ذُباب : جبل بالجبانة أسفلَ من ثنية الوداع، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين ؛ فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وكان عبد الله بن أبيّ أخا بنى عوف بن الخزرج ، وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بنى قينُقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله ، قال : وفيهم ، كما ثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصريّ ، أنزل الله (لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى الجدّ بن قيس . ويعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَمِنْهُمْ): ومن المنافقين (مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى) أُقيم فلا أشخص معك (وَلا تَفْتِنِّى) يقول: ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الأصفر وبناتهم ، فإنى بالنساء مغرم ، فأخرج وآثم بذلك .

وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك عمن قاله

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ائْذَنْ لى وَلا تَفْتِنِّى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزُوا تَبُوكَ تَغْنَمُوا بَناتِ الأصْفَرِ وَنِساءَ الرُّومِ » فقال الجدّ : ائذن لنا ، ولا تفتنا بالنساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزُوا تَغْنَمُوا بَناتِ الأصْفَرِ » يعنى : نساء الروم ، ثم ذكر مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (ائْذَنْ لى وَلا تَفْتِنِّى) قال : هو الجدّ بن قيس ، قال : قد علمت الأنصار أنى إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالى.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله ابن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وهو فى جهازه للجدّ بن قيس أخى بنى سلمة : « هَلْ لكَ يا جَدُّ العامَ فى جِلادِ بَنِى الأصْفَرِ ؟

(١) الانكماش : الإسراع فى الأمر والجد فيه ا هـ .

فقال: يا رسول الله، أو تأذن لى ولا تفتنى، فوالله لقد عرف قومى ما رجل أشدَّ عُجْبًا بالنساء منى، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عنهنّ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال: «أذِنْتُ لكَ». فى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى) ... الآية، أى إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرغبة بنفسه عن نفسه، أعظم.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى) قال: هو رجل من المنافقين، يقال له: جدّ بن قيس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بنى الأصفر، ونتخذ منهم سرارىّ ووُصَفانا، فقال: أىْ رسولَ الله، ائذن لى ولا تفتنى، إن لم تأذن لى افتتنت ووقعت، فغضب، فقال الله (أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) وكان من بنى سلمة، فقال لهم النبىّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يا بَنِى سَلَمَةَ؟ فقالوا: جدّ بن قيس، غير أنه بخيل جبان، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: وأىُّ داءٍ أدْوَى مِنَ البُخْلِ؟ ولَكِنْ سَيِّدُكُمُ الفَتَى الأبْيَضُ الجَعْدُ الشَّعْرِ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ».

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى) يقول: ائذن لى ولا تحرجنى. (أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) يعنى: فى الحَرَج سقطوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى) ولا تُؤْثِمنى، ألا فى الإثْم سَقَطُوا.

وقوله (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) يقول: وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله، وجحد آياته، وكذّب رسله، محدقة بهم، جامعة لهم جميعا يوم القيامة، يقول: فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليها خزيا.

القول فى تأويل قوله

إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ، وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ، وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرضَ الروم فى غزاتك هذه، يسؤ الجدّ بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفُلول جيشك فيها، يقول الجدّ ونظراؤه: قد أخذنا أمرنا من قبل: أى قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد، وترك اتباعه إلى عدوّه، (مِنْ قَبْلُ) يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة. (وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ): يقول:

ويرتدّوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة ، بفلول أصحابه ، وانهزامهم عنه ، وقتل من قُتِل منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) يقول : إن تصبك فى سفرك هذا لغزوة تبوك حسنة ، تسؤهم ، قال : الجدّ وأصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قَبْلُ) حِذْرنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدْ أخَذْنا أمْرَنا مِنْ قَبْلُ) قال : حِذْرنا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) إن كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم .

القول فى تأويل قوله

قُلْ : لَنْ يُصِيبَنَآ إلاَّ ما كَتَبَ ٱللهُ لَنا هُوَ مَوْلَٰنَا ، وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره مؤدّبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك : (لَنْ يُصِيبَنا) أيها المرتابون فى دينهم (إلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا) فى اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا . (هُوَ مَوْلانا) : يقول : هو ناصرنا على أعدائه . (وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) : يقول : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإنهم إن يتوكلوا عليه ، ولم يرجوا النصر من عند غيره ، ولم يخافوا شيئا غيره ، يكفهم أمورهم ، وينصرهم على من بغاهم وكادهم .

القول فى تأويل قوله

قُلْ : هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إلآ إحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ، وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ ٱللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا ، فَتَرَبَّصُوٓا إنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ، وبيّنت لك أمرهم : هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخلّتين اللتين هما أحسن من غيرهما ، إما ظفرا بالعدوّ ، وفتحا لنا بغلبتناهم ، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة ، وإما قتلا من عدوّنا لنا ، ففيه الشهادة والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، وكلتاهما مما يحبّ ، ولا يكره . (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذابٍ مِنْ

عِنْدِهِ)يقول : ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم ،أوبأيدينا فتقتلكم(فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) يقول : فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا ، وما إليه صائر أمر كلّ فريق منا ومنكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ) يقول : فتح أو شهادة . وقال مرّة أخرى : يقول القتل ، فهى الشهادة والحياة والرزق ، وإما يخزيكم بأيدينا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ) يقول : قتل فيه الحياة والرزق ،وإما أن يَغْلِب فيؤتيه الله أجرا عظيما ، وهو مثل قوله (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ) . . . إلى (فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ) : قال : القتل فى سبيل الله ، والظهور على أعدائه .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد ، قال : القتل فى سبيل الله ، والظهور .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ) : القتل فى سبيل الله ، والظهور على أعداء الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال ابن عباس :(بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ) بالموت (أَوْ بِأَيْدِينَا) قال : القتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ) إلافتحا، أوقتلافى سبيل الله (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا) : أى قتل .

القول فى تأويل قوله

قُلْ : أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين : أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره ، وعلى أىّ حال شئتم ،من حال الطوع والكره، فإنكم إن تنفقوها ، لَنْ

يَتَقَبَّلَ اللهُ (مِنْكُمْ) نفقاتكم ، وأنتم فى شكّ من دينكم ، وجهل منكم بنبوة نبيكم ، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ) يقول : خارجين عن الإيمان بربكم ، وخرج قوله (أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) مخرَج الأمر ، ومعناه الخبر ، والعرب تفعل ذلك فى الأماكن التى يحسن فيها إن التى تأتى بمعنى الجزاء ، كما قال جلّ ثناؤه (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فهو فى لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، ومنه قول الشاعر :

أَسِيئِى بِنا أَوْ أَحْسِنِى لا مَلُومَةً لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ[1]

فكذلك قوله (أَنْفِقُوا طَوْعا أَوْ كَرْها) إنما معناه : إن تنفقوا طوعا أو كرها (لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) . وقيل : إن هذه الآية نزلت فى الجدّ بن قيس حين قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم : هذا مالى أعينك به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قال الجدّ بن قيس : إنى إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالى ، قال : ففيه نزلت (أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) قال لقوله : أعينك بمالى .

القول فى تأويل قوله

وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ، وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ، وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك ، وفى غير ذلك من السبل (إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ وبِرَسُولِهِ) فأن الأولى فى موضع نصب ، والثانية فى موضع رفع ، لأن معنى الكلام ، مامنع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله (وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى) يقول : لايأتونها إلا متثاقلين بها ، لأنهم لا يرجون بأدائها ثوابا ، ولا يخافون بتركها عقابا ، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين ، فإذا أمنوهم لم يقيموها ، ولا ينفقون يقول : ولا ينفقون من أموالهم شيئا (إِلا وَهُمْ كارِهُونَ) أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه ، مما فيه تقوية للإسلام وأهله .

---

(١) البيت لكثير عزة (ديوانه طبع الجزائر ص ٥٢) وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : (أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) شاهدا على تساوى الإنفاقين فى عدم القبول ، كما ساوى كثير بين الإحسان والإساءة فى عدم اللوم . والنكتة فى مثل ذلك إظهار نفى تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ويقال : أساء به ، وإليه ، وعليه ، وله : ضد أحسن معنى واستعمالا . ومقلية بمعنى : مبغضة . من القلى ، وهو البغض . وقوله تقلت : التفات من الخطاب إلى تقلى : أى تبغض . قال العلماء : لو قال هذا البيت فى وصف الدنيا ، لكان أشعر الناس . وقال الفراء فى (معانى القرآن : ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة) وقوله (أنفقوا طوعا أو كرها) : هو أمر فى اللفظ ، وليس بأمر فى المعنى ، لأنه قد أخبرهم أنه لن يتقبل منهم ، وهو فى الكلام بمنزلة « إن » فى الجزاء ، كأنك قلت : إن أنفقت طوعا أو كرها ، فليس بمقبول منك . ومثله : « استغفر لهم أو لاتستغفر لهم » ليس بأمر ، إنما هو على تأويل الجزاء . مثله قول الشاعر : « أسيئى بنا » . . . . البيت .

القول فى تأويل قوله

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ، وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٥٥)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا تعجبك يا محمد أموالُ هؤلاء المنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة ، وقال : معنى ذلك : التقديم ، وهو مؤخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) قال : هذه من تقاديم الكلام ، يقول : لاتعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْآخِرَةِ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيَّب بن شريك ، عن سلمان الأقصرىّ ، عن الحسن (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : بأخذ الزكاة والنفقة فى سبيل الله تعالى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالمصائب فيها ، هى لهم عذاب ، وهى للمؤمنين أجر .

❊ قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك عندنا ، التأويل الذى ذكرنا عن الحسن ، لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصَرْف تأويله إلى ما دلّ عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لادلالة على صحته . وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم ، وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم فى الحياة الدنيا وجها يوجهه إليه ، وقال : كيف يعذّبهم بذلك فى الدنيا ، وهى لهم فيها سرور ، وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه ، إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه ، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه ، وهو غير طيب النفس ، ولا راج من الله جزاء ، ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا ، على ضجر منه وكره .

وأما قوله (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فإنه يعنى : وتخرج أنفسهم ، فيموتوا على كفرهم بالله ، وجحودهم نبوّة نبىّ الله محمد صلى الله عليه وسلم ، يقال منه : زَهِقت نفس فلان ، وزَهَقت ، فمن قال : زهقت ، قال : تزهَق ، ومن قال : زَهَقت ، قال : تزهَق زُهُوقا ؛ ومنه قيل : زَهَق فلان بين أيدى القوم ، يزهَق زهوقا : إذا سبقهم فتقدمهم ، ويقال : زَهَق الباطل : إذا ذهب ودرس .

القول فى تأويل قوله

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)

❊ يقول تعالى ذكره : ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم ، إنهم لمنكم فى الدين والملة ، يقول الله تعالى مكذباً لهم (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ) أى ليسوا من أهل دينكم وملتكم ، بل هم أهل شكّ ونفاق (وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يقول : ولكنهم قوم يخافونكم ، فهم خوفا منكم يقولون بألسنتهم : إنا منكم ، ليأمنوا فيكم فلا يُقتلوا .

القول فى تأويل قوله فى

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)

❊ يقول تعالى ذكره : لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ ، يقول : عصرا يعتصرون به من حصن ، ومعقلا يعتقلون فيه منكم ، أو مغارات ، وهى الغيران فى الجبال ، واحدتها : مغارة ، وهى مفعلة ، من غار الرجل فى الشىء يغور فيه إذا دخل ، ومنه قيل : غارت العين : إذا دخلت فى الحدقة ، أو مدّخلا ، يقول : سربا فى الأرض يدخلون فيه ، وقال : أو مدخلا . . . الآية ، لأنه من ادّخل يدّخل . وقوله (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ) يقول : لأدبروا إليه هربا منكم (وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يقول : وهم يسرعون فى مشيهم . وقيل : إن الجماح مشى بين المشيين ؛ ومنه قول مهلهل :

لَقَدْ جَمَحْتُ جِمَاحاً فِي دِمَائِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ خَمَدُوا[1]

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة ، لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ، ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله ، لأنهم كانوا فى قومهم وعشيرتهم ، وفى دورهم وأموالهم ، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه ، فصانعوا القوم بالنفاق ، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان ، وفى أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل الإيمان به ، والعداوة لهم ، فقال الله واصفهم بما فى ضمائرهم (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ) . . . الآية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) جمحت فى دمائهم : أسرعت وأكثرت من قتلهم . وفى شعراء النصرانية ص ١٦٦ بيتان لمهلهل شبيهان بمعنى هذا البيت ، وهما :

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِمُ حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدُ

آلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمُ حَتَّى أُبَهْرِجَ بَكْراً أَيْنَمَا وُجِدُوا

وأبهرج : أى أدعهم بهرجا : لا يقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم دية . ولم أجد بيت الشاهد مع هذين البيتين ، مع أنه شبيه بهما وزنا وقافية ومعنى .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً) الملجأ: الحرْز في الجبال : والمغارات : الغِيران في الجبال ، وقوله (أَوْ مُدَّخَلاً) والمدّخل : السَّرَب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) ملجأ ، يقول : حرْزا ، أو مغارات : يعني الغِيران ، أو مدّخلا ، يقول: ذهابا في الأرض ، وهو النَّفَق في الأرض ، هو السَّرَب .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً) قال : حرْزا لهم يفرّون إليه منكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً) قال : محرزا لهم ، لفرّوا إليه منكم .

وقال ابن عباس قوله : (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً) حرزا ، أو مغارات ، قال : الغيران ، أو مدّخلا ، قال : نفقا في الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً) يقول : لو يجدون ملجأ : حُصونا ، أو مغارات : غيرانا ، أو مدّخلا : أسرابا (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) .

القول في تأويل قوله

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ ، وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)

❊ يقول تعالى ذكره : ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات (مَنْ يَلْمِزُكَ في الصَّدَقاتِ) : يقول : يعيبك في أمرها ، ويطعن عليك فيها ، يقال منه : لمز فلانا يلمُزُه ، ويلمِزُه : إذا عابه وقرصه ، وكذلك همزه . ومنه قيل : فلان هُمَزة لُمَزة ، ومنه قول رُؤبة :

قارَبْتُ بينَ عَنَقِي وجَمْزِي　　　في ظلّ عَصْرَىْ باطِلِي ولَمْزِي[1]

(١) هذان بيتان لرؤبة من مشطور الرجز ، وهما الأربعون والثاني والأربعون من أرجوزة له ص ٦٤ من ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣) : والعنق بالتحريك : ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسبطر أي ممتد . والجمز : مصدر جمز الإنسان والبعير الدابة . يجمز جمزا . وهو عدو دون الحضر الشديد ، وفوق العنق . واللمز : أن تعيب الإنسان في وجهه أو في غيبته . ولمز الرجل : دفعه وضربه

ومنه قول الآخر :

إذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشَرَةً وأَنْ أَغِيبَ فأَنْتَ العائبُ اللُّمَزَه[١]

(فإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا) يقول : ليس بهم فى عيبهم إياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين، ولكن الغضب لأنفسهم ، فإن أنت أعطيتهم منها مايرضيهم رضوا عنك ، وإن أنت لم تعطهم منهم سخطوا عليك وعابوك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نُمَير ،عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد [، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ) قال : يَرُوزُك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ) يروزك ويسألك .

قال ابن جريج : وأخبرنى داود بن أبى عاصم ، قال : قال أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا ، حتى ذهبت ، قال : ووراءه رجل من الأنصار ، فقال : ما هذا بالعدل ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ) يقول : ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات .

وذُكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية ، أتى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقسم ذهبا وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ماعدلت ، فقال : نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « وَيْلَكَ فَمَنْ ذا يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي ! » ثم قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم: « احْذَرُوا هَذَا وأشْباهَهُ ، فإنَّ فِي أُمَّتِي أشْباهَ هَذَا يَقْرَءُونَ القُرآنَ لايُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، فإذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ ، ثُمَّ إذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ ، ثُمَّ إذَا خَرَجُوا فاقْتُلُوهُمْ » .

وذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُعْطِيكُمْ شَيْئًا وَلا أَمْنَعُكُمُوهُ ، إنَّما أنا خازِنٌ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ) قال : يطعن .

---

(١) المكاشرة : أن تبدو الأسنان عند التبسم . يقول : تلقانى بالابتسام إذا لقيتك ؛ فإذا غبت عنك عبتنى . وذكرتنى بالسوء . وهذا البيت يوضح أن اللمز هوغمز الإنسان وعيبه فى مغيبه ، وهو قول لبعض اللغويين ، والقول الآخر أن اللمز : أن تعيب الرجل فى وجهه ، والهمز أن تعيبه فى مغيبه ، كما يعلم من نصوص اللسان (لمز ، همز) .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى سعيد ، قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما ، إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى ، فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ائذن لى فأضربَ عنقه ، قال : دعه ، فإنّ لَهُ أصحابا يَحْقِرُ أحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ ، وَصِيامَهُ مَعَ صِيامِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَيَنْظُرُ فى قُذَذِهِ ، فَلا يَنْظُرُ شَيْئا ، ثُمَّ يَنْظُرُ فى نَصْلِهِ فَلا يَجِدُ شَيْئا ، ثُمَّ يَنْظُرُ فى رِصَافِهِ فَلا يَجِدُ شَيْئا ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثُ وَالدَّمُ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ ، إحْدَى يَدِهِ ، أوْ قالَ : يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأةِ أوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ، يَخْرُجُونَ على حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قال : فنزلت (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقاتِ) . قال أبو سعيد : أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليا رحمة الله عليه حين قتلهم ، جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقاتِ ، فإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) قال : هؤلاء المنافقون ، قالوا : والله ما يعطيها محمد إلا من أحبّ ، ولا يؤثر بها إلا هواه ، فأخبر الله نبيه ، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله ، وأن هذا أمر من الله ، ليس من محمد (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلفُقَرَاءِ) . . . الآية .

القول فى تأويل قوله

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءاتَٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا : حَسْبُنَا ٱللَّهُ ، سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥ ، إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ (٥٩)

❊ يقول تعالى ذكره : ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد فى الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ) يقول : وقالوا : كافينا الله (سَيُؤْتِينا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها (إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ) يقول : وقالوا : إنا إلى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله ، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس ، والحاجة إليهم .

القول فى تأويل قوله

۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِى ٱلرِّقَابِ ، وَٱلْغَٰرِمِينَ ، وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)

❊ يقول تعالى ذكره : لاتنال الصدقات إلا للفقراء والمساكين ، ومن سماهم الله جلّ ثناؤه .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الفقير والمسكين ، فقال بعضهم : الفقير : المحتاج المتعفف عن المسألة ، والمسكين : المحتاج السائل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال : الفقير : الجالس فى بيته ، والمسكين : الذى يسعى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال : المساكين : الطوّافون ، والفقراء فقراء المسلمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنى رجل ، عن جابر بن زيد ، أنه سئل عن الفقراء ، قال الفقراء : المتعففون ، والمساكين : الذين يسألون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله الحرانى ، قال : سألت الزهرى عن قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : الذين فى بيوتهم لايسألون ، والمساكين : الذين يخرجون فيسألون .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الفقير الذى لايسأل ، والمسكين : الذى يسأل .

قال : حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال : الفقراء الذين لايسألون الناس وهم أهل حاجة ، والمساكين : الذين يسألون الناس .

حدثنا الحارث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الفقراء الذين لايسألون ، والمساكين : الذين يسألون .

وقال آخرون : الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال : الفقير من به زمانة ، والمسكين : الصحيح المحتاج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) أما الفقير : فالزَّمِن الذى به زمانة . وأما المسكين : فهو الذى ليست به زمانة .

وقال آخرون : الفقراء فقراء المهاجرين ، والمساكين : من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن علىّ بن الحكم ، عن الضحاك ابن مزاحم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) المهاجرين ، قال : سفيان : يعنى : ولا يعطى الأعراب منها شيئا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : إنما الصدقة لفقراء المهاجرين .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كانت تجعل الصدقة فى فقراء المهاجرين ، وفى سبيل الله تعالى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، قال : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ، ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما فى الزكاة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : إنما الصدقات فى فقراء المهاجرين ، وفى سبيل الله .

وقال آخرون : المسكين : الضعيف البئيس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد ، قال : قال عمر : ليس الفقير بالذى لا مال له ، ولكن الفقير : الأخلق الكسب .

قال يعقوب ، قال ابن عُلَيَّة : الأخلق : المحارَف عندنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، أن عمر ابن الخطاب رحمة الله تعالى عليه ، قال : ليس المسكين بالذى لا مال له ، ولكن المسكين : الأخلق الكسب.

وقال بعضهم : الفقير من المسلمين ، والمسكين من أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمر بن نافع ، قال : سمعت عكرمة فى قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال : لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين ، إنما المساكين مساكين أهل الكتاب .

❁ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : الفقير : هو ذو الفقر أو الحاجة ، ومع حاجته يتعفف عن مسئلة الناس ، والتذلل لهم فى هذا الموضع ، والمسكين : هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم . وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ، وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة ، دون الذلة والمسكنة ، لإجماع الجميع من أهل العلم ، أن المسكين إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى المسكنة عند العرب : الذلة ، كما قال الله جلّ ثناؤه (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) يعنى بذلك الهون .

والذلة ، لا الفقر . فإذا كان الله جلّ ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر . وإذ كان ذلك كذلك كان لاشكّ أن المقسوم له باسم الفقير ، غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة ؛ والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذى لامسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر : هو الجامع إلى فقره المسكنةَ ، وهى الذلّ بالطلب والمسئلة .

فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء المتعفّف منهم الذى لايسأل ، والمتذلّل منهم الذى يسأل . وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبى نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ المِسْكِينُ بالَّذِى تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتانِ والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ ، إنَّمَا المِسْكِينُ المُتَعَفِّفُ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ : (لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلْحافاً) » . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّمَا المِسْكِينُ المُتَعَفِّفُ » على نحو ما قد جرى به استعمال الناس ، من تسميتهم أهل الفقر مساكين ، لاعلى تفصيل المسكين من الفقير ؛ ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك ، انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله ، اقرءوا إن شئتم (لايَسْأَلُونَ النَّاسَ إلْحافاً) وذلك فى صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر ، فقال (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ لايَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لايَسْأَلُونَ النَّاسَ إلْحافاً) .

وقوله (وَالعامِلِينَ عَلَيْها) وهم السعاة فى قبضها من أهلها ، ووضعها فى مستحقيها يعطون ذلك بالسعاية ، أغنياء كانوا أو فقراء .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهرىّ عن العاملين عليها ، فقال : السعاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالعامِلِينَ عَلَيْها) قال : جباتها الذين يجمعونها ، ويسعون فيها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَالعامِلِينَ عَلَيْها) : الذى يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك ، فقال بعضهم : يعطى منه الثمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : للعاملين عليها الثمن من الصدقة .

حُدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله (وَالعامِلِينَ عَلَيْها) قال : يأكل العمال من السهم الثامن .

وقال آخرون : بل يُعطى على قدر عِمالته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الأخضر بن عجلان ، قال : ثنا عطاء بن زهير العامرىّ ، عن أبيه ، أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسأله عن الصدقة : أىّ مال هى ؟ فقال : مال العُرجان والعُوران والعُميان ، وكلّ منقطَع به . فقال له : إن للعاملين حقا والمجاهدين ، قال : إن المجاهدين قوم أحلّ لهم وللعاملين عليها ، على قدر عِمالتهم ، ثم قال : لاتحلّ الصدقة لغنىّ ، ولا لذى مِرّة سَوِىّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : يكون للعامل عليها إن عمل بالحقّ ، ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطُون العامل الثمن ، إنما يفرضون له بقدر عمالته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (وَالعامِلِينَ عَلَيْها) قال : كان يعطى العاملون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : يعطَى العامل عليها على قدر عمالته ، أجر مثله .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جلّ ثناؤه ، لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم ، وإنما عرّف خلقه أنّ الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم ، وإذ كان كذلك ، بما سنوضح بعد ، وبما قد أوضحناه فى موضع آخر ، كان معلوما أن من أعطى منها حقا ، فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطَى فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان العامل عليها إنما يعطَى على عمله ، لاعلى الحاجة التى تزول بالعطية ، كان معلوما أن الذى أعطاه من ذلك إنما هو عوَض من سعيه وعمله ، وأن ذلك إنما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله ، الذى لايزول بالعطية ، وإنما يزول بالعزْل .

وأما المؤلَّفة قلوبهم ، فإنهم قوم كانوا يتَتألَّفون على الإسلام ممن لم تصحّ نصرته ، استصلاحا به نفسه وعشيرته ، كأبى سفيان بن حرب ، وعيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، ونظرائهم من رؤساء القبائل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلموا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضَخ[1] لهم من الصدقات ، فإذا أعطاهم من الصدقات ، فأصابوا منها خيرا ، قالوا : هذا دين صالح ، وإن كان غير ذلك ، عابوه وتركوه .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير : أن المؤلفة قلوبهم

(١) يرضخ لهم : يعطيهم شيئا يسيرا .

من بنى أمية : أبو سفيان بن حرب. ومن بنى مخزوم : الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع . ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية . ومن بنى عامر بن لؤىّ: سُهَيل بن عمرو، وحُوَيطب بن عبد العُزّى ، ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : حكيم بن حزام . ومن بنى هاشم : سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . ومن بنى فَزارة : عيينة بن حصن بن بدر . ومن بنى تميم : الأقرع بن حابس . ومن بنى نصر : مالك ابن عوف . ومن بنى سُلَيم : العباس بن مرداس . ومن ثقيف : العلاء بن حارثة ، أعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم كلّ رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحُوَيطب بن عبد العُزّى ، فإنه أعطى كلّ رجل منهم خمسين .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : قال صفوان بن أمية : لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لأبغض الناس إلىّ ، فما برح يعطينى ، حتى إنه لأحبّ الناس إلىّ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال: ناس كان يتألفهم بالعطية : عيينة بن بدر ، ومن كان معه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن (والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) : الذين يُؤَلَّفون على الإسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . وأما المؤلَّفة قلوبهم : فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهرىّ ، عن قوله (والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) فقال : من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ ، قلت : وإن كان غنيا ، قال : وإن كان غنيا .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا مَعقِل بن عبيد الله الحرّانى، عن الزهرىّ (والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) قال : من هو يهودىّ أو نصرانىّ .

ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة اليوم وعدمها ، وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الإسلام من الصدقة ؟ فقال بعضهم : قد بطلت المؤلَّفة قلوبهم اليوم ، ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة إلا لذى حاجة إليها ، وفى سبيل الله ، أو لعامل عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) قال : أما المؤلفة قلوبهم : فليس اليوم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جَبَلة، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: وأتاه عيينة بن حصن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) أى ليس اليوم مؤلفة .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : ليس اليوم مؤلفة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما وُلى أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرُّشا .

وقال آخرون : المؤلفة قلوبهم فى كلّ زمان ، وحقهم فى الصدقات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : فى الناس اليوم المؤلفة قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، مثله .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الله جعل الصدقة فى معنيين : أحدهما سدّ خَلّة المسلمين ، والآخر معونة الإسلام وتقويته، فما كان فى معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يعطاه الغنىّ والفقير ، لأنه لايعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونة للدين ، وذلك كما يعطى الذى يعطاه بالجهاد فى سبيل الله ،فإنه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو ،لا لسدّ خلته، وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك ، وإن كانوا أغنياء،استصلاحا باعطائهموه أمرَ الإسلام، وطلب تقويته وتأييده، وقد أُعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام ، وعزّ أهله ، فلا حجة لمحتجّ بأن يقول : لايتألف اليوم على الإسلام أحد،لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم ، وقد أعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت .

وأما قوله (وَفِي الرِّقَابِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : وهم الجمهور الأعظم : هم المكاتَبون ، يُعْطَون منها فى فكّ رقابهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسين ، أن مكاتَبا قام إلى أبي موسى الأشعرىّ رحمه الله تعالى،وهو يخطب الناس يوم الجمعة ،فقال له: أيها الأمير حُثّ الناس علىّ ، فحثّ عليه أبوموسى ، فألقى الناس عليه عمامة ومُلاءة وخاتَما، حتى ألقَوْا سوادا كثيرا؛ فلما رأى أبو موسى ما أُلقى عليه، قال: اجمعوه، فجُمع ثم أمر به فبيع ، فأعطى المكاتَب مكاتبتَه ، ثم أعطى الفضل فى الرقاب ، ولم يردّه على الناس ، وقال : إنما أعطى الناس فى الرقاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا معقل بن عُبيد الله ، قال : سألت الزهرىّ عن قوله (وَفِي الرِّقَابِ) قال : المكاتبون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَفِي الرِّقَابِ) قال : المكاتب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (وَفِي الرِّقَابِ) قال : هم المكاتبون .

وروى عن ابن عباس أنه قال : لابأس أن تُعتق الرقبة من الزكاة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : قول من قال : عُنِىَ بالرقاب فى هذا الموضع : المكاتبون ، لإجماع الحجة على ذلك ، فإن الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه فى ماله ، يخرجها منه ، لايرجع إليه منها نفع من عرض الدنيا ، ولا عوض ، والمعتق رقبة منها راجع إليه ولاء من أعتقه ، وذلك نفع يعود إليه منها .

وأما الغارمون : فالذين استدانوا فى غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء فى عَيْن ولا عَرَض .

وبالذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : الغارمون : من احترق بيته ، أو يصيبه السيل ، فيذهب متاعه ، ويدّان على عياله ، فهذا من الغارمين.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالْغَارِمِينَ) قال : من احترق بيته ، وذهب السيل بماله ، وادّان على عياله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : الغارمين : المستدين فى غير سَرَف ، ينبغى للإمام أن يقضىَ عنهم من بيت المال .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألنا الزهرىّ ، عن الغارمين ، قال : أصحاب الدين .

قال : ثنا مَعْقِل ، عن عبد الكريم ، قال : ثنى خادم لعمر بن عبد العزيز ، خدمه عشرين سنة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز أن يُعطَى الغارمون ، قال أحمد : أكثر ظنى من الصدقات .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : الغارمون : المستدين فى غير سرف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما الغارمون : فقوم غرّقتهم الديون فى غير إملاق ولا تبذير ، ولا فساد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الغارم : الذى يدخل عليه الغُرْم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (وَالْغَارِمِينَ) قال : هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ، ويدّان على عياله .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : المستدين فى غير فساد .

قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : الغارمون : الذين يستدينون فى غير فساد، ينبغى للإمام أن يقضى عنهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد : هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما .

وأما قوله (وَفِى سَبِيلِ اللهِ) فإنه يعنى : وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده بقتال أعدائه ، وذلك هو غزو الكفار .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفِى سَبِيلِ اللهِ) قال : الغازى فى سبيل الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: « لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِىٍّ إلاَّ لِخَمْسَةٍ : رَجُلٍ عَمِلَ عَلَيْهَا ، أوْ رَجُلٍ اشْتَرَاها بِمالِهِ ، أو فِى سَبِيلِ اللهِ ، أوِ ابْنِ السَّبِيلِ ، أوْ رَجُلٍ كانَ لَهُ جارٌ تُصُدِّقَ عَلَيْهِ ، فَأهْدَاها لَهُ » .

قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِىٍّ إلاَّ لِثَلاثَةٍ : فِى سَبِيلِ اللهِ ، أوِ ابْنِ السَّبِيلِ ، أوْ رَجُلٍ كانَ لَهُ جارٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَأهْدَاها لَهُ » .

وأما قوله (وَابْنِ السَّبِيلِ) فالمسافر الذى يجتاز من بلد إلى بلد ، والسبيل : الطريق، وقيل للضارب فيه ابن السبيل ، للزومه إياه ، كما قال الشاعر :

أنا ابْنُ الحَرْبِ رَبَّتْنِى وَلِيداً		إلى أنْ شِبْتُ وَاكْتَهَلْتُ لِداتى[1]

وكذلك تفعل العرب ، تسمى اللازم للشىء يعرف بابنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : ابن السبيل : المجتاز من أرض إلى أرض .

---

(١) ابن الحرب : أى العالم بأمرها . واكتهل الرجل : صار كهلا ، وهو من بلغ الثلاثين إلى الأربعين من عمره . ولداتى : جمع لدة ، وهو المساوى له فى سنه . يفخر بأنه خاض غمرات الحروب منذ طفولته إلى أن اكتهل ، فهو لا يهاب منازلة الأقران . ولم أقف على قائل البيت .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا مَنْدَل ، عن ليث ، عن مجاهد (وَابْنِ السَّبِيلِ) قال : لابن السبيل حقّ من الزكاة ، وإن كان غنيا إذا كان منقطعا به .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهرىّ عن ابن السبيل ، قال : يأتى علىّ ابن السبيل وهو محتاج ، قلت : فإن كان غنيا ، قال : وإن كان غنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَابْنِ السَّبِيلِ) : الضيف جعل له فيها حقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن السبيل : المسافر ، مَنْ كان غنيا أو فقيرا ، إذا أصيبت نفقته ، أو فُقِدت ، أو أصابها شىء ، أو لم يكن معه شىء ، فحقه واجب .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا هُشَيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، أنه قال : فى الغنىّ إذا سافر ، فاحتاج فى سفره ، قال : يأخذ من الزكاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : ابن السبيل : المجتاز من الأرض إلى الأرض .

وقوله (فَرِيضَةً مِنَ اللهِ) : يقول جلّ ثناؤه : قَسْمٌ قسمه الله لهم ، فأوجبه فى أموال أهل الأموال لهم ، والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفى غير ذلك ، لايخفى عليه شىء ، فعلى عِلْم منه فَرَض مافرض من الصدقة ، وبما فيها من المصلحة ، حكيم فى تدبيره خلقه ، لايدخل فى تدبيره خَلَل .

واختلف أهل العلم فى كيفية قسم الصدقات التى ذكرها الله فى هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حقّ ، أو ذلك إلى ربّ المال ، ومن يتولى قسمها ، فى أن له أن يعطى جميع ذلك من شاء من الأصناف الثمانية ؟ ؛ فقال عامة أهل العلم للمتولى قسمها ، وضعها فى أىّ الأصناف الثمانية شاء ، وإنما سمى الله الأصناف الثمانية فى الآية إعلاما منه خلقه أن الصدقة لاتخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ، لاإيجابا لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن المنهال بن عمرو ، عن زرّ بن حُبيش ، عن حذيفة ، فى قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : إن شئت جعلته فى صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زرّ ، عن حذيفة ، قال : إذا وضعتها فى صنف واحد أجزأ عنك .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : أيّما صنف أعطيته من هذا أجزأك .

قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد المطلب ، عن عطاء : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) . . . الآية ، قال : لو وضعتها فى صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك ، ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين ، فجبرتهم بها ، كان أحبّ إلىّ .

قال : أخبرنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فأىّ صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك .

قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) . قال : إنما هذا شىء أعلمه ، فأىّ صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزأ عنك .

قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : فى أىّ هذه الأصناف وضعتها أجزأك .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأك .

قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : إذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأك .

قال : ثنا خالد بن حيان أبو يزيد ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : إذا جعلتها فى صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك .

قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعود ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) . . . الآية ، قال : أعلمَ أهلها مَنْ هُمْ .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر أنه كان يأخذ الفرض فى الصدقة ، ويجعلها فى صنف واحد .

وكان بعض المتأخرين يقول : إذا تولى ربّ المال قسمها ، كان عليه وضعها فى ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأن سهم العاملين يبطل بقسمه إياها ، ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كلّ صنف أقلّ من ثلاثة أنفس ، وكان يقول : إن تولّى قسمها الإمام ، كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف ، لا يُجزى عنده غيرُ ذلك .

القول فى تأويل قوله

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ، وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ : أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)

❁ يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ، ويقولون : هو أذن سامعة ، يسمع من كلّ أحد ما يقول ، فيقبله ويصدّقه ، وهو من قولهم : رجل أذنة مثل فعلة : إذا كان يسرع الاستماع والقبول ، كما يقال : هو يقن ويقن : إذا كان ذا يقين بكلّ ماحدّث وأصله من أذِن له يأذن : إذا استمع له ، ومنه الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما أذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كإذْنِه لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ » . ومنه قول عدىّ بن زيد :

أيها القَلْبُ تعَلَّلْ بِدَدَنْ إنَّ همِّى فى سَماعٍ وأَذَنْ [1]

وذكر أن هذه الآية نزلت فى ربيع [2] بن الحارث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر الله عيبهم ، يعنى المنافقين ، وأذاهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ،وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) . . . الآية ، وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه قال : إنما محمد أذُن ، من حدّثه شيئا صدّقه ، يقول الله (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) : أى يستمع الخير ، ويصدّق به .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) بإضافة الأذن إلى الخير ، يعنى : قل لهم يا محمد : هو أذن خير ،لاأذن شرّ . وذُكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك (قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) بتنوين أذن ، ويصير خير خبرا له ، بمعنى : قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدّقكم ؟ إن كان محمد كما وصفتموه من أنكم إذا آذيتموه فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه ، وعيبكم له ، سمع منكم وصدّقكم ، خير لكم من أن يكذبكم ، ولا يقبل منكم ما تقولون ، ثم كذّبهم فقال : بل لايقبل إلا من المؤمنين ، يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين .

❁ قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندى فى ذلك : قراءة من قرأ (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) بإضافة الأذن إلى الخير ، وخفض الخير ، يعنى : قل هو أذن خير لكم ، لاأذن شرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) : يسمع من كل أحد .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

(١) البيت لعدى بن زيد (اللسان : ددن) . والدد مثل يد ، والددا مثل قفا ، والددن مثل حزن . والدد بتشديد الدال : اللهو واللعب والأذن : مصدر أذن لشيء (بكسر الذال) ؛ إذا استمع . وفى الحديث : ما أذن الله لشيء ، كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن . قال أبو عبيد : يعنى : ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبى يتغنى بالقرآن ، أى يتلوه يجهر به .

(٢) لعله نبتل بن الحارث كما فى الأثر بعد ، وكما فى كتب التفسير الأخرى .

النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) قال : كانوا يقولون : إنما محمد أذن لايحدَّث عنا شيئا إلا هو أذن يسمع ما يقال له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) : نقول ما شئنا ، ونحلف فيصدّقنا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (هُوَ أُذُنٌ) قال : يقولون : نقول ما شئنا ، ثم نحلف له فيصدّقنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

وأما قوله (يُؤْمِنُ بِاللهِ) فإنه يقول : يصدّق بالله وحده لاشريك له . وقوله (وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : ويصدّق المؤمنين لاالكافرين ولا المنافقين ، وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا : محمد أذن ، يقول جلّ ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير ، يصدّق بالله ، وبما جاءه من عنده ، ويصدّق المؤمنين ، لاأهل النفاق والكفر بالله ، وقيل : ويؤمن للمؤمنين ، معناه : ويؤمن المؤمنين ، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها : آمنت له وآمنته ، بمعنى : صدّقته ، كما قيل (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) ومعناه : ردفكم ، وكما قال (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) ومعناه : للذين هم ربهم يرهبون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (يُؤْمِنُ بِاللهِ ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) : يعنى : يؤمن بالله ، ويصدّق المؤمنين .

وأما قوله (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأ ذلك عامة الأمصار : (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا) بمعنى : قل هو أذن خير لكم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، فرفع الرحمة عطفا بها على الأذن . وقرأه بعض الكوفيين (وَرَحْمَةٍ) عطفا بها على الخير ، بتأويل : قل أذن خير لكم ، وأذن رحمة .

❁ قال أبوجعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى : قراءة من قرأه (وَرَحْمَةٌ) بالرفع ، عطفا بها على الأذن ، بمعنى : وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه ، وصدّق بما جاء به من عند ربه ، لأن الله استنقذهم به من الضلالة ، وأورثهم باتباعه جناته .

القول فى تأويل قوله

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) :

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون هو أذن ، وأمثالهم من مكذّبيه ، والقائلين فيه الهجر والباطل ، عذاب من الله موجع ، لهم فى نار جهنم .

القول فى تأويل قوله

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرهم إياه ، بالطعن عليه ، والعيب له ، ومطابقتهم سرًّا أهل الكفر عليكم بالله ، والأيمان الفاجرة ، إنهم ما فعلوا ذلك ، وإنهم لعلى دينكم ، ومعكم على من خالفكم ، يبتغون بذلك رضاكم ، يقول الله جلّ ثناؤه (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) : بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا . (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كانوا مصدّقين بتوحيد الله ، مقرّين بوعده ووعيده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لِيُرْضُوكُمْ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن رجلا من المنافقين ، قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقا ، لهم شرّ من الحمير ، قال : فسمعها رجل من المسلمين ، فقال : والله إن ما يقول محمد حقّ ، ولأنت شرّ من الحمار ، فسعى بها الرجل إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه ، فقال له : ما حملك على الذى قلتَ ؟ فجعل يلتعن ، ويحلف بالله ما قال ذلك ، قال : وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدّق الصادق ، وكذّب الكاذب ، فأنزل الله فى ذلك (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) .

القول فى تأويل قوله

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ، ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون ، الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم ، وهم مقيمون على النفاق ، أنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما ، فيناوئهما بالخلاف عليهما (فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (خَالِدًا فِيهَا) يقول : لابثا فيها مقيما إلى غير نهاية (ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) يقول : فلبثه فى نار جهنم ، وخلوده فيها ، هو الهوان والذلّ العظيم . وقرأت القرّاء (فَأَنَّ) بفتح الألف من « أن » بمعنى : ألم يعلموا أن لمن حادّ الله ورسوله نار جهنم ، وإعمال يعلموا فيها ، كأنهم جعلوا أن الثانية مكرّرة على الأولى ، واعتمدوا عليها ، إذ كان الخبر معها دون الأولى . وقد كان بعض نحويى البصرة يختار

الكسر فى ذلك على الابتداء ، بسبب دخول الفاء فيها ، وإن دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء ، وأنها إذا كانت جواب الجزاء، كان الاختيار فيها الابتداء. والقراءة التى لا أستجيز غيرها فتح الألف فى كلا الحرفين ، أعنى « أن » الأولى والثانية ، لأن ذلك قراءة الأمصار ، وللعلة التى ذكرت من جهة العربية .

القول فى تأويل قوله

يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ، قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ ، إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤)

❁ يقول تعالى ذكره : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ، يقول : تظهر المؤمنين على ما فى قلوبهم . وقيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا شيئا من أمره وأمر المسلمين ، قالوا : لعلّ الله لا يفشى سرّنا ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : استهزئوا ، متهدّدا لهم متوعدا : (إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَحْذَرُ المُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ) قال : يقولون ، للقول بينهم ، ثم يقولون : عسى الله ألا يفشى سرّنا علينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : سرّنا هذا .

وأما قوله (إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ) فإنه يعنى به : إن الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه ، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم ، فكانت هذه السورة تدعَى الفاضحة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت تسمى هذه السورة الفاضحة ، فاضحة المنافقين .

القول فى تأويل قوله

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ : أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥)

❁ يقول تعالى جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من

الباطل والكذب ، ليقولنّ لك : إنما قلنا ذلك لعبا ، وكنا نخوض فى حديث لعبا وهُزُوًا ؛ يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون .

وكان ابن إسحاق يقول : الذى قال هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذى قال هذه المقالة فيما بلغنى ، وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد من بنى عمرو بن عوف .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك : ما لقرّائنا هؤلاء أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فقال له عوف : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فقال زيد : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنكبه الحجارة ، يقول (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فيقول له النبىّ صلى الله عليه وسلم : (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) ما يزيده .

قال : ثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس ، ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء ، أرغبَ بطونا ، ولا أكذبَ ألسنا ، ولا أجبنَ عند اللقاء ؛ فقال رجل فى المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ونزل القرآن ، قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنكبه الحجارة ، وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) . . . إلى قوله (بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : اللهمّ إنى أسمع آية أنا أُعنَى بها ، تقشعرّ منها الجلود ، وتجِل منها القلوب ، اللهمّ فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك ، لا يقول أحد : أنا غسلت ، أنا كفنت ، أنا دفنت ، قال : فأصيب يوم اليمامة ، فما من أحد من المسلمين إلا وُجِد غيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) . . . الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين ، فقال : أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ، هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « احْبِسُوا عَلَىَّ هَؤُلاءِ الرَّكْبَ ، فأتاهم فقال : قُلْتُمْ كَذَا ، قُلْتُمْ كَذَا ؟ قالوا : يا نبىّ الله إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى فيها ما تسمعون » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) قال : بينما النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وركب من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا: يظنّ هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها ، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، فقال : علىّ بِهَؤُلاءِ النَّفَرِ ، فدعاهم فقال : قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا ، فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبومعشر ، عن محمد بن كعب وغيره ، قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل ، وركب ناقته ، فقال يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال (أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) . . . إلى قوله (مُجْرِمِينَ) وإن رجليه لتسفعان بالحجارة ، وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) قال: قال رجل من المنافقين يحدّثنا محمد أن ناقة فلان بوادى كذا وكذا، فى يوم كذا وكذا ، وما يدريه ما الغيب ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

القول فى تأويل قوله

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، إِن نَّعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم (لَا تَعْتَذِرُوا) بالباطل ، فتقولوا : كنا نخوض ونلعب (قَدْ كَفَرْتُمْ) يقول : قد جحدتم الحقّ بقولكم ماقلتم ، فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يقول : بعد تصديقكم به، وإقراركم به (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) وذكر أنه عُنى بالطائفة فى هذا الموضع رجل واحد.

وكان ابن إسحاق يقول فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشىّ بن حمير الأشجعى حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسمع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ) قال : طائفة : رجل .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه: إن نعف عن طائفة منكم بإنكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر ، نعذّب طائفة بكفره ، واستهزائه بآيات الله ورسوله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالئهم فى الحديث ، فيسير مجانبا لهم ، فنزلت (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) فسمى طائفة ، وهو واحد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن تتب طائفة منكم ، فيعفو الله عنه ، يعذّب الله طائفة منكم ، بترك التوبة .

وأما قوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) فإن معناه : نعذّب طائفة منهم ، باكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ، وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ، نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ، إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٦٧)

❊ يقول تعالى ذكره (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ) وهم الذين يُظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ، ويسرّون الكفر بالله ورسوله (بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) يقول : هم صنف واحد ، وأمرهم واحد ، فى إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر (يَأْمُرُونَ) من قبل منهم (بِالْمُنْكَرِ) وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به وتكذيبه ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ : يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله ، وبما جاءهم به من عند الله .

وقوله (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) يقول : ويمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ، ويكفونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرض الله لهم فى أموالهم مافرض من الزكاة حقوقهم .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) قال : لايبسطونها بنفقة فى حقّ .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) : لايبسطونها بخير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) قال : يقبضون أيديهم عن كلّ خير .

وأما قوله (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ) فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ، ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان : الترك بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .

وكان قتادة يقول فى ذلك : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ) نُسوا من الخير ، ولم يُنْسَوا من الشرّ .

قوله (إنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ) يقول : إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله ، وهم للكفر مستبطنون ، هم المفارقون طاعة الله ، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله .

القول فى تأويل قوله

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا، هِىَ حَسْبُهُمْ، وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨)

يقول تعالى ذكره (وَعَدَ اللهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والكُفّارَ) بالله (نار جهنم) أن يصليهموها جميعا (خالِدِينَ فِيها) يقول : ماكثين فيها أبدا، لايحيون فيها ولا يموتون (هِيَ حَسْبُهُمْ) يقول : هى كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله (وَلَعَنَهُمُ اللهُ) يقول : وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) يقول : وللفريقين جميعا ، يعنى من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم ، لايزول ولا يبيد .

القول فى تأويل قوله

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا، فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ، وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟، أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ، وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب ، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون ، كالذين من قبلكم من الأمم ، الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله ، وعجّل لهم فى الدنيا الخزى مع ما أعدّ لهم من العقوبة والنكال فى الآخرة ، يقول لهم جلّ ثناؤه : واحذروا أن يحلّ بكم من عقوبة الله مثل الذى حلّ بهم ، فإنهم كانوا أشدّ منكم قوّة وبطشا ، وأكثر منكم أموالا وأولادا ، فاستمتعوا بخلاقهم ، يقول : فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، روضُوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضا من نصيبهم فى الآخرة ، وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم فى الاستمتاع

بخلاقكم ، يقول : فعلتم بدينكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم ، الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى . بخلاقهم ، يقول : كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم ، وخضتم فى الكذب والباطل على الله ، كالذى خاضوا ، يقول : وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَتَأْخُذُنَّ كَمَا أَخَذَ الأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ ، ذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَبَاعاً بِبَاعٍ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أُولَئِكَ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم القرآن (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا ، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ ، وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا) قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : « فَهَلِ النَّاسُ إِلَّا هُمْ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . الآية . قال : قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبّهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذى نفسى بيده ، لتتبعُنّهم ، حتّى لو دخل الرجل منهم جحر ضبّ لدخلتموه .

قال ابن جريج : وأخبرنا زياد بن سعد ، عن محمد بن زيد بن مهاجر ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، وَبَاعاً بِبَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » . قالوا : وَمَن هم يا رسول الله ؟ أهل الكتاب ؟ قال : « فَمَنْ ؟ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال أبو سعيد الخدرىّ أنه قال : فمن ؟ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ) قال : بدينهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَذَّرَكُمْ أَنْ تُحْدِثُوا فِى الإِسْلَامِ حَدَثًا » وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الأمة ، فقال الله فى ذلك (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ ، وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا) وإنما حسبوا ألا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى إسرائيل قبلهم ، وإن الفتنة عائدة كما بدت .

وأما قوله (أُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعمالُهُمْ) فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم ، حبطت أعمالهم ، يقول : ذهبت أعمالهم باطلا ، فلا ثواب لها إلا النار ، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه (وأُولَـٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول : وأولئك هم المغبونون صفقتهم ، ببيعهم نعيم الآخرة ، بخلاقهم من الدنيا ، اليسير الزهيد .

القول فى تأويل قوله

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ، وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرّون الكفر بالله ، وينهون عن الإيمان به وبرسوله (نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصَوا رسلنا ، وخالفوا أمرنا ماذا حلّ بهم من عقوبتنا ؟ ثم بين جلّ ثناؤه مَن أولئك الأمم التى قال لهؤلاء المنافقين : ألم يأتهم نبؤهم ، فقال (قَوْمُ نُوحٍ) ولذلك خفض القوم ، لأنه ترجم بهم عن الذين ، والذين فى موضع خفض .

ومعنى الكلام : ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعى بهم ، إذ كذّبوا رسولى نوحا ، وخالفوا أمرى ، ألم أغرقهم بالطوفان . (وَعادٍ) يقول : وخبر عاد إذ عصَوا رسولى هودا ، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية ؛ وخبر ثمود إذ عصوا رسولى صالحا ، ألم أهلكهم بالرجفة ، فأتركهم بأفنيتهم خمودا ؛ وخبر قوم إبراهيم إذ عصوه ، وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحقّ ، ألم أسلبهم النعمة ، وأهلك ملكهم نمروذ ؛ وخبر أصحاب مدين بن إبراهيم ، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلّة ، إذ كذّبوا رسولى شعيبا ؛ وخبر المنقلبة بهم أرضهم ، فصار أعلاها أسفلها ، إذ عصوا رسولى لوطا ، وكذّبوا ما جاءهم به من عندى من الحقّ ؟ يقول تعالى ذكره : أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزءون بالله وبآياته ورسوله ، أن يسلك بهم فى الانتقام منهم ، وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا ، سبيل أسلافهم من الأمم ، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسولى محمدا صلى الله عليه وسلم ما حلّ بهم فى تكذيبهم رسلنا ، إذ أتتهم بالبينات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْمُؤْتَفِكاتِ) قال : قوم لوط انقلبت بهم أرضهم ، فجُعل عاليها سافلَها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والمُؤْتَفِكاتِ) قال : هم قوم لوط .

فإن قال قائل : فإن كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط ، فكيف قيل : المؤتفكات ، فجمعت ولم توحد ؟ قيل : إنها كانت قريات ثلاثا ، فجمعت لذلك ، ولذلك جمعت بالتاء على قول الله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى)

فإن قال : وكيف قيل : أتتهم رسلهم بالبينات ، وإنما كان المرسل إليهم واحدا . قيل : معنى ذلك : أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله ، فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلا إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبى فديك الخارجيّ الفُديكات ، وأبو فديك واحد ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا إلى رئيسهم ، فكذلك قوله (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) وقد يحتمل أن يقال : معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية رسلهم من الله بالبينات .

وقوله (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) يقول جلّ ثناؤه : فما أهلك الله هذه الأمم التى ذكر أنه أهلكها إلا بإجرامها وظلمها أنفسها ، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ، لاظلما من الله لهم ، ولا وضعا منه جلّ ثناؤه عقوبة فى غير من هو لها أهل ، لأن الله حكيم ، لاخلل فى تدبيره ، ولا خطأ فى تقديره ، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله ، حتى أسخطوا عليهم ربهم ، فحقت عليهم كلمة العذاب ، فعذبوا .

القول فى تأويل قوله

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)

❊ يقول تعالى ذكره : وأما المؤمنون والمؤمنات ، وهم المصدّقون بالله ورسوله ، وآيات كتابه ، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم . (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) يقول : يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وبما جاء به من عند الله . (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : ويؤدّون الصلاة المفروضة (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) يقول : ويعطون الزكاة المفروضة أهلها (وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيأتمرون لأمر الله ورسوله ، وينتهون عما نهياهم عنه . (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لاأهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله ، الناهون عن المعروف ، الآمرون بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حقّ الله من أموالهم (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله ذو عزّة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به ، لايمنعه من الانتقام منه مانع ، ولا ينصره منه ناصر ، حكيم فى انتقامه منهم فى جميع أفعاله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : كلّ ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام ، والنهي عن المنكر : النهي عن عبادة الأوثان والشياطين .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) قال : الصلوات الخمس .

القول في تأويل قوله

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ، وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقرّوا به ، وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء ، جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ، يقول : بساتينَ تجري تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها) يقول : لابثين فيها أبدا مقيمين،لايزول عنهم نعيمها ولا يبيد . (وَمَساكِنَ طَيِّبَةً) يقول : ومنازل يسكنونها طيبة .

وطيبها ، أنها فيما ذُكر لنا كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن الحسن ، قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى (وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فقالا : على الخبير سقطت ، سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « قَصْرٌ فِي الجَنَّةِ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، فِيهِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْراءَ ، فِي كُلِّ دارٍ سَبْعُونَ بَيْتاً مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْراءَ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال : ثنا قرة بن حبيب ، عن حسن بن فرقد ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبي هريرة ، قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : « قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ ، فِي ذَلِكَ القَصْرِ سَبْعُونَ دارًا مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْراءَ ، فِي كُلِّ دارٍ سَبْعُونَ بَيْتاً مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْراءَ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِراشاً مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ، عَلَى كُلِّ فِراشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الحُورِ العِينِ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مائِدَةً ، عَلَى كُلِّ مائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْناً مِنْ طَعامٍ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيفَةً ، وَيُعْطَى المُؤْمِنُ مِنَ القُوَّةِ فِي غَداةٍ واحِدَةٍ ما يَأْتِي عَلَى ذلِكَ كُلِّهِ أَجْمَعَ » .

وأما قوله (فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فإنه يعني : وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جلّ ثناؤه في جنات عدن وفي من صلة مساكن . وقيل : جنات عدن ، لأنها بساتين خُلْد وإقامة ، لايظعن منها أحد . وقيل : إنما

قيل لها : جنات عدن ، لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ، ولمن شاء من خلقه ، من قول العرب : عَدَنَ فلان بأرض كذا ، إذا أقام بها وخلد بها ، ومنه المعدِن، ويقال: هو في معدِن صدق ، يعني به أنه في أصل ثابت ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

وَإِنْ تَسْتَضِيفُوا إلى حُكْمِهِ تُضَافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ (١)

ويُنشد : قد وزن .

وكالذي قلنا في ذلك ، كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأوّلونه .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : معدن الرجل الذي يكون فيه .

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا الكنديّ سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ اللهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ في ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، في السَّاعَةِ الأُولَى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ في الكِتابِ الَّذِي لا يَنْظُرُ فيهِ أحَدٌ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ، ثُمَّ يَنْزِلُ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إلى جَنَّةِ عَدْنٍ ، وَهِيَ دارُهُ التي لَمْ تَرَها عَيْنٌ ، وَلَمْ تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ ، ولا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غيرَ ثلاثة : النَّبِيِّينَ ، وَالصِّدِّيقِينَ ، والشُّهَدَاءِ ، ثُمَّ يَقُولُ : طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ . وَذَكَرَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ » .

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَدْنٌ دَارُهُ » يعني : دار الله التي لم ترها عين ، ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، يقول الله تبارك وتعالى : طوبى لمن دخلك .

وقال آخرون : معنى (جَنَّاتِ عَدْنٍ) : جنات أعناب وكروم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن أبي سريج الرازيّ ، قال : ثنا زكريا بن عديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد ابن أبي أنيسة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، أن ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن ، فقال : هي الكروم والأعناب بالسريانية .

---

(١) البيت لأعشى قيس أبي بصير ، من نونيته المقيدة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) . وفي روايته اختلاف عن رواية الطبري . قال :

وإنْ يُسْتَضافُوا إلى حُكْمِهِ يُضافُوا إلى هادِنٍ قَدْ رَزَنْ

وتستضيفوا : تلجئوا . والراجح : الهادئ الساكن . وعدن بالمكان يعدن : أقام فيه وثبت . والهادن في رواية الديوان : الساكن . وهو بمعنى الراجح . ورزن : ثبت واستقر . يقال : شيء رزين : إذا كان ثقيلا ثابتا . والقصيدة في مدح قيس بن معد يكرب الكندي ، وهي ثلاثة وثمانون بيتا .

وقال آخرون : هى اسم لبُطنان الجنة ، ووسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن عبد الله ابن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : عَدْنٌ : بُطْنان الجنة .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان وشعبة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، فى قوله (جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : بُطْنان الجنة . قال ابن بشار فى حديثه : فقلت : ما بطنانها ؟ وقال ابن المثنى فى حديثه : فقلت للأعمش : ما بطنان الجنة ؟ قال : وسطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة وأبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى وعبد الله بن مرّة عنهما جميعا ، أو عن أحدهما ، عن مسروق ، عن عبد الله (جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود فى قول الله (جنَّاتِ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .

وقال آخرون : عَدْنٌ : اسم لقصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا عبدة أبوغَسَّان ، عن عون بن موسى الكِنانى ، عن الحسن ، قال : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب لايدخله إلا نبىّ أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حَكَم عَدْل ، ورفع به صوته .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا عبد الله بن عاصم ، قال : ثنا عون بن موسى ، قال : سمعت الحسن بن أبى الحسن ، يقول : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب ، لايدخله إلا نبىّ أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، رفع الحسن به صوته .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ،

عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن فى الجنة قصرا يقال له : عَدْن،حوله البروج والروح ، له خمسون ألف باب على كل باب حِبَرة ، لايدخله إلا نبىّ ، أو صدّيق .

حدثنا الحسن بن ناجح ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت يعقوب بن عاصم يحدّث ، عن عبد الله بن عمرو ، إن فى الجنة قصرا يقال له عدن ، له خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حبرة ، لايدخله إلا نبىّ ، أو صدّيق ، أو شهيد .

وقيل : هى مدينة الجنة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن عبد الرحمن المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : هى مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعد ، والجنات حولها .

وقيل : إنه اسم نَهر .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المحاربىّ ، عن واصل بن السائب الرّقاشىّ ، عن عطاء ، قال : عدن : نَهر فى الجنة ، جناته على حافتيه .

وأما قوله (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ) فإن معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله ،وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ ، يا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَما لَنا لانَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قالُوا : يا رَبِّ وأَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قال : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانى فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنى يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : يجىء القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل الشاحب إلى الرجل ، حين ينشقّ عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله ، أبشر برضوان الله ، فيقول مثلك من يبشر بالخير ،ومن أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذى كنت أُسهِر ليلك ، وأُظْمِئ نهارك ،فيحمله على رقبته ،حتى يوافى به ربه ، فيمثل بين يديه، فيقول : يا ربّ عبدك هذا ، اجزه عنى خيرا ، فقد كنت أُسهِر ليله ، وأظمئ نهاره ، وآمره فيطيعنى ، وأنهاه فيطيعنى ،فيقول الربّ تبارك وتعالى : فله حلة الكرامة . فيقول : أى ربّ زده ، فإنه أهل ذلك ، فيقول : فله رضوانى . قال : ورضوان من الله أكبر . وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كلّ ما ذكر جلّ ثناؤه ، فرفع ، وإن كان الرضوان

فيما قد وعدهم ، ولم يعطف به فى الإعراب على الجنات والمساكن الطيبة ، ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين، على سائر ما قسم لهم من فضله ، وأعطاهم من كرامته ، نظير قول القائل فى الكلام لآخر : أعطيتك ووصلتك بكذا ، وأكرمتك ، ورضاى بعدُ عنك أفضل ذلك ، هذه الأشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات ، هو الفوز العظيم ، يقول : هو الظفر العظيم ، والنجاء الجسيم ، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد ، ونَجَوا من الهوان فى السفر ، فهو الفوز العظيم ، الذى لاشىء أعظم منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : يا أيها النبىّ جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين .

واختلف أهل التأويل فى صفة الجهاد الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين ، فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وبكل ما أطاق جهادهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم ، عن حسن بن صالح ، عن علىّ بن الأقمر ، عن عمرو بن جندب ، عن ابن مسعود ، فى قوله تعالى (جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ) قال : بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، فإن لم يستطع فليكفهرّ فى وجهه .

وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله تعالى (يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ) قال : الكفار بالقتال ، والمنافقين : أن تغلُظ عليهم بالكلام .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول : جاهد الكفار بالسيف واغلُظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم .

وقال آخرون : بل أمره بإقامة الحدود عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (جاهِدِ الكُفَّارِ

والمُنافِقِينَ) قال : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بالحدود ، أقم عليهم حدود الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم) قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين في الحدود .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب : ما قال ابن مسعود : من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين ، بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين .

فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم ؟ . قيل : إن الله تعالى ذكره ، إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك . وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر ، وأخذ بها ، أنكرها ورجع عنها وقال : إني مسلم ، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقن بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقدا غير ذلك ، وتوكل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر ، فلذلك كان النبيّ صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم ، وإطلاع الله إياه على ضمائرهم ، واعتقاد صدورهم ، كان يقرّهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله ، لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولا كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكره ، وأظهر الإسلام بلسانه ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره إياه ، وعزمه على إمضاء الحكم فيه ، دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ، ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لأحد الأخذ به في الحكم ، وتولى الأخذ به هو دون خلقه .

وقوله (وَاغْلُظْ عَلَيْهِم) يقول تعالى ذكره : واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب .

وقوله (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : ومساكنهم جهنم وهي مثواهم ومأواهم (وَبِئْسَ المَصِيرُ) يقول : وبئس المكان الذي يصار إليه جهنم .

القول في تأويل قوله

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ، مَا قَالُواْ : وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ، وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ، وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ، وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ، فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ، وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) •

اختلف أهل التأويل في الذي نزلت فيه هذه الآية ، والقول الذي كان قاله ، الذي أخبر الله عنه ، أنه يحلف بالله ما قاله ، فقال بعضهم : الذي نزلت فيه هذه الآية : الجُلاس بن سويد بن الصامت .

وكان القول الذى قاله ، ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ) قال : نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقا ، لنحن أشرّ من الحمير ، فقال له ابن امرأته : والله ياعدوّ الله ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلتَ ، فإنى إن لاأفعل أخاف أن تصيبنى قارعة ، وأؤاخذَ بخطيئتك ، فدعا النبىّ صلى الله عليه وسلم الجلاس، فقال : يا جلاس ! أقلت كذا وكذا ؟ ، فحلف ما قال ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ، وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُوا ، وَما نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبومعاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : نزلت هذه الآية (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ) فى الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قُباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقا ، لنحن أشرّ من حميرنا هذه التى نحن عليها . فقال مصعب : أما والله يا عدوّ الله لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وخشيت أن ينزل فىّ القرآن ، أو تصيبنى قارعة ، أو أن أخلط ، قلتُ : يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قُباء ، فقال : كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئته ، أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاسَ ، فقال له : ياجلاسُ أقُلْتَ الّذِى قالَ مُصْعَبُ ؟ قال : فحلف ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا ، ولقدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذى قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس بن سويد بن الصامتَ ، فرفعها عنه رجل كان فى حجره ، يقال له عُمير بن سعيد ، فأنكر ، فحلف بالله ما قالها ؛ فلما نزل فيه القرآن ، تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغنى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَلِمَةَ الكُفْرِ) قال أحدهم : لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحمير ، فقال له رجل من المؤمنين : إنّ ما قال لحقّ ، ولأنت شرّ من حمار ، قال : فهمّ المنافقون بقتله ، فذلك قوله (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُوا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى أيوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظلّ شجرة ، فقال « إنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إنْسانٌ ، فَيَنْظُرُ إلَيْكُمْ بِعَيْنَىْ شَيْطانٍ ، فاذَا جاءَ فَلا تُكَلِّمُوهُ ، فلم يلبث

أن طلع رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : علام تشتمنى أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل ، فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا ، وما فعلوا ، حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا) ثم نعتهم جميعا ، إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : بل نزلت فى عبد الله بن أُبَىّ بن سلولَ ، قالوا : والكلمة التى قالها ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا) . . . إلى قوله (مِنْ وَلِىٍّ وَلا نَصِيرٍ) قال : ذُكر لنا أن رجلين اقتتلا ، أحدهما من جهينة ، والآخر من غفار ، وكانت جهينة حلفاء الأنصار ، وظهر الغفارىّ على الجهنىّ ، فقال عبد الله بن أبىّ للأوس : انصروا أخاكم ، فوالله ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل : سمّن كلبك يأكلك ، وقال : (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ) ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ماقالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يحلفون بالله ماقالوا . وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ) قال : نزلت فى عبد الله بن أبىّ بن سلولَ .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا . أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها ، وجائز أن يكون ذلك القول ما رُوى عن عروة أن الجلاس قاله ، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبىّ بن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال : ولا علم لنا بأن ذلك من أىٍّ ، إذ كان لاخبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويتوصل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يُدرك علمه بفطرة العقل . فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جلّ ثناؤه (يَحْلِفُونَ بِاللهِ ماقالُوا ، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ) .

وأما قوله (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُوا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى الذى كان همّ بذلك وما الشىء الذى كان همّ به ، أقتل ابن امرأته الذى سمع منه ما قال ، وخشى أن يفشيه عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : همّ المنافق بقتله ، يعنى قتل المؤمن الذى قال له : أنت شرّ من الحمار ، فذلك قوله (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُوا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد به .

وقال آخرون : كان الذى همّ رجلا من قريش ، والذى همّ به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شبل ، عن جابر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَهَمُّوا

بِمَا لَمْ يَنَالُوا) قال : رجل من قريش همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له الأسود .

وقال آخرون : الذى همّ عبد الله بن أبىّ بن سلول ، وكان همه الذى لم ينله قوله (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ) من قول قتادة ، وقد ذكرناه .

وقوله (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) ذكر لنا أن المنافق الذى ذكر الله عنه أنه قال : كلمة الكفر كان فقيرا ، فأغناه الله بأن قتل له مولى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديَته ، فلما قال ما قال ، قال الله تعالى (وَمَا نَقَمُوا) يقول : ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا (إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) وكان الجُلاس قتل له مولى له ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته ، فاستغنى ، فذلك قوله (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : قضى النبىّ صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا فى مولى لبنى عدىّ بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : كانت لعبد الله بن أبىّ دِيَة ، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال : ثنا عمرو ، قال : سمعت عكرمة أن مولى لبنى عدىّ بن كعب قتل رجلا من الأنصار ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا ، وفيه أنزلت (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال عمرو : لم أسمع هذا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة ، يعنى الدية اثنى عشر ألفا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا محمد بن سنان العوقىّ ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو ابن دينار ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفا ، فذلك قوله (وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : بأخذ الدية

وأما قوله (فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذى قالوه ، فرجعوا عنه ، يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق . (وَإِنْ يَتَوَلَّوْا) يقول : وإن يدبروا عن التوبة فيأبوها ، ويصرّوا على كفرهم (يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول : يعذّبهم عذابا موجعا فى الدنيا ، إما بالقتل ، وإما بعاجل خزى لهم فيها ، ويعذّبهم فى الآخرة بالنار .

وقوله (وَمَا لَهُمْ فِي الأرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) يقول : وما لهؤلاء المنافقين إن عذّبهم الله

فى عاجل الدنيا ، من ولىّ يواليه على منعه من عقاب الله ، ولا نصير ينصره من الله ، فينقذه من عقابه ، وقد كانوا أهل عزّ ومنعة ، بعشائرهم وقومهم ، يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء ، فأخبر جلّ ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم ، لايمنعونهم من الله ، ولا ينصرونهم منه إن احتاجوا إلى نصرهم . وذُكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (فإنْ يَتُوبُوا خَيْراً لَهُمْ) قال : قال الجلاس : قد استثنى الله لى التوبة ، فأنا أتوب ، فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (فإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ) . . . الآية ، فقال الجلاس : يا رسول الله إنى أرى الله قد استثنى لى التوبة ، فأنا أتوب ، فتاب ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

القول فى تأويل قوله

﴿ * وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ (٧٧) ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم (مَنْ عاهَدَ اللهَ) يقول : أعطى الله عهدا : (لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) يقول : لئن أعطانا الله من فضله ، ورزقنا مالا ، ووسع علينا من عنده (لَنَصَّدَّقَنَّ) : يقول : لَنُخْرِجَنَّ الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربُّنا . (وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ) يقول : ولنعملنّ فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم ، من صلة الرحم به ، وإنفاقه فى سبيل الله . يقول الله تبارك وتعالى : فرزقهم الله وآتاهم من فضله (فَلَمّا آتاهُمْ) الله (مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ) . بفضل الله الذى آتاهم ، فلم يصدّقوا منه ، ولم يصلوا منه قرابة ، ولم ينفقوا منه فى حقّ الله . (وَتَوَلَّوْا) يقول : وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله . (وَهُمْ مُعْرِضُونَ) عنه . (فأعْقَبَهُمْ) الله (نِفاقاً فى قُلُوبِهِمْ) ببخلهم بحقّ الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله ، وإخلافهم الوعد الذى وعدوا الله ، ونقضهم عهده فى قلوبهم . (إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوهُ) : من الصدقة والنفقة فى سبيله . (وبِما كانُوا يَكْذِبُونَ) فى قيلهم ، وحرمهم التوبة منه ، لأنه جلّ ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنه أعقبهموه (إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِىَ بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) . . . الآية ، وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار ، أتى مجلسا فأشهدهم ، فقال : لئن آتانى الله من فضله ، آتيت منه كلَّ ذى حقّ حقه ، وتصدّقت منه ، ووصلت منه القرابة ، فابتلاه الله ، فآتاه من فضله ، فأخلف الله ما وعده ، وأغضب الله بما أخلف ما وعده ، فقصّ الله شأنه فى القرآن (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ) . . . الآية ، إلى قوله (يَكْذِبُونَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا محمد بن شعيب ، قال : ثنا معاذ بن رفاعة السُّلَمىّ ، عن أبى عبد الملك علىّ بن يزيد الإلهانى ، أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن ، أنه أخبره ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصارىّ ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقنى مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ ، قَلِيلٌ تُؤَدّى شُكْرَهُ ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاتُطِيقُهُ » . قال : ثم قال مرّة أخرى ، فقال : أما تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِىِّ اللهِ ، فَوَالذى نَفْسِى بِيَدِهِ . لَوْ شِئْتُ أنْ تَسِيرَ مَعِى الجِبالُ ذَهَباً وَفِضَّةً لَسارَتْ ، قال : والذى بعثك بالحقّ ، لئن دعوت الله فرزقنى مالا ، لأعطينّ كلّ ذى حقّ حقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مالاً ، قال : فاتخذ غنما ، فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، فنزل واديا من أوديتها ، حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ، ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت ، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهى تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ، يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فَعَلَ ثَعْلَبَةُ ؟ فقالوا : يا رسول الله اتخذ غنما ، فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره ، فقال : يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ ، يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ ، قال : وأنزل الله (خُذْ مِنْ أمْوالِهِمْ صَدَقَةً) . . . الآيه ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة ، رجلا من جهينة ، ورجلا من سُلَيم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مُرّا بثعلبة ، وبفلان ، رجل من بنى سليم ، فخذا صدقاتهما ، فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدرى ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىّ ، فانطلقا ، وسمع بهما السلمىّ ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهم بها فلما رأوها ، قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك ، قال : بلى فخذوه ، فإن نفسى بذلك طيبة ، وإنما هى لى ، فأخذوها منه ، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا ، حتى مرّا بثعلبة ، فقال : أرونى كتابكما ، فنظر فيه فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى أرى رأيى ، فانطلقا حتى أتيا النبىّ

صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ ، قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلميّ بالبركة ، فأخبراه بالذى صنع ثعلبة ، والذى صنع السلميّ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) . . . إلى قوله (وَبِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ) وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا . فخرج ثعلبة حتى أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إنَّ اللهَ مَنَعَنِى أنْ أقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ ، فجعل يحثى على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذَا عَمَلُكَ ، قَدْ أمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِى ، فلما أبى أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ؛ ثم أتى أبا بكر حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من الأنصار ، فاقبل صدقتى ، فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها ؟ فقُبض أبو بكر ولم يقبضها ؛ فلما ولى عمر أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبوبكر ، وأنا لاأقبلها منك ، فقُبض ولم يقبلها ، ثم ولى عثمان رحمة الله عليه ، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ولاعمر رضوان الله عليهما وأنا لاأقبلها منك فلم يقبلها منه ، وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن رجلا من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار ، فقال : لئن آتاه الله مالا ، ليؤدّينّ إلى كلّ ذى حقّ حقه ، فآتاه الله مالا ، فصنع فيه ما تسمعون ، قال (فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ) . . . إلى قوله (بِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حَدَّث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة إلى بنى إسرائيل قالت بنوإسرائيل : إن التوراة كثيرة ، وإنا لانفرغ لها ، فسل لنا ربك جماعا من الأمر ، نحافظ عليه ، ونتفرّغ فيه لمعايشنا ، قال: يا قوم مهلا مهلا ، هذا كتاب الله ، ونور الله ، وعصمة الله ، قال : فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم ، قالها ثلاثا ، قال : فأوحى الله إلى موسى : ما يقول عبادى ؟ قال : يا ربّ يقولون : كيت وكيت ، قال : فإنى آمرهم بثلاث ، إن حافظوا عليهنّ دخلوا بهنّ الجنة ، أن ينتهوا إلى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها ، ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم ، وأن لايَطْعَمُوا طعاما حتى يتوضئوا وضوء الصلاة ، قال : فرجع بهنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهنّ ، قال : فوالله ما لبث القوم إلا قليلا حتى جنحوا ، وانقطع بهم ؛ فلما حدّث نبيّ الله بهذا الحديث عن بنى إسرائيل ، قال : « تكفلوا لى بستّ ، أتكفل لكم بالجنة ، قالوا : ما هن يا رسول الله ، قال : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وإذا اؤتُمنتم فلا تخونوا ، وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم ، أبصاركم عن الخيانة ، وأيديكم عن السرقة ، وفروجكم عن الزنا » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ صَارَ مُنافِقاً ، وَإنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ : إذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإذَا اؤْتُمِنَ خانَ ، وَإذَا وَعَدَ أخْلَفَ » .

وقال آخرون : بل المعنيّ بذلك : رجلان : أحدهما ثعلبة ، والآخر مُعَتِّب بن قشير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى الآخر ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، هما من بنى عمرو بن عوف .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) قال : رجلان خرجا على ملإ قعود ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدّقنّ ، فلما رزقهم الله بخلوا به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) رجلان خرجا على ملإ قعود ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدّقنّ ، فلما رزقهم بخلوا به ، فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا : لنصدّقنّ فلم يفعلوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ) . . . الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ؛ فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ، ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة .

❊ قال أبو جعفر : فى هذه الآية الإبانة من الله جلّ ثناوه عن علامة أهل النفاق ، أعنى فى قوله (فَأعْقَبَهُمْ نِفاقاً فى قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوهُ ، وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ) .

وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ، ووردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله : اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى قوله (يَكْذِبُونَ)

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن صبيح بن

عبد الله بن عميرة ، عن عبد الله بن عمر ، قال : ثلاث من كنّ فيه كان منافقا إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، قال : وتلا هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت صبيح بن عبد الله القيسى يقول : سألت عبد الله بن عمرو ، عن المنافق ، فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام المخزومى ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظىّ ، يقول : كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب ، والإخلاف ، والخيانة ، فالتمستها فى كتاب الله زمانا لا أجدها ، ثم وجدتها فى آيتين من كتاب الله ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ) . . . حتى بلغ (وبِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ) ، وقوله (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ على السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ) هذه الآية .

حدثنى القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا أسامة ، قال : ثنا محمد المخرمى ، قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنافِقٌ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » فقلت للحسن : يا أبا سعيد لئن كان لرجل علىّ دين فلقينى ، فتقاضانى وليس عندى ، وخفت أن يحبسنى ويهلكنى ، فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل ، أمنافق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث ، ثم حدّث عن عبد الله بن عمرو ، أن أباه لما حضره الموت ، قال : زوّجوا فلانا ، فإنى وعدته أن أزوّجه ، لا ألقى الله بثلث النفاق ، قال : قلت : يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا ، وثلثاه مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث ، قال : فحَجَجْتُ فلقيت عطاء بن أبى رباح ، فأخبرته الحديث الذى سمعته من الحسن ، وبالذى قلت له ، وقال لى ، فقال : أعجزت أن تقول له : أخبرنى عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يَعِدوا أباهم فأخلفوه ، وحدّثوه فكذّبوه ، وأتمنهم فخانوه ، أفمنافقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبىّ وجدّهم نبىّ ؟ قال : فقلت لعطاء : يا أبا محمد ، حدثنى بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث ، فقال : حدثنى جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصة الذين حدّثوا النبىّ فكذّبوه ، وأتمنهم على سرّه فخانوه ، ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فأخلفوه . قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إِنَّ أَبا سُفْيانَ فِي مَكانِ كَذَا وكَذَا ، فاخْرُجُوا إِلَيْهِ وَاكْتُمُوا » قال : فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدا يريدكم ، فخذوا حذركم ، فأنزل الله (لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، وأنزل فى المنافقين (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى (فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا

اللهَ ما وَعَدُوه وبِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ) فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت لك ، قال : فقدمت على الحسن ، فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاءً يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذى حَدَّث ، وما قال لى ، فأخذ الحسن بيدى ، فأمالها وقال : يا أهل العراق ، أعجزتم أن تكونوا مثل هذا ، سمع منى حديثا ، فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا فى المنافقين خاصة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا يعقوب ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه ، وَإنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ فَهُوَ مُنافِقٌ » . فقيل له : ما هى يا رسول الله ؟ فقال النبىّ عليه السلام : إذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإذَا وَعَدَ أخْلَفَ ، وَإذَا اؤْتُمِنَ خانَ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حَجَّاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنا ميسرة ، عن الأوزاعىّ عن هارون بن رِياب ، عن عبد الله بن عمرو بن وائل ، أنه لما حضرته الوفاة ، قال : إن فلانا خطب إلىّ ابنتى ، وإنى كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعِدة ، والله لا ألقى الله بثلث النفاق ، وأُشهِدُكُم أنى قد زوّجته .

وقال قوم : كان العهد الذى عاهد اللهَ هؤلاء المنافقون شيئا نوَوْه فى أنفسهم ، ولم يتكلموا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمىّ يقول : ركبت البحر ، فأصابنا ريح شديدة ، فنَذَرَ قوم منا نذورا ، ونويت أنا لم أتكلم به ؛ فلما قدمت البصرة ، سألت أبى سليمان ، فقال لى يا بنىّ : فِهْ به .

قال معتمر ، وثنا كهمس عن سعيد بن ثابت ، قال : قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ) . . . الآية قال : إنما هو شىء نوَوْه فى أنفسهم ، ولم يتكلموا به ، ألم تسمع إلى قوله (ألَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وأنَّ اللهَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) .

القول فى تأويل قوله

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرّا ، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهرا ، أن الله يعلم سرّهم الذى يُسرّونه فى أنفسهم ، من الكفر به وبرسوله . (وَنَجْوَاهُمْ) يقول : ونجواهم إذا تناجَوْا بينهم بالطعن فى الإسلام وأهله ، وذكرهم بغير ما ينبغى أن يُذْكروا به ، فيحذروا من الله عقوبته ، أن يُحِلَّها بهم ، وسطوته أن يوقعها بهم ، على كفرهم بالله وبرسوله ، وعيبهم للإسلام وأهله ، فينزِعوا عن ذلك ، ويتوبوا منه . (وأنَّ اللهَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) : يقول : ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم ، مما أكنته نفوسهم ، فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة ،

فيهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه ، وإظهار خلاف ما يعتقدونه .

القول فى تأويل قوله

ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ، وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : الذين يلمِزُون المطوّعين فى الصدقة على أهل المسكنة والحاجة ، بما لم يوجبه الله عليهم فى أموالهم ، ويطعُنون فيها عليهم بقولهم : إنما تصدّقوا به رياء وسمعة ، ولم يريدوا وجه الله ، ويلمزون الذين لايجدون ما يتصدّقون به إلاّ جهدهم ، وذلك طاقتهم ، فينتقصونهم ويقولون : لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا ، سُخرية منهم بهم (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ) . وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه ، فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا . (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم .

وذكر أن المعنىّ بقوله (المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدىّ الأنصارىّ ، وأن المعنىّ بقوله (وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ) أبوعقيل الأراشى أخو بنى أُنيف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ) قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقيةً من ذهب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء ، وقالوا : إنْ كان الله ورسوله لغنيَّين عن هذا الصاع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوما فنادى فيهم : أن اجْمَعُوا صَدَقَاتِكُمْ . فجمع الناس صدقاتهم ، ثم جاء رجل من أحوجهم بمَنٍّ من تمر ، فقال : يا رسول الله هذا صاع من تمر ، بتّ ليلتى أجرّ بالجرير الماء ، حتى نلت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما ، وأتيتك بالآخر ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره فى الصدقات ، فسخر منه رجال وقالوا : والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ، وما يصنعان بصاعك من شىء . ثم إن عبد الرحمن بن عوف : رجل من قريش من بنى زهرة ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بقى من أحد من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : إن عندى مئة أوقية من ذهب فى الصدقات ، فقال له عمر بن الخطاب : أمجنون

أنت ؟ فقال : ليس بي جنون ، فقال : أتعلم ما قلت ؟ قال : نعم ، مالى ثمانية آلاف : أما أربعة آلاف فأُقرضها ربى ، وأما أربعة آلاف فلى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارَكَ اللهُ لكَ فيما أمسكْتَ،وَفيما أعْطَيْتَ ، وكره المنافقون فقالوا : والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء ، وهم كاذبون ، إنما كان به متطوّعا ، فأنزل الله عُذره ، وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر ، فقال الله فى كتابه (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف ، فلمزه المنافقون ، وقالوا : راءَى . (والَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ) قال : رجل من الأنصار ، آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره ، فجاء به ، فلمزوه ، وقالوا : كان الله غنيا عن صاع هذا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) . . . الآية ، قال : أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله ، فتقرّب به إلى الله ، فلمزه المنافقون ، فقالوا : ما أعطى ذلك إلا رياء وسُمعة، فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له : حبْحاب أبوعقيل ، فقال : يا نبىّ الله ، بتّ أجر الجرير على صاعين من تمر : أما صاع فأمسكته لأهلى ، وأما صاع فها هو ذا ، فقال المنافقون : والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ، فأنزل الله فى ذلك القرآن: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ) قال: تصدّق عبد الرحمن بن عوف بشَطْر ماله ، وكان ماله ثمانية آلاف دينار ، فتصدّق بأربعة آلاف دينار ، فقال ناس من المنافقين : إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء، فقال الله: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ). وكان لرجل صاعان من تمر ، فجاء بأحدهما ، فقال ناس من المنافقين : إنْ كان اللهُ عن صاع هذا لغنيا ، فكان المنافقون يطعنُون عليهم ، ويسخرون بهم، فقال الله: (وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ ،فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطى ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى سلمة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَصَدَّقُوا فإنّى أُرِيدُ أنْ أبْعَثَ بَعْثاً » ، قال : فقال عبد الرحمن ابن عوف : يا رسول الله ، إن عندى أربعة آلاف : ألفين أُقرضهما الله ، وألفين لعيالى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بارَكَ اللهُ لكَ فيما أعْطَيْتَ ، وَبارَكَ لكَ فيما أمْسَكْتَ » فقال رجل من الأنصار : وإن عندى صاعين من تمر ، صاعا لربى ، وصاعا لعيالى ، قال : فلَمَزَ المنافقون ،

وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء ، وقالوا : أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، فى قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : أصاب الناس جَهْدٌ شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدّقوا ، فجاء عبدالرحمن بأربع مئة أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُمْ فيما أمْسَكَ » ، فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياء وسمعة ، قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله آجرت نفسى بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلى ، وجئت بصاع من تمر ، فقال المنافقون : إن الله غنىّ عن صاع هذا ، فأنزل الله هذه الآية : (وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآية ، وكان من المطَّوّعين من المؤمنين فى الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، تصدّق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدىّ أخو بنى عجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة ، وحضّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدّق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدىّ ، فتصدّق بمئة وَسْق من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدّق بجهده أبو عقيل ، أخو بنى أنيف الأراشىّ ، حليف بنى عمرو بن عوف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغه فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنىّ عن صاع أبى عقيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكَم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبى وائل ، عن أبى مسعود ، قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ؛ قال أبو النعمان : كنا نعمل ، قال : فجاء رجل ، فتصدّق بشىء كثير ، قال : وجاء رجل فتصدّق بصاع تمر ، فقالوا : إن الله لغنىّ عن صاع هذا ، فنزلت (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، قال : ثنى خالد بن يسار ، عن ابن أبى عقيل ، عن أبيه ، قال : بتّ أجر الجَرير على ظهرى ، على صاعين من تمر ، فانقلبت بأحدهما إلى أهلى يتبلّغون به ، وجئت بالآخر ، أتقرّب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : انثره فى الصدقة ، فسخر المنافقون منه وقالوا : لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآيتين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا الجريرىّ عن أبى السليل ، قال : وقف على الحىّ رجل ، فقال : ثنى أبى أو عمى ، فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « مَنْ

يَتَصَدَّقِ الْيَوْمَ بِصَدَقَةٍ أَشْهَدُ لَهُ بِهَا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قال : وعلىَّ عمامة لى ، قال : فنزعت لَوْثًا أو لَوْثين لأتصدّق بهما ، قال : ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم ، فعصبْتُ بها رأسى ، قال : فجاء رجل لاأرى بالبقيع رجلا أقصر قمة ، ولا أشدّ سوادا ، ولاأذم لعينىّ منه ، يقود ناقة لاأرى بالبقيع أحسن منها ، ولا أجمل منها ، قال : أصدقة هى يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فدونكها ، فألقى بخطامها أو بزمامها ، قال : فلمزه رجل جالس ، فقال : والله إنه ليتصدّق بها ، ولهى خير منه ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل هو خير منك ومنها ، يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم» .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، يقول : الذى تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون ، أبو خَيْثمة الأنصارىّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العَبَّادانى قال : ثنا عامر بن يساف اليمامىّ ، عن يحيى ابن أبى كثير اليمامىّ ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله مالى ثمانية آلاف ، جئتك بأربعة آلاف ، فاجعلها فى سبيل الله ، وأمسكت أربعة آلاف لعيالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارَكَ اللهُ فِيمَا أعْطَيْتَ ، وَفِيمَا أَمْسَكْتَ » ، وجاء رجل آخر فقال : يا رسول الله ، بتّ الليلة أجر الماء على صاعين ، فأما أحدهما فتركت لعيالى ، وأما الآخر فجئتك به ، أجعله فى سبيل الله ، فقال : بارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أعْطَيْتَ وَفِيمَا أَمْسَكْتَ » فقال ناس من المنافقين ، والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياء وسُمعة ، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان ، فأنزل الله : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) يعنى عبد الرحمن بن عوف ، (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) يعنى صاحب الصاع (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم المسلمين ، أن يجمعوا صدقاتهم ، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف ، فقال : هذا مالى أُقرضه الله ، وقد بقى لى مثله ، فقال له : « بُورِكَ لَكَ فِيمَا أعْطَيْتَ ، وفِيمَا أمْسَكْتَ » فقال المنافقون : ما أعطى إلا رياء ، وما أعطى صاحب الصاع إلا رياء ، إنْ كان الله ورسوله لغنيين عن هذا ، وما يصنع الله بصاع من شىء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : أمر النبىّ عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدّقوا ، فقام عمر بن الخطاب ، فألفى مالا وافرا ، فأخذ نصفه ، قال : فجئت أحمل مالا كثيرا ، فقال له رجل من المنافقين : ترائى يا عمر ؟ فقال عمر : أُرائى الله ورسوله ، وأما غيرهما فلا . قال : ورجل من الأنصار لم يكن عنده شىء ، فآجر نفسه ليجرُ الجرير على رقبته ، بصاعين

ليلته ، فترك صاعا لعياله ، وجاء بصاع يحمله ، فقال له بعض المنافقين : إن الله ورسوله عن صاعك لغنيان ، فذلك قول الله تبارك وتعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) : هذا الأنصارى (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وقد بينا معنى اللَّمْز فى كلام العرب بشواهده، وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى .

وأما قوله (الْمُطَّوِّعِينَ) فإن معناه : المتطوّعين ، أدغمت التاء فى الطاء ، فصارت طاء مشددة ، كما قيل (وَمَنْ يَطَّوَّعْ خَيْرًا) يعنى يتطوّع . وأما الجهد، فإن للعرب فيه لغتين ، يقال : أعطانى من جُهده، بضم الجيم ، وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ، ومن جهده بفتح الجيم ، وذلك لغة نجد ، وعلى الضم قراءة الأمصار ، وذلك هو الاختيار عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وأما أهل العلم بكلام العرب ، من رُواة الشعر وأهل العربية ، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد . وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه ، كما اختلفت لغاتهم فى الوُجْد والوَجْد ، بالضم والفتح من وجدت .

ورُوى عن الشعبىّ فى ذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : الجُهد فى العمل ، والجَهد فى القوت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص، عن عيسى بن المُغيرة، عن الشعبىّ، مثله . قال: ثنا ابن إدريس ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : الجُهد فى العمل ، والجَهْد فى المعيشة .

القول فى تأويل قوله

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم فى هذه الآيات بالمغفره ، أو لاتدع لهم بها ، وهذا كلام خرج مَخْرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه : إن استغفرت لهم يا محمد ، أو لم تستغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم . وقوله (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) يقول : إن تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم ، بالعفو منه لهم عنها ، وترك فضيحتهم بها ، فلن يستّر الله عليهم ، ولن يعفوَ لهم عنها ، ولكنه يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم القيامة (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الفعل من الله بهم ، وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : والله لايُوَفّق للإيمان به وبرسوله من آثر الكفر به ، والخروج عن طاعته ، على الإيمان به وبرسوله .

ويُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية ، قال : « لَأَزِيدَنَّ فِي الاسْتِغْفَار

لَهُمْ على سَبْعِينَ مَرَّةً ، رجاء منه أن يغفر الله لهم ، فنزلت (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عبد الله بن أبيّ بن سلول ، قال لأصحابه : لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه ، لانفضُّوا من حوله ، وهو القائل (لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ مِنْها الأذَلَّ) ، فأنزل الله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لأزِيدَنَّ على السَّبْعِينَ ، فأنزل الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فأبى اللهُ تبارك وتعالى أن يغفر لهم .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن الشعبيّ ، قال : دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أنْتَ ؟ قال : حُباب بن عبد الله بن أبيّ ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : بَلْ أنْتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولَ ، إنَّ الحُبابَ هُوَ الشَّيْطانُ ، ثم قال النبيّ عليه الصلاة والسلام : إنَّهُ قَدْ قِيلَ لِي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ، فأنا أسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ، وألبسه النبيّ صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عَرِق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : سأزِيدُ على سَبْعِينَ اسْتِغْفارَةً ، فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون (لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) عزما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن الشعبيّ ، قال : لما ثقل عبد الله بن أبيّ ، انطلق ابنه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إن أبي قد احتُضِر ، فأحبّ أن تشهده وتصلي عليه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما اسْمُكَ ؟ قال : الحباب بن عبد الله ، قال : بَلْ أنْتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ ، إنَّ الحُبابَ اسْمُ شَيْطانٍ ، قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِق ، وصلى عليه ، فقيل له : أتصلي عليه وهو منافق؟ فقال : إنَّ اللهَ قالَ (إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) وَلأَسْتَغْفِرَنَّ لَهُ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ، قال هشيم : وأشكّ في الثالثة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) . . . إلى قوله (القَوْمَ الفاسِقِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ، أَسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ ، فَوَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ، فقال الله من شدة غضبه عليهم (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) فقال نبيّ الله : قَدْ خَيَّرَنِي رَبِّي فَلأَزِيدَنَّهُمْ على سَبْعِينَ ، فأنزل الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لَأَزِيدَنَّ على سَبْعِينَ ، فقال الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) .

القول في تأويل قوله

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَرِهُوٓا۟ أَنْ يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالُوا۟ : لَا تَنفِرُوا۟ فِى الْحَرِّ، قُلْ : نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ (٨١)

❊ يقول تعالى ذكره : فرح الذين خلّفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به، وجهاد أعدائه(بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ) يقول : بجلوسهم فى منازلهم خلاف رسول الله ، يقول : على الخلاف لرسول الله فى جلوسه ومقعده ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله ، فخالفوا أمره ، وجلسوا فى منازلهم . وقوله (خِلافَ) مصدر من قول القائل : خالف فلان فلانا ، فهو يخالفه خلافا ، فلذلك جاء مصدره على تقدير فِعال ، كما يقال : قاتله ، فهو يقاتله قتالا ، ولو كان مصدرا من خلّفه ، لكانت القراءة بمقعدهم خَلْفَ رسول الله ، لأن مصدر خلفه : خَلْف ، لاخلاف ، ولكنه على مابينت من أنه مصدر خالف ، فقرئ خلاف رسول الله ، وهى القراءة التى عليها قراءة الأمصار ، وهى الصواب عندنا . وقد تأوّل بعضهم ذلك ، بمعنى : بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلافَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا[1]

وذلك قريب لمعنى ما قلنا ، لأنهم قعدوا بعده على الخلاف له .

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومى (اللسان : خلف) قال : وفى التنزيل العزيز : (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) قال ابن برى « خلاف » فى الآية بمعنى بعد . وأنشد للحارث بن خالد المخزومى : عقب . . . الخ قال ومثله للبريق الهذلى :

وقوله (وكَرِهُوا أنْ يُجاهِدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله : يعنى : فى دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ، ميلا إلى الدَّعَة والخَفْض ، وإيثارا للراحة على التعب والمشقة ، وشُحّا بالمال أن ينفقوه فى طاعة الله (وَقالُوا لاتَنْفِرُوا فِي الحَرّ) وذلك أن النبىّ صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة ، وهى غزوة تَبوك فى حرّ شديد ، فقال المنافقون بعضهم لبعض : لاتنفروا فى الحرّ ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : نار جهنم التى أعدّها الله لمن خالف أمره ، وعصى رسوله ، أشدّ حرّا من هذا الحرّ الذى تتواصَوْن بينكم أن لاتنفروا فيه ، يقول : الذى هو أشدّ حرّا أحرى أن يحذر ويتقى من الذى هو أقلهما أذى (لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ، ويتدبرون آىَ كتابه ، ولكنهم لايفقهون عن الله ، فهم يحذرون من الحرّ أقلّه مكروها ، وأخفه أذى ، ويوافقون أشدّه مكروها ، وأعظمه على من يصلاه بلاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ) . . . إلى قوله (يَفْقَهُونَ) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك فى الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحرّ شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر فى الحرّ ، فقال الله (قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّاً لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ) فأمره الله بالخروج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ) قال : من غزوة تَبُوك .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ وغيره ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد إلى تبوك ، فقال رجل من بنى سَلِمة : لاتنفروا فى الحرّ ، فأنزل الله (قُلْ نارُ جَهَنَّمَ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك على شدّة الحرّ ، وجدب البلاد ، يقول الله جلّ ثناؤه (وقالوا : لاتنفروا فى الحرّ ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّاً) .

وماكُنْتُ أخْشَى أنْ أعيشَ خِلافهم بِسِتَّةِ أبْياتٍ كَمَا نَبَتَ العِتْرُ

وفى (اللسان : عقب) : عقب الرذاذ خلافهم . وكل شىء كان بعد شىء فقد عقبه . والشواطب : من النساء : اللواتى يشققن الخوص ، ويقشرن العسب ، ليتخذن منه الحصر ، ثم يلقينها إلى المنقيات . تقول منه : شطبت المرأة الجريد شطبا : شققته فهى شاطبة ، لتعمل منه الحصر . والمنقية : التى تأخذ كل شىء عليه بسكينها ، حتى تتركه رقيقا تلقيه إلى الشاطبة ثانية . شبه آثار الربيع فى الأرض من الزرع الذى يكسرها بحصر مبسوطة .

القول فى تأويل قوله

فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا، جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، فليضحكوا فرحين قليلا فى هذه الدنيا الفانية، بمقعدهم خلاف رسول الله ، ولهوهم عن طاعة ربهم ، فإنهم سيبكون طويلا فى جهنم مكان ضحكهم القليل فى الدنيا . جزاء: يقول : ثوابا منا لهم على معصيتهم، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم ، وقعودهم فى منازلهم خلاف رسول الله (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : بما كانوا يجترحون من الذنوب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبى رزين (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ماشاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاء لاينقطع ، فذلك الكثير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خيثم (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً) قال : فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : فى الآخرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالا : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين ، فى قوله (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : فى الآخرة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى رزين ، أنه قال فى هذه الآية (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : ليضحكوا فى الدنيا قليلا ، وليبكوا فى النار كثيرا ، وقال فى هذه الآية (وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) قال: أجلهم أحد هذين الحديثين [1] ، رفعه إلى ربيع بن خيثم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً) قال : ليضحكوا قليلا فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) فى الآخرة فى نار جهنم (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً) : أى فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) : أى فى النار . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . ذُكر لنا أنه نودى عند ذلك ، أو قيل له : لاتُقنّط عبادى .

---

(١) أى أحد الحديثين فى الآية هو الأجل ، والغرض من الحديثين القليل والكثير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خيثم (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً) قال : فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : فى الآخرة .

قال : ثنا أبومعاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً) قال : فى الدنيا فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاء لاينقطع ، فذلك الكثير .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزُوا ولعبا ، يقول الله تبارك وتعالى (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً) فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلْيَضْحَكُوا) فى الدنيا (قَلِيلاً ، وَلْيَبْكُوا) يوم القيامة (كَثِيرًا .وقال (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) حتى بلغ (هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ) ؟.

القول فى تأويل قوله

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ، وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ، إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ (٨٣)

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن ردّك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين : من غزوتك هذه ، فاستأذنوك للخروج معك فى أخرى غيرها (فَقُلْ) لهم (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا ، إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بالقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وذلك عند خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى تبوك (فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ) يقول : فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنكم منهم ، فاقتدوا بهديهم ، واعملوا مثل الذى عملوا من معصية الله ، فإن الله قد سخط عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التدويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قال : قال رجل : يا رسول الله ، الحرّ شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر فى الحرّ ، وذلك فى غزوة تبوك ، فقال الله (قُلْ : نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ) فأمره الله بالخروج ، فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم ، فقالوا : والله ما صنعنا شيئا ، فانطلق منهم ثلاثة ، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوه تابوا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فأنزل الله : (فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ) . . . إلى قوله (وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلَكَ الَّذِينَ

تخلّفوا ، فأنزل الله عذرهم لما تابوا ، فقال (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنْصارِ . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، وقال (إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنْ رَجَعَكَ اللهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ) . . . إلى قوله (فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ) : أى مع النساء . ذُكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين ، فقيل فيهم ما قيل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : (فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ) والخالفون : الرجال .

❁ قال أبو جعفر : والصواب من التأويل فى قوله (الخالِفِينَ) ما قال ابن عباس . فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء ، فقول لامعنى له ، لأن العرب لاتجمع النساء إذا لم يكن معهنّ رجال بالياء والنون ، ولا بالواو والنون ، ولو كان معنيا بذلك النساء ، لقيل : فاقعدوا مع الخوالف ، أو مع الخالفات ، ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به : فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زَمانتهم والضعفاء منهم والنساء ، وإذا اجتمع الرجال والنساء فى الخبر ، فإن العرب تغلّب الذكور على الإناث ، ولذلك قيل (فاقْعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ) . والمعنى ما ذكرنا ؛ ولو وُجِّه معنى ذلك إلى : فاقعدوا مع أهل الفساد ، من قولهم : خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفا ، إذا فسد ، ومن قولهم : هو خَلْف سَوْء ، كان مذهبا ، وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم : خَلَف اللبن يَخْلُف خُلوفا إذا خَبُثَ من طول وضعه فى السقاء حتى يفسد ، ومن قولهم : خَلَف فَمُ الصائم : إذا تغيرت ريحه .

القول فى تأويل قوله

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ (٨٤)

❁ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تصلّ يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين ، الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ، (ولا تَقُمْ على قَبْرِهِ) يقول : ولا تتولّ دفنه وتقبره ، من قول القائل : قام فلان بأمر فلان : إذا كفاه أمره (إنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ) يقول إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله ، وماتوا وهم خارجون من الإسلام ، مفارقون أمر الله ونهيه ، وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبىّ صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع ، وسَوّار بن عبد الله ، قالوا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله قال : أخبرنى نافع ، عن ابن عمر ، قال : جاء ابن عبد الله بن أبىّ بن سلول ، إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم حين مات أبوه ، فقال : أعطنى قميصك حتى أكفنه فيه ، وصلّ عليه ، واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، وقال « إذَا فرَغتُمْ فَآذِنُونِي » فلما أراد أن يصلى عليه ، جذبه عمر ، وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلىَ على المنافقين ؟ فقال : بَلْ خَيَّرَنِي ، وقالَ : (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) قال : فصلىّ عليه ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) قال : فترك الصلاة عليهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن عبيد الله ، عن ابن عمر ، قال : لما تُوفى عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، جاء ابنه عبد الله إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه ، يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأخذ بثوب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ابن سلول أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه ؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنَّمَا خَيَّرَنِي رَبِّي ، فقالَ : اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) وسأزيدُ على سَبْعِينَ ، فقال : إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) .

حدثنا سوار بن عبد الله العنبرىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن مجالد ، قال : ثنى عامر ، عن جابر ابن عبد الله ، أن رأس المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلى عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفن فى قميصه ، فكفنه فى قميصه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) .

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سلمة ، عن يزيد الرَّقاشىّ ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلى على عبد الله بن أبىّ بن سلول ، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : جاء النبىُّ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبىّ ، وقد أدخل حفرته ، فأخرجه ، فوضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ، وتفل عليه من ريقه ، والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لما توفى عبد الله بن أبىّ بن سلول ، دُعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحوّلت حتى قمت فى صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أتصلى على عدوّ الله عبد الله بن أبىّ القائل يوم كذا : كذا وكذا ، أعدّد أيامه [1] ، ورسول الله عليه السلام يتبسّم ، حتى إذا أكثرت عليه ، قال : أخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ إنِّي خُيِّرْتُ فاخْتَرْتُ ، وَقَدْ قِيلَ لِى (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، أوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،

(١) كذا فى النيسابورى أيضا ، ولعله مصحف آثامه ، ورواية البخارى : أعدد قوله .

إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ،فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) فلَوْ أَنِّي أعْلَمُ أَنِّي إنْ زِدْتُ على السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ ، لَزِدْتُ ، قال : ثم صلى عليه ومشى معه ، فقام على قبره ، حتى فرغ منه ، قال : أتعجب لى وجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ، ولا قام على قبره ، حتى قبضه الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما مات عبد الله بن أبىّ ، أتى ابنه عبدُ الله بن عبد الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفّن فيه أباه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى الليث ، قال : ثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب ، قال : لما مات عبد الله بن أبىّ ، فذكر مثل حديث ابن حميد ، عن سلمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) . . . الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر ، فأتاه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : أهْلَكَكَ حُبُّ اليَهُودِ ، قال : فقال : يا نبىّ الله إنى لم أبعث إليك لتؤنبنى ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لى ، وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات ، فكفن فى قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفث فى جلده ، ودلّاه فى قبره ،فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا) . . . الآية ، قال : ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كُلِّم فى ذلك ، فقال : وَما يُغْنِى عَنْهُ قَمِيصِى مِنَ اللهِ أوْ رَبِّى وَصَلاتِى عَلَيْهِ ؛ وإنِّى لأرْجُو أنْ يُسْلِمَ بِهِ ألْفٌ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أرسل عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، وهو مريض إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما دخل عليه ، قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : أهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودَ ، قال : يا رسول الله ، إنما أرسلت إليك لتستغفر لى ، ولم أرسل إليك لتؤنبنى ، ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَلا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) .

القول فى تأويل قوله

وَلا تُعْجِبْكَ أمْوَالُهُمْ وَأوْلادُهُمْ ، إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، فتصلّ على أحدهم إذا مات، وتقومَ على قبره من أجل كثرة ماله وولده، فإنى إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك، لأعذّبه بها فى الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ) يقول: ويموت فتخرج نفسه من جسده، فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالاً عليه حينئذ، ووبالاً عليه فى الآخرة بموته، جاحدا توحيد الله، ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنى المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن السدىّ (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ) فى الحياة الدنيا.

القول فى تأويل قوله

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ، وَقَالُوا۟: ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن، بأن يقال لهؤلاء المنافقين (آمِنُوا بِاللهِ) يقول: صدّقوا بالله (وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ) يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يقول: استأذنك ذووالغنى والمال منهم فى التخلف عنك، والقعود فى أهله (وَقَالُوا: ذَرْنَا) يقول: وقالوا لك: دَعْنا نكن ممن يقعد فى منزله مع ضعفاء الناس ومَرْضاهم، ومن لايقدر على الخروج معك فى السفر.

وبنحو الذى قلنا فى معنى الطَّوْل، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ) قال: يعنى أهل الغنى.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يعنى: الأغنياء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) كان منهم عبد الله بن أبىّ، والجدّ بن قيس، فنعى الله ذلك عليهم.

القول فى تأويل قوله

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ، وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)

﴿ يقول تعالى ذكره : رضى هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم : آمنوا بالله ، وجاهدوا مع رسوله ، استأذنك أهل الغنى منهم فى التخلف عن الغزو ، والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين ، أن يكونوا فى منازلهم كالنساء اللواتى ليس عليهنّ فرض الجهاد ، فهن قعود فى منازلهنّ وبيوتهنّ (وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين ، فهم لايفقهون عن الله مواعظه ، فيتعظون بها ، وقد بيّنّا معنى الطبع ، وكيف الختم على القلوب فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الخوالف ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) قال : والخوالف : هنّ النساء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) يعنى : النساء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حبوية أبو يزيد ، عن يعقوب القمىّ ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) قال : النساء .

قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (مَعَ الخَوَالِفِ) قال : مع النساء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) أى مع النساء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) قالا : النساء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) قال : مع النساء .

القول فى تأويل قوله

لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، وَأُولَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ ، وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨٨)

﴿ يقول تعالى ذكره : لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين ، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين صدّقوا الله ورسوله معه ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ،

فأنفقوا فى جهادهم أموالهم ، وأتعبوا فى قتالهم أنفسهم ، وبذلوها (وأولئك) يقول : وللرسول، وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم الخيرات ، وهى خيرات الآخرة ، وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها ، واحدتها : خَيْرة ، كما قال الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ ... رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ الْمَلِكَاتِ[1]

والخَيْرة من كلّ شىء : الفاضلة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقولُ : وأولئك هم المخلدون فى الجنات، الباقون فيها الفائزون بها .

القول فى تأويل قوله

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ، ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٨٩)

يقول تعالى ذكره : أعدّ الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات ، وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) يقول : لابثين فيها ، لايموتون فيها ، ولا يُظْعَنون عنها ، (ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول : ذلك النجاء العظيم ، والحظّ الجزيل .

القول فى تأويل قوله

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)

يقول تعالى ذكره (وَجَاءَ) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم (المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) فى التخلف (وَقَعَدَ) عن المجىء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه (الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) وقالوا : الكذب ، واعتذروا بالباطل ، فيهم يقول تعالى ذكره : سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ، ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم .

فإن قال قائل : فكيف قيل (وَجاءَ المُعَذِّرُونَ) وقد علمت أن المعذّر فى كلام العرب ، إنما هو الذى يُعَذِّر فى الأمر ، فلا يبالغ فيه ، ولا يحكمه ، وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّهم ، وحرصوا على ذلك ، فلم

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لرجل من بنى عدى تيم تميم ، جاهل (اللسان : خير) . قال : وقال تعالى (أولئك لهم الخيرات) جمع خيرة وهى الفاضلة من كل شىء . وقال تعالى : (فيهن خيرات حسان) ، قال الأخفش : إنه لما وصف به وقيل فلان خير ، أشبه الصفات ، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ، ولم يريدوا به أفعل ، وأنشد البيت . فإن أردت معنى التفضيل قلت : فلانة خير الناس ولم تقل خيرة ، وفلان خير الناس ، ولم تقل أخير ، لايثنى ولا يجمع ، لأنه فى معنى أفعل . وقال أبو منصور الأزهرى : لافرق بين الخيرة (بتشديد الياء) ، والخيرة (بتخفيفها) ، عند أهل اللغة ، يقال : هى خيرة النساء ، وشرة النساء ، واستشهد بما استشهد به أبو عبيدة . وقال خالد بن جنبه : الخيرة من النساء : الكريمة النسب ، الشريفة الحسب : الحسنة الوجه ، الحسنة الخلق، الكثيرة المال ، التى إذا ولدت أنجبت . والربلة ، بتحريك الباء وإسكانها : كل لحمة غليظة . وقيل : هى ما حول الضرع والحياء ، من باطن الفخذ ، وأمرأة ربلة وربلاء : ضخمة الربلات .

يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا، أولى وأحقّ منهم بأن يوصفوا بأنهم عَذَّروا ، إذا وصفوا بذلك .

فالصواب فى ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس ، وذلك ما حدثناه المثنى . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى حماد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَجاء المُعْذِرُونَ) مخففة ، ويقول : هم أهل العذر مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهبت إليه ، وإن معناه : وجاء المعتذرون من الأعراب ، ولكن التاء لما جاورت الذال ، أدغمت فيها ، فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى ، كما قيل: يذّكرون فى يتذكرون، ويذّكر فى يتذكر ، وخرجت العين من المعذرين إلى الفتح ، لأن حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة ، نقلت إليها ، فحركت بما كانت به محركة ، والعرب قد توجه فى معنى الاعتذار إلى الإعذار ، فتقول : قد اعتذر فلان فى كذا ، يعنى : أعذر ، ومن ذلك قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ۝ وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقدِ اعْتَذَرْ

فقال : فقد اعتذر ، بمعنى : فقد أعذر .

على أن أهل التأويل ، قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذّرين ، فقال بعضهم : كانوا كاذبين فى اعتذارهم ، فلم يعذرهم الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوعبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، عن الحسين ، قال : كان قتادة يقرأ (وَجاء المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ) قال : اعتذروا بالكذب .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ) قال نفر من بنى غِفار جاءوا فاعتذروا، فلم يعذرهم الله ، فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء، أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار بالباطل لابالحقّ، فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار ، إلا أن يوصفوا بأنهم أعذروا فى الاعتذار بالباطل . فأما بالحقّ على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء ، فغير جائز أن يوصفوا به . وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذرين غير جادّين ، يعرضون ما لايريدون فعله ، فمن وجهه إلى هذا التأويل ، فلا كلفة فى ذلك. غير أنى لاأعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن ، وجه تأويله إلى ذلك ، فاستحبّوا القول به .

وبعد: فإن الذى عليه من القراءة قرّاء الأمصار ، التشديد فى الذال ، أعنى من قوله (المُعَذِّرُونَ) ، ففى ذلك دليل على صحة تأويل من تأوّله بمعنى الاعتذار ، لأن القوم الذين وصفوا بذلك ، لم يكلفوا أمرا عُذِروا فيه ، وإنما كانوا فرقتين، إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسق ،لأمر الله مخالف ، فليس فى الفريقين موصوف بالتعذير فى الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو معذِر مبالغ ، أو معتذر ؛

فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الحجة من القرّاء مجمعة على تشديد الذال من المعذّرين ، علم أن معناه ما وصفناه من التأويل ، وقد ذكر عن مجاهد فى ذلك موافقة ابن عباس .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد ، قال قرأ مجاهد (وَجاءَ المُعْذِرُونَ) مخففة ، وقال : هم أهل العذر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان المعذِرون [1] .

القول فى تأويل قوله

لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ، وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ، وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ، وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١)

يقول تعالى ذكره : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ، ولا على المرضَى ، ولا على من لايجد نفقة يتبلغ بها إلى مَغزاه حرَج ، وهو الإثم ، يقول : ليس عليهم إثم إذا نصحوا لله ولرسوله فى مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما عَلى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) يقول : ليس على من أحسن ، فنصح الله ورسوله فى تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الجهاد معه ، لعذر يعذر به ، طريق يتطرّق عليه ، فيعاقب من قِبَله (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : والله ساتر على ذنوب المحسنين ، يتغمدها بعفوه لهم عنها ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى عائذ بن عمرو المزنىّ . وقال بعضهم : فى عبد الله بن مُغَفّل .

ذكر من قال : نزلت فى عائذ بن عمرو

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَيْسَ على الضُّعَفاءِ وَلا على المَرْضَى وَلا على الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ) نزلت فى عائذ بن عمرو .

ذكر من قال : نزلت فى ابن مُغَفّل

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَيْسَ على الضُّعَفاءِ وَلا على المَرْضَى) . . . إلى قوله (حَزَناً أنْ لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه ، فيهم عبد الله ابن مُغَفّل المزنىّ ، فقالوا : يا رسول الله احملنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ ما أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، فتولوا ولهم بكاء ، وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقة ، ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم فى كتابه ، فقال (لَيْسَ على الضُّعَفاءِ وَلا على المَرْضَى ، وَلا على الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ) . . . إلى قوله (فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) .

(١) بياض فى الأصل ، والذى ذكره السيوطى فى الدر وابن كثير فى تفسيره عن ابن إسحاق أنهم نفر من بنى غفار ، منهم خفاف ابن إيماء بن رحضة .

القول فى تأويل قوله

وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، قُلْتَ: لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره: ولا سبيل أيضا على النفر الذين إذا ما جاءوك لتحملهم، يسألونك الحُمْلان، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد، قلت لهم: لاأجد حمولة أحملكم عليها (تَوَلَّوْا) يقول: أدبروا عنك (وأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً) وهم يبكون من حزن على أنهم لايجدون ما ينفقون، ويتحملون به للجهاد فى سبيل الله.

وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت فى نفر من مُزَيْنة.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَلا علي الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتُ لاأجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) قال: هم من مُزَيْنة.

حدثنى المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن نجيح، عن مجاهد، فى قوله (وَلا علي الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) قال: هم بنو مُقَرِّن من مزينة.

حدثنى المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج، قراءة عن مجاهد، فى قوله (وَلا علي الَّذِينَ إذا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ)... إلى قوله (حَزَناً أن لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ) قال: هم بنومقرِّن من مزينة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَلا علي الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) قال: هم بنومُقَرِّن من مزينة.

قال: ثنا أبى، عن أبى جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن عروة، عن ابن مغفل المزنىّ، وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم (وَلا علي الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ)... الآية.

حدثنى المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن ابن جريج، عن مجاهد، فى قوله (تَوَلَّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً) قال: منهم ابن مُقَرِّن.

وقال سفيان: قال الناس: منهم عِرْباض بن سارية.

وقال آخرون: بل نزلت فى عِرْباض بن سارية.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبوعاصم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمىّ، وحُجْر بن حُجْر الكَلاعى، قالا: دخلنا على عِرْباض بن سارية، وهوالذى أنزل فيه (وَلا علي الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ)... الآية.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الوليد ، قال : ثنا ثور ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، وحُجْر بن حُجْر بنحوه .

وقال آخرون : بل نزلت فى نفر سبعة من قبائل شتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره ، قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : (لاأجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) ، فأنزل الله (وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . الآية ، قال : هم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، ومن بنى واقف : حِرْمِىّ بن عمرو ، ومن بنى مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلى ، ومن بنى المعلّى : سَلْمان بن صخر ، ومن بنى حارثة : عبد الرحمن بن يزيد أبو عَبْلة ، وهو الذى تصدّق بعِرْضه ، فقبله الله منه ، ومن بنى سَلِمة : عمرو بن غنمة ، وعبد الله بن عمرو المُزَنِىّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (وَلا على الَّذِينَ إذا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم) إلى قوله (حَزَناً) وهم البكاءون ، كانوا سبعة . والله أعلم .

تمّ الجزء العاشر ، من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الحادى عشر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ) . . . الآية

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .

قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير » .

محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الحادي عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الحادى عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٣	إنما السبيل على الذين . . .	١
٩٤	يعتذرون إليكم إذا رجعتم . . .	١
٩٥	سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم . . .	٢
٩٦	يحلفون لكم لترضوا عنهم . . .	٣
٩٧	الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا . . .	٣
٩٨	ومن الأعراب من يتخذ ماينفق . . .	٤
٩٩	ومن الأعراب من يؤمن بالله . . .	٥
١٠٠	والسابقون الأوّلون من المهاجرين ...	٦
١٠١	وممن حولكم من الأعراب . . .	٩
١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم . . .	١٢
١٠٣	خذ من أموالهم صدقة . . .	١٦
١٠٤	ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة . . .	١٨
١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم . . .	٢٠
١٠٦	وآخرون مُرْجَوْن لأمر الله . . .	٢١
١٠٧	والذين اتخذوا مسجدا ضرارا . . .	٢٢
١٠٨	لاتقم فيه أبدا لمَسجدٌ أُسِّس . . .	٢٦
١٠٩	أفمن أسس بنيانه على تقوى . . .	٣١
١١٠	لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة . . .	٣٣
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين . . .	٣٥
١١٢	التائبون العابدون الحامدون . . .	٣٦
١١٣	ما كان للنبىّ والذين آمنوا	٤٠
١١٤	وما كان استغفار إبراهيم لأبيه . . .	٤٠
١١٥	وما كان الله ليُضلّ قوما . . .	٥٣
١١٦	إن الله له ملك السموات والأرض ...	٥٤
١١٧	لقد تاب الله على النبىّ والمهاجرين ...	٥٤
١١٨	وعلى الثلاثة الذين خلفوا . . .	٥٦
١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٦٢
١٢٠	ما كان لأهل المدينة . . .	٦٤
١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة . . .	٦٦
١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . .	٦٦
١٢٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا . . .	٧١
١٢٤	وإذا ما أنزلت سورة . . .	٧٢
١٢٥	وأما الذين فى قلوبهم مرض . . .	٧٣
١٢٦	أوَلايرون أنهم يفتنون . . .	٧٣
١٢٧	وإذا ما أنزلت سورة نظر . . .	٧٥
١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . .	٧٦
١٢٩	فإن تولوا فقل حسبى الله . . .	٧٧
	سورة يونس عليه السلام	٧٩
١	الر تلك آيات الكتاب الحكيم . . .	٧٩
٢	أكان للناس عجبا أن أوحينا . . .	٨٠
٣	إن ربكم الله . . .	٨٣
٤	إليه مرجعكم جميعا . . .	٨٤
٥	هو الذى جعل الشمس ضياء . . .	٨٦
٦	إن فى اختلاف الليل والنهار . . .	٨٦
٧	إن الذين لايرجون لقاءنا . . .	٨٧
٨	أولئك مأواهم النار . . .	
٩	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	دعواهم فيها سبحانك . . .	٨٨
١١	ولو يعجل الله للناس الشرّ . . .	٩١
١٢	وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا . . .	٩٢
١٣	ولقد أهلكنا القرون من قبلكم . . .	٩٣
١٤	ثم جعلناكم خلائف فى الأرض . . .	٩٣
١٥	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . . .	٩٤
١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم . . .	٩٥
١٧	فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	٩٧
١٨	ويعبُدون من دون الله . . .	٩٧
١٩	وما كان الناس إلا أمة واحدة . . .	٩٨
٢٠	ويقولون لولا أنزل عليه آية . . .	٩٨
٢١	وإذا أذقنا الناس رحمة . . .	٩٩
٢٢	هو الذى يُسيركم فى البر . . .	٩٩
٢٣	فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض ...	١٠١
٢٤	إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه . . .	١٠١
٢٥	والله يدعو إلى دار السلام . . .	١٠٣
٢٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . . .	١٠٤
٢٧	والذين كسبوا السيئات جزاء . . .	١٠٩
٢٨	ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول . . .	١١١
٢٩	فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم . . .	١١٢
٣٠	هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت . . .	١١٢
٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض . . .	١١٣
٣٢	فذلكم الله ربكم الحقّ . . .	١١٤
٣٣	كذلك حقّت كلمة ربك . . .	١١٤
٣٤	قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ...	١١٤
٣٥	قل هل من شركائكم من يهدى . . .	١١٥
٣٦	وما يتبع أكثرهم إلا ظنا . . .	١١٦
٣٧	وما كان هذا القرآن أن يُفتَرى . . .	١١٧
٣٨	أم يقولون افتراه . . .	١١٧
٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . . .	١١٨
٤٠	ومنهم من يؤمن به . . .	١١٨
٤١	وإن كذبوك فقل لى عملى . . .	١١٨
٤٢	ومنهم من يستمعون إليك . . .	١١٩
٤٣	ومنهم من ينظر إليك . . .	١١٩
٤٤	إن الله لايظلم الناس شيئا . . .	١٢٠
٤٥	ويوم نحشرُهم كأن لم يلبثوا . . .	١٢٠
٤٦	وإما نُرينَّك بعض الذى نعدهم . . .	١٢٠
٤٧	ولكل أمة رسول . . .	١٢١
٤٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	١٢١
٤٩	قل لاأملك لنفسى ضرّا ولا نفعا . . .	١٢١
٥٠	قل أرأيتم إن أتاكم عذابه . . .	١٢٢
٥١	أثُم إذا ما وقع آمنتم به . . .	١٢٢
٥٢	ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا . . .	١٢٢
٥٣	ويستنبئونك أحقّ هو . . . ؟	١٢٣
٥٤	ولو أن لكلّ نفس ظلمت . . .	١٢٣
٥٥	ألا إن لله ما فى السموات والأرض . . .	١٢٣
٥٦	هو يحيى ويميت . . .	١٢٣
٥٧	يا أيها الناس قد جاءتكم . . .	١٢٤
٥٨	قل بفضل الله وبرحمته . . .	١٢٤
٥٩	قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق . . .	١٢٧
٦٠	وما ظنّ الذين يفترون على الله . . .	١٢٨
٦١	وما تكونُ فى شأن ، وماتتلو منه . . .	١٢٨
٦٢	ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم . . .	١٣١
٦٣	الذين آمنوا وكانوا يتقون . . .	١٣٣
٦٤	لهم البشرى فى الحياة الدنيا . . .	١٣٣
٦٥	ولا يحزُنك قولهم إن العزّة لله . . .	١٣٩
٦٦	ألا إن لله من فى السموات . . .	١٣٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	هو الذى جعل لكم الليل . . .	١٣٩
٦٨	قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه . . .	١٤٠
٦٩	قل إن الذين يفترون على الله . . .	١٤١
٧٠	متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم . . .	١٤١
٧١	واتل عليهم نبأ نوح . . .	١٤١
٧٢	فإن توليتم فما سألتكم من أجر . . .	١٤٤
٧٣	فكذبوه فنجيناه ومن معه . . .	١٤٤
٧٤	ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم . . .	١٤٤
٧٥	ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون . . .	١٤٥
٧٦	فلما جاءهم الحق من عندنا . . .	١٤٥
٧٧	قال موسى أتقولون للحق . . .	١٤٥
٧٨	قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا . . .	١٤٦
٧٩	وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم . .	١٤٧
٨٠	فلما جاء السحرة قال لهم موسى . . .	١٤٧
٨١	فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به . . .	١٤٧
٨٢	ويحق الله الحق بكلماته . . .	١٤٨
٨٣	فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه . . .	١٤٩
٨٤	وقال موسى يا قوم إن كنتم . . .	١٥١
٨٥	فقالوا على الله توكلنا . . .	١٥١
٨٦	ونجنا برحمتك من القوم الكافرين . . .	١٥٣
٨٧	وأوحينا إلى موسى وأخيه . . .	١٥٣
٨٨	وقال موسى ربنا إنك آتيت . . .	١٥٦
٨٩	قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما . . .	١٦٠
٩٠	وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر . . .	١٦٢
٩١	آلآن وقد عصيت قبل . . .	١٦٤
٩٢	فاليوم ننجيك ببدنك . . .	١٦٤
٩٣	ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق . . .	١٦٦
٩٤	فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك . . .	١٦٧
٩٥	ولا تكونن من الذين كذبوا . . .	١٦٩
٩٦	إن الذين حقت عليهم كلمة ربك . . .	١٦٩
٩٧	ولو جاءتهم كل آية حتى . . .	١٦٩
٩٨	فلولا كانت قرية آمنت . . .	١٧٠
٩٩	ولوشاء ربك لآمن من فى الأرض . . .	١٧٣
١٠٠	وما كان لنفس أن تؤمن . . .	١٧٤
١٠١	قل انظروا ماذا فى السموات . . .	١٧٥
١٠٢	فهل ينتظرون إلا مثل أيام . . .	١٧٥
١٠٣	ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا . . .	
١٠٤	قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك . . .	١٧٦
١٠٥	وأن أقم وجهك للدين حنيفا . . .	١٧٧
١٠٦	ولاتدع من دون الله ما لاينفعك . . .	١٧٧
١٠٧	وإن يمسسك الله بضر . . .	١٧٧
١٠٨	قل يا أيها الناس قد جاءكم . . .	١٧٨
١٠٩	واتبع مايوحى إليك واصبر . . .	١٧٨
	سورة هود عليه السلام	١٧٩
١	الر كتاب أحكمت آياته . . .	١٧٩
٢	ألا تعبدوا إلا الله . . .	١٨٠
٣	وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٨١
٤	إلى الله مرجعكم . . .	١٨٢
٥	ألا إنهم يثنون صدورهم . . .	١٨٣

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة
١ مااعتذر به المتخلفون عن غزوة تبوك لرسول الله بعد مرجعه منها .
٦ من السابقون الأولون ؟ .
١٠ ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه، من تعيين بعض أهل النفاق بأسمائهم .
١٢ من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحين رجع ربط نفسه فى بعض السوارى تائبا،وفيهم نزل « وآخرون اعترفوا » . . . الآية .
١٦ ما ورد من الآثار فى تفسير قوله « خذ من أموالهم صدقة . »
٢٣ بيان مسجد الضرار ومن بناه .
٢٦ المسجد الذى أسس على التقوى .
٣٥ ما قالته الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الدخول فى الإسلام .
٤٠ النهى عن الاستغفار للمشركين وسببه .
٥٦ الثلاثة الذين تيب عليهم بعد حصول الضيق الشديد لهم ، وذكر حديثهم .
٦٤ كان لايسوغ لأحد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما غيره من الأئمة ففيه خلاف .
٦٦ لايسوغ لأهل الإسلام أن ينفروا جميعا للجهاد، ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه أحد .

الصفحة
٧١ يجب على كل أهل جهة أن يقاتلوا من يليهم من الأعداء .
٧٦ ما ورد فى معنى الرحمة المذكورة فى قوله « بالمؤمنين رءوف رحيم » .
٧٩ تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم .
٨٧ الأدلة لاتنفع إلا من خشى العقاب ولم يتبع هواه ، وكان ذا فطرة سليمة .
٨٨ الأعمال تصور يوم القيامة بصور تناسبها ، فتهدى عمالها إلى منازلها .
٩٦ العرب ربما يهمزون غير المهموز وشواهده.
٩٩ جواز إضافة المكر إليه تعالى مرادا به الاستدراج .
١٠٤ المراد من الحسنى : الجنة ، ومن الزيادة : النظر إلى وجه الله .
١١١ صيغتا فاعل وفعل لمعنى التكثير،إذا كان الفعل لواحد .
١٢٤ القرآن شفاء لداء الجهل .
١٣٣ صفات أولياء الله .
الرؤيا الصالحة من المبشرات .
١٤٠ المشركين ممن قالوا « اتخذ الله ولدا » بقولهم فى الملائكة بنات الله .
١٤١ ما أظهره نوح لقومه من الثقة بالله .

الصفحة

١٤٦ القول فى تأويل قوله تعالى: « قالوا أجئتنا لتلفتنا » . . . الآية ، والاستشهاد على ذلك من كلام العرب .
١٤٩ أتباع موسى عليه السلام كانوا طائفة قليلة من بنى إسرائيل ومن قوم فرعون .
١٥١ ما دعا به قوم موسى .
١٥٣ ما أمر الله به قوم موسى ، من اتخاذهم بيوتهم مساجد يصلون فيها .
١٥٦ ما دعا به موسى ربه ، على فرعون وقومه .

الصفحة

١٦٢ عدد بنى إسرائيل حين اجتمعوا بمصر مع يوسف ، وحين خرجوا منها مع موسى .
١٦٤ فرعون بعد غرقه أُخرج على نجوة من الأرض لينظروا إليه هالكا .
١٧٠ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام .
١٧٦ ما فى قوله تعالى « قل يا أيها الناس إن كنتم فى شكّ » الآية ، من لطيف التلميح .
١٧٩ تفسير السورة التى يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم .
١٨١ فوائد الاستغفار .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
أ	
كبرياءُ	١٤٦
وسماءِ	٥٢
ب	
يصابُ	١٥٧
رقيبُ	٨٥
أكلُبُهْ	٥٢
يُعتَبِ	٩٧
ت	
التّفتِ	١٤٦
فتجلّتِ	١٤٣
ح	
جانحُ	١٤٦
الأماديحُ	١١٠
بقِرْواحِ	١٦٤
ورُمْحا	١٤٢
شيَحا	١٦٠
فتَستريحا	١٦٠
د	
أحَدِ	١٧٠
الجَلَدِ	١٧٠
وتَوَدُّدِ	١٠٢
بجندى	٩٠
ر	
البحْرِ	٨٢
المُشْهَّرِ	٩٦
أطّمارِى	١٨٦
والقَبْرَا	١٠٨
وتَدَمُّرَا	٥٢
الأباعِرَا	٩٦
ع	
تابعُ	٨٢
تُتْبَعُ	٩١
مُجْمَعُ	١٤١
السَّمِيعِ	٨٠
ل	
رَجِلُ	١٠٠
مجهولُ	١٥٧
عواسِلِ	٨٧
م	
وخيمْ	٨٥
راغِمُ	١٥٩
تكَمُّوا	١٤٣
غُمُّوا	١٤٣
الدّمِ	٥
بنائمِ	١٤٠
ن	
الحزينِ	٥٢
رَمانِي	٨٦
ه	
التّحيهْ	٩١
ى	
المَوَاليا	٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ، رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ، وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) ﴾

يقول تعالى ذكره : ما السبيل بالعقوبة على أهل العُذر يا محمد ، ولكنها على الذين يستأذنونك فى التخلف خلافك ، وترك الجهاد معك ، وهم أهل غنى وقوّة وطاقة للجهاد والغزو ، نفاقا وشكا فى وعد الله ووعيده . (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ) يقول : رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء ، وهنّ الخوالف خلْفَ الرجال فى البيوت ، ويتركوا الغزو معك . (وَطَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) يقول : وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب . (فَهُمْ لايَعْلَمُونَ) سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك ، وتركهم الجهاد معك ، وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا ، وعظيم البلاء فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ، قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ ، لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ، قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ، وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) ﴾

يقول تعالى ذكره : يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلّفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين ، بالأباطيل والكذب ، إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم ، (قُلْ) لهم يا محمد : (لاتَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ) يقول : لن نصدقكم على ما تقولون . (قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) يقول : قد أخبرنا الله من أخباركم ، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم . (وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم ، أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ؟

(ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) يقول : ثم ترجعون بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة ، يعنى الذى يعلم السرّ والعلانية ، الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها . (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها ، فيجازيكم بها ، الحسن منها بالحسن ، والسيئ منها بالسيئ .

القول فى تأويل قوله

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله (إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) يعنى : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم ، فلا تؤنّبوهم (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم ، وخلّوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق . (إِنَّهُمْ رِجْسٌ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : إنهم نجس ، ومأواهم جهنم ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم ، وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : ثوابا بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله ، وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين قالا : ما حدثنا به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا) . . . إلى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بنى الأصفر ، لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم ، فإنهم حسان ، فقال رجلان : قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة ، فلا تفتنا بهنّ ؛ فأْذن لنا ، فأذن لهما ؛ فلما انطلقا ، قال أحدهما : إن هو إلا شحمة لأوّل آكل ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل عليه فى ذلك شىء ، فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) ونزل عليه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) ، ونزل عليه (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ونزل عليه (إِنَّهُمْ رِجْسٌ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أن قد نزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن ، قالوا : ما الذى سمعت ؟ قال : ما أدرى ، غير أنى سمعت أنه يقول : إنهم رجس ، فقال رجل يدعى مخشيا : والله لوددت أنى أُجلَد مئة جلدة ، وإنى لست معكم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح ، وأنا فى الكنّ ، فأنزل الله عليه : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ، وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) ونزل عليه فى الرجل الذى قال : لوددت أنى أجلد مئة جلدة قول الله (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) فقال رجل مع رسول الله: لئن كان هؤلاء كما يقولون : ما فينا خير ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له: أنت صاحب الكلمة التي سمعت ، فقال : لا والذى أنزل عليك الكتاب ، فأنزل الله فيه (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) وأنزل فيه (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال: أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وصدقته حديثى ، فقال كعب: والله ما أنعم الله علىّ من نعمة قطُّ بعد أن هدانى للإسلام ، أعظم فى نفسك من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى ، ما قال لأحد (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ، لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . . . إلى قوله (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

القول فى تأويل قوله

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)

❁ يقول تعالى ذكره : يحلف لكُمْ أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب ، (لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) يقول : فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم ، وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لاتعلمون صدقهم من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لاتعلمون، ومن خفىّ اعتقادهم ما تجهلون، وأنهم على الكفر بالله ، يعنى أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله ، ومن الطاعة إلى المعصية .

القول فى تأويل قوله

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ، وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)

❁ يقول تعالى ذكره : الأعراب أشدّ جحودا لتوحيد الله ، وأشدّ نفاقا من أهل الحضر فى القرى والأمصار ، وإنما وصفهم جلّ ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوبا وأقلّ علما بحقوق الله ، وقوله (وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) يقول : وأخلق أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، وذلك فيما قال قتادة : السُّنَن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ) قال : هم أقلّ علما بالسُّنَن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مُغْرَاء عن الأعمش، عن إبراهيم، قال : جلس أعرابىّ إلى زيد بن صُوحان وهو يحدّث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم نَهاوند ، فقال : والله إن حديثك ليعجبنى ، وإن يدك لتريبنى . فقال زيد : وما يريبك من يدى ، إنها الشِّمال ، فقال الأعرابىّ : والله ما أدرى : اليمينَ يقطعون أم الشمال ، فقال زيد بن صُوحان : صدق الله (الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ، وأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ) . وقوله (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافر منهم لايخفى عليه منهم أحد ، حكيم فى تدبيره إياهم ، وفى حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم ، وخداعهم أولياءه .

القول فى تأويل قوله

وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ، عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ، وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨)

❁ يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يَعُدّ نفقته التى ينفقها فى جهاد مشرك أوفى معونة مسلم ، أو فى بعض ما ندب الله إليه عباده،مَغْرَما ، يعنى غُرْما لزمه،لايرجو له ثوابا ، ولا يدفع به عن نفسه عقابا ، (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) يقول:وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالى،إلى مكروه،ونفى محبوب ، وغلبة عدوّ لكم ، يقول الله تعالى ذكره (عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) يقول : جعل الله دائرة السَّوء عليهم ، ونزول المكروه بهم، لاعليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم ، والله سميع لدعاء الداعين ، عليم بتدبيرهم ، وما هو بهم نازل من عقاب الله ، وما هم إليه صائرون من أليم عقابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) قال: هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياء، اتقاء أن يغزوا، أو يحاربوا، أو يقاتلوا، ويرون نفقتهم مَغْرَما،ألا تراه يقول (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ،عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) .

❁ واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) ، بفتح السين ، بمعنى النعت للدائرة ، وإن كانت الدائرة مضافة إليه ، كقولهم : هو رجل السَّوء ، وامرؤ الصِّدق ، كأنه إذا فتح مصدر من قولهم : سؤته أسوءه سَوءا ومساءة ومسائية . وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز

وبعض البصريين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بضمّ السين ، كأنه جعله اسما ، كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ، ومن قال (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) فضمّ ، لم يقل هذا رجل السُّوء بالضمّ ، والرجل السَّوء ، وقال الشاعر [1] :

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رأى دَماً　　بِصاحِبِهِ يَوْماً أحالَ عَلَى الدَّمِ

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التى تسوءهم سوءا ، كما يقال هو رجلٌ صِدْق ، على وجه النعت .

القول فى تأويل قوله

وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ، وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَٰتٍ عِنْدَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ، سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)

يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يصدّق الله ، ويقرّ بوحدانيته ، وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب ، وينوى بما ينفق من نفقة فى جهاد المشركين ، وفى سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . (قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ) القُرُبات : جمع قُرْبة ، وهو ما قربه من رضا الله ومحبته .(وصَلَواتِ الرَّسُولِ) ، يعنى بذلك ، ويبتغى بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معانى الصلاة الدعاء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) يعنى استغفار النبىّ عليه الصلاة والسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) قال : دعاء الرسول ، قال : هذه ثنية الله من الأعراب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) قال : هم بنو مُقَرِّن من مُزَيْنة ، وهم الذين قال الله فيهم (وَلا على الَّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لاأجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، تَوَلَّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً) قال : هم بنو مُقَرِّن من مزينة .

(١) البيت للفرزدق أورده صاحب اللسان فى (سوأ) ، وهو شاهد على أن السوء ، بفتح السين مصدر ساءه تسوءه ، ويقول هذا رجل سوء ؛ ورجل السوء ، كما قال الفرزدق : ذئب السوء . وقال ابن برى : ولم يجوز الأخفش هذا رجل سوء (بضم السين) لأن السوء اسم الضر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله ، كما يقال : رجل الضرب والطعن . فيقوم مقامه قولك رجل ضراب وطعان ، فلهذا أجاز أن يقال : رجل السوء (بالفتح) ، ولم يجز أن يقال هذا رجل السوء (بالضم) .

قال الله تعالى : (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) . وتقول فى النكرة : رجل سوء (بالإضافة) وإذا عرفت قلت هذا الرجل السوء ، ولم تضف (اللسان) .

قال : ثني حجاج ، قال: قال ابن جريج ، قوله (الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) ثم استثنى فقال: (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا جعفر ، عن البختري[1] بن المختار العبدي ، قال : سمعت عبد الله بن مُغَفَّل قال: كنا عشرة ولد مُقَرِّن ، فنزلت فينا (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ) . . . إلى آخر الآية ، قال الله : ألا إنها قربة لهم ، يقول تعالى ذكره : ألا إن صلوات الرسول قربة لهم من الله ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ألا إن نفقته التي ينفقها كذلك قربة لهم عند الله ، (سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه ، فأدخله برحمته الجنة ، إن الله غفور لما اجترموا ، رحيم بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .

القول في تأويل قوله

وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ، وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ، رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ، ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠)

❊ يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ، والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) يقول : والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلبَ رضا الله ، رضي الله عنهم ورضوا عنه .

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ) ، فقال بعضهم : هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَيعة الرضوان أو أدركوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن إسماعيل ، عن عامر (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ) قال : من أدرك بيعة الرضوان .

قال: ثنا ابن فُضَيل ، عن مُطَرِّف ، عن عامر ، قال (المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ) من أدرك البيعة تحت الشجرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ ، قال (المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ) الذين شهدوا بَيعة الرضوان .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن مطرّف ، عن الشعبيّ ، قال : المهاجرون الأوّلون : من كان قبل البيعة إلى البيعة ، [فهم المهاجرون الأوّلون ، ومن كان بعد البَيعة فليس من المهاجرين الأوّلين .

---

(١) في خلاصة الخزرجي : البختري بن أبي البختري مختار العبدي الكوفي . قال ابن عدي : لا أعلم له حديثا منكرا ، توفي سنة ثمان وأربعين ومئة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل ومطرّف عن الشعبيّ ، قال (السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن داود ، عن عامر ، قال : فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان ، وهى بيعة الحُديبية .

حدثنى المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ومطرّف ، عن الشعبيّ ، قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبثر أبو زبيد ، عن مطرف ، عن الشعبيّ ، قال : المهاجرون الأوّلون : من أدرك بيعة الرضوان .

وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفيّ ، عن مولى لأبى موسى ، عن أبى موسى ، قال : المهاجرون الأوّلون : من صلى القبلتين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبى موسى ، قال : سألت أبا موسى الأشعرىّ ، عن قوله (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى هلال ، عن قتادة ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سُمُّوا المهاجرين الأوّلين ؟ قال من صلى مع النبيّ صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا ، فهو من المهاجرين الأوّلين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : المهاجرون الأوّلون : الذين صلوا القبلتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيِّب ، قوله (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، وعن أشعث ، عن ابن سيرين فى قوله (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ) قال : هم الذين صلوا القبلتين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأوّلون : الذين صلوا القبلتين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله :

(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ) قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعا ، وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان ، فهم الذين أسلموا لله إسلامهم ، وسلكوا منهاجهم فى الهجرة والنصرة وأعمال الخير .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسَانٍ) قال : من أقرأك هذه الآية ؟ قال أقرأنيها أبىّ بن كعب ، قال : لاتفارقنى حتى أذهب بك إليه ، فأتاه فقال : أنت أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال نعم ، قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لقد كنت أرانا رُفعنا رِفعةً لايبلغها أحد بعدنا ، قال : وتصديق ذلك فى أول الآية التى فى أول الجمعة ، وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال ، أما أول الجمعة (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) ؛ وأوسط الحشر .(وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإِخْوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمانِ) ، وأما آخر الأنفال (والَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ) . . . حتى بلغ (وَرَضُوا عَنْهُ) قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : أبىّ بن كعب ، فقال : لاتفارقنى حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ، قال : أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : لقد كنت أظنّ أنا رُفعنا رِفعة لايبلغها أحد بعدنا ، فقال أبىّ : بلى تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) . . . إلى (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) ، وفى سورة الحشر : (وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإِخْوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمانِ) ، وفى الأنفال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

ورُوِى عن عمر فى ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حبيب بن الشهيد ، وعن ابن عامر الأنصارىّ : أن عمر بن الخطاب قرأ (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسَانٍ) فرفع الأنصار ، ولم يلحق الواو فى الذين ، فقال له زيد بن ثابت : والذين اتبعوهم بإحسان ، فقال عمر : الذين اتبعوهم بإحسان ، فقال زيد : أمير المؤمنين أعلم ، فقال عمر : ائتونى بأبىّ بن كعب ، فأتاه فسأله عن ذلك ، فقال أبىّ : (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسَانٍ) فقال عمر : إذا نُتابع أُبَيًّا ، والقراءة على خفض الأنصار عطفا بهم على المهاجرين ، وقد ذكر عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرأ (الأَنصَارُ) بالرفع عطفا بهم على السابقين .

❊ والقراءة التى لاأستجيز غيرها الخفض فى الأنصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع ،

وإلحاق الواو فى الذين اتبعوهم بإحسان ، لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعا ، على أن التابعين بإحسان غير المهاجرين والأنصار . وأما السابقون فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضى عنه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه ، وإيمانهم به ، وبنبيه عليه السلام ، وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها ، لابثين فيها أبدا ، لايموتون فيها ، ولا يخرجون منها ، ذلك الفوز العظيم .

القول فى تأويل قوله

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ، وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ، لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ، سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ، ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)

❊ يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون ، وقوله (مَرَدُوا على النِّفاقِ) يقول: مَرَنوا عليه ودَرِبوا به، ومنه شيطان مارد ومَريد : وهو الخبيث العاتى ، ومنه قيل : تمرّد فلان على ربه : أى عتا ومرد على معصيته واعتادها .

وقال ابن زيد فى ذلك، ما حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال :قال ابن زيد ، فى قوله: (ومِنْ أهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ) قال : أقاموا عليه ، لم يتوبوا كما تاب الآخرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمِنْ أهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ) أى لجّوا فيه وأبوا غيره (لاتَعْلَمُهُمْ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لاتعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ، ومن أهل المدينة ، ولكنا نحن نعلمهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ومِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرابِ مُنافِقُونَ) . . . إلى قوله (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) قال : فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان فى الجنة ، وفلان فى النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لاأدرى ، لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئا ما تكلفته الأنبياء قبلك، قال نبىّ الله نوح عليه السلام (وَما عِلْمِي بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقال نبىّ الله شعيب عليه السلام (بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) وقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام (لاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) . وقوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) يقول : سنعذّب هؤلاء المنافقين مرّتين : إحداهما فى الدنيا ، والأخرى فى القبر .

ثم اختلف أهل التأويل فى التى فى الدنيا ما هى ؟ فقال بعضهم : هى فضيحتهم، فضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العَنْقَزىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس ، فى قول الله : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفَاقِ) . . . إلى قوله (عَذَابٍ عَظِيمٍ) قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة ، فقال « اخرُجْ : يا فُلانُ ، فإنَّكَ مُنافِقٌ ، اخرُجْ يا فُلانُ فإنَّكَ مُنافِقٌ » ، فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم ، فلقيهم عمر ، وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم ، حياء أنه لم يشهد الجمعة ، وظنّ أن الناس قد انصرفوا ، واختبئوا هم من عمر ، ظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر يا عمر ، فقد فضح الله المنافقين اليوم ، فهذا العذاب الأوّل حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثانى : عذاب القبر » .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَيْنِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فيذكر المنافقين فيعذّبهم بلسانه ، قال : وعذاب القبر [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : القتل والسباء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) بالجوع ، وعذاب القبر ، قال (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) يوم القيامة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع والقتل ، وقال يحيى بالخوف والقتل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : بالجوع ، والقتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، وعذاب القبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالجوع ، والقتل .

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذّبهم عذابا فى الدنيا ، وعذابا فى الآخرة .

---

(١) يظهر أن فى الكلام سقطا ، والأصل : وقال آخرون : هى الخوف والجوع أو القتل والسباء . ذكر الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) عذاب الدنيا ، وعذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أسرّ إلى حذيفة باثنى عشر رجلا من المنافقين ، فقال ستة منهم ، تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم ، يأخذ فى كتف أحدهم ، حتى يفضى إلى صدره ، وستة يموتون موتا ، ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه ، صلى عليه ، وإلا تركه . وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أؤمن منها أحدا بعدك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء ، قالا : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : عذابا فى الدنيا ، وعذابا فى القبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابِ النَّارِ) .

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المرّتين مصائبهم فى أموالهم وأولادهم ، والمرّة الأخرى فى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : أما عذاب فى الدنيا : فالأموال والأولاد ، وقرأ قول الله (فَلا تُعْجِبْكَ أمْوَالُهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ ، إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فى الحَيَاةِ الدُّنْيا) بالمصائب فيهم ، هى لهم عذاب ، وهى للمؤمنين أجر ، قال : وعذاب فى الآخرة فى النار (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) قال النار .

وقال آخرون : بل إحدى المرّتين : الحدود ، والأخرى : عذاب القبر ، ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضىّ .

وقال آخرون : بل إحدى المرّتين : أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذاب القبر . ذُكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

وقال آخرون : بل إحدى المرّتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ فى أمر الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) قال : العذاب الذى وعدهم مرّتين فيما بلغنى عنهم ما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذى يردّون إليه عذاب الآخرة ، ويخلدون فيه .

❊ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذّب هؤلاء

الذين مردوا على النفاق مرّتين ، ولم يضع لنا دليلا نتوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم ، وليس عندنا علم بأىّ ذلك من بأىٍّ ، على أن فى قوله جلّ ثناؤه (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) دلالة على أن العذاب فى المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى المرّتين أنها فى القبر . وقوله (ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ) يقول: ثم يردّ هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرّتين إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنّم .

القول فى تأويل قوله

وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ، ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم ، يقول : أقرّوا بذنوبهم ، خاطوا عملا صالحا ، يعنى جلّ ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيّئ : اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها ، والآخر السيّئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازيا ، وتركهم الجهاد مع المسلمين .

فإن قال قائل : وكيف قيل : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وإنما الكلام : خلطوا عملا صالحا بآخر سيّئ ؟ . قيل: قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فكان بعض نحويّى البصرة يقول : قيل ذلك كذلك، وجائز فى العربية أن يكون بآخر كما تقول : استوى الماء والخشبة : أى بالخشبة ، وخلطت الماء واللبن ، وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم : استوى الماء والخشبة ، واعتلّ فى ذلك بأن الفعل فى الخلط عامل فى الأوّل والثانى ، وجائز تقديم كلّ واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز فى قولهم : استوى الماء والخشبة ، وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنه بمعنى قولهم : خلطت الماء واللبن ، بمعنى خلطته باللبن . (عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : لعلّ الله أن يتوب عليهم ، وعسى من الله واجب، وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت . (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها ، رحيم به أن يعذّبه بها .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهذه الآية ، والسبب الذى من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، منهم أبو لُبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السوارى عند مقدم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، توبة منهم من ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله :

(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : كانوا عشرة رَهْط تخلفوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبيّ صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد ، وكان ممرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا رجع فى المسجد عليهم ، فلما رآهم قال : من هؤلاء المُوثِقُون أنفسهم بالسوارى؟ قالوا : هذا أبولُبابة وأصحاب له، تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم [1] وتعذرهم ، فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : وأنا أُقْسِمُ باللهِ لاأُطْلِقُهُمْ ولاَ أَعْذِرُهُمْ ،حتى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِى يُطْلِقُهُمْ ، رَغِبُوا عَنِّى ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الغَزْوِ مَعَ المُسْلِمِينَ ؛ فلما بلغهم ذلك ، قالوا : ونحن بالله لانطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب ؛ فلما نزلت ، أرسل إليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأطلقهم وعذرهم .

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبولبابة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذلك «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لُبابة وخمسة معه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم إن أبا لُبابة ورجلين معه تفكروا وندموا ، وأيقنوا بالهَلَكة ، وقالوا : نكون فى الكِنّ والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه فى الجهاد ، والله لنوثِقنّ أنفسنا بالسوارى ، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا ، فانطلق أبولبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد ، وبقى ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان طريقه فى المسجد ، فمرّ عليهم فقال : مَنْ هَؤُلاءِ المُوثِقُو أَنْفُسِهِمْ بالسَّوَارِى ؟ فقالوا : هذا أبولُبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله ألاّ يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم ، وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واللهِ لاأُطْلِقُهُمْ حتى أُومَرَ بإطْلاقِهِمْ ، ولا أَعْذِرُهُمْ حتى يَكُونَ اللهُ هُوَ يَعْذِرُهُمْ ، وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنِّى ورغِبُوا بأَنْفُسِهِمْ عَنْ غَزْوِ المُسْلِمِينَ وَجِهادِهِمْ ؛ فأنزل الله برحمته (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وعسى من الله واجب ؛ فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم ، وتجاوز عنهم » .

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية .

---

(١) الذى فى الدر : أو ثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى . . . الخ

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كَرْدم ومِرْداس وأبو لُبابة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبولُبابة ، وكَرْدم ، ومِرْداس ، وأبوقيس .

وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ذُكر لنا أنهم كانوا سبعة رَهْط تخلفوا عن غزوة تبوك، فأما أربعة فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا : جَدّ بن قيس ، وأبو لُبابة ، وحَرام ، وأوس، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) قال : هم نفر ممن تخلف عن تَبوك: منهم أبولَبابة ، ومنهم جَدُّ بن قيس ، تِيبَ عليهم ، قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال : هم سبعة ، منهم أبولُبابة ، كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بالثلاثة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) نزلت فى أبى لُبابة وأصحابه، تخلفوا عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريبا من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله ، وقالوا : نكون فى الظلال والأطعمة والنساء ونبىّ الله فى الجهاد واللأواء ، والله لنُوثِقنّ أنفسنا بالسوارى ، ثم لانطلقها حتى يكون نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقى ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، فمرّ فى المسجد وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقيل له : أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبىّ الله ، فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله أن لايطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم ، فقال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم: لاأُطْلِقُهُمْ حَتَى أُومَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَلَا أَعْذُرُهُمْ حَتَى يَعْذُرُهُمُ اللهُ ، قَدْ رَغِبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ غَزْوَةِ المُسْلِمِينَ ، فأنزل الله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله واجب فأطلقهم نبىّ الله وعَذَرهم .

وقال آخرون : بل عُنِي بهذه الآية أبولبابة خاصة، وذنبه الذى اعترف به، فتيب عليه منه، ما كان من أمره فى بنى قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال : نزلت فى أبى لُبابة ، قال لبنى قريظة ما قال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : إن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) فذكر نحوه ، إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد، ربط أبولبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لاأحُلّ نفسى حتى يحلنى الله ورسوله ، قال : فحله النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بذُنُوبِهِمْ) قال نزلت فى أبى لُبابة .

وقال آخرون : بل نزلت فى أبى لُبابة بسبب تخلفه عن تبوك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهرىّ : كان أبولُبابة ممن تخلف عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لاأحُلّ نفسى منها، ولاأذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت، أو يتوبَ الله علىّ. فمكث سبعة أيام لايذوق طعاما ولا شرابا، حتى خرّ مغشيا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ، فقال : والله لاأحُلّ نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يَحُلنى ، قال : فجاء النبىّ صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، ثم قال أبولُبابة : يا رسول الله إن من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالى كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال : « يَجْزِيك يا أبا لُبابَةَ الثُلُثُ » .

وقال بعضهم : عُنِى بهذه الآية الأعراب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا) قال : فقال : إنهم من الأعراب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حجاج بن أبي ذئب ، قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) . . . إلى (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك: قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم، في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركهم الجهاد معه ، والخروج لغزو الروم ، حين شخص إلى تبوك ، وإن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبولُبابة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه قال (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف بذنبه ، الموثِق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لُبابة وحده ، فإذ كان ذلك ، وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذ لم تكن إلا لجماعة ، وكان لاجماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والأخبار ، وأجمع عليه أهل التأويل، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك، صحّ ما قلنا في ذلك ، وقلنا : كان منهم أبولُبابة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

القول في تأويل قوله

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها ، صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم ، وتزكيهم بها ، يقول: وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها ، إلى منازل أهل الإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم ، واستغفر لهم منها (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم ، وقَبِل توبتهم (وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، عليم بما تطلب لهم بدعائك ربّك لهم ، وبغير ذلك من أمور عباده .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : جاءوا بأموالهم ، يعني أبا لُبابة وأصحابه حين أُطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا ، فتصدّق بها عنا ، واستغفر لنا ، قال : ما أُمرت أن آخذ من أموالكم شيئا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لُبابة وصاحبيه ، انطلق أبولُبابة وصاحباه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا ، فتصدّق بها عنا ، وصلّ علينا ، يقولون : استغفر لنا وطهرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخُذُ مِنْها شَيْئًا حتى أُومَرَ ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا ؛ فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا من أموالهم ، فتصدّق بها عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، قال : لما أطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم أبا لُبابة ، والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم : يا نبيّ الله : طهر أموالنا ، فأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) ، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله ، وكان عمي منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عمي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الأربعة : جدّ بن قيس ، وأبولُبابة ، وحرام ، وأوس ، وهم الذين قيل فيهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ . إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) أي وقار لهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ، ويجاهدوا ، ويتصدّقوا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قال : لما أطلق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لُبابة وأصحابه ، أتوا نبيّ الله بأموالهم ، فقالوا : يا نبيّ الله ، خذ من أموالنا ، فتصدّق به عنا ، وطهرنا ، وصل علينا ، يقولون استغفرلنا ، فقال نبيّ الله : لاآخُذُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا حتى أُومَرَ فيها ، فأنزل الله عزّ وجلّ : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من ذنوبهم التي أصابوا . (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفر لهم ، ففعل نبيّ الله عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) أبولُبابة وأصحابه (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) يقول : استغفرلهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِها ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) قال : هؤلاء ناس

من المنافقين ممن كان تخلف عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق وقالوا : يا رسول الله، قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ، ولكن توبة جديدة ، وصدقة نخرجها من أموالنا، فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) بعد ما قال (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

واختلف أهل العربية فى وجه رفع تزكيهم ، فقال بعض نحويّى البصرة : رفع تزكيهم بها فى الابتداء، وإن شئت جعلته من صفة الصدقة ، ثم جئت بها توكيدا ، وكذلك تطهرهم ؛ وقال بعض نحويّى الكوفة : إن كان قوله (تُطَهِّرُهُمْ) للنبيّ عليه الصلاة والسلام ، فالاختيار أن تجزم، بأنه لم يعد على الصدقة ، عائد (وتُزَكِّيهِمْ) مستأنف، وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها، جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما .

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القول : أن قوله (تُطَهِّرُهُمْ) من صلة الصدقة ، لأن القرّاء مجمعة على رفعها، وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة . وأما قوله (وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) فخبر مستأنف، بمعنى وأنت تزكيهم بها ، فلذلك رفع .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) ، فقال بعضهم : رحمة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) يقول : رحمة لهم .

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقار لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) : أى وقار لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء المدينة (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى دعواتك . وقرأ قرّاء العراق وبعض المكيين (إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) بمعنى إن دعاءك ، وكأن الذين قرءوا ذلك على التوحيد، رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحّ ، لأن فى التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس فى قوله (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ) إذ كانت الصلوات هى جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد ، دون ما هو أكثر من ذلك ، والذى قالوا من ذلك عندنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءة، لا لعلة أن ذلك فى العدد أكثر من الصلوات ، ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم وصلاته ، أنه سكن لهؤلاء القوم ، لا الخبر عن العدد ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد فى الصلاة أولى .

القول فى تأويل قوله

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، أخبر به المؤمنين به، أن قبول توبة من تاب من المنافقين ، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ، ليسا إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، وأن نبيّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسوارى من المتخلفين عن الغزو معه، وحين ترك قبول صدقتهم، بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له فى ذلك، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد ، وأن محمدا إنما يفعل ما يفعل من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله، بأمر الله ، فقال جلّ ثناؤه: ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين ، الموثقو أنفسهم بالسوارى ، القائلون لانطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم، أن ذلك ليس إلى محمد، وأن ذلك إلى الله ، وأن الله هو الذى يقبل توبة من تاب من عباده ، أو يردّها، ويأخذ صدقة من تصدّق منهم ، أو يردّها عليه، دون محمد ، فيوجهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله، ويقصدوا بذلك قصد وجهه، دون محمد وغيره، ويخلصوا التوبة له، ويريدوه بصدقتهم، ويعلموا أن الله هو التوّاب الرحيم . يقول: المرجع بعبيده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته ، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك: ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الآخرون : يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء : يعنى الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لايُكلَّمون ولا يُجالَسُون ، فما لهم ؟ فقال الله (أنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، ويأْخُذُ الصَّدَقاتِ ، وأنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى رجل كان يأتى حمادا ولم يجلس إليه ، قال شعبة ، قال العوّام بن حَوْشب : هو قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب قال : سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ما من عبد تصدّق بصدقة إلا وقعت فى يد الله ، فيكون هو الذى يضعها فى يد السائل ، وتلا هذه الآية (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة المحاربىّ ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ما تصدّق رجل بصدقة إلا وقعت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ، وهو يضعها فى يد السائل ، ثم قرأ (أَلَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله ابن أبى قتادة ، عن ابن مسعود ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة،

قال : قال عبد الله : إن الصدقة تقع في يد الله، قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قال هذه الآية (هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن القاسم ، أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ ، وَيَأْخُذُها بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّيها لأَحَدِكُمْ ، كَما يُرَبِّي أحَدُكُمْ مُهْرَهُ ، حتى إنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ » وتصديق ذلك في كتاب الله (إنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ . وَيَمْحَقُ اللهُ الرِّبا ، وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ) .

حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرقيّ ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبي هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه ، قال : إن الله يقبل الصدقة ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة، قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرجل يتصدّق بمثل اللقمة ، فيربيها الله له ، كما يربي أحدكم فصيله أو مهره ، فتربو في كفّ الله ، أو قال في يد الله ، حتى تكون مثل الجبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « والَّذِي نَفْس مُحمدٍ بِيَدِهِ ، لايَتَصَدَّقُ رَجُلٌ بِصَدَقَةٍ فَتَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ ، حتى تَقَعَ فِي يَدِ اللهِ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وأنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يعني إن استقاموا .

القول في تأويل قوله

وَقُلِ : اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك : (اعْمَلُوا) لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه (فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) يقول : فسيري الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله . (وَالمُؤْمِنُونَ) في الدنيا . (وَسَتُرَدُّونَ) يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) : يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، ومامنه خالصا ، وما منه رياء ، وما منه طاعة ، وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَقُلِ اعْمَلُوا ، فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمُؤْمِنُونَ) قال : هذا وعيد .

القول فى تأويل قوله

وَءاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم أيها المؤمنون، آخرون، ورفع قوله آخرون عطفا على قوله: وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، وآخرون مُرْجَوْنَ : يعنى مرجئون لأمر الله وقضائه، يقال منه أرجأته أرجئه إرجاء، وهو مرجأ بالهمز، وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد، وقد قرأت القرّاء بهما جميعا . وقيل: عُنِى بهؤلاء الآخرين، نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدَمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحت توبتهم ، فتاب عليهم، وعفا عنهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال: ثنا أبو صالح ، قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : وكان ثلاثة منهم ، يعنى من المتخلفين عن غزوة تبوك، لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى، أُرْجِئوا سَبْتَة[١]، لايدرون أيعذّبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِىِّ وَالمُهاجِرِينَ) . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعنى قوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم ، يعنى من أموال أبى لُبابة وصاحبيه ، فتصدّق بها عنهم ، وبقى الثلاثة الذين خالفوا أبا لُبابة ، ولم يوثقوا ، ولم يذكُروا بشىء، ولم ينزل عذرهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وهم الذين قال الله (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فجعل الناس يقولون : هلكوا إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مُرْجَئِين لأمر الله، حتى نزلت (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِىِّ والمهاجِرِينَ والأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى ساعَةِ العُسْرَةِ) الذين خرجوا معه إلى الشام (مِنْ بَعْدِ ماكادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) ثم قال(وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) يعنى المرجئين لأمر الله، نزلت عليهم التوبة ، فعمُّوا بها ، فقال (حَتّى إذَا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ، وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) . . . إلى قوله (إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ) قال : هم الثلاثة الذين خُلِّفوا .

(١) السبتة : البرهة من الدهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) قال : هلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) هلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة ، يريد غير أبي لُبابة وأصحابه ، ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل فى أبى لُبابة وأصحابه ، وتقول فرقة أخرى : عسى الله أن يعفو عنهم ، وكانوا مُرجئين لأمر الله ، ثم أنزل الله رحمته ومغفرته ، فقال (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) . . . الآية ، وأنزل (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) قال : كنا نُحدَّث أنهم الثلاثة الذين خُلِّفوا : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، رهط من الأنصار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) قال : هم الثلاثة الذين خُلِّفوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ، حتى أتتهم توبتهم من الله .

وأما قوله (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) فإنه يعني : إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه إياهم ، فيعذبهم بذنوبهم التى ماتوا عليها فى الآخرة (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) يقول : وإما يوفقهم للتوبة ، فيتوبوا من ذنوبهم ، فيغفر لهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بأمرهم ، وما هم صائرون إليه من التوبة ، والمُقام على الذنب ، حكيم فى تدبيرهم ، وتدبير من سواهم من خلقه ، لايدخل حكمه خللٌ .

القول فى تأويل قوله

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ، وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجدا ضرارا ، وهم فيما ذكرنا اثنا عشر نفسا من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ويزيدَ بن رُومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى من تبوك حتى نزل بذى أَوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة ، والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلىَ لنا فيه ، فقال : إِنّى على جَناحِ سَفَرٍ ، وَحالِ شُغْلٍ ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَلَوْ قَدْ قَدِمْنا أَتَيْناكُمْ إِنْ شاءَ اللهُ ، فَصَلَّيْنا لَكُمْ فِيهِ ، فلما نزل بذى أَوان أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ أخا بنى العجلان ، فقال : انْطَلِقا إلى هَذا المَسْجِدِ الظّالِمِ أَهْلُهُ ، فاهْدِماهُ وَحرِّقاهُ ، فخرجا سريعين ، حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعْن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل أهله فأخذ سَعَفًا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدّان ، حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرارًا وكُفْرًا) إلى آخر القصة ، وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد ، وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومعتِّب بن قُشَير من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مُجمِّع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، وهم من بنى ضُبيعة ، وبخدج ، وهو إلى بنى ضُبيعة ، وبجاد بن عثمان ، وهو من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو إلى بنى أمية ، رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرا بالله ، لمحادّتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرّقوا به المؤمنين ، ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا ، (وَإِرْصادًا لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسولَهُ مِنْ قَبْلُ) يقول : وإعدادا له ، لأبى عامر الكافر ، الذى خالف الله ورسوله ، وكفر بهما ، وقاتل رسول الله من قبل : يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد ، وذلك أن أباعامر هو الذى كان حزّب الأحزاب ، يعنى حزب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خذله الله ، لحق بالروم ، يطلب النصر من ملكهم على نبىّ الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضِّرار ، يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذُكر عنه ، ليصلى فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم ، ففعلوا ذلك ، وهذا معنى قول الله جلّ ثناؤه (وَإِرْصادًا لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسولَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الحُسْنَى) : يقول

جلّ ثناؤه، وليحلفَنّ بانوه إن أردنا إلا الحسنى ببنائناه، إلا الرفق بالمسلمين، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، وتلك هى الفَعلة الحسنة (وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى حلفهم ذلك ، وقيلهم ما بنيناه إلا ونحن نريد الحسنى ، ولكنهم بنوه، يريدون ببنائه السوأى، ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرا بالله ، وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لأبى عامر الفاسق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوّة ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قصر ملك الروم ، فآتى بجند من الروم ، فأخرج محمدا وأصحابه ؛ فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبىّ عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبّ أن تصلىّ فيه، وتدعو لنا بالبركة ، فأنزل الله فيه (لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ). . . إلى قوله (وَاللهُ لاَيَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بينَ المُؤْمِنِينَ) قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قُباء، خرج رجال من الأنصار، منهم بَخْدج جدّ عبد الله بن حنيف ، وديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصارى ، فبنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج : وَيْلَكَ ؟ ما أَرَدْتَ إلَىّ ما أرى ؟ فقال : يا رسول الله، والله ما أردت إلا الحسنى ، وهو كاذب ، فصدّقه رسول الله ، وأراد أن يعذره ، فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بينَ المُؤْمِنِينَ ، وإرْصَادًا لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يعنى رجلا منهم يقال له أبو عامر ، كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصُدون أبا عامر أن يصلىّ فيه ، وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله (وَلَيَحْلِفُنَّ إنْ أَرَدْنا إلاَّ الحُسْنَى ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإرْصَادًا لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال أبو عامر الراهب انطلق إلى قيصر ، فقالوا إذا جاء يصلى فيه ، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا) قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبى عامر الراهب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : نزلت فى المنافقين ، وقوله (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : هو أبو عامر الراهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) قال : هم بنوغَنْم بن عوف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) قال : هم حىّ يقال لهم بنوغَنْم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) قال : هم حىّ يقال لهم بنو غَنْم .

قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) أبو عامر الراهب انطلق إلى الشأم ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناه ليصلى فيه أبوعامر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً) . . . الآية ، عمد ناس من أهل النفاق ، فابتنَوا مسجدا بقباء ، ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلىَ فيه ، ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك .

وأما قوله (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) فإنه كان رجلا يقال له أبوعامر ، فرّ من المسلمين . فلحق بالمشركين [١] فقتلوه بإسلامه ، قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله (لاتَقُمْ فِيهِ أَبَداً ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى) . . . الآية .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً) هم ناس من المنافقين بنوا مسجداً بقباء يضارّون به نبىّ الله والمسلمين (وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) كانوا يقولون : إذا رجع أبوعامر من عند قيصر من الروم صلى فيه ، وكانوا يقولون : إذا قدم ظَهَر على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : مسجد قباء ، كانوا يصلون فيه كلهم ، وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وصيفى وأخيه ، وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبوعامر هاربا هو وابن بالين من ثقيف ، وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لحقوا بصاحب الروم ، فأما

(١) كذا فى الأصل ، ولعله مصحف ، والأصل : فبنوه بإشارته وقالوا : إذا الخ .

علقمة وابن بالين ، فرجعا فبايعا النبيّ صلى الله عليه وسلم وأسلما ، وأما أبوعامر فتنصر وأقام . قال : وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : حتى يأتى أبوعامر يصلى فيه، وتفريقا وبين المؤمنين يفرّقون بين جماعتهم ، لأنهم كانوا يصلون جميعا فى مسجد قباء، وجاءوا يخدعون النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يا رسول الله، ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادى، ويحول بيننا وبين القوم ، فنصلى فى مسجدنا، فإذا ذهب السيل صلينا معهم ، قال : وبنوه على النفاق ، قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وألقى الناس عليه النَّتْنَ والقِمامة فأنزل الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بَينَ المُؤْمِنِينَ) لئلا يصلى فى مسجد قباء جميع المؤمنين (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسولَهُ مِنْ قَبْلُ) أبي عامر (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الحُسْنَى ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ).

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبي جعفر ، عن ليث : أن شقيقا لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر ، فقيل له مسجد بنى فلان ، لم يصلوا بعد ، فقال : لا أُحِبُّ أَنْ أُصَلِّىَ فيه ، فإنَّه بُنِىَ على ضِرَارٍ ، وكلّ مسجد بنى ضرارا أو رياء أو سمعة ، فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بنى على ضِرار.

القول فى تأويل قوله

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتقم يا محمد فى المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون، ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله، ثم أقسم جلّ ثناؤه فقال : (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ) أنت (فيه)، يعنى بقوله (أُسِّسَ على التَّقْوَى) ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته ، من أول يوم ابتدئ فى بنائه. (أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) يقول : أولى أن تقوم فيه مصليا . وقيل : معنى قوله (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) مبدأ أوّل يوم كما تقول العرب : لم أره من يوم كذا ، بمعنى مبدؤه ، ومن أوّل يوم يُراد به من أوّل الأيام ، كقول القائل : لقيت كلّ رجل ، بمعنى كلّ الرجال .

واختلف أهل التأويل فى المسجد الذى عناه بقوله (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى فيه منبره وقبره اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن عثمان بن عبيد الله ، قال : أرسلنى محمد بن أبي هريرة إلى ابن عمر ، أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى ، أىّ مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد ، المدينة .

قال : ثنا القاسم بن عمرو العَنْقزىّ ، عن الدّراوردىّ ، عن عثمان بن عبيد الله ، عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبى سعيد ، قالوا : المسجد الذى أسس على التقوى : مسجد الرسول .

قال : ثنا أبى ، عن ربيعة بن عثمان ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : سألت ابن عمر عن المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : هو مسجد الرسول .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبى الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، قال : هو مسجد الرسول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا حميد الخرّاط المدنىّ ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرّبى عبد الرحمن بن أبى سعيد ، فقلت : كيف سمعت أباك يقول فى المسجد الذى أسس على التقوى ؟ فقال لى : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت عليه فى بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أىّ مسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء ، فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، هكذا سمعت أباك يذكره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد ، عن أبيه ، قال : المسجد الذى أسس على التقوى : هو مسجد النبىّ الأعظم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : إن المسجد الذى أسس على التقوى من أوّل يوم ، هو مسجد المدينة الأكبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، قال : قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : الأعظم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبى الزناد ، عن خارجة بن زيد ، قال : أحسبه عن أبيه ، قال : مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم الذى أسس على التقوى .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : مسجد قباء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) يعنى مسجد قباء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) هو مسجد قباء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن صالح بن حيَّان ، عن ابن بريد ، قال : مسجد قباء الذى أُسِّس على التقوى ، بناه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المسجد الذى أسس على التقوى : مسجد قُباء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهريّ ، عن عُروة ابن الزبير : الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى : بنوعمرو بن عوف .

❊ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندي بالصواب : قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قال أبو كريب ، ثنا وكيع ، وقال ابن وكيع : ثنا أبي ، عن ربيعة ابن عثمان التيميّ ، عن عمران بن أبي أنس : رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أُسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد النبيّ ، وقال الآخر : هو مسجد قُباء ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه ، فقال : هومسجدى هذا . اللفظ لحديث أبي كريب ، وحديث سفيان نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبونعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلميّ ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبيّ بن كعب ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المسجد الذى أُسس على التقوى ، فقال : مسجدى هذا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : ثني الليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن ابن أبيسعيد ، عن أبيه ، قال : « تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوي من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قُباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : هُوَ مَسْجِدِي هَذا » .

حدثني بحر بن نصر الخولانيّ ، قال : قرئ على شعيب بن الليث ، عن أبيه ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدريّ ، قال : تمارى رجلان ، فذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني سجل بن محمد بن أبي يحيي ، قال : سمعت عمي أنيس بن أبي يحيي يحدّث ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الُخدريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلى التَّقْوَى مَسْجِدِي هَذَا ، وفِي كُلٍّ خَيْرٌ » .

حدثني المثنى ، قال : ثني الحِمّانى ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا أنيس بن أبي يحيي ، عن أبيه ،

عن أبي سعيد،أن رجلا من بني خُدْرة ، ورجلا من بني عمرو بن عوف ، امتريا فى المسجد الذى أُسس على التقوى،فقال الخُدْريّ : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال العوفيّ : هو مسجد قباء ، فأتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم وسألاه ، فقال : « هُوَ مَسْجِدِي هَذَا ، وفى كُلٍّ خَيْرٌ » .

القول فى تأويل قوله

(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) :

يقول تعالى ذكره فى حاضرى المسجد الذى أسس على التقوى من أوّل يوم: رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحبّ المتطهرين بالماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال: ثنا أبوداود ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن شهر بن حَوْشب قال : لما نزل فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما الطُّهُورُ الَّذِي أَثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ ؟ قالوا : يا رسول الله ، نغسل أثر الغائط » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قُباءَ: « إنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُم الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ ، فَمَا تَصْنَعُونَ ؟ قالوا : إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ،ما هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي أَثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ؟ قالوا : إنا نستطيب بالماءِ إذا جئنا من الغائط » .

حدثني جابر بن الكرديّ، قال : ثنا محمد سابق ، قال: ثنا مالك بن مِغْوَل، عن سيار أبي الحكَم، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ،قال : قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال : « أَلا أَخْبِرُونِي ،فإنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ بالطُّهُورِ خَيْرًا ، فقالوا : يا رسول الله إنا نجد عندنا مكتوبا فى التوراة : الاستنجاء بالماء » .

حدثنا سفيان بن وكيع، قال : ثنا يحيى بن رافع ، عن مالك بن مِغْوَل ، قال : سمعت سيارا أبا الحكَم غير مرّة ، يحدّث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : « لما قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم على أهل قُباء قال: إنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ بالطُّهُورِ خَيْرًا ، يعنى قوله (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) قالوا : إنا نجده مكتوبا عندنا فى التوراة : الاستنجاء بالماء . » .

حدثنا أبوهشام الرفاعيّ ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر ابن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال يحيى : ولا أعلمه إلا عن أبيه ، قال : قال النبيّ صلى

الله عليه وسلم لأهل قُباء : « إنَّ اللهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ في الطُّهُورِ خَيْراً ، قالوا : إنا نجده مكتوبا علينا فى التوراة : الاستنجاء بالماء ، وفيه نزلت (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا) » .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا إسماعيل بن صبيح اليشكرىّ ، قال : ثنا أبو أويس المدنىّ ، عن شرحبيل بن سعد ، عن عويم بن ساعدة ، وكان من أهل بدر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : « إنّى أسْمَعُ اللهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمُ الثَّناءَ فِي الطُّهُورِ ، فَما هَذَا الطُّهُورُ ؟ قالوا يا رسول الله، ما نعلم شيئا إلا أن جيرانا لنا من اليهود، رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا » .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ) قال : كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى، عن عامر ، قال: كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء ، فنزلت (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شبابة بن سوار ، عن شعبة ، عن مسلم القرى ، قال : قلت لابن عباس : أصب على رأسى وهو محرم ، قال : ألم تسمع الله يقول: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن داود وابن أبى ليلى ، عن الشعبىّ ، قال : لما نزلت (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء « ما هَذَا الَّذِى أثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ ؟ قالوا مامنا من أحد إلا وهو يستنجى من الخلاء » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الحميد المدنىّ ، عن إبراهيم ابن إسماعيل الأنصارىّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة : « ما هَذَا الَّذِى أثْنَى اللهُ عَلَيْكُمْ (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) قال : نوشك أن نغسل الأدبار بالماء » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن حصين عن موسى بن أبى كثير ، قال : بدء حديث هذه الآية فى رجال من الأنصار من أهل قُباء (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) فسألهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : نستنجى بالماء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أصبغ بن الفرج ، قال أخبرنى ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن أبى الزناد ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عويم بن ساعدة: من بنى عمرو بن عوف ، ومعن بن عدىّ من بنى العجلان ، وأبى الدحداح ، فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من الذين قال الله فيهم : (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نِعْمَ الرِّجالُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ ساعِدَةَ » لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلا غير عويم .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان ، قال : ثنا الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ،وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هَذَا الَّذِى ذَكَرَكُمُ اللهُ بِهِ فِى أَمْرِ الطُّهُورِ ، فَأَثْنَى بِهِ عَلَيْكُمْ ؟ قالوا : نغسل أثر الغائط والبول »

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن مغول ، قال : سمعت سيارا أبا الحكم يحدّث ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أو قال : قدم علينا رسول الله،فقال: « إِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِى الطُّهُورِ خَيْرًا، أَفَلا تُخْبِرُونِى ؟ قالوا :يا رسول الله ، إنا نجد علينا مكتوبا فى التوراة: الاستنجاء بالماء » قال مالك : يعنى قوله (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) .

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، قال : لما نزلت هذه الآية (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طُهُورُكُمْ هَذَا الَّذِى ذَكَرَ اللهُ ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم ندعه، قال : فَلا تَدَعُوهُ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان فى مسجد قباء رجال من الأنصار يوضئون سَفِلَتَهم[1] بالماء،يدخلون النخل والماء يجرى،فيتوضئون،فأثنى الله بذلك عليهم، فقال (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم (فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ،وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) .

وقيل : (وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ) وإنما هو المتطهرين ،ولكن أدغمت التاء فى الطاء،فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج إحداهما من الأخرى .

القول فى تأويل قوله

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٠٩)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ) فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة (أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيانُه على تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيانُهُ) على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما ، وقرأت ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَه على تَقْوَى مِنَ اللهِ

(١) فى اللسان : السافلة : المقعدة والدبر .

وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى مَنْ إذ كان مَنِ المؤسس أعجب إلىّ .

فتأويل الكلام إذاً : أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم ؟ الذين ابتدءوا بناء مسجدهم على اتقاء الله، بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه ، ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك، وفعلهم ما فعلوه، خير ، أم الذين ابتدءوا بناء مسجدهم على شفا جُرُف هار ؟ يعنى بقوله (على شَفَا جُرُفٍ) على حرف جرف ، والجُرُف من الركىّ ما لم يبن له جُول .هار ،يعنى متهوّر ، وإنما هو هائر ،ولكنه قلب ، فأخرت ياؤها ، فقيل هار كما قيل : هو شاك السلاح وشائك ، وأصله من هار يهور فهو هائر ؛ وقيل : هو من هار يهار : إذا انهدم ، ومَنْ جعله من هذه اللغة قال : هِرْتَ يا جُرُف ، ومن جعله من هار يهور قال : هُرْتَ يا جُرُف ، وإنما هذا مثل.يقول تعالى ذكره : أىّ هذين الفريقين خير ،وأىّ هذين البناءين أثبت، أمَن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعِلم منه،بأن بناءه لله طاعة والله به راض ،أم من ابتدأه بنفاق وضلال،وعلى غير بصيرة منه،بصواب فعله من خطئه،فهو لايدرى متى يتبين له خطأ فعله،وعظيم ذنبه، فيهدمه، كما يأتى البناء على جُرُف ركية لاحابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه،ترى به التراب متناثرا، لاتلبثه السيول أن تهدمه وتنثره. يقول الله جلّ ثناؤه:(فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ) يعنى فانتثر الجُرُف الهارى ببنائه فى نار جهنم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فانهار به قواعدُه فى نار جهنم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَانْهَارَ بِهِ) يقول : فخرّ به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ) . . . إلى قوله (فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ) قال: والله ما تناهى أنْ وقع فى النار ، ذُكِر لنا أنه حُفرت بقعة منه ، فرُؤى منها الدخان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج [1] : بنوعمرو بن عوف استأذنوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بنيانه ، فأذن لهم ،ففرغوا منه يوم الجمعة، فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد ، قال : وانهار يوم الاثنين ، قال : وكان قد استنظرهم ثلاثا : السبت والأحد والاثنين فانهار به فى نار جهنم ، مسجد المنافقين انهار ، فلم يتناه دون أن وقع فى النار .

قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانى ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، عن طلق

(١) الذى تقدم له عن غير ابن جريج أن بانى مسجد الضرار بنو غنم بن عوف ، وأن بانى مسجد قباء بنو عمرو بن عوف ، فإن لم يكن مصحفا أو رواية ، فهو اشتباه .

ابن حبيب ، عن جابر ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) قال : رأيت المسجد الذى بنى ضرارا ، يخرج منه الدخان على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن مرزوق البصرىّ ، قال : ثنا أبوسلمة ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج ، قال : ثنى طلق العنزى ، عن جابر بن عبد الله ، قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار .

حدثنى سلام بن سالم الخزاعىّ ، قال : ثنا خلف بن ياسين الكوفىّ ، قال : حججت مع أبى فى ذلك الزمان ، يعنى زمان بنى أمية ، فررنا بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين ، يعنى مسجد الرسول ، وفيه قبلة بيت المقدس ؛ فلما كان زمان أبى جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ، فهذا البناء الذى يرون جرى على يد عبد الصمد بن علىّ ، ورأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مزْبلة .

قوله (وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لايوفق للرشاد فى أفعاله من كان بانيا بناءه فى غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمرَ الله وأمر رسوله .

القول فى تأويل قوله

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره : لايزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ، ريبة ؛ يقول : لايزال مسجدهم الذى بنوه ريبة فى قلوبهم ، يعنى شكا ونفاقا فى قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا فى بنائه محسنين (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعنى إلا أن تتصدّع قلوبهم فيموتوا ، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار ، من شكهم فى دينهم ، وما قصدوا فى بنائهموه وأرادوه ، وما إليه صائر أمرهم فى الآخرة ، وفى الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم ، حكيم فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ) يعنى شكا (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يعنى الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ) قال : شكا فى قلوبهم (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) إلى أن يموتوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) يقول : حتى يموتوا .

حدثنى مطر بن محمد الضبىّ ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قوله (إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : إلا أن يموتوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : يموتوا

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : يموتوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله، عن ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (لاَيَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قالا : شكا في قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازيّ ، قال : ثنا أبوسنان ، عن حبيب (لاَيَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : غيظا في قلوبهم .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : يموتوا .

قال : ثنا إسحاق الرازيّ ، عن أبي سنان ، عن حبيب (إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) : إلا أن يموتوا .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن السُّدِّيّ (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : كفر ، قلت : أكفر مجمع ابن جارية ؟ قال : لا ، ولكنها حزازة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السُّدِّيّ (لاَيَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : حزازة في قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لاَيَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) لايزال ريبة في قلوبهم راضين بما صنعوا ، كما حُبِّب العجل في قلوب أصحاب موسى ، وقرأ (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) قال : حُبُّه (إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) قال : لايزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا ، يعني المنافقين .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا قيس ، عن السديّ ، عن إبراهيم (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) قال : شكا ، قال : قلت يا أبا عمران : تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هي حزازة .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) فقرأ ذلك بعض قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (إِلاَّ أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) بضمّ التاء من تقطع ، على أنه لم يسمّ فاعله ، وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة(إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ بفتح التاء من تَقَطَّعَ) على أن الفعل للقلوب ، بمعنى : إلا أن تتقطع قلوبهم ، ثم حذفت إحدى التاءين ، وذكر أن الحسن كان يقرأ (إلى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم ، وذكر أنها في قراءة عبد الله : ولو قطعت قلوبهم ، وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك (إِلاَّ أَنْ تُقَطَّعَ) بضم التاء .

والقول عندى فى ذلك : أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لاتنقطع إذا تقطعت إلا بتقطيع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلا وهى متقطعة ، وهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته . وأما قراءة من قرأ ذلك: إلى أن تُقْطَع ، فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة .

القول فى تأويل قوله

* إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ؟ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ، وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١١)

يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة ، وعدا عليه حقا ، يقول : وعدهم الجنة جلّ ثناؤه ، وعدا عليه حقًّا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزّلة : التوراة والإنجيل والقرآن ، إذا هم وَفَّوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه ، فقَتَلوا وقُتِلوا ، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ؟) يقول جلّ ثناؤه : ومن أحسن وفاء بما ضَمِن وشَرَط من الله. (فَاسْتَبْشِرُوا) يقول ذلك للمؤمنين ، فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا (بِبَيْعِكُم)أنفسكم وأموالكم ، بالذى بعتموها من ربكم به ، فإن ذلك هو الفوز العظيم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : ما من مسلم إلا ولله فى عنقه بيعة ، وفى بها أو مات عليها ، فى قول الله (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى قوله (وَذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) ثم حلاهم فقال (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) . . . إلى (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ) يعنى بالجنة .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن يسار ، عن قتادة أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ بأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ)قال : ثامَنَهم الله ، فأغلى لهم الثمن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارىّ ، عن أبى رجاء ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ) قال : بايَعَهم ، فأغلى لهم الثمن .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ وغيره ، قالوا : « قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : أَشْتَرِطُ لِرَبِّى : أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وأَشْتَرِطُ لِنَفْسِى : أَنْ تَمْنَعُونى مِمَّا تَمْنَعُونَ

مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ ، قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟ قال : الجَنَّة ، قالوا : ربح البيع لانقيل ولانستقيل ، فنزلت (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . الآية .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبيد بن طُفَيل العبسىّ ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) . . . الآية ، قال الرجل : ألا أحمل على المشركين ، فأُقاتل حتى أُقتل ؟ قال : ويلك ! أين الشرط ؟ (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) .

القول فى تأويل قوله

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ، وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ، وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٢)

يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ، ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها ، والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدم بياننا ذلك فى قوله (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ) ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ومعنى التائبون : الراجعون مما كرهه الله وسَخِطه ، إلى مايحبه ويرضاه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن فى قول الله (التَّائِبُونَ) قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها .

حدثنا سَوَّار بن عبد الله العنبرىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، أنه قرأ (التَّائِبونَ العابِدُونَ) قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن أبى الأشهب ، قال : قرأ الحسن (التَّائِبُونَ العابِدونَ) قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارىّ ، عن أبى رجاء عن الحسن ، قال : التائبون من الشرك .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) قال الحسن : تابوا والله من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (التَّائِبونَ) قال : تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا فى الإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (التَّائِبُونَ) قال : الذين تابوا من الذنوب ، ثم لم يعودوا فيها .

وأما قوله (العابِدُونَ) فهم الذين ذلوا خشية لله ، وتواضعا له ، فجدّوا فى خدمته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (العابِدُونَ) : قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن فى قول الله (العابِدُونَ) قال : عبدوا الله على أحايينهم كلها فى السرّاء والضرّاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارىّ ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : (العابِدُونَ) قال : العابدون لربهم .

وأما قوله (الحامِدُونَ) فإنهم الذين يحمَدون الله على كلّ ما امتحنهم به من خير وشرّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الحامِدُونَ) قوم حمِدوا الله على كل حال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة ، قال : قال الحسن (الحامِدُونَ) : الذين حمِدوا الله على أحايينهم كلها ، فى السرّاء والضرّاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارىّ ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (الحامِدُونَ) قال : الحامدون على الإسلام .

وأما قوله (السّائحُونَ) فإنه الصائمون .

كما حدثنى محمد بن عيسى الدامغانىّ وابن وكيع ، قالا : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن عمرو ، عن عبيد ابن عمير ، قال : سئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن السائحين ، فقال : هُمُ الصّائمُونَ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا حكيم بن حزام ، قال : ثنا سليمان ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السّائحُونَ هُمُ الصّائمُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال (السّائحُونَ) : الصائمون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال (السّائحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : السياحة : الصيام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : (السّائحُونَ) : الصائمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، وإسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : (السّائحُونَ) : الصائمون .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، قال : (السّائحُونَ) : الصائمون ؛

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبى الشعثاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن ، قال : (السَّائِحُونَ) : هم الصائمون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (السَّائِحُونَ) قال : يعنى بالسائحين : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال (السَّائحون) هم الصائمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (السَّائِحُونَ) الصائمون .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : كلّ ما ذكر الله فى القرآن السياحة : هم الصائمون .

قال : ثنا أبى عن المسعودىّ ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهُذَيل ، عن أبى عمرو العبدىّ ، قال (السَّائِحُونَ) : الذين يديمون الصيام من المؤمنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل ، قال : قال الحسن (السَّائِحُونَ) الصائمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى منصور بن هارون ، عن أبى إسحاق الفزارىّ ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد ، عن جويبر ، عن الضحاك، قال (السَّائِحُونَ) : الصائمون .

قال : ثنا أبوأسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كلّ شىء فى القرآن (السَّائِحُونَ) فإنه الصائمون .

حدثنى المثنى ، قال: ثنا عمرو بن عون ، قال: أخبرنا هُشيم، عن جويبر، عن الضحاك (السَّائحون) : الصائمون .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (السَّائِحُونَ) يعنى : الصائمين .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نُمير ويعلى وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال (السائِحُونَ) الصائمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كانت السياحة فى بنى إسرائيل، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة، رأى ما كان يرى السائحون

قبله، فساح ولدُ بغيّ أربعين سنة، فلم ير شيئا، فقال: أى ربّ أرأيت إن أساء أبواى وأحسنت أنا؟ قال: فأرى ما رأى السائحون قبله.

قال ابن عيينة: إذا ترك الطعام والشراب والنساء، فهو السائح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إبراهيم بن يزيد، عن الوليد بن عبد الله، عن عائشة، قالت: سياحة هذه الأمة: الصيام.

وقوله (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) يعنى: المصلين الراكعين فى صلاتهم، الساجدين فيها.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى منصور بن هارون، عن أبى إسحاق الفزارىّ، عن أبى رجاء، عن الحسن (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) قال: الصلاة المفروضة.

وأما قوله (الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ) فإنه يعنى أنهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم، واتباع الرشد والهدى والعمل، وينهونهم عن المنكر، وذلك نهيهم الناس عن كلّ فعل وقول نهى الله عباده عنه.

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى منصور بن هارون، عن أبى إسحاق الفزارىّ، عن أبى رجاء، عن الحسن (الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ): لا إله إلا الله (والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ): عن الشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن ثعلبة بن سهيل، قال: قال الحسن، فى قوله (الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ) قال: أما إنهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها (والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ) قال: أما إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه.

حدثنى المثنى، قال: ثنى إسحاق، قال: ثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبى العالية، قال: كلّ ما ذُكر فى القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام، والنهى عن المنكر: نهى عن عبادة الأوثان والشياطين.

☼ وقد دللنا فيما مضى قبلُ على صحة ما قلنا: من أن الأمر بالمعروف: هو كلّ ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم. والنهى عن المنكر: هو كلّ ما نهى الله عنه عباده أو رسوله. وإذ كان ذلك كذلك ولم يكن فى الآية دلالة على أنها عُنِى بها خصوصٌ دون عموم، ولا خبر عن الرسول، ولا فى فطرة عقل، فالعموم بها أولى لما قد بينا فى غير موضع من كتبنا.

وأما قوله (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) فإنه يعنى: المؤدّونَ فَرَائِضَ الله، المنتهون إلى أمره ونهيه، الذين لا يضيعون شيئا، ألزمهم العمل به، ولا يركبون شيئا نهاهم عن ارتكابه.

كالذى حدثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس

(والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) يعني : القائمين على طاعة الله، وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد، إذا وفوا الله بشرطه ، وفى لهم شرطهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) قال : القائمون على طاعة الله .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا حكام ، عن ثعلبة ، بن سهيل، قال : قال الحسن. في قوله (وَالحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) قال : القائمون على أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور ، بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاريّ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) قال : لفرائض الله .

وأما قوله (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) فإنه يعني :وبشر المصدّقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده،أنه موف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة .

كما حدثنا ابن بشار ،قال: ثنا هَوْذة بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن الحسن (إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) . . . حتى ختم الآية،قال:الذين وفّوا ببيعتهم (التَّائِبُونَ العابِدُونَ الحامِدُونَ) حتى ختم الآية ، فقال : هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ، ثم لَقُوا العدوّ ، فصدّقوا ما عاهدوا الله عليه .

وقال بعضهم : معنى ذلك : وبشر من فعل هذه الأفعال ، يعني قوله (التَّائِبُونَ العابِدُونَ) . . . إلى آخر الآية ، وإن لم يغزوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني منصور بن هارون ، عن أبي إسحاق الفزاريّ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) قال : الذين لم يغزوا .

القول في تأويل قوله

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَبُ الْجَحِيمِ .(١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)

❊ يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغي للنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا ، يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قربى ، ذوى قرابة لهم (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصحابُ الجَحِيمِ) يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار ، لأن الله قد قضى ألا يغفر لمشرك ، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لايفعله .

فإن قالوا : فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ، فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه ، فلما تبين له ، وعلم أنه لله عدوّ، خلاه وتركه، وترك الاستغفار له، وآثر الله وأمره عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه ؛ فقال بعضهم : نزلت فى شأن أبى طالب عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال : يا عَمِّ قُلْ : لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، كَلِمَةً أُحاجُّ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ ، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فنزلت (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) ، ونزلت (إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ، عن الزهرىّ ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لمَّا حضرت أباطالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عَمِّ قُلْ : لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ ، قال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فأنْزَلَ اللهُ (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) وأنزل الله فى أبى طالب ، فقال لرسول الله (إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أحْبَبْتَ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) قال : يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا ؟ وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافرا ، فأنزل الله (وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْراهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاهُ) . . . الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَغْفَرَ إبْراهِيمُ لأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَلا أزالُ أسْتَغْفِرُ لأبى طالِبٍ حتى يَنْهانِي

عَنْهُ رَبِّى، فقال أصحابه: لنستغفرنّ لآبائنا كما استغفر النبىّ صلى الله عليه وسلم لعمه، فأنزل الله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . إلى قوله (تَبَرَّأَ مِنْهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَىْ عَمِّ إِنَّكَ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَىَّ حَقًّا، وأَحْسَنُهُمْ عِنْدِى يَدًا ، ولأَنْتَ أَعْظَمُ عَلَىَّ حَقًّا مِنْ وَالِدِى ، فَقُلْ كَلِمَةً تَجِبُ لِى بِهَا الشَّفَاعَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، قُلْ : لاإِلَهَ إِلاَّ اللهَ ، ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور .

وقال آخرون : بل نزلت فى سبب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها ، فمنع من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل ، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سَخِنت عليه الشمس، رجاء أن يؤذن له، فيستغفر لها ، حتى نزلت (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى) . . . إلى قوله (تَبَرَّأَ مِنْهُ) .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أتى رَسْمًا ، قال : وأكثر ظنى أنه قال قبرا ، فجلس إليه ، فجعل يخاطب ، ثم قام مستعبرا، فقلت يا رسول الله ، إنا رأينا ما صنعت ، قال : إِنِّى اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّى، فَأَذِنَ لِى ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِى الاسْتِغْفَارِ لَهَا ، فَلَمْ يَأْذَنْ لِى ، فما رؤى باكيا أكثر من يومئذ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) . . . إلى (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال: وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللهِ قَدِ اسْتَغْفَرَ لأَبِيهِ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ) . . . إلى (لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية، فكانوا يستغفرون لهم، حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن رجالا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبيّ الله، إن من آبائنا من كان يُحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفكّ العانى ، ويوفى بالذمم، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : بَلَى وَاللهِ ، لَأَسْتَغْفِرَنَّ لأبى كَمَا اسْتَغْفَرَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ، قال : فأنزل الله (ماكانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . حتى بلغ (الجَحِيمِ) ، ثم عذَر الله إبراهيم فقال (وَمَا كانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ له أنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال: وذُكر لنا أن نبيّ الله قال: أوحى إلىّ كلمات ، فدخلن فى أذنى ، ووقَرْن فى قلبى ، أُمرت ألا أستغفر لمن مات مشركا ، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شرّ له ، ولا يلوم الله على كَفاف .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله (ما كانَ للنَّبِيِّ والَّذينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) فقال بعض نحويّ البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار ، وكذلك معنى قوله (وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ) وما كان لنفس الإيمان إلا بإذن الله . وقال بعض نحويّ الكوفة : معناه : ما كان ينبغى لهم أن يستغفروا لهم ، قال : وكذلك إذا جاءت أن مع كان، فكلها بتأويل ينبغى،ما كان لنبىّ أن يغلّ : ما كان ينبغى له ، ليس هذا من أخلاقه، قال: فلذلك دخلت أن تدل على الاستقبال ، لأن ينبغى تطلب الاستقبال .

وأما قوله (وَمَا كانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ) فإن أهل العلم اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه ، فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ، ظنا منهم أن إبراهيم خليل الرحمن،قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن إبراهيم ، قال : (سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إنَّهُ كانَ بِى حَفِيًّا) ، وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره ، وسنذكر عمن لم نذكره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الخليل ، عن علىّ قال : سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ، قال : فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فأنزل الله (وَمَا كانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ) . . . إلى (تَبَرَّأَ مِنْهُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبىالخليل ، عن علىّ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان ، حتى نزلت (وَمَا كانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ) . . . إلى قوله (تَبَرَّأَ مِنْهُ) ، وقيل (وَمَا كانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ) ، ومعناه : إلا من بعد موعدة ، كما يقال : ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا ، بمعنى : من بعد ذلك السبب ، أو من أجله ، فكذلك قوله (إلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ) : من أجل موعدة وبعدها .

وقد تأوّل قوم قول الله (ماكانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا

أولى قُرْبَى) . . . الآية ، أن النّهْى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم ، لقوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) وقالوا : ذلك لايتبينه أحد إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حىّ ، فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمر الرَّقّىّ ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثورىّ ، عن الشَّيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودىّ ، وله ابن مسلم ، فلم يخرج معه ، فذُكر ذلك لابن عباس ، فقال : كان ينبغى له أن يمشىَ معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حيا ، فإذا مات وكله إلى شأنه ، ثم قال (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) : لم يدْعُ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا فضيل ، عن ضِرار بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، قال : مات رجل نصرانىّ ، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأتيت ابن عباس ، فذكرت ذلك له فقال : ما كان عليه لو مشى معه وأجنّه واستغفر له ، ثم تلا (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) . . . الآية .

وتأوّل آخرون الاستغفار فى هذا الموضع بمعنى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا كثير بن هشام ، عن جعفر بن بُرْقان ، قال : ثنا حبيب ابن أبى مرزوق ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : ما كنت أَدَعُ الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ، ولو كانت حبشية حُبْلَى من الزنا ، لأنى لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول الله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) .

وتأوّله آخرون بمعنى الاستغفار ، الذى هو دعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عصمة بن راشد ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلا استغفر لأبى هريرة ولأمه ، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا ، إن أبى مات وهو مشرك .

۞ قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى الاستغفار : مسألة العبد ربه غفر الذنوب ؛ وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربه ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة ، لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا ، لأن الله عمّ بالنهى عن الاستغفار للمشرك بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخصص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له .

وأما قوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) فإن معناه : ما قد بينت من أنه من بعد

ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار ، وقيل : أصحاب الجحيم ، لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها، كما يقال لسكان الدار : هؤلاء أصحاب هذه الدار ، بمعنى سكانها .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الجَحِيمِ) قال : تبين للنبىّ صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات ، أن التوبة قد انقطعت عنه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تبين له حين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه ، يعنى فى قوله (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الجَحِيمِ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبامعاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك فى قوله (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية ، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ . . .) الآية .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركا بالله ، تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه ، حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدوّ لله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات لم يستغفر له .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) يعنى استغفر له ما كان حيا ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

حدثنى مطر بن محمد الضبىّ ، قال : ثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالا : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا البراء بن عتبة ، عن أبيه ، عن الحكم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : حين مات ولم يؤمن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) : موته وهو كافر .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : لما مات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ) لما مات على شركه تبرأ منه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) كان إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حيا ؛ فلما مات على شركه تبرأ منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) قال : موته وهو كافر .

حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدوّ لله ، فلم يستغفر له .

قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا أبوإسرائيل ، عن علىّ بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ) قال : فلما مات .

وقال آخرون : معناه : فلما تبين له فى الآخرة ، وذلك أن أباه يتعلق به إذا أراد أن يجوز الصراط ، فيمرّ به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوزه حانت من إبراهيم التفاتة، فإذا هو بأبيه فى صورة قرد أو ضبع ، فخلّى عنه ، وتبرأ منه حينئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا عبد الله بن سليمان ، قال : سمعت سعيد ابن جبير يقول : إن إبراهيم يقول يوم القيامة : ربّ والدى ، ربّ والدى، فإذا كان الثالثة أخذ بيده ، فيلتفت إليه وهو ضبعان ، فيتبرأ منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد بن عمير ،قال : « إنكم مجموعون يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعكم الداعى ، وينفذكم البصر ، قال : فتزفر جهنم زفرة لايبقى ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه ، قال : فحسبته يقول : نفسى نفسى ، قال : ويضرب الصراط

على جسر جهنم كحدّ السيف ، وحضر من له وفى جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السَّعْدان ، قال : فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الركاب ، وكأجاويد الرجال ، والملائكة يقولون : ربّ سلِّم سلِّم ، فناج سالم ، ومخدوش ناج ، ومكدوس فى النار ، فيقول إبراهيم لأبيه : إنى كنت آمرك فى الدنيا فتعصينى ، ولست تاركك اليوم ، فخذ بحقوىّ ، فيأخذ بضبعيه ، فيمسخ ضبعا ، فإذا رآه قد مسخ تبرأ منه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول الله ، وهو خبره عن إبراهيم ، أنه لما تبين له أن أباه لله عدوّ ، تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوّ ، وهو به مشرك ، وهو حال موته على شركه .

القول فى تأويل قوله

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) :

اختلف أهل التأويل فى الأوّاه ، فقال بعضهم : هو الدعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الدّعاء .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال : الأوّاه : الدّعّاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن زرّ بن حُبيش ، قال : سألت عبد الله عن الأوّاه ، فقال : هو الدّعّاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبى عَروبة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الدّعّاء

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، قال : نبئت عن عبيد بن عمير ، قال : الأوّاه : الدّعاء .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثىّ ، عن أبيه ، قال : الأوّاه : الدّعاء .

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبى العبيدين ، قال : سئل عبد الله عن الأوّاه ، فقال : الرحيم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزار يحدّث ، عن أبي العبيدين : رجل ضرير البصر ، أنه سأل عبد الله عن الأوّاه فقال : الرحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربىّ ؛ وحدثنا خلاد بن أسلم ، قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا ، عن المسعودىّ ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود ، فقال : ما الأوّه ؟ قال : الرحيم .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، أنه جاء إلى عبد الله ، وكان ضرير البصر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأنّ ابن مسعود رقّ له ، قال : أخبرنى عن الأوّاه ، قال : الرحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، قال : سألت عبد الله عن الأوّاه ، فقال : هوالرحيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، قال : جاء أبو العبيدين إلى عبد الله ، فقال له : ما حاجتك ؟ قال : ما الأوّاه ؟ قال : الرحيم .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين رجل من بنى سُوأة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ، فسأله عن الأوّاه ، فقال له عبد الله : الرحيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الرحيم .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين رجل من بنى نمير ، قال : يعقوب كان ضرير البصر ؛ وقال ابن وكيع : كان مكفوف البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما الأوّاه ؟ قال : الرحيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : الأوّاه : الرحيم .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : هو الرحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدّث إن الأوّاه : الرحيم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن إبراهيم لأوّاه ، قال : رحيم .

قال عبد الكريم الجزرىّ ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الأوّاه : الرحيم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبوأحمد، قال: ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البَطِين ، عن أبي العبيدين ، أنه سأل عبد الله ، عن الأوّاه ، فقال : الرحيم .

قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأوّاه : الرحيم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : الأوّاه : الرحيم بعباد الله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوخيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمدانى ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأوّاه : الرحيم ، بلَحْن الحبشة .

وقال آخرون : بل هو المُوقِن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الأوّاه : المُوقِن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الأوّاه : الموقن ، بلسان الحبشة .

قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأوّاه : الموقن ، بلسان الحبشة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : سمعت سفيان ، يقول : الأوّاه : الموقن . وقال بعضهم الفقيه الموقن .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا سفيان، عن جابر ، عن عطاء ، قال : الأوّاه : الموقن ، بلسان الحبشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : هو الموقن بلسان الحبشة .

قال : ثنا ابن نمير ، عن الثَّورىّ ، عن مجالد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، قال : الأوّاه: الموقن :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الأوّاه : الموقن .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الأوّاه : الموقن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أوّاه : موقن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أواه ، قال : مؤْتمن موقن .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأوّاه : الموقن .

وقال آخرون : هى كلمة بالحبشية معناها : المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) قال : الأوّاه : هو المؤمن بالحبشة .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) يعنى : المؤمن التوّاب .

حدثنا أحمد ، قال: ثنا أبوأحمد ، قال: ثنا حسن بن صالح ، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس ، قال : الأوّاه : المؤمن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : الأوّاه : المؤمن بالحبشة .

وقال آخرون : هو المسبح الكثير الذكر لله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : الأوّاه : المسبح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يناق ، أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح ، فذكر ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال « إِنَّهُ أَوَّاهٌ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا يزيد بن حيان، عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علىّ بن رباح ، عن عقبة بن عامر ، قال : الأوّاه : الكثير الذكر لله .

وقال آخرون : هو الذى يكثر تلاوة القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا المنهال بن خليفة، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء : عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دفن ميتا ، فقال « يَرْحَمُكَ اللهُ، إِنْ كُنْتَ لَأَوَّاهًا » يعنى تلاّءً للقرآن .

قال آخرون : هو من التأوّه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى يونس القشيرىّ ، عن قاصّ كان بمكة ، أن رجلا كان فى الطواف ، فجعل يقول: أوّه، قال : فشكاه أبو ذرّ للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « دَعْهُ إِنَّهُ أَوَّاهٌ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى يونس

الباهلى ، قال : سمعت رجلا بمكة كان أصله رُوميا يحدّث عن أبى ذرّ ، قال : كان رجل يطوف بالبيت ويقول فى دعائه أوّه أوّه ، فذكر ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنَّهُ أوّاهٌ » . زاد أبو كريب فى حديثه ، قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، قال : ثنا أبو عمران ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : الأوّاه : إذا ذكر النار قال أوّه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن عبد الصمد القُمّىّ ، عن أبى عمران الجونىّ ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، قال : كان إذا ذكر النار قال : أوّه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنا أبو عمران ، قال : سمعت عبد الله بن رباح الأنصارىّ يقول : سمعت كعبا يقول : إن إبراهيم لأوّاه ، قال : إذا ذكر النار قال : أوّه من النار .

وقال آخرون : معناه : أنه فقيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) قال : فقيه .

وقال آخرون : هو المتضرّع الخاشع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، قال رجل : يا رسول الله : ما الأوّاه ؟ قال : المتضرّع ، قالَ (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأوَّاهُ : الخاشِعُ المُتَضَرِّعُ » .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : القول الذى قاله عبد الله بن مسعود ، الذى رواه عنه زرّ أنه الدعاء .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ، ووصف به إبراهيم خليله ، صلوات الله عليه ، بعد وصفه إياه بالدُّعاء والاستغفار لأبيه ، فقال (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) وترك الدعاء والاستغفار له ، ثم قال : إنّ إبراهيم لدَعَّاء لربه ، شاكٍ له ، حليم عمن سبّه وناله بالمكروه ، وذلك أنه صلوات الله عليه ، وعد أباه بالاستغفار له ، ودعاء الله له بالمغفرة ، عند وعيد أبيه إياه ، وتهدده له بالشتم بعد ما ردّ عليه نصيحته فى الله ، وقوله (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) فقال له صلوات الله عليه (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ، وَأَعْتَزِلُكُمْ

وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ،وَأَدْعُو رَبِّي ، عَسَى أَنْ لا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)، فوفى لأبيه بالاستغفار له، حتى تبين له أنه عدوّ لله، فوصفه الله بأنه دعّاء لربه، حليم عمن سفِه عليه، وأصله من التأوّه وهو التضرّع ، والمسألة بالحزن والإشفاق ، كما روى عبد الله بن شدّاد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذي حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السّهميّ ، قال: ثنا أبي ، قال : ثنا ابن لَهيعة، قال: ثنى الحارث بن يزيد، عن عليّ بن رباح ، عن عقبة بن عامر : أنه قال لرجل يقال له ذو البجادين : إنه أوّاه ، وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء، ويرفع صوته، ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لِم تتأوّه ؟ كما قال المثقّب العبديّ :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَــةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ[1]

ومنه قول الجعْديّ :

ضَرُوحٌ مَرُوحٌ تَتْبَعُ الوُرْقَ بَعْدَمَا يُعَرِّسْنَ تَشْكُو آهَــةً وَتَذَمُّرَا[2]

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل ، وإنما تقول فيه : تفعّل يتفعل ، مثل تأوّه يتأوّه ، وأوّه يؤوّه ، كما قال الراجز : فَأَوَّهَ الرَّاعِي وَضَوْضَى أَكْلُبُهْ[3]

وقالوا أيضا : أوه منك ، ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده :

فَأَوْهِ مِنَ الذِّكْرَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وسَمَاءِ[4]

قال : وربما أنشدنا : فأوّ من الذكرى بغير هاء ، ولو جاء فعل منه على الأصل لكان آه يئوه أوها ، ولأن معنى ذلك : توجع وتحزن وتضرّع اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذى ذكرت ، فقال من قال : معناه الرحمة ، إن ذلك كان من إبراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس .

---

(١) البيت للمثقب العبدى (اللسان : أوه) . قال : قال ابن سيده : وقد تأوه آها وآهة . قال المثقب : إذا ما قمت . . . البيت . قال ابن سيده : وعندى أنه وضع الاسم موضع المصدر ، أى تأوه تأوه الرجل . قال : ويروى : تهوه هاهة الرجل الحزين . ويروى : أهة (بشد الهاء) من قولهم (أه بالتشديد) أى توجع .

(٢) البيت للنابغة الجعدى من رائيته المشهورة ، أوردها صاحب جمهرة أشعار العرب طبعة بولاق ص ١٤٥ : وروايته عنده ؛ ولعلها أوثق الروايات :

خَنُوفٌ مَرُوحٌ تعجلُ الوُرْقَ بَعْدَمَا تُعَرِّسْنَ تَشْكُو آهَــةً وَتَذَمُّرَا

وقال فى شرحه : الخنوف : لينة اليدين فى السير . والآهة : التأوه . ورواه ابن قتيبة فى كتاب (المعانى الكبير ،طبع الهندسنة ١٩٤٩ ص ٢١٥) باختلاف فى قوله « يعرسن شكوى » وقال فى شرحه: الخنوف : التى ترمى بيديها إلى وحشيها . والمروح : التى تمرح . والورق : القطا . تعجلهن : أى تذعرهن إذا عرسن من آخر الليل ، توقظهن . آهة : يعنى تأوها . والضروح فى رواية الطبرى : وصف الناقة ، يقال ضرحت الدابة برجلها تضرح ضرحا وضراحا . فهى ضروح ، إذا رمحت ، وهو من صفات الخيل ، ولذلك كانت رواية خنوف أليق بالمقام . والمروح : من المرح ، وهو النشاط أو التبختر والاختيال . والنون فى « يعرسن » راجعة إلى الورق . والتذمر : التغضب ورفع الصوت . والعبارة الأخيرة من صفة الناقة .

(٣) أوه : تأوه وصاح : وضوضى : نبح وصاح . ولم نقف على قائله .

(٤) البيت فى (لسان العرب : أوه) قال : وأوه (بشد الواو وسكون الهاء) وأوه (بسكون الواو وكسر الهاء) : كلمة معناها التحزن . وأنشد الفراء فى أوه : « فأوه لذكراها إذا ماذكرتها » . . . البيت . ويروى : فأوه (بتشديد الواو المكسورة) ويروى : فآه لذكراها . وقوله « من الذكرى » : قال الفراء أنشدنيه أبو الجراح : « فأوه من الذكرى إذا ما ذكرتها » .

وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذي أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربه ، وكلّ ذلك عائد إلى ما قلت ، وتقارب معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الحزين المتضرّع إلى ربه ، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربه ، ودعائه إياه فى حاجاته ، وتعتوره هذه الخلال التى وجه المفسرون إليها تأويل قول الله (إنَّ إبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله

وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)

❊ يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليقضى عليكم فى استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتى يتقدم إليكم بالنهى عنه ، فتتركوا الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لايحكم عليكم بالضلال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهىّ ، فأما من لم يؤمر ولم ينه ، فغير كائن مطيعا أو عاصيا ، فيما لم يؤمر به ، ولم ينه عنه . (إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم ، عند نهى الله إياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين ، من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم ، قبل تقدمه إليكم بالنهى عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها ، فبين لكم حلمه فى ذلك عليكم ، ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين فى الاستغفار للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعته ومعصيته ، فافعلوا أو ذروا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ) قال : بيان الله للمؤمنين أن لايستغفروا للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذروا .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَما كانَ

الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) قال : يبين الله للمؤمنين فى ألا يستغفروا للمشركين فى بيانه فى طاعته وفى معصيته ، فافعلوا أو ذروا .

القول فى تأويل قوله

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)

يقول تعالى ذكره إن الله أيها الناس له سلطان السماوات والأرض وملكهما ، وكل من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه ، بيده حياتهم وموتهم ، يحيى من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم ، فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بى من الملوك ، ملوك الروم كانوا ، أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم فى طاعتى ، فإنى المعز من أشاء منهم ومنكم ، والمذل من أشاء ، وهذا حض من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك ، وإغراء منه لهم بحربهم .

وقوله (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) يقول : وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله ، يظاهركم عليه إن أنتم خالفتم أمر الله ، فعاقبكم على خلافكم أمره ، يستنقذكم من عقابه ، ولا نصير ينصركم منه ، إن أراد بكم سوءا . يقول : فبالله فثقوا ، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا فى سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم ، بأن لكم الجنة ، (تقاتلون فى سبيله ، فتقتلون وتقتلون) .

القول فى تأويل قوله

لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام ، وأنصار رسوله فى الله ، الذين اتبعوا رسول الله فى ساعة العسرة منهم ، من النفقة والظهر والزاد والماء (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) يقول : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك فى دينه ، ويرتاب بالذى ناله من المشقة والشدة فى سفره وغزوه . (ثم تاب عليهم) يقول : ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحق الذى كان قد كاد يلتبس عليهم (إنه بهم رءوف رحيم) يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك ، لما نالهم فى سفرهم من الشدة والمشقة ، رءوف بهم رحيم أن يهلكهم ، فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا فى الله ما أبلوا مع رسوله ، وصبروا عليه من البأساء والضراء .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي ساعَةِ العُسْرَةِ) في غزوة تَبوك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل (فِي ساعَةِ العُسْرَةِ) قال: خرجوا في غزوة تَبوك: الرجلان والثلاثة على بعير ، وخرجوا في حر شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم ، فيعصِرون أكراشها ، ويشربون ماءها ، وكان ذلك عُسْرة من الماء ، وعُسْرة من الظهر ، وعُسْرة من النفقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ساعَةَ العُسْرَةِ) قال : غزوة تبوك . قال : العسرة : أصابهم جهد شديد حتى إن الرجلين ليشقان التمرة بينهما ، وإنهم ليَمَصُّون التمرة الواحدة ، ويشربون عليها الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا ابن نمير ، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح،عن مجاهد (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فى ساعة العُسْرةِ) قال : غزوة تَبوك .

قال : ثنا زكريا بن عليّ ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ) قال : عُسْرة الظهر ، وعُسْرة الزاد ، وعُسْرة الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأَنْصارِ الَّذين اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ) . . . الآية، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قبل الشأم في لهبان الحرّ على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد ، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يَمُصُّها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، فتاب الله عليهم ، وأقفلهم من غزوهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير بن مُطعم ، عن عبد الله بن عباس: أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه في شأن العسرة ، فقال عمر : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء ، فلا يرجع حتى يظنّ أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره ، فيعصِر فَرْثَه فيشربه ، ويجعل مابقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إن الله قد عوّدك في الدعاء خيرا ، فادع لنا ، قال : تُحِبُّ ذلكَ ؟ قال نعم ، فرفع يديه ، فلم يُرْجعهما حتى مالت السماء ، فأظلت ، ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم رجعنا ننظر ، فلم نجدها جاوزت العسكر » .

حدثني إسحاق بن زيادة العطار ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس، قال : « قيل لعمر بن

الخطاب رحمة الله عليه : حدثنا عن شأن جيش العُسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه » .

القول فى تأويل قوله

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ، وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ، إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار ، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله فى هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل ، هم الآخرون الذين قال جلّ ثناؤه (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فتاب عليهم عزّ ذكره ، وتفضل عليهم . وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

فتأويل الكلام إذنْ : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلَّفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عمن تاب عليه ، ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عمن سمع عكرمة ، فى قوله (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : خلفوا عن التوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله (خُلِّفُوا) فخلِّفوا عن التوبة ، (حتى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) يقول : بسعتها غمًّا وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) بما نالهم من الوجد والكَرْب بذلك ، (وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ) يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لاشىءَ لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء ، بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربه ، ولا مما يحذرون من عذاب الله إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى مايرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه . (إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته ، الموفق من أحبّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه ، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذُل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه .

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، فى قوله

(وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار .

حدثني عبيد بن الورّاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بنحوه ، إلا أنه قال : ومُرارة بن الربيع ، أو ابن ربيعة ، شكّ أبوأسامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : أُرجئوا في أوسط براءة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (الثَّلاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : الذين أرجئوا في أوسط براءة ، قوله(وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ) هلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعلى الثَّلاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا) الذين أرجئوا في وسط براءة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : الذين أرجئوا .

قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : (الثلاثة الَّذِينَ خُلِّفُوا) : كعب ابن مالك وكان شاعرا ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أميه ، وكلهم أنصار .

قال : ثنا أبوخالد الأحمر والمحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كلهم من الأنصار : هلال ابن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هاشم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع : كلهم من الأنصار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . إلى قوله (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) كعب بن مالك ، وهلال ابن أمية ، ومُرارة بن ربيعة، تخلفوا في غزوة تبوك ، ذُكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية فقال : لاأطلقها أو لاأطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : والله لاأُطْلِقُهُ حتى يُطْلِقَهُ رَبُّهُ إنْ شاءَ . وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك ، فجعله صدقة في سبيل الله،وقال:والله لاأَطْعَمُهُ . وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله،ترفعه أرض،وتضعه أخرى ، وقدماه تشلشلان دما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبي مالك، قال : الثلاثة الذين خلّفوا : هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومُرارة بن ربيعة .

قال : ثنا أبو داود الحَفَرىّ ، عن سلام أبي الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (وَعَلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) قال : هلال بن أمية ، ومُرارة ، وكعب بن مالك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، قال : قال كعب بن مالك : ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى تلك الغزاة ، قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أتجهز غدا ثم ألحقه ، فأخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ؛ فلما كان اليوم الثالث أخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيهات ، سار الناس ثلاثا ، فأقمت ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجئت حتى قمت بين يديه ، فقلت : ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى هذه الغزاة ، فأعرض عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس ألاّ يكلمونا ، وأُمرت نساؤنا أن يتحوّلن عنا ، قال : فتسوّرت حائطا ذات يوم ، فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أي جابر نَشَدْتُك بالله : هل علمتنى غششت الله ورسوله يوما قطّ ، فسكت عنى ، فجعل لايكلمنى ، فبينا أنا ذات يوم ، إذ سمعت رجلا على الثنية يقول : كعب كعب ، حتى دنا منى ، فقال : بشروا كعبا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام ، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ، ولقيه بها وفد أذرح ووفد أَيْلة ، صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله (لَقَدْ تابَ اللهُ عَلى النَّبِيِّ وَالمُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى ساعَةِ العُسْرَةِ) . . . الآية ، والثلاثة الذين خلفوا : رهط ، منهم كعب بن مالك ، وهو أحد بنى سلمة ، ومُرارة بن ربيعة ، وهو أحد بنى عمرو بن عوف ؛ وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ، فى بضعة وثمانين رجلا ؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صدقه أولئك حديثَهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وبايعهم ، وَوَكلهم فى سرائرهم إلى الله ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خُلِّفُوا ، وقال لهم حين حدّثوه حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم : « قَدْ صَدَقْتُمْ ، فَقُومُوا حَتى يَقْضِيَ اللهُ فِيكُمْ » فلما أنزل الله القرآن ، تاب على الثلاثة ، وقال للآخرين (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) . . . حتى بلغ (لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ) قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى غزوة تبوك، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطّ ، إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلّف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقَبَة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبّ أن لى بها مشهدَ بدر ، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها ، فكان من خبرى حين تخلفت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، أنى لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قطّ ، حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومَفاوز ، واستقبل عدوّا كثيرا ، فجلّى للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أُهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع النبىّ صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد بذلك الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلاّ يظنّ أن ذلك سيخفَى ، ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصعَر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفِقت أغدو لكى أتجهز معهم ، فلم أقض من جَهازى شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى ، حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل ، فأدركَهُم ، فياليتنى فعلت ، فلم يقدّر ذلك لى ، فطفِقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم يَحزُنُنى أنى لاأرى لى أسوة ، إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعَلَ كَعْبُ بْنُ مالكٍ ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله حبسه بُرداه ، والنظر فى عطفيه ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا خَيْثَمَةَ ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصارىّ ، وهو الذى تصدّق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون ، قال كعب : فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى همى ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول بمَ أخرج من سُخْطه غدا ؟ وأستعين على ذلك بكلّ ذى رأى من أهلى ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادما ، زاح عنى الباطل ، حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشىء أبدا ، فأجمعت صِدْقه ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ؛ فلما فعل ذلك جاءه المخلّفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووَكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت ، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ قال : قلت يا رسول الله ، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدَلا ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ، ليوشكنّ الله أن

يسخطك علىّ ، ولئن حدّثتك حديث صدق تجد علىّ فيه ، إنى لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطّ أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلّفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، قُمْ حتى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ ، فقمت ، وثار رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا ، لقد عَجَزتَ أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلّفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، قال : فوالله ما زالوا يؤنبوننى ، حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذّب نفسى ، قال : ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان ، قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قال : قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الربيع العامرى ، وهلال بن أمية الواقفىّ ، قال : فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا ، لى فيهما أسوة ، قال : فمضيت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثةُ من بين من تخلف عنه ، قال : فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا ، فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلاة ، وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلمُ ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حرّك شفتيه بردّ السلام أم لا ؟ ثم أصلى معه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلىّ وإذا التفتّ نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى ، وأحبّ الناس إلىّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أَنْشُدك بالله هل تعلم أنى أُحبّ الله ورسوله ؟ فسكت ، قال : فعدت فناشدته . فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسوّرت الجدار ، فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا بنَبَطىّ من نبط أهل الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ، قال : فطفِق الناس يشيرون له ، حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملك غسّان ، وكنت كاتبا ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هَوان ولا مَضيعة ، فالحق بنا نُواسِك ، قال : فقلت حين قرأته . وهذا أيضا من البلاء ، فتأممت به التنور فسجرته به ، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى ، إذا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ، فلا تقربها ، قال : وأرسل إلى صاحبىّ بذلك ، قال : فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك تكونى عندهم ، حتى يقضى الله فى هذا الأمر ، قال : فجاءت امرأة هلال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : « لا ، وَلَكِنْ لايَقْرُبَنَّكِ » قالت : فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شىء ، ووالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه ، قال : فقلت

لاأستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يُدْرِينى ماذا يقول لى إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عنا ، قد ضاقت علىّ نفسى ، وضاقت علىّ الأرض بما رَحُبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سَلْع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قِبَل صاحبىّ مبشرون ، وركض رجل إلىّ فرسا، وسعى ساع من أسلم قِبَلى، وأوفى الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبىّ، فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقانى الناس فوجا فوجا، يهنئونى بالتوبة، ويقولون: لِتَهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد حوله الناس، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله يهرول، حتى صافحنى وهنأنى ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعب لاينساها لطلحة ، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » . فقلت: أمِن عندك يارسول الله، أم من عند الله ؟ قال « لا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه، قال : فلما جلست بين يديه ، قلت: يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى، صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَمْسِكْ بَعْضَ مالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قال : فقلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت: يا رسول الله ، إن الله إنما أنجانى بالصدق، وإن من توبتى أن لا أحدّث إلا صدقا ما بقيتُ ، قال: فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام أحسن مما ابتلانى ، والله ما تعمدت كَذْبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ؛ قال : فأنزل الله (لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِىِّ) . . . حتى بلغ (وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) . . . إلى (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال كعب: والله ما أنعم الله علىّ من نعمة قطّ، بعد أن هدانى للإسلام ، أعظم فى نفسى ، من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لاأكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شرّ ماقال لأحد (سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِم لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) . . . إلى قوله (لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ) قال كعب: خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله (وَعلى الثَّلاثَةِ

الَّذِينَ خُلِّفُوا) وليس الذى ذكر الله مما خلّفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منهم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : لم أتخلف عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها إلا بدرا ، ولم يعاتب النبىّ صلى الله عليه وسلم أحدا تخلّف عن بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرىّ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السلمىّ ، عن أبيه ، أن أباه عبد الله بن كعب ، وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه ، حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديثَ صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها ، غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ، ثم ذكر نحوه .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١١٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرّفهم سبيل النجاة من عقابه ، والخلاص من أليم عذابه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، اتقوا الله وراقبوه ، بأداء فرائضه ، وتجنب حدوده ، وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته ، تكونوا فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة ، يعنى مع من صدق الله الإيمانَ به ، فحقّقَ قوله بفعله ، ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذّب قيلَهم فعلُهم .

وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين فى الآخرة ، باتقاء الله فى الدنيا ، كما قال جلّ ثناؤه (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) .

وإنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأىّ وجوه الكون كان معهم ، إن لم يكن عاملا عملهم ، وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم كان لا وجه فى الكلام أن يقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله فسّر ذلك من فسره من أهل التأويل ، بأن قال : معناه : وكونوا مع أبى بكر وعمر ، أو مع النبىّ صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم .

ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، فى قول الله (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حَبُّويه أبو يزيد ، عن يعقوب القُمّىّ ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع ، قال : قيل للثلاثة الذين خُلِّفوا (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) محمدٍ وأصحابه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبى بكر وعمر وأصحابهما ، رحمة الله عليهم .

قال : ثنا محمد بن يحيى ، قال : ثنا إسحاق بن بشر الكاهلىّ ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن أبى هاشم الرمانىّ ، عن سعيد بن جبير ، فى قول الله (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع أبى بكر وعمر ، رحمة الله عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال : مع المهاجرين الصادقين . وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه (وكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) ويتأوّله أن ذلك نهى من الله عن الكذب .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت أبا عبيدة ابن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لايحلّ منه جِدّ ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : وكذلك هى قراءة ابن مسعود : من الصادقين ، فهل ترون فى الكذب رخصة ؟ .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

قال : ثنامحمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت أبا عبيدة يحدّث ، عن عبد الله قال : الكذب لايصلح منه جدّ ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) وهى كذلك فى قراءة عبد الله ، فهل ترون من رُخصة فى الكذب ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : لايصلح الكذب فى هزل ولا جدّ ، ثم تلا عبد الله (اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا) ما أدرى أقال (مِنَ الصَّادِقِينَ) أو (مَعَ الصَّادِقِينَ) وهو فى كتابى (مَعَ الصَّادِقِينَ) .

قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

❊ والصحيح من التأويل فى ذلك : هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع والضحاك ، وذلك أن رسوم المصاحف

كلها مجمعة على (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) ، وهى القراءة التى لاأستجيز لأحد القراءة بخلافها ، وتأويل عبد الله ، رحمة الله عليه ، فى ذلك على قراءته ، تأويل صحيح ، غير أن القراءة بخلافها .

القول فى تأويل قوله

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حولهم من الأعراب سكان البوادى ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارهم ، ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، فى صحبته فى سفره ، والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه ذلك . يقول : إنه لم يكن لهم هذا . بأنهم ، من أجل أنهم ، وبسبب أنهم لايصيبهم فى سفرهم إذا كانوا معه ظمأ ، وهو العطش ولا نصب ، يقول : ولا تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ) يعنى : ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونُصرته ، وهدم منار الكفر (وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا) يعنى أرضا ، يقول : ولا يطئون أرضا يغيظ الكفار وطؤهم إياها (وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا) : يقول ولا يصيبون من عدوّ الله وعدوّهم شيئا فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم ، إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه . (إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) : يقول : إن الله لايدع محسنا من خلقه أحسن فى عمله ، فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، أن يجازيه على إحسانه ، ويثيبه على صالح عمله ، فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذُكِر فى هذه الآية : الثواب على كل ما فعل ، فلم يضيع له أجر فعله ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية ، فقال بعضهم : هى محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلافه ، فيقعد عنه ، إلا من كان ذا عذر ، فأما غيره من الأئمة والولاة ، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه ، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) : هذا إذا غزا نبيّ الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف . ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« لَوْلا أنْ أشُقَّ على أُمَّتِى ما تَخَلَّفْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فى سَبِيلِ اللهِ ، لكِنِّى لاأجِدُ سَعَةً ، فانْطَلِقْ بِهِمْ مَعِى ، وَيَشُقُّ عَلَىَّ أو أكْرَهُ أنْ أدَعَهُمْ بَعْدِى » .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت الأوزاعىّ ، وعبد الله بن المبارك ، والفزارىّ ، والسبيعىّ ، وابن جابر ، وسعيد بن عبدالعزيز يقولون فى هذه الآية (ما كانَ لأهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) . . . إلى آخر الآية : إنها لأول هذه الأمة وآخرها ، من المجاهدين فى سبيل الله .

وقال آخرون : هذه الآية نزلت وفى أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء ، فقال (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما كانَ لأهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) فقرأ حتى بلغ (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) قال : هذا حين كان الإسلام قليلا ، فلما كثر الإسلام بعد ، قال (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) . . . إلى آخر الآية .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الله عَنَى بها الذين وصفهم بقوله (وجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) . . . الآية ، ثم قال جلّ ثناؤه : ما كان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله، ولا لمن حولهم من الأعراب ، الذين قعدوا عن الجهاد معه ، أن يتخلفوا خلافه ، ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب فى غزوته تلك كلّ من أطاق النهوض معه ، إلى الشخوص ، إلا من أذن له ، أو أمره بالمُقام بعده ، فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلف ، فعدّد جلّ ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا ، وعذّر من كان تخلفه لعذر ، وتاب على من كان تخلفه تفريطا ، من غير شكّ ولا ارتياب فى أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه فى حال استغنائه ، فلم يكن محظورا ، إذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك ، وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم ، فليس بفرض على جميعهم النهوض معه ، إلا فى حال حاجته إليهم لما لابدّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم ، واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته ، وإذا كان ذلك معنى الآية ، لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى ، إذ لم تكن إحداهما نافية حكم الأخرى من كلّ وجوهه ، ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى .

وقد بيَّنا معنى المخمصة ، وأنها المجاعة بشواهده ، وذكرنا الرواية عمن قال ذلك فى موضع غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا . وأما النَّيل : فهو مصدر من قول القائل : نالنى ينالنى ، ونِلت الشىء : فهو منَيل ، وذلك إذا كنت تناله بيدك ، وليس من التناول ، وذلك أن التناول من النوال ، يقال منه : نُلْتُ له ، أنول له ، من العطية ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : النيل مصدر من قول القائل : نالنى بخير

ينولنى نوالا ، وأنالنى خيرا إنالة ، وقال : كأنّ النّيل من الواو ، أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو ، وليس ذلك بمعروف فى كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو إذا سكنت ، وانفتح ما قبلها ، كقولهم : القول ، والعول ، والحول ، ولو جاز ما قال لجاز القيل .

القول فى تأويل قوله

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ، وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ، لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)

❁ يقول تعالى ذكره : ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ، وسائر ما ذكر ، ولا ينالون من عدوّ نيلا ، ولا ينفقون نفقة صغيرة فى سبيل الله ، ولا يقطعون مع رسول الله فى غزوه واديا ، إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك ، جزاء لهم عليه ، كأحسن مايجزيهم على أحسن أعمالهم ، التى كانوا يعملونها وهم مقيمون فى منازلهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً) . . . الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهليهم فىسبيل الله بُعْدا ، إلا ازدادوا من الله قربا .

القول فى تأويل قوله

وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ، وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)

❁ يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا . وقد بيّنا معنى الكافّة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله بهذه الآية ، وما النَّفْر الذى كرهه لجميع المؤمنين ؟ فقال بعضهم : هو نَفْر كان من قوم كانوا بالبادية ، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّمون الناس الإسلام ، فلما نزل قوله (ما كانَ لأهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ) انْصَرفوا عن البادية إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، وممن عُنى بالآية ، فأنزل الله فى ذلك عذرهم بقوله (وَما كانَ المُؤْمِنُون لِيَنْفِرُوا كافَّةً) وكره انصراف جميعهم من البادية إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) ، قال : ناس من

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادى ، فأصابوا من الناس معروفا ، ومن الخصب ما ينتفعون به ، ودَعَوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ، فوجَدوا فى أنفسهم من ذلك حرَجا ، وأقبلوا من البادية كلُّهم ، حتى دخلوا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال الله (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) يبتغون الخير (لِيَتَفَقَّهُوا) وليسمعوا ما فى الناس ، وما أنزل الله بعدهم (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ) الناس كلهم (إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال فى حديثه : فقال الله (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) خرج بعض ، وقعد بعض ، يبتغون الخير .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحو حديثه ، عن أبى حذيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد نحو حديث المثنى ، عن أبى حذيفة ، غير أنه قال فى حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وقال (لِيَتَفَقَّهُوا) ليسمعوا ما فى الناس .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا إلى عدوّهم ، ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) قال : ليذهبوا كلهم ، فلولا نفر من كلّ حىّ وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ليتفقه المتخلفون مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الدين ، ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم ، لعلهم يحذرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ، ويتركوا النبىّ صلى الله عليه وسلم وحده (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) يعنى عُصْبة ، يعنى السرايا ، ولا يتسرّوا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا ، وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا ، وقد تعلمناه ، فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ، ويبعث سرايا أُخَر ، فذلك قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ) يقول : يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ، ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ، لعلهم يحذرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا

كافَّةً) ... إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) قال: هذا إذا بَعَث نبيّ الله الجيوش أمرهم أن لايُعَرُّوا نبيه، وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه فى الدين، وتنطلق طائفة تدعو قومها، وتحذّرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

حدثنا الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) . . . الآية ،كان نبيّ الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر ، وكان إذا أقام فأَسْرَت السرايا لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه ، فكان الرجل إذا أَسْرَى فنزل بعده قرآن تلاه نبيّ الله على أصحابه القاعدين معه ، فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا ، فيقرءونهم ويفقهونهم فى الدين ، وهو قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ) يعنى بذلك أنه لاينبغى للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبيّ الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبيّ الله تسرّت السرايا ، وقعد معه معظم الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، ولكنهم منافقون، ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون، لنفر بعض ليتفقه فى الدين، ولينذر قومه إذا رجع إليهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) فإنها ليست فى الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُضَر بالسنين ،أجدبت بلادهم ،وكانت القبيلة منهم تُقْبل بأسرها، حتى يحلوا بالمدينة من الجهد، ويعتلّوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردّهم رسول الله إلى عشائرهم ، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول ثالث ، وهو ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) قال : كان ينطلق من كلّ حيّ من العرب عصابة فيأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون فى دينهم ، ويقولون لنبيّ الله : ماتأمرنا أن نفعله ، وأخبِرْنا ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم ، قال فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة، وكانوا إذا أتوا قومهم نادَوا : أن من أسلم فهو منا وينذرونهم، حتى إن الرجل ليعرّف أباه وأمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم ، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ، ويبشرونهم بالجنة .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله لمنافقين أَزْرَوْا بأعراب المسلمين ، وعزّروهم فى تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية (ما كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ، فنزلت (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، ونزلت (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) . . . الآية .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا سليمان الأحول عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا — وَ— مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ)... إلى قوله (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ، ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو ، إلى قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ، ونزلت (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) . . . الآية .

واختلف الذين قالوا : عنى بذلك النهى عن نفر الجميع فى السَّرِيَّة ، وترك النبىّ عليه الصلاة والسلام وحده فى المعنيِّين بقوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) فقال بعضهم : عُنِى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : معنى الكلام : فهلا نفر من كلّ فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون فى الدين ، ولينذروا قومهم الذين نفروا فى السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ، وذلك قول قتادة ، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبى عَروبة .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) . . . الآية ، قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبىّ الله (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) يقول : لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) قالا : كافة ويدَعوا النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ، وتحذر النافرة المتخلفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) قال : ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : أن يقال : تأويله : وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ، ولكن عليهم إذا سَرَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أن ينفر معها من كلّ قبيلة من قبائل العرب ، وهى الفرقة ، طائفة ، وذلك من الواحد إلى مابلغ من العدد ، كما قال الله جلّ ثناؤه (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) يقول : فهلا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ، وهذا إلى هاهنا على أحد الأقوال التى رُوِيت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظَر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الأعراب لغير عذر يُعذرون به إذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدوّ قبل هذه الآية بقوله (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) ، ثم عقب ذلك جلّ ثناؤه بقوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرّفهم فى الآية التى قبلها اللازم لهم من فرض النفْر ، والمباح لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخوصه عن مدينته لجهاد عدوّ ، وأعلمهم أنه لايسعهم التخلف خلافه إلا لعذر ، بعد استنهاضه بعضهم ، وتخليفه بعضهم ، أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مُقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ، وإشخاص غيره عنها ، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم .

وأما قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) .

فإن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه ، وأصحاب رسوله ، على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان ، مَن لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذى نزل بمن شاهدوا وعاينوا ، ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك ، إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) يقول : لعلّ قومهم إذا هم حذّروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون ، فيؤمنون بالله ورسوله ، حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، وهو قول الحسن البصرىّ الذى رويناه عنه ، لأن النفْر قد بيّنّا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشىء ، أن الأغلب من استعمال العرب إياه فى الجهاد والغزو ، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعانى فيه ، وكان جلّ ثناؤه قال (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) علم أن قوله : ليتفقهوا إنما هو شرط للنفْر لالغيره ، إذ كان يليه دون غيره من الكلام .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلفون فى الدين ؟ قيل : ننكر ذلك لاستحالته ؛ وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم ، وترك التفقه ، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا ، لم يكن سببا لمنعهم من التفقه . وبعد ، فإنه قال جلّ ثناؤه (وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) عطفا به على قوله (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها ، وللإنذار وخوف الوعيد نَفَرَت ، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة ، وقد تساوتا فى المعرفة بإنذار الله إياهما ، ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى ، لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة ، لأنها قد عاينت من قدرة الله، ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ، ما لم تعاين المقيمة ، ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها ، مَن لم يؤمن بالله ، إذا رجعت إليه ، أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك .

القول فى تأويل قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ، وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ، وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٣)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار ، دون من بعُد منهم ؛ يقول لهم : ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارا ، دون الأبعد فالأبعد ، وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم ، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق . فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد ، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء ، دون الأبعد منهم ، ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحى بلاد الإسلام ، فإن اضطرّوا إليهم لزم عونهم ونصرهم ، لأن المسلمين يد على من سواهم ، ولصحة كون ذلك ، تأوّل كل من تأوّل هذه الآية ، أن معناها إيجاب الفرض على أهل كلّ ناحية قتال من وليهم من الأعداء .

ذكر الرواية بذلك عنهم

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن شبيب بن غَرْقدة ، عن عُروة البارقىّ ، عن رجل من بنى تميم ، قال : سألت ابن عمر ، عن قتال الديلم ، قال : عليك بالروم .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق وسفيان بن وكيع ، قالوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس عن الحسن (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) قال : الديلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا عمران أخى ، قال : سألت جعفر بن محمد بن علىّ بن

الحسين ، فقلت : ما ترى فى قتال الديلم ؟ فقال : قاتلوهم ورابطوهم ، فإنهم من الذين قال الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع ، عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم ، فقال (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) : الديلم .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : سمعت أبا عمرو ، وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يرابط كلّ قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ، ويتأولان قول الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ) قال : كان الذين يلونهم من الكفار العرب ، فقاتلهم حتى فرغ منهم ، فلما فرغ قال الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآخِرِ) . . . حتى بلغ (وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب ، قال : وجهادهم أفضل الجهاد عند الله .

وأما قوله (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم . فيكم : أى منكم شدّة عليهم . (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ) يقول : وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم ، فإن اتقيتم الله وخفتموه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

القول فى تأويل قوله

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ؟ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)

※ يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول : أيها الناس أيكم زادته هذه السورة إيمانا ؟ يقول تصديقا بالله وبآياته ، يقول الله : فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك ، فزادتهم السورة التى أنزلت إيمانا ، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين .

فإن قال قائل : أو ليس الإيمان فى كلام العرب : التصديق والإقرار ؟ قيل : بلى . فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقا وإقرارا ؟ قيل : زادتهم إيمانا حين نزلت ، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الإقرار بها ، والعمل بها بعينها ، إلا فى جملة إيمانهم بأنّ كل ماجاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحقّ ؛ فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التى زادهم نزول السورة حين نزلت ، من الإيمان والتصديق بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً) قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيمانا وتصديقا ، وكانوا يستبشرون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله : (فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً) قال : خشية .

القول فى تأويل قوله

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ (١٢٥)

يقول تعالى ذكره : (وَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : نفاق وشك فى دين الله ، فإن السورة التى أنزلت زادتهم رجسا إلى رجسهم ، وذلك أنهم شكوا فى أنها من عند الله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا ، فكان ذلك زيادة شكّ حادثة ، فى تنزيل الله ، لزمهم الإيمان به عليهم ، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نَتْن من أفعالهم ، إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق ، وذلك معنى قوله (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إلى رِجْسِهِمْ ، وَمَاتُوا) يعنى هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا (وَهُمْ كافِرُونَ) : يعنى وهم كافرون بالله وآياته .

القول فى تأويل قوله

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَوَلا يَرَوْنَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أَوَلا يَرَوْنَ) بالياء ، بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض النفاق . وقرأ ذلك حمزة (أَوَلا تَرَوْنَ) بالتاء ، بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون ؟

والصواب عندنا من القراءة فى ذلك : الياء على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه وصحة معناه . فتأويل الكلام إذن : أوَلا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم فى كلّ عام مرّة أو مرّتين ، بمعنى أنه يختبرهم فى بعض الأعوام مرّة ، وفى بعضها مرّتين . ثم لايتوبون : يقول : ثم هم مع البلاء الذى يحلّ بهم من الله ، والاختبار الذى يعرض لهم ، لاينيبون من نفاقهم ، ولا يتوبون من كفرهم ، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ، ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرّون على نفاقهم .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفتنة التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها ، فقال بعضهم : ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسَّنَة والجوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يُفْتَنُونَ) قال : يُبتلون (فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسَّنَة والجوع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : يُبتلون بالعذاب في كل عام مرّة أو مرّتين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : بالسَّنَة والجوع .

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : يُبتلون بالغزو في سبيل الله في كلّ عام مرّة أو مرّتين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيفتتن بذلك الذين في قلوبهم مرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) قال : كنا نسمع في كلّ عام كَذْبة أو كَذْبتين ، فيضلّ بها فئام من الناس كثير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة ، قال : كان لهم في كلّ عام كَذْبة أو كَذْبتان .

❊ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : أن يقال : إن الله عَجَّب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبخ المنافقين في أنفسهم بقلة تذكرهم ، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها ، وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التي ينزلها بهم من الجوع والقحط ، وجائز أن تكون ما يريهم من نُصرة رسوله على أهل الكفر به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم ، وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم ، وخبث سرائرهم بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض ، من الوجه الذي يجب التسليم له ، ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله ، وهو : أولا يرون أنهم يُختبرون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ، بما يكون زاجرا لهم ، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون .

القول فى تأويل قوله

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ: هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ؟ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟، صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم فى هذه السورة، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، نظر بعضهم إلى بعض، فتناظروا: هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو[تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم ، ثم ابتدأ جلّ ثناؤه قوله (صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ) فقال :صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين . ذلكَ (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات ، من أجل أنهم قوم لايفقهون عن الله مواعظه ، استكبارا ونفاقا .

واختلف أهل العربية فى الجالب حرف الاستفهام ، فقال بعض نحويّى البصرة ، قال : نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد؟ كأنه قال : قال بعضهم لبعض ، لأن نظرهم فى هذا المكان كان إيماء وتنبيها به، والله أعلم . وقال بعض نحويّى الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض : هل يراكم من أحد ؟ وقال آخر منهم : هذا النظر ليس معناه القول ، ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام كقول العرب : تناظروا أيهم أعلم ، واجتمعوا أيهم أفقه : أى اجتمعوا لينظروا ، فهذا الذى يجلب الاستفهام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمير بن تميم التعلبىّ ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا : انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا ، فصرف الله قلوبهم .

قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قال : لاتقولوا انصرفنا من الصلاة ، فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : قد قضينا الصلاة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) . . . الآية ، قال : هم المنافقون .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ : هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره إذا نزل شىء يخبر عن كلامهم ، قال : وهم المنافقون ، قال : وقرأ (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً) . . . حتى بلغ (نَظَرَ

بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) أخبره بهذا ، أكان معكم أحد سمع كلامكم ، أحد يخبره بهذا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمدانى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : لاتقل انصرفنا من الصلاة ، فإن الله عير قوما فقال : (انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) ولكن قل : قد صلينا .

القول فى تأويل قوله

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)

يقول تعالى ذكره للعرب : (لَقَدْ جَاءَكُمْ) أيها القوم (رَسُولٌ) الله إليكم (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) تعرفونه لامن غيركم ، فتتهموه على أنفسكم فى النصيحة لكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) : أى عزيز عليه عنتكم ، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى . (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) يقول : حريص على هدى ضُلّالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحقّ (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) : أى رفيق (رَحِيمٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، فى قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : لم يصبه شىء من شرك فى ولادته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، فى قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) قال : لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ، قال : وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : (إنّى خَرَجْتُ مِنْ نِكاحٍ ، ولَمْ أخْرُجْ مِنْ سِفاحٍ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : جعله الله من أنفسهم ، ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوّة والكرامة .

وأما قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ماضَلَلْتُم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، قال : ثنا الحكم بن ظهير عن السدىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) قال : ما ضللتم :

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عَنَتُ مؤمنكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) عزيز عليه عَنَتُ مؤمنهم .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول ابن عباس ؛ وذلك أن الله عمّ بالخبر عن نبىّ الله أنه عزيز عليه ما عَنَتَ قومه ، ولم يخصص أهل الإيمان به ؛ فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به ، عزيزا عليه عَنَت جميعهم .

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم ، وهو يقتل كفارهم ، ويَسْبِي ذراريّهم ، ويسلبهم أموالهم ؟ قيل : إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحبّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذلك من الله ؛ وإنما وصفه الله جلّ ثناؤه بأنه عزيز عليه عَنَتُهم ، لأنه كان عزيزا عليه أن يأتوا مايُعْنِتُهم ، وذلك أن يضلوا ، فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبى .

وأما « ما » التى فى قوله (ما عَنِتُّمْ) فإنه رفع بقوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ) لأن معنى الكلام ما ذكرت : عزيز عليه عنتكم .

وأما قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) فإن معناه : ما قد بينت ، وهو قول أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) حريص على ضالهم أن يهديه الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

القول فى تأويل قوله

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)

❊ يقول تعالى ذكره : فإن تولى يامحمد هؤلاء الذين جئتهم بالحقّ من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ، ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة فى الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى ، فقل حسبى الله ، يكفينى ربى (لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) لا معبود سواه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) ، وبه وثقت ، وعلى عونه اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فإنه ناصرى ومعينى على من خالفنى ، وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الذى يملك كل ما دونه ، والملوك كلهم مماليكه وعبيده ؛ وإنما عنى بوصفه جلّ ثناؤه نفسه بأنه ربّ العرش العظيم ، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفى ملكه وسلطانه ، لأن العرش

العظيم إنما يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه فى سلطانه وملكه ، جار عليه حكمه وقضاؤه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ) يعنى الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان عمر رحمة الله عليه لايثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ) فقال عمر : لاأسألك عليهما بينة أبدا ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن زهير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح الحنفىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ رَحِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ رَحِيمٍ ، يَضَعُ رَحْمَتَهُ على كُلِّ رَحِيمٍ ، قالوا : يا رسول الله إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا ، قال : وأراه قال : وأزواجنا ، قال : ليس كذلكَ ، ولكِنْ كُونُوا كما قالَ اللهُ (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاإلَهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) » أراه قرأ هذه الآية كلها .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، قال : آخر آية نزلت من القرآن : (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، عن أبىّ ، قال : آخر آية نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن أبىّ ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ) . . إلى آخر الآيتين .

حدثنى أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن أبىّ ابن كعب ، قال : أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) . . إلى آخر السورة .

القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الر . تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : تأويله أنا الله أرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، فى قوله (الرٓ) : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى عن ابن عباس ، قوله (الر) قال : أنا الله أرى .

وقال آخرون : هى حروف من اسم الله الذى هو الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا علىّ بن الحسين ، قال : ثنى أبى ، عن يزيد ، عن عكرمة عن ابن عباس (الرٓ ، وحمٓ ، ونون) حروف الرحمن مقطعة .

حدثنا ابن أحمد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان ، قال : ذكر سالم بن عبد الله (الرٓ ، وحمٓ ، ونون) فقال : اسم الرحمن مقطع ، ثم قال الرحمن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبى حماد ، قال : ثنا مندل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال (الرٓ ، وحم ، ونون) هو اسم الرحمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبى ، عن أبى عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن عامر أنه سئل عن (الرٓ ، وحمٓ ، وص) قال : هى أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى .

وقال آخرون : هى اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الرٓ) اسم من أسماء القرآن . وقد ذكرنا اختلاف الناس ، وما إليه ذهب كلّ قائل فى الذى قال فيه ، وما الصواب لدينا من

القول فى ذلك فى نظيره ، وذلك فى أوّل سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، وإنما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا، قوله فى (الم) ، فأما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك ، فقد ذكرنا قولهم هناك مكتفيا عن الإعادة ههنا .

القول فى تأويل قوله

(تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ)

اختلف فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تلك آيات التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ) قال : التوراة والإنجيل .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ) قال : الكُتُب التى كانت قبل القرآن .

وقال آخرون : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : تأويل من تأوّله هذه آيات القرآن، ووجه معنى تلك إلى معنى هذه . وقد بيّنّا وجه توجيه تلك إلى هذا المعنى فى سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته ، والآيات الأعلام ، والكتاب اسم من أسماء القرآن ، وقد بيّنّا كلّ ذلك فيما مضى قبل .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب ، لأنه لم يجىء للتوراة والإنجيل قبلُ ذكر ولا تلاوة بعده ، فيوجه إليه الخبر ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم . ومعنى الحكيم فى هذا الموضع : المُحْكَم صرف مُفْعَل إلى فَعيل ، كما قيل عذاب أليم ، بمعنى مؤلم ، وكما قال الشاعر : أمِنْ رَيحانةَ الدّاعى السّمِيعُ[1]

وقد بيّنّا ذلك فى غير موضع من الكتاب ، فمعناه إذن : تلك آيات الكتاب المحكَم، الذى أحكمه الله وبيّنه لعباده ، كما قال جلّ ثناؤه (الر . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ).

القول فى تأويل قوله تعالى

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، قَالَ الْكَافِرُونَ ، إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)

يقول تعالى ذكره : أكان عجبا للناس إيحاؤنا القرآن على رجل منهم بإنذارهم عقاب الله على معاصيه ، كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر ، فتعجّبوا من وحينا إليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدى (اللسان : سمع) . وهو شاهد على أن السميع بمعنى المسمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، فأنزل الله تعالى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ) . . . وقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : عجبت قريش أن بعث رجل منهم ، قال : ومثل ذلك (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) قال الله (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) :

يقول جلّ ثناؤه : أكان عجبا للناس ، أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ، وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق ، عطف على أنذر .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (قَدَمَ صِدْقٍ) فقال بعضهم : معناه : أن لهم أجرا حسنا بما قدّموا من صالح الأعمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : ثواب صدق .

قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : الأعمال الصالحة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : أجرا حسنا بما قدّموا من أعمالهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حبان ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبى مغيث عن مجاهد (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : صلاتهم ، وصومهم ، وصدقتهم ، وتسبيحهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدَمَ صِدْقٍ) قال : خير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدَمَ صِدْقٍ) مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : (قَدَمَ صِدْقٍ) : ثواب صدق عند ربهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ) قال : القدم الصدق : الثواب الصدق بما قدموا من الأعمال .

وقال آخرون : معناه : أن لهم سابق صدق فى اللوح المحفوظ من السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول : سبقت لهم السعادة فى الذكر الأوّل .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن فضيل بن عمرو بن الجون ، عن قتادة أو الحسن (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد شفيع لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) : أى سلف صدق عند ربهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال معناه : أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب ، وذلك أنه محكىّ عن العرب : هؤلاء أهل القَدَم فى الإسلام : أى هؤلاء الذين قَدَّموا فيه خيرا ، فكان لهم فيه تقديم ، ويقال له عندى قَدَم صدق وقدم سوء ، وذلك ما قدم إليه من خير أو شرّ ، ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا ... لأَوَّلِنَا فى طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ[1]

وقول ذى الرمّة :

لَكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا ... مَعَ الحَسَبِ العَادِىِّ طَمَّتْ عَلَى البَحْرِ[2]

(١) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠) بعناية لجنة جب التذكارية (ص ٥٨ من قصيدة له أحد عشر بيتا ، وهو العاشر فيها) يذكر الأيام الأولى من تاريخ المسلمين فى المدينة ؛ ويذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، والبيت خطاب للرسول .

(٢) البيت لذى الرمة ، أنشده الزمخشرى فى الأساس (قدم) ، قال : ولفلان قدم فى هذا الأمر : سابقة وتقدم . وله قدم صدق ؛ قال ذو الرمة : لكم قدم . . . البيت . والبيت فى ديوانه طبعة كيمبردج . وروايته فيه « طمت على الفخر » . وقال فى شرحه : أى لكم سوابق تقدمت من الخير والفضل . والحسب : ما يعده الإنسان من مفاخره . والعادى : القديم .

فتأويل الكلام إذًا : وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من الأعمال الصالحة عند ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

(قال الكافِرُونَ إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) :

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة (إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بمعنى : إن هذا الذى جئتنا به ، يعنون القرآن لسحر مبين . وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قرّاء الكوفيين (إنَّ هَذَا لَساحِرٌ مُبِينٌ) . وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته ، وصفته عليه ، فالقارئ مخير فى القراءة فى ذلك ، وذلك نظير هذا الحرف (قال الكافِرُونَ إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) ولساحر مبين ، وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه ساحر ، ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدلّ على أنهم قد وصفوه بالسحر ، وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأىّ ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ماذكر عما ترك ذكره وهو : فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحى ، قال الكافرون إن هذا الذى جاءنا به لسحر مبين .

فتأويل الكلام إذًا : أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ، أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، فلما أتاهم بوحى الله ، وتلاه عليهم ، قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله إن هذا الذى جاءنا به محمد لسحر مبين : أى يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ، ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الذى له عبادة كلّ شىء ، ولا تنبغى العبادة إلا له ، هو الذى خلق السموات السبع ، والأرضين السبع فى ستة أيام ، وانفرد بخلقها بغير شريك ، ولا ظهير ، ثم استوى على عرشه مدبرا للأمور ، وقاضيا فى خلقه ما أحبّ ، لايضادّه فى قضائه أحد ، ولا يتعقب تدبيره متعقب ، ولا يدخل أموره خلل (ما مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ) يقول : لايشفع عنده شافع يوم القيامة فى أحد إلا من بعد أن يأذن فى الشفاعة . (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ) يقول جلّ جلاله : هذا الذى هذه صفته سيدكم ومولاكم ، لامن لايسمع ولا يبصر ولا يدبر ، ولا يقضى من الآلهة والأوثان . فاعبدوه : يقول : فاعبدوا ربكم الذى هذه صفته ، وأخلصوا له العبادة ، وأفردوا له الألوهة والربوبية ، بالذلة منكم له دون أوثانكم ، وسائر ما تشركون معه فى العبادة (أفَلا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج ، فتنيبون إلى الإذعان بتوحيد ربكم ، وإفراده بالعبادة ، وتخلعون الأنداد ، وتبرءون منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) قال : يقضيه وحده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) قال : يقضيه وحده .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) قال : يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا، إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)

❁ يقول تعالى ذكره : إلى ربكم الذى صفته ما وصف جلّ ثناؤه فى الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا (وَعْدَ اللهِ حَقًّا) فأخرج وَعد الله مصدرا من قوله (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ)، لأن فيه معنى الوعد ، ومعناه : يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعْدا حقا ، فلذلك نصب وعد الله حقا (إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ثم يعيده ، فيوجده حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميته .

قال أبو جعفر : وأحسبه أنه قال : ثم يحييه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) قال : يحييه ثم يميته ، ثم يحييه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) : يحييه ثم يميته ، ثم يبدؤه[1] ثم يحييه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

(١) لعله تفسير للبدء .

وقرأت قرّاء الأمصار ذلك (إنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) بكسر الألف، من إنه على الاستئناف. وذُكر عن أبي جعفر الرازيّ أنه قرأه: أنه، بفتح الألف من أنه، كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فأن حينئذ تكون رفعا ، كما قال الشاعر :

أَحَقًّا عِبادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ زائِرًا　　أَبا حَبَّـةٍ إلا عَلَيَّ رَقِيبُ [١]

وقوله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ) يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ، ليجزى الذين آمنوا ، يقول : ليثيب من صدق الله ورسوله ، وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال ، واجتنبوا مانهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط ، يقول : ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب ، والصالح من الجزاء في الآخرة ، وذلك هو القسط ، والقسط العدل والإنصاف .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة، قال : ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالْقِسْطِ) بالعدل .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ) فإنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعدّ الله للذين كفروا من العذاب ، وفيه معنى العطف على الأوّل، لأنه تعالى ذكره عمّ بالخبر عن معاد جميعهم: كفارهم ومؤمنيهم إليه ؛ ثم أخبر أن إعادتهم ليجزى كلّ فريق بما عمل، المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة ، ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعدّ للذين كفروا من العذاب، ما يدلّ سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر ، والمعنى العطف ، فقال : والذين جحدوا الله ورسوله وكذّبوا بآيات الله ، لهم شراب في جهنم من حميم ، وذلك شراب قد أُغلى واشتدّ حرّه، حتى إنه فيما ذكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروةُ رأسه، وكما وصفه جلّ ثناؤه (كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) وأصله مفعول صرف إلى فعيل، وإنما هو محموم: أى مُسْخَن ، وكلّ مسخَن عند العرب فهو حميم، ومنه قول المرقش:

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ　　فِيها كِباءٌ مُعَـدٌّ وَحَمِيمٌ [٢]

يعني بالحميم: الماء المسخَن . وقوله (عَذابٌ أَلِيمٌ) يقول: ولهم مع ذلك عذاب مُوجِيع سوى الشراب من الحميم . (بِمَا كانُوا يَكْفُرُونَ) بالله ورسوله .

---

(١) الشاهد في هذا البيت أن « حقا » مصدر منصوب جار مجرى الظرف ويؤيد ذلك أن العرب نطقت قبله بفي في مثل قولهم « أفي الحق أنى مغرم بك هائم » والمصدر من قوله : « أن لست . . . الخ » مرفوع : إما على أنه فاعل بالظرف ، وهو مذهب سيبويه والأخفش والكوفيين وإما على أنه مبتدأ أو الظرف قبله خبره ، وهو مذهب الخليل؛ وإما على أنه فاعل للمصدر ، لأنه نائب عن فعله حق ، وهو مذهب المبرد . (انظر خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ١ : ١٩٣) . وفي الحماسة (٣ : ١٧١) بيت يشبه هذا البيت ، لعبد الله ابن الدمينة وهو :

أَحَقًّا عِبادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ وارِدًا　　وَلا صادِرًا إلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ

(٢) البيت للمرقش الأصغر (اللسان : قطر) . قال : والمقطرة: المجمر . وأنشد أبو عبيد للمرقش الأصغر : في كل يوم. . . البيت . والحميم : الماء الحار تحم به . والكباء : نوع من البخور . وقد سبق الكلام على هذا البيت في (ج ٧ : ٢٣٤) .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)

❁ يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً) بالنهار (وَالْقَمَرَ نُورًا) بالليل ، ومعنى ذلك : هو الذى أضاء الشمس وأنار القمر . (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) : يقول : قضاه فسوّاه منازل لايجاوزها ، ولا يقصّر دونها ، على حال واحدة أبدا ، وقال (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) فوحده ، وقد ذكر الشمس والقمر ، فإن فى ذلك وجهين : أحدهما أن تكون الهاء فى قوله (وَقَدَّرَهُ) للقمر خاصة ، لأن بالأهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين ، لابالشمس . والآخر : أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، كما قال فى موضع آخر (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) وكما قال الشاعر :

رَمَانِى بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِى بَرِيئًا وَمِنْ جُولِ الطَّوِىِّ رَمَانِى[1]

وقوله (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يقول : وقدّر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين : دخول ما يدخل منها ، وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها ، يقول : وحساب أوقات السنين وعدد أيامها ، وحساب ساعات أيامها (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ) يقول جلّ ثناؤه : لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحقّ ، يقول الحقّ تعالى ذكره : خلقت ذلك كله بحقّ وحدى ، بغير عون ولا شريك . (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) يقول : يبين الحجج والأدلة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) إذا تدبروها ، حقيقة وحدانية الله ، وصحة ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، من خلع الأنداد ، والبراءة من الأوثان .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)

❁ يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته ، وأنه خالق كلّ ما دونه : إن فى اعتقاب

---

(١) البيت أنشده الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) الورقة ١٣٣ ، قال عند قوله تعالى : (جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) : لم يقل : وقدرهما ، فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ، لأن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعا ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر : « رمانى بأمر ... البيت » . وهو مثل قوله . (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولم يقل : أن يرضوهما . وأنشد البيت صاحب اللسان فى « جول » قال ابن برى : البيت لابن أحمر . وقيل : هو للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصى ؛ أى رمانى بأمر عاد عليه قبحه ، لأن الذى يرمى من جول البئر يعود ما رمى به عليه . ويروى ومن أجل الطوى قال : وهو الصحيح ، لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة فى بئر ، فقال خصمه : إنه لص ابن لص فقال هذه القصيدة . وبعد البيت :

دَعَانِى لِصًّا فِى لُصُوصٍ وَمَا دَعَا بِهَا وَالِدِى فِيمَا مَضَى رَجُلَانِ

والجول : قال أبو عبيد : هو كل ناحية من نواحى البئر إلى أعلاها من أسفلها . والطوى : البئر المبطنة نواحيها بالحجارة .

الليل والنهار واعتقاب النهار الليل، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاءهذا ذهب هذا، وفيا خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم ، وفى الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شىء) (لَآيَاتٍ) : يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة ، لقوم يتقون الله، فيخافون وعيده، ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم .

فإن قال قائل : أوَ لادلالة فيا خلق الله فى السموات والأرض على صانعه إلا لمن اتقى الله ؟ قيل : فى ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكلّ من صحت فطرته ، وبرئ من العاهات قلبه ، ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله ، وإنما معناه : إن فى ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله ، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحقّ ، لأن ذلك يدلّ كلّ ذى فطرة صحيحة على أن له مدبرا ، يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودة ، دون ما سواه من الآلهة والأنداد .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ (٧) أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨)

❊ يقول تعالى ذكره : إن الذين لايخافون لقاءنا يوم القيامة ، فهم لذلك مكذّبون بالثواب والعقاب ، متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها ، راضون بها عوضا من الآخرة ، مطمئنين إليها ساكنين (وَالَّذِينَ هُمْ) عن آيات الله، وهى أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده فى إخلاص العبادة له . (غافلون) معرضون عنها لاهون ، لايتأملونها تأمل ناصح لنفسه ، فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه ، ويعرفوا بها بُطول ما هم عليه مقيمون (أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ) يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، مأواهم: مصيرهم، إلى النار : نار جهنم فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فى الدنيا من الآثام والإجرام، ويجترحون من السيئات والعرب تقول : فلان لايرجو فلانا : إذا كان لايخافه . ومنه قول الله جلّ ثناؤه (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلّهِ وَقَارًا) . ومنه قول أبى ذؤيب .

إذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَخالَفَها فِى بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ[1]

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد :

(١) البيت أنشده صاحب اللسان ونسبه لأبى ذؤيب (اللسان : رجا) قال : قال ثعلب : قال الفراء : الرجا : فى معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد ، تقول : ما رجوتك : أى ما خفتك ، ولا تقول : رجوتك فى معنى : خفتك . وأنشد لأبى ذؤيب : إذا لسعته . البيت ... أى لم يخف ولم يبال . والنوب : هنا معناه السود : شبه النحل الصغيرة العاملة فى سواد لونها بالنوب . والعوامل : التى تفرز العسل . ويروى : عوامل بالميم ، أى تعمل فى خلية النحل . وقد سبق الاستشهاد بالبيت فى (ج ٥ : ٢٦٤) .

(واطْمَأَنُّوا بِها) قال : هو مثل قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فيها) . .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمَأَنُّوا بِها) قال : هو مثل قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمَأَنُّوا بِها ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتنا غافِلُونَ) قال : إذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ، ولها يحزن ، ولها يسخط ، ولها يرضى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إن الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمَأَنُّوا بِها) . . . الآية كلها ، قال : هؤلاء أهل الكفر ، ثم قال (أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ، تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ . (٩) دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ، وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ : أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠)

❊ يقول تعالى ذكره (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات ، وذلك العمل بطاعة الله ، والانتهاء إلى أمره : (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بإيمانِهِمْ) : يقول : يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بإيمانِهِمْ ، تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهارُ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ). بلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ المُؤْمِنَ إذا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ في صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَيَقُولُ لَهُ ما أنْتَ ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَرَاكَ امْرَأَ صِدْقٍ ، فَيَقُولُ ، أنا عَمَلُكَ ، فَيَكُونُ لَهُ نُوراً وَقائِداً إلى الجَنَّةِ . وأمَّا الكافِرُ إذا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ في صُورَةٍ سَيِّئَةٍ وَبِشارَةٍ سَيِّئَةٍ ، فَيَقُولُ ما أنْتَ ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَرَاكَ امْرَأَ سَوْءٍ ، فَيَقُولُ : أنا عَمَلُكَ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ ، حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال : يكون لهم نورا يمشُون به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال ابن جريج (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) قال: يُمَثَّل له عملُه فى صورة حسنة ، وريح طيبة، يعارض صاحبه ، ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه، حتى يدخله الجنة، فذلك قوله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) والكافر يُمَثَّل له عمله فى صورة سيئة، وريح منتنة ، فيلازم صاحبه ويلادّه ، حتى يقذفه فى النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه ، يقول : بتصديقهم هداهم .

ذكر من قال ذلك

. . . [1]

وقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) يقول : تجرى من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم، أنهارُ الجنة(فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يقول: فى بساتين النعيم الذى نعّم الله به أهل طاعته والإيمان به.

فإن قال قائل : وكيف قيل تجرى من تحتهم الأنهار ، وإنما وصف جلّ ثناؤه أنهار الجنة فى سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنّات ، وكيف يمكن الأنهارَ أن تجرى من تحتهم، إلا أن يكونوا فوق أرضها ، والأنهار تجرى من تحت أرضها ، وليس ذلك من صفة أنهار الجنة ، لأن صفتها أنها تجرى على وجه الأرض، فى غير أخاديد ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معنى ذلك : تجرى من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم فى بساتين النعيم ، وذلك نظير قول الله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) ومعلوم أنه لم يجعل السرىّ تحتها، وهى عليه قاعدة ، إذ كان السرىّ هو الجدول، وإنما عنى به: جعل دونها : بين يديها ، وكما قال جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ، وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي)، بمعنى : من دونى بين يدى .

وأما قوله (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : دعاؤهم فيها : سبحانك اللهمّ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن قوله (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) قال : إذا مرّ بهم الطير فيشتهونه ، قالوا : سبحانك اللهمّ ، وذلك دعواهم ، فيأتيهم الملك بما اشتهوا ، فيسلم عليهم ، فيردّون عليه، فذلك قوله (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ): قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم ، فذلك قوله (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

(١) بآخر صفحة ١٠٣ من الجزء الثانى عشر من النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية بياض بقدر سطرين أو ثلاثة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) يقول : ذلك قولهم فيها . (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله الأشجعى ، قال : سمعت سفيان يقول (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : إذا أرادوا الشئ قالوا : اللهمّ ، فيأتيهم ما دَعَوا به .

وأما قوله (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) فإن معناه : تنزيها لك يا ربّ مما أضاف إليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن غير واحد ، عطية فيهم : سبحان الله : تنزيه لله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : سمعت موسى بن طلحة ، قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ، قال : « إبْرَاءُ اللهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه أن ابن الكوّاء سأل عليا رضى الله عنه ، عن سبحان الله قال : كلمة رضيها الله لنفسه .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَودىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان بن سعيد الثورىّ ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحىّ ، عن موسى بن طلحة ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن سبحان الله ، فقال : تَنْزِيها لِلهِ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنى علىّ بن عيسى البزار ، قال : ثنا عبيد الله بن محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حماد ، قال : ثنى حفص بن سليمان ، قال : ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبيه عن طلحة بن عُبيد الله ، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله ، فقال : هُوَ تَنْزِيهُ اللهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ » .

حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبى ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنى أبى ، عن جدى ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، قال : « قلت : يا رسول الله ، قول سبحان الله ، قال : تَنْزِيهُ اللهِ عَنِ السُّوءِ » (وَتَحِيَّتُهُمْ) يقول : وتحية بعضهم بعضا (فِيهَا سَلَامٌ) : أى سلمت وأمنت مما ابتُلِى به أهل النار ، والعرب تسمى الملك التحية ؛ ومنه قول عمرو بن معديكرب .

أَزُورُ بها أبا قابُوسَ حتى أُنيخَ على تَحِيَّتِهِ بِجُنْدِى[1]

(١) البيت أنشده صاحب (اللسان : حيا) ونسبه إلى عمرو بن معديكرب الزبيدى . قال : والتحية : تفعلة من الحياة . قال أبو عمرو : والتحية : الملك (بضم الميم) ، وأنشد قول عمرو بن معد يكرب : « أسير به إلى النعمان حتى . . . . البيت » . يعنى : على ملكه . قال ابن برى : ويروى : أسير بها . ويروى : أؤم بها . وقبل البيت :

ومنه قول زهير بن جَناب الكلبيّ :

مِنْ كُلِّ ما نالَ الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ[1]

وقوله (وآخرُ دَعْوَاهُمْ) يقول : وآخر دعائهم (أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ) يقول : وآخر دعائهم أن يقولوا : الحمد لله ربّ العالمين ، ولذلك خُفِّفت (أن) ولم تشدّد ، لأنه أريد بها الحكاية .

القول في تأويل قوله

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) ﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ للنَّاسِ) إجابة دعائهم في (الشَّرِّ) ، وذلك فيما عليهم مضرّة في نفس أو مال (اسْتِعْجالَهُمْ بالخَيْرِ) يقول : كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به (لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ) يقول : لهلكوا ، وعُجِّل لهم الموت ، وهو الأجل . وعنى بقوله (لَقُضِيَ) : لفرغ إليهم من أجلهم ، وتبدّى لهم كما قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما دَاوُدُ أوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[2]

(فَنَذَرُ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا) يقول : فندع الذين لايخافون عقابنا ، ولا يوقنون بالبعث، ولا بالنشور (فِي طُغْيانِهِمْ) يقول : في تمرّدهم وعتوّهم (يَعْمَهُونَ) يعني ، يتردّدون ؛ وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث ، بما أخبر به عنهم من طغيانهم ، وترددهم فيه ، عند تعجيله إجابة دعائهم في الشرّ ، لو استجاب لهم ، أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرّب إلى الوَثَن الذي يشرك به أحدهم ، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

وكُلَّ مُفاضَةٍ بيضاءَ زَغْفٍ وكلَّ مُعاوِدِ الغاراتِ جَلْدِ

(١) البيت أنشده في (اللسان : حيا) قال : والتحية : البقاء . والتحية : الملك . وقول زهير بن جناب الكلبي :

ولَكُلُّ ما نالَ الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ

قيل : أراد الملك . وقال ابن الأعرابي : أراد البقاء ، لأنه كان ملكا في قومه . قال ابن بري : زهير هذا : هو سيد كلب في زمانه ، وكان كثير الغارات ، وعمر عمرا طويلا ، وهو القائل (وأنشد ثلاثة أبيات ، آخرها بيت الشاهد) ثم قال : والمعروف بالتحية هنا : إنما هي بمعنى البقاء ، لا بمعنى الملك . . . قال أبو عبيدة : والتحية في غير هذا : السلام .

(٢) هذا البيت من عينية أبي ذؤيب الهذلي المشهورة في الرثاء التي مطلعها : « أمن المنون » . ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب (ص ١٢٨ – ١٣٣ طبعة بولاق) . وبيت الشاهد قبل آخرها بثلاثة أبيات ، وروايته « وعليهما ماذيتين » أي درعان من الحديد لينتان سهلتان . وقضاهما : أحكمهما . ويقال : رجل صنع ، وامرأة صناع : إذا كانا صانعين . وتبع : من ملوك اليمن ، قيل كان يصنع الدروع ، أو يأمر بصنعها محكمة . وداود النبي عليه السلام اشتهر كذلك بصنع الدروع : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » .

وقوله « مسرودتان » : هذه رواية المفضل الضبي وفي المفضليات . والمسرودة : الدرع التي سمرت حلقاتها . والسرد : الحلق . وقوله تعالى : « وقدر في السرد » : هو ألا يجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا ، فيفصم الحلق . ولا يجعل المسمار دقيقا والثقب واسعا فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف ، أي اجعله على القصد وقدر الحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان إذا غضب لولده وماله : لابارك الله فيه ولعنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهمّ لاتبارك فيه والعنه ، فلو يُعجل الله الاستجابة لهم فى ذلك ، كما يستجاب فى الخير ، لأهلكهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهمّ لاتبارك فيه والعنه . (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : قول الرجل لولده إذا غضب عليه ، أو ماله : اللهمّ لاتبارك فيه والعنه . قال الله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته . قال (فَنَذَرُ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا) قال : يقول : لانهلك أهل الشرك ، ولكن نذرهم فى طغيانهم يعمهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ) قال : هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يُستجاب له.

حدثنى يونُس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) : قال : لأهلكناهم ، وقرأ (ما تَرَكَ على ظَهْرِها مِنْ دابَّةٍ) قال : يُهلكهم كلّهم ، ونصب قوله (اسْتِعْجالَهُمْ) بوقوع يُعَجِّل عليه ، كقول القائل : قمت اليوم قيامك ، بمعنى قمت كقيامك ، وليس بمصدر من يُعَجل ، لأنه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف ، أعنى كاف التشبيه فيه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والعراق : (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) على وجه ما لم يسمّ فاعله ، بضم القاف من قُضِى ، ورفع الأجل . وقرأ عامة أهل الشأم (لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ) بمعنى : لقضى الله إليهم أجلهم ، وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أنى أقرؤه على وجه ما لم يُسَمّ فاعله ، لأن عليه أكثر القرّاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً ، فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ ، كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)

﴿ يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الإنسان الشدّة والجهد (دَعَانا لِجَنْبِهِ) يقول : استغاث بنا فى كشف ذلك عنه . لجنبه : يعنى مضطجعا لجنبه (أَوْ قاعِدًا أَوْ قائمًا) : بالحال التى يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به (فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ) يقول : فلما فرّجنا عنه الجهد الذى أصابه ، (مَرّ كأَنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ) يقول : استمرّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرّ ، ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء ، أو تناساه ، وترك الشكر لربه الذى فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به ، وعاد للشرك ، ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه ، يقول تعالى ذكره (كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : كما زُيِّن لهذا الإنسان الذى وصفنا صفته ، استمرارُه على كفره ، بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضرّ ، كذلك زُيِّن للذين أسرفوا فى الكذب على الله وعلى أنبيائه ، فتجاوزوا فى القول فيهم ، إلى غير ما أذن الله لهم به ، ما كانوا يعملون من معاصى الله والشرك به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (دَعانا لِجَنْبِهِ) قال : مضطجعا .

القول فى تأويل قوله

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ، كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٣)

﴿ يقول تعالى ذكره : ولقد أهلكنا الأمم التى كذّبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا : يقول : لما أشركوا ، وخالفوا أمر الله ونهيه (وجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) من عند الله (بالبَيِّناتِ) وهى الآيات والحجج التى تبِين عن صدق من جاء بها .

ومعنى الكلام : وجاءتهم رُسُلُهم بالآيات البينات أنها حقّ (وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا) يقول : فلم تكن هذه الأمم التى أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ، ويصدّقوهم إلى ما دعوهم إليه ، من توحيد الله ، وإخلاص العبادة له . (كذلكَ نَجْزِى القَوْمَ المُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون ، بظلمهم أنفسهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وردّهم نصيحتهم ، كذلك أفعل بكم ، فأهلككم كما أهلكتهم ، بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وظلمكم أنفسكم بشركهم بربكم ، إن أنتم لم تنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم ، فإن من ثواب الكافر بى على كفره عندى ، أن أهلكه بسخطى فى الدنيا ، وأورده النار فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)

﴿ يقول تعالى ذكره (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) أيها الناس (خَلَائِفَ) من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم، لما ظلموا، تخلفونهم (فِي الأَرْضِ) وتكونون فيها بعدهم (لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم، بذنوبهم وكفرهم بربهم، تحذون مثالهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلهم، فتؤمنون بالله ورسوله، وتقرّون بالبعث بعد الممات، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل.

كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ذُكِر لنا أن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: صدق ربنا، ما جعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا، فأَرُوا الله من أعمالكم خيرا، بالليل والنهار، والسرّ والعلانية.

حدثنى المثنى، قال: ثنا يزيد بن عوف أبو ربيعة بهذا. قال: ثنا حماد، عن ثابت البُنانيّ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عوف بن مالك رضى الله عنه قال لأبى بكر رضى الله عنه: رأيت فيما يرى النائم كأنّ سببا دُلِّيَ من السماء، فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم دُلِّيَ فانتشط أبو بكر، ثم ذرع الناس حول المنبر، ففضل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع إلى المنبر، فقال عمر: دعنا من رؤياك، لا أَرَبَ لنا فيها؛ فلما استخلف عمر قال: يا عوف رؤياك؟ قال: وهل لك فى رؤياى من حاجة، أو لم تنتهرنى؟ قال: وَيْحَكَ إنى كرهت أن تنعَى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فقصّ عليه الرؤيا، حتى إذا بلغ، ذَرَعَ الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع، قال: أما إحداهنّ فإنه كائن خليفة. وأما الثانية فإنه لا يخاف فى الله لومة لائم. وأما الثالثة فإنه شهيد، قال: فقال: يقول الله: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فقد استخلفت يا بن أم عمر، فانظر كيف تعمل. وأما قوله «فإنّى لا أخافُ فى الله لَوْمَةَ لائِمٍ» فما شاء الله. وأما قوله «فأنّى شَهِيدٌ» فأنّى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به، ثم قال «إنّ اللهَ على ما يَشاءُ قَدِيرٌ».

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ، قَالَ: الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ، قُلْ: مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ، إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)

﴿ يقول تعالى ذكره: وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله، الذى أنزلناه إليك يا محمد بينات واضحات على الحقّ دالات (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) يقول، قال الذين لا يخافون

عقابنا ، ولا يُوقنون بالمعاد إلينا ، ولا يصدّقون بالبعث ، لك : (ائْتِ بِقُرآنٍ غيرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) يقول : أوغيره (قُلْ) لهم يا محمد (ما يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِى) : أى من عندى .

والتبديل الذى سألوه فيما ذُكر ، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد ، وآية الوعد وعيدا ، والحرام حلالا ، والحلال حراما ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه ، وأن ذلك إلى من لايردّ حكمه ، ولا يتعقب قضاؤه ، وإنما هو رسول مبلغ ، ومأمور متبع .

وقوله (إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحَى إِلَىَّ) يقول : قل لهم : ما أتبع فى كلّ ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه إلا ما ينزله إلىّ ربى ، ويأمرنى به (إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول : إنى أخشى من الله إن خالفت أمره ، وغيرت أحكام كتابه ، وبدّلت وحيه ، فعصيته بذلك ، عذاب يوم عظيم هَوْلُه ، وذلك (يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ، وَتَرَى النَّاسَ سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه ، معرّفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له : ائت بقرآن غير هذا أو بدّله ، قل لهم يا محمد (لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ) : أى ماتلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس ، بأن كان لاينزله علىّ ، فيأمرنى بتلاوته عليكم (وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أعلمكم به (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ) يقول : فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ، ومن قبل أن يوحيه إلىّ ربى . (أَفَلا تَعْقِلُونَ) أنى لو كنت منتحلا ما ليس لى من القول ، كنت قد انتحلته فى أيام شبابى وحداثتى . وقبل الوقت الذى تلوته عليكم ، فقد كان لى اليوم لو لم يوح إلىّ وأومر بتلاوته عليكم ، مندوحة عن معاداتكم ، ومُتَّسَع فى الحال التى كنت بها منكم ، قبلَ أن يوحى إلىّ ، وأومر بتلاوته عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ) : ولا أعْلَمَكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : لو شاء الله لم يُعْلِمْكموه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ما حذّرتكم به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) ، وهو قول مشركى أهل مكة للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ؟ لبث أربعين سنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) ولا أُعْلِمكم به .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، أنه كان يقرأ (وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ) يقول : ما أعلمتكم به .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ) يقول : ولا أَشعركُم الله به . وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط ، وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال : ولا أدْرَأْتُكم به . قال : فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت ، فلعلّ الحسن ذهب إليها ، وأما أن يَصْلُح من دَريت أو أدريت ، فلا ، لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا ، صحتا ولم تنقلبا إلى ألف ، مثل قضيت ودعوت ، ولعلّ الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها ، لأنها تضارع درأت الحدّ وشبهه . وربما غَلِطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز ؛ وسمعت امرأة من طىّ تقول : رَثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لَبَّأْت بالحجّ ، وحَلَّأْت السويق ، يتغلطون ، لأن حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الإبل ، ولبأت : ذهبت به إلى اللِّبأ ، لبأ الشاة ؛ ورثأت زوجى : ذهبت به إلى رثأت اللبن : إذا أنت حلبت الحليب على الرائب ، فتلك الرثيئة ، وكان بعض البصريين يقول : لاوجه لقراءة الحسن هذه ، لأنها من أدريت مثل أعطيت ، إلا أن لغة بنى عُقيل أعطأت ، يريدون أعطيت ، تحوّل الياء ألفا ، قال الشاعر :

لَقَدْ آذَنَتْ أَهْلَ الْيَمَامَةِ طَىِّءٌ بِحَرْبٍ كَنَاصَاةِ الأَغَرِّ الْمُشَهَّرِ[1]

يريد كناصية ، حُكِى ذلك عن المفضّل ، وقال زيد الخيل :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَابَقَا عَلَى الأَرْضِ قَيْنِسِيٌّ يَسُوقُ الأَبَاعِرَا[2]

فقال بَقَا ؛ وقال الشاعر :

(١) البيت لحريث بن عتاب الطائى . (اللسان : نصا) وفيه : « الحصان المشهر » وهو شاهد على أن الناصاة لغة طيئية فى الناصية ؛ قال : وليس لها نظير إلا حرفين : بادية وباداة ، وقارية وقاراة ، وهى الحاضرة . والناصية : منبت الشعر فى مقدم الرأس ، لا الشعر الذى تسميه الناس ناصية ، وسمى الشعر ناصية ، لنباته من ذلك الموضع .

(٢) زيد الخيل : لقبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد الخير . وهو طائى ، والبيت شاهد على لغة طيىء ، فى أنها تجعل بقى وما ماثله : بقا . بفتح القاف . قال فى (اللسان : بقى) ولغة طيىء : بقا يبقى ؛ وكذلك لغتهم فى كل ياء انكسر ماقبلها ، يجعلونها ألفا ، نحو : بقى ورضى وفنى (بفتح ثانيهما) . ولا تزال بقية من هذه اللغة تجرى على لسان أهل مصر والقاهرة . والتصعلك : الفقر .

زَجرتْ فَقُلْنا لا نَرِيعُ لِزَاجِرٍ إنّ الغَوِىّ إذا نُها لَمْ يُعْتِبِ[١]

يريد نُهِى ، قال : وهذا كله على قراءة الحسن ، وهى مرغوب عنها ، قال : وطيئ تصير كل ياء انكسر ما قبلها ألفا يقولون : هذه جاراة ، وفى الترقوة ترقاة ، والعرقوة عرقاة ، قال : وقال بعض طيئ قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحوّلها ألفا لسكون التاء ، فيلتقى ساكنان . وقال : زعم يونس أن نسا ورضالغة معروفة ، قال الشاعر :

وأبْنَيْتُ بالأعْراضِ ذا البَطْنِ خالِدا نَسا أوْ تَناسَى أن يَعُـدّ المَوَالِيا[٢]

ورُوى عن ابن عباس فى قراءة ذلك أيضا رواية أخرى ، وهى ما حدثنا به المثنّى ، قال : ثنا المعلّى بن أسد ، قال : ثنا خالد بن حنظلة ، عن شَهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أنْذَرْتُكُمْ بِهِ) .

والقراءة التى لا أستجيز أن تَعْدُوَها هى القراءة التى عليها قرّاء الأمصار (قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ) بمعنى : ولا أعلَمكم به ، ولا أشعَركم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك إلى الكذب : أىّ خلق أشرّ بعدنا وأوضع ، لقيله فى غير موضعه ، ممن اختلق على الله كذبا ، وافترى عليه باطلا (أوْ كَذَّبَ بآياتِهِ) يعنى بحججه ورسله وآيات كتابه ، يقول له جلّ ثناؤه : قل لهم ليس الذى أضفتمونى إليه ، بأعجب من كذبكم على ربكم وافترائكم عليه ، وتكذيبكم بآياته (إنَّهُ لا يُفْلِحُ المُجْرِمُونَ) يقول : إنه لاينجح الذين اجترموا الكفر فى الدنيا يوم القيامة ، إذا لقوا ربهم ، ولا ينالون الفلاح .

القول فى تأويل قوله تعالى

❁ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، قُلْ : أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)

(١) لانريع : لا نرجع ، أى لا نستجيب . الغوى : الضال . لم يعتب : من الإعتاب وهو الإرضاء ، يقال قد أعتبنى فلان ، أى ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضانى عنه ، بعد إسخاطه إياى عليه . والشاهد فى قوله : نها ، بصيغة المجهول إذ أصله نهى ، فتحت هاؤه على لغة طيىء ، فقلبت ياؤه ألفا .

(٢) أبنيت الرجل : أعطيته بناء ، أو ما يبتنى به داره . والأعراض : موضع جاء فى قول لبيد :

على الأعْراضِ أيْمَنَ جانِبَيْـهِ وأيْسرُهُ على كَوْرَىْ أُثالِ

أو الأعراض : جمع عرض ، وهو كما فى تاج العروس : جانب الوادى والبلد ، وقيل ناحيتهما وجوهما من الأرض ، وكذا عرض كل شىء ناحيته . يقول : من صنائعى أنى أعطيت خالدا بناء يسكنه ، أو أعطيته ما يتخذ به بناء بالأعراض ، ولكنه نسى أو تناسى أن يذكر من أحسن إليه . والشاهد فى قوله نسا ، فإنه على لغة طيىء ، وأصله نسى ، بكسر السين .

﴿ يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم ، من دون الله الذى لايضرّهم شيئا ، ولا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وذلك هو الآلهة والأصنام التى كانوا يعبدونها ، (وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ) يعنى أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله ، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَهُمْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ) يقول : أتخبرون الله بما لايكون فى السموات ولا فى الأرض ، وذلك أن الآلهة لاتشفع لهم عند الله فى السموات ولا فى الأرض ، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهم : أتخبرون الله أن ما لايشفع فى السموات ولا فى الأرض يشفع لكم فيهما ، وذلك باطل لاتعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لاتشفع لأحد ، ولا تنفع ولا تضرّ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وعلوّا عما يفعله هؤلاء المشركون ، من إشراكهم فى عبادته ما لايضرّ ولا ينفع ، وافترائهم عليه الكذب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ، فَٱخْتَلَفُواْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)

﴿ يقول تعالى ذكره : وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة ، فاختلفوا فى دينهم ، فافترقت بهم السبل فى ذلك (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يقول : ولولا أنه سبق من الله ، أنه لا يُهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول : لقُضِى بينهم ، بأن يُهلك أهل الباطل منهم ، ويُنجّى أهل الحقّ .

وقد بيّنا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى سورة البقرة ، وذلك فى قوله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ) وبيّنا الصواب من القول فيه بشواهد ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) حين قتل أحد ابنى آدم أخاه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول فى تأويل قوله

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ ، فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ، فَٱنتَظِرُوٓاْ ، إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يقول : علم ودليل نعلم به أن محمدا محقّ فيما يقول ؟ قال الله له : فقل يا محمد : إنما الغيب لله ، أى لايعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جلّ ثناؤه ، لأنه لايعلم الغيب ، وهو السرّ والخفىّ من الأمور إلا الله ، فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا ، بتعجيل عقوبته للمبطل منا ، وإظهاره المحقّ عليه ، (إِنِّى مَعَكُمْ) ممن ينتظر ذلك ، ففعل ذلك جلّ ثناؤه ، فقضى بينهم وبينه ، بأن قتلهم يوم بدر بالسيف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ، قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ، إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وإذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ، ورخاء بعد شدّة أصابتهم ، وقيل : عُنِى به المطر بعد القحط ، والضراء : هى الشدّة ، والرحمة : هى الفرج ، يقول (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فى آياتنا) ، استهزاء وتكذيب .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فى آياتنا) قال : استهزاء وتكذيب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا ، يا محمد الله أسرع مكرا : أى أسرع محالا بكم ، واستدراجا لكم ، وعقوبة منكم من المكر فى آيات الله ، والعرب تكتفى بإذا من فعلت وفعلوا ، فلذلك حذف الفعل معها . وإنما معنى الكلام : وإذا أذقنا الناسَ رحمة من بعد ضرّاء مستهم مكروا فى آياتنا ، فاكتفى من مكروا ، بإذا لهم مكر ، (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ) يقول : إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون فى آياتنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ، حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ، جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ، وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ : لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : الله الذى يسيركم أيها الناس فى البرّ على الظهر ، وفى البحر فى الفلك (حتى إذا

كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ) وهى السفن (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) يعنى : وجرت الفلك بالناس (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) فى البحر (وَفَرِحُوا بِهَا) يعنى : وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التى يسيرون بها ، والهاء فى قوله : بها عائدة على الريح الطيبة (جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ) يقول : جاءت الفُلْكَ ريح عاصف ، وهى الشديدة، والعرب تقول: ريح عاصف وعاصفة، وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت فى بنى أسد، فيما ذُكِر ، قال بعض بنى دُبَيْر :

حتى إذا أعْصَفَتْ رِيحٌ مُزَعْزِعَةٌ فِيها قِطارٌ ورَعْدٌ صَوْتُهُ زَجِلُ[١]

(وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ) يقول تعالى ذكره : وجاء ركبان السفينة الموجُ من كلّ مكان (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) يقول : وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم ، وكان مفزَعهم حينئذ إلى الله دونها .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) قال : إذا مسَّهم الضرّ فى البحر أخلصوا له الدعاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى عبيدة ، فى قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) هيا شراهيا ، تفسيره : يا حىّ يا قيوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال: هؤلاء المشركون يدعون مع الله مايدعون، فإذا كان الضرّ لم يدعوا إلا الله ، فإذا نجاهم إذا هم يشركون، لئن أنجيتنا من هذه الشدّة التى نحن فيها لنكوننّ من الشاكرين لك على نعمك، وتخليصك إيانا مما نحن فيه بإخلاصنا العبادة لك، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) من السَّيْر بالسين. وقرأ ذلك أبو جعفر القارى (هُوَ الَّذِى يَنْشُرُكُمْ) من النشر، وذلك البسط من قول القائل : نَشَرت الثوب، وذلك بسطه ونشره من طيه ؛ فوجه أبو جعفر معنى ذلك إلى أن الله يبعث عباده ، فيبسطهم برًّا وبحرا، وهو قريب المعنى من التسيير ، وقال (وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) وقال فى موضع آخر (فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) فوحد ، والفلك : اسم للواحدة والجماع ، ويذكر ويؤنث، قال (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) وقد قال(هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ)، فخاطب ثم عاد إلى الخبر عن الغائب، وقد بيَّنت ذلك فى غير موضع من الكتاب ،بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وجواب قوله (حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ ،جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ). وأما جواب قوله (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) ف(دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) .

---

(١) فى لسان العرب : (عصف) : عصفت الريح تعصف عصفا وعصوفا، وهى ريح عاصف ، وعاصفة ، ومعصفة ، وعصوف وأعصفت فى بنى أسد ، وهى معصف ، من رياح معاصف ومعاصيف : إذا اشتدت . والمزعزعة . الشديدة ، التى تحرك كل ما على الأرض من شجر وتراب ومدر . والقطار : المطر . والزجل : المرتفع فيه تطريب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا فى البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذى كانوا فيه ، أخلفوا الله ما وعدوه ، وبَغَوا فى الأرض، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به ، والعمل بمعاصيه على ظهرها ، يقول الله : يا أيها الناس إنما اعتداؤكم الذى تعتدونه على أنفسكم وإياها تظلمون ، وهذا الذى أنتم فيه متاع الحياة الدنيا ، يقول ذلك بلاغ تبلغون به فى عاجل دنياكم ، وعلى هذا التأويل ، البغى يكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) ، ويكون قوله (مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيا) مرفوعا على معنى : ذلك متاع الحياة الدنيا ، كما قال (لَمْ يَلْبَثُوا إلا ساعَةً من نَهار بَلاغٌ) بمعنى : هذا بلاغ ، وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : إنما بغيكم فى الحياة الدنيا على أنفسكم ، لأنكم بكفركم تكسبونها غضب الله ، متاع الحياة الدنيا ، كأنه قال : إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا ، فيكون البغى مرفوعا بالمتاع ، وعلى أنفسكم من صلة البغى ، وبرفع المتاع قرأت القرّاء سوى عبد الله بن أبي إسحاق ، فإنه نصبه بمعنى : إنما بغيكم على أنفسكم متاعا فى الحياة الدنيا ، فجعل البغى مرفوعا بقوله (على أنْفُسِكُمْ) والمتاع منصوبا على الحال ، وقوله (ثُمَّ إلَيْنا مَرْجِعُكُمْ) يقول : ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم ، وذلك بعد الممات (فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ، ونجازيكم على أعمالكم التى سلفت منكم فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ، فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ، حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ، أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ، كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره: إنما مثل ما تباهون فى الدنيا، وتفاخرون به من زينتها وأموالها، مع ماقد وكل بذلك من التكدير والتنغيص ، وزواله بالفناء والموت ، كَمَثَل (ماءٍ أنْزَلْناهُ منَ السَّماءِ) يقول : كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض (فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأرْضِ) يقول : فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخُراسانىّ ،

عن ابن عباس ، قوله (إنما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ) قال : اختلط فنبت بالماء كل لون (مما يأكلُ الناسُ) كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار ، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعى .

وقوله (حتى إذا أخذَتِ الأرضُ زُخرُفَها) يعنى : ظهر حسنها وبهاؤها (وازَّيَّنَتْ) يقول : وتزينت (وظَنَّ أهلُها) يعنى أهل الأرض (أنَّهم قادرون عليها) يعنى على ما أنبتت ، وخرج الخبر عن الأرض ، والمعنى للنبات ، إذ كان مفهوما بالخطاب ما عُنِي به . وقوله (أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً) يقول : جاء الأرض أمرُنا ، يعنى قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلا وإما نهارا (فجعلناها) يقول : فجعلنا ما عليها (حصيداً) يعنى مقطوعة مقلوعة من أصولها ، وإنما هي محصودة صرفت إلى حصيد (كأنْ لم تَغْنَ بالأمسِ) يقول : كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس ، وأصله من غَنِيَ فلان بمكان كذا ، يَغْنَى به : إذا أقام به ، كما قال النابغة الذبياني :

غَنِيَتْ بذلكَ إذْ هُمُ لى جيرَةٌ   منها بعَطْفِ رسالةٍ وتَوَدُّدِ[1]

يقول : فكذلك يأتى الفناء على ما تتباهَون به من دنياكم وزخارفها ، فيفنيها ويهلكها ، كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها ، حتى صارت (كأنْ لم تَغْنَ بالأمسِ) كأن لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها ؛ يقول الله جلَّ ثناؤه (كذلكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يتفكَّرون) يقول : كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا ، وعرَّفناكم حكمها وأمرها ، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر ، وخصَّ به أهل الفكر ، لأنهم أهل التمييز بين الأمور ، والفحص عن حقائق مايعرض من الشبه فى الصدور .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إذا أخذَتِ الأرضُ زُخرُفَها) . . . الآية : أي والله لئن تشبث بالدنيا وحَدِب عليها ، لتوشكَنَّ الدنيا أن تلفظه وتقضىَ منه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وازَّيَّنَتْ) قال : أنبتت وحسنت .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال : سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية (حتى إذا أخذَتِ الأرضُ زُخرُفَها وازَّيَّنَتْ وظَنَّ أهلُها أنَّهم قادرون عليها) وما كان الله ليهلكها

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى ، وهو السابع من داليته المطولة فى وصف المتجردة (مختار الشعر الجاهلى ، طبعة الحلبى ص ١٨٣) وفيه : « إذ هم لك » . وغنيت أقامت . يقول : أقامته مع مودته ، وهى جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . وفى (اللسان : غنى) : أغنى القوم بالدار غنى : أقاموا قال الله عز وجل : « كان لم يغنوا فيها » : أى لم يقيموا فيها .

إلا بذنوب أهلها ، قال : قد قرأتها، وليست فى المصحف ، فقال عباس بن عبد الله بن العباس، هكذا يقرؤها ابن عباس ، فأرسلوا إلى ابن عباس فقال : هكذا أقرأنى أُبىّ بن كعب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ) يقول : كأن لم تعيش ، كأن لم تنعم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول فى قراءة أبىّ (كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ وَمَا أَهْلَكْنَاهَا إِلَّا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَازَّيَّنَتْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق (وَازَّيَّنَتْ) بمعنى : وتزينت ، ولكنهم أدغموا التاء فى الزاى، لتقارب مخرجيهما، وأدخلوا ألفا، ليوصل إلى قراءته، إذ كانت التاء قد سكنت ، والساكن لايُبتدأ به . وحُكى عن أبى العالية وأبى رجاء والأعرج وجماعة أخر غيرهم، أنهم قرءوا ذلك (وأَزْيَنَتْ) على مثال أفعلت .

والصواب من القراءة فى ذلك (وَازَّيَّنَتْ)[1] ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾

يقول تعالى ذكره لعباده : أيها الناس لاتطلبوا الدنيا وزينتها ، فإن مصيرها إلى فناء وزوال ، كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلا إلى هلاك وبوار ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ، ولها فاعملوا ، وما عند الله فالتمسوا بطاعته ، فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهى جنّاته التى أعدّها لأوليائه ، تسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التى أعدّها لمن دخلها ، وهو يَهْدِى من يشاء من خلقه ، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم ، وهو الإسلام الذى جعله جلّ ثناؤه سببا للوصول إلى رضاه ، وطريقا لمن ركبه ، وسلك فيه إلى جنانه وكرامته .

كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الله السلام، وداره الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) قال : الله هو السلام ، وداره الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « قيلَ لى : لِتَنَمْ عَيْنُكَ ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ فَنَامَتْ عَيْنِى ، وَعَقَلَ قَلْبِى ، وَسَمِعَتْ أُذُنِى ، ثُمَّ قِيلَ سَيِّدٌ بَنَى دَارًا ، ثُمَّ صَنَعَ مَأْدُبَةً ، ثُمَّ أَرْسَلَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِىَ دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَرَضِىَ عَنْهُ السَّيِّدُ ،

(١) أى صارت ذات زينة .

وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِىَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ ، وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ السَّيِّدُ ؛ فاللهُ السَّيِّدُ ، والدَّارُ الإسلامُ ، والمَأْدُبَةُ الجنَّةُ ، والدَّاعِى مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ».

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) ذُكر لنا أن فى التوراة مكتوبا : يا باغىَ الخير هلمّ ، ويا باغى الشرّ انته .

حدثنى الحسين بن سلمة بن أبى كبشة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، قال : ثنى خُلَيد العصرىّ ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إلاَّ وبِجَنْبَتَيْها مَلَكانِ يُنادِيانِ ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ : يا أَيُّها النَّاسُ هَلُمُّوا إلى رَبِّكُمْ ، إنَّ ما قَلَّ وكَفَى ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى » قال : وأنزل ذلك فى القرآن فى قوله (وَاللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلامِ ، وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ).

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « إنِّى رأيْتُ فِى المَنامِ كأنَّ جِبْرائِيلَ عِنْدَ رأْسِى ، وَمِيكائِيلَ عِنْدَ رِجْلَىَّ ، يَقُولُ أَحَدُهُما لِصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً ، فقالَ : اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ ، واعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ ، إنَّما مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ، ثُمَّ بَنَى فِيها بَيْتًا ، ثُمَّ جَعَلَ فِيها مَأْدُبَةً ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إلى طَعامِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أجابَ الرَّسُولَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ ؛ فاللهُ المَلِكُ ، والدَّارُ الإسْلامُ ، والبَيْتُ الجَنَّةُ ، وأنْتَ يا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ ، مَنْ أجابَكَ دَخَلَ الإسْلامَ ، وَمَنْ دَخَلَ الإسْلامَ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ أكَلَ مِنْها » .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه ، فأطاعوه فيما أمر ونهى ، الحسنى .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه ، فقال بعضهم : الحسنى : هى الجنة ، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء ، والزيادة عليها النظر إلى الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن أبى بكر الصدّيق (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن

سعيد بن نِمْران ، عن أبي بكر (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله تعالى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، قال في هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم بن نذير ، عن حذيفة (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعيّ ، قال : ثنا شريك ، قال : سمعت أبا إسحاق يقول في قول الله (وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الرحمن .

حدثني عليّ بن عيسى ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا أبو بكر الهذليّ ، قال : سمعت أبا تميمة الهُجَيميّ يحدّث عن أبي موسى الأشعريّ ، قال : « إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادى : هل أنجزكم الله ما وعدكم ، فينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامة ، فيقولون نعم ، فيقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) النظر إلى وجه الرحمن » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا المبارك ، عن أبي بكر الهُذَليّ ، قال : أخبرنا أبو تميمة الهُجيميّ ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول : « إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامة ، فيرون الحلىّ والحُلَل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون : نعم ، قد أنجزنا الله ماوعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرّات ، فلا يفقدون شيئا مما وُعِدوا ، فيقولون نعم ، فيقول : قد بقى لكم شىء ، إن الله يقول (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) ، ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني شبيب ، عن أبان ، عن أبي تميمة الهُجيميّ ، أنه سمع أبا موسى الأشعريّ يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ مُنادِيا يُنادِى أهْلَ الجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أوَّلَهُمْ وآخِرَهُمْ ، إنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الحُسْنَى وَزِيادَةً ، فالحُسْنَى الجَنَّةُ ، والزِّيادَةُ النَّظَرُ إلى وَجْهِ الرَّحْمَنِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت البُنانيّ ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم ، وقرأ (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ) قال : بعد النظر إلى وجه ربهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان بن المُغيرة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله (وَزِيادَةٌ) قال : قيل له : أرأيت قوله (لِلَّذِينَ

أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال: إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، فأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم، قال: نودُوا: يا أهل الجنة، إن الله قد وعدكم الزيادة، فيتجلَّى لهم . قال ابن أبي ليلى : فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم ، وحين صارت الصحف فى أيمانهم، وحين جاوزوا جسر جهنم، ودخلوا الجنة، وأُعطُوا فيها ما أُعطُوا من الكرامة والنعيم ، كل ذلك لم يكن شيئا فيما رأوا .

قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر وسليمان بن المُغيرة، عن ثابت البُنانىّ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم .

قال : ثنا الحجاج ومعلى بن أسد ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال لهم : إنه قد بقى من حقكم شىء لم تُعطَوه ، قال: فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى . قال : فيصغر عندهم كلّ شىء أُعطوه . قال : ثم قال (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال: الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه ربهم ، ولا يَرهَق وجوههم قَتَر ولا ذِلة بعد ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) : النظر إلى وجه الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) : النظر إلى الربّ .

حدثنا عمرو بن علىّ ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا عبد الرحمن بن مَهدىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم « فى هذه الآية (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال: إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهْلُ النارِ النَّارَ، نُودُوا: يا أهْلَ الجَنَّةِ، إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا، قالُوا ما هُوَ؟ ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا ، وَتُثَقِّلْ مَوَازِينَنا ، وَتُدْخِلْنا الجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ ؟ فَيَكْشِفُ الحِجابُ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ، فَوَاللهِ ما أعْطاهُمْ شَيْئًا أحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَيْهِ ». ولفظ الحديث لعمرو .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال: ثنا حماد ، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صُهَيب، قال: « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قالَ : إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نادَى مُنادٍ : يا أهْلَ الجَنَّةِ ، إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أنْ يُنْجِزَكُمُوهُ ، فَيَقُولُونَ وَما هُوَ؟ ألَمْ يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِينَنا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنا ؟». ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن علىّ وابن بشار ، عن عبد الرحمن .

قال : ثنا الحِمَّانىّ ، قال: ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن نِمْران ، عن أبي بكر الصدّيق رضى الله عنه (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله (لِلَّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى

وَزِيادَةٌ) بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد: إن الله وعدكم الحسنى ، وهى الجنة . وأما الزيادة: فالنظر إلى وجه الرحمن » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عُجْرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « فى قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى » .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : الحسنى : النضرة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية ، قال : ثنا أبىّ بن كعب « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن قول الله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله » .

وقال آخرون فى الزيادة بما حدثنا به يحيى بن طلحة ، قال ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن الحكم ، عن علىّ رضى الله عنه « (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال: الزيادة : غرفة من لؤلؤة واحدة ، لها أربعة أبواب » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن الحكم ، عن علىّ رضى الله عنه ، نحوه ، إلا أنه قال : فيها أربعة أبواب .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عُتيبة ، عن علىّ رضى الله عنه ، مثل حديث يحيى بن طلحة ، عن فُضَيل سواء .

وقال آخرون : الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة ، والزيادة : التضعيف إلى تمام العشر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : هو مثل قوله (وَلَدَيْنا مَزِيدٌ) يقول : يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله ، وقال (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها ، وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن علقمة بن قيس (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : قلت : هذه الحسنى ، فما الزيادة ؟ قال : ألم تر أن الله يقول (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول فى هذه الآية

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الزيادة : بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبع مئة ضعف .

وقال آخرون : الحسنى : حسنة مثل حسنة ، والزيادة : زيادة مغفرة من الله ورضوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى) مثلها حسنى ، وزيادة مغفرة ورضوان .

وقال آخرون : الزيادة : ما أُعْطُوا فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) قال : الحسنى : الجنة ، وزيادة : ما أعطاهم فى الدنيا لايحاسبهم به يوم القيامة . وقرأ (وآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيا) قال : ما آتاه مما يحبّ فى الدنيا عجّل له أجره فيها .

وكان ابن عباس يقول فى قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى) بما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ابن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى) يقول : للذين شهدوا أن لاإله إلا الله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يُقال : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ، وأن تُبيِّض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غرفا من لآلئ ، وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا ، كلّ ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التى جعلها الله لأهل جناته ، وعمّ ربنا جلّ ثناؤه بقوله (وَزِيادَةٌ) : الزيادات على الحسنى ، فلم يخصص منها شيئا دون شىء ، وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله . فأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يُعَمّ كما عمه عزّ ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى

(ولا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ ، أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ ، هُمْ فِيها خالِدُونَ) :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ) لايغشى وجوههم كآبة ولا كسوف ، حتى تصير من الحزن كأنما علاها قَتَر ، والقَتَر : الغُبار ، وهو جمع قَتَرة ، ومنه قول الشاعر :

مُتَوَّجٌ بِرِداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّاياتِ والقَتَرا[1]

يعنى بالقَتَر : الغُبار ، ولا ذلة : ولا هوان ، أولئك أصحاب الجنة ، يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم

(١) البيت للفرزدق (لسان العرب : قتر) ؛ قال : القتر : جمع القترة ، وهى الغبرة ، ومنه قوله تعالى : « وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة » عن أبى عبيدة ، وأنشد للفرزدق : متوج . . . البيت .
وقال الأزهرى فى التهذيب : القترة : غبرة يعلوها سواد كالدخان .

أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها هم فيها خالدون، يقول هم فيها ماكثون أبدا، لاتبيد فيخافوا زوال نعيمهم ، ولا هم بمخرجين ، فتتنغص عليهم لذتهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

وكان ابن أبى ليلى يقول فى قوله (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ) ماحدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا زيد، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ) قال : بَعْدَ نظرهم إلى ربهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ومعلى بن أسد ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ) قال : سواد الوجوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : والذين عملوا السيئات فى الدنيا ، فعصَوُا الله فيها ، وكفروا به وبرسوله ، جزاء سيئة من عمله السيء الذى عمله فى الدنيا بمثلها من عقاب الله فى الآخرة (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله إياهم (ما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) يقول : مالهم من الله من مانع يمنعهم إذا عاقبهم ، يحول بينه وبينهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) قال : تغشاهم ذلة وشدّة .

واختلف أهل العربية فى الرافع للجزاء ، فقال بعض نحويىّ الكوفة : رفع باضمار لهم ، كأنه قيل : ولهم جزاء السيئة بمثلها ، كما قال (فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِى الحَجِّ) والمعنى : فعليه صيام ثلاثة أيام قال : وإن شئت رفعت الجزاء بالباء فى قوله (وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها) .

وقال بعض نحويى البصرة : الجزاء مرفوع بالابتداء ، وخبره بمثلها .

قال : ومعنى الكلام: جزاء سيئة مثلها ، وزيدت الباء كما زيدت فى قوله : بحسبك قولُ السوء ؛ وقد أنكر ذلك من قول بعضهم فقال : يجوز أن تكون الباء فى حسب ، لأن التأويل : إن قلت السوء فهو حسبك ، فلما لم تدخل فى الجزاء أدخلت فى حسب بحسبك، أن تقوم: إن قمت فهو حسبك ، فإن مدح

ما بعد حَسْب ، أدخلت الباء فيما بعد ها كقولك: حسبك بزيد، ولا يجوز : بحسبك زيد ، لأن زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: أن يكون الجزاء مرفوعا باضمار بمعنى : فلهم جزاء سيئة بمثلها، لأن الله قال فى الآية التى قبلها (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ) فوصف ما أعدّ لأوليائه ، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه ، فأشْبَهُ بالكلام أن يقال: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة، وإذا وجه ذلك إلى هذا المعنى كانت الباء صلة للجزاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

(كأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ، أُولَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ، هُمْ فِيها خالِدُونَ) :

يقول تعالى ذكره : كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قِطَعا من الليل، وهى جمع قطعة.

وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (كأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً) قال : ظلمة من الليل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله تعالى (قِطَعاً) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (قِطَعاً) بفتح الطاء، على معنى جمع قطعة ، وعلى معنى أن تأويل ذلك : كأنما أغشيت وجه كلّ إنسان منهم قطعة من سواد الليل ، ثم جُمِع ذلك فقيل : كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد، إذ جمع الوجه . وقرأه بعض متأخرى القرّاء (قِطْعاً) بسكون الطاء ، بمعنى : كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل ، وبقية من الليل ، ساعة منه ، كما قال (فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ): أى ببقية قد بقيت منه، ويعتلّ لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه فى مصحف أبىّ ، ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم .

والقراءة التى لايجوز خلافها عندى : قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على تصويبها ، وشذوذ ما عداها، وحسب الأخرى دلالة على فسادها ، خروج قارئها عما عليه قرّاء أهل الأمصار والإسلام .

فإن قال لنا قائل : فإن كان الصواب فى قراءة ذلك ما قلت ، فما وجه تذكير المظلم وتوحيده ، وهو من نعت القِطَع ، والقِطَع جمع لمؤنث، قيل فى تذكيره ذلك وجهان: أحدهما : أن يكون قطعا من الليل ، وأن يكون من نعت الليل ، فلما كان نكرة ، والليل معرفة نصب على القطع . فيكون معنى الكلام حينئذ : كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ، ثم حذفت الألف واللام من المظلم ، فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع ، وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالا ، والكوفيون قَطْعا .

والوجه الآخر : على نحو قول الشاعر : لو أنَّ مِدْحَةَ حَىٍّ مُنْشِرٌ أحَدًا [١]

والوجه الأول أحسن وجهيه .

(١) هذا شطر من بيت لأبى ذؤيب نقله الأصمعى ، ورواية البيت عنده :

لَوْ كانَ مِدْحَةُ حَىٍّ أَنْشَرَتْ أَحَدًا أحيا أبوتك الشُّمُّ الأماديحُ

وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها ، (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : هم فيها ماكثون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ، فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالَ : شُرَكَاؤُهُم : مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا، ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد مكانكُم : أى امكثوا مكانكم ، وقفوا فى موضعكم أنتم أيها المشركون، وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) يقول : ففرّقنا بين المشركين بالله ، وما أشركوه به وبين غيره [١] ، وأبنته منه ، وقال: فزيلنا إرادة تكثير الفعل وتكريره ، ولم يقل : فزلنا بينهم . وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزايلنا بينهم ، كما قيل (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ) ولا تصاعر خدك ، والعرب تفعل ذلك كثيرا فى فعلت ، يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد ، فيقولون : فاعلت إذا كان الفعل لواحد . وأما إذا كان لاثنين فلا تكاد تقول إلا فاعلت ، وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون ، وذلك حين (تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،وَرَأَوُا العَذَابَ،وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ) لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ، ونصبت لهم آلهتهم ، قالوا : كنا نعبد هؤلاء ، فقالت الآلهة لهم : ما كنتم إيانا تعبدون .

كما حُدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : يكون يوم القيامة ساعة فيها شدّة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدون ، فيقال : هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله ، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون : والله لإياكم كنا نعبد ، فتقول لهم الآلهة : (فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ، فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) قال : فرّقنا بينهم (وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) قالوا : بلى قد كنا نعبدكم ، فقالوا (كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) ما كنا نسمع ولا نبصر ، ولا نتكلم فقال الله (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) . . . الآية .

ورُوى عن مجاهد ، أنه كان يتأوّل الحشر فى هذا الموضع : الموت .

= ووجه الاستشهاد بالبيت على رواية المؤلف ، أن يؤول لفظ مدحة بمعنى المدح ، وهو مذكر ، فيسوغ الإخبار عنه بمنشر ، كما يؤول لفظ قطعا من الليل (جمع قطعة) بأن فى معنى كثير ، كما أشار إليه أبو البقاء العكبرى فى إعراب القرآن ،فيسوغ نعته بمظلما . وأما على رواية الأصمعى ، فلا شاهد فى البيت .

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ ، والأصل يقال زلت بين الشيء و بين غيره ، أبنته منه.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، قال : سمعتهم يذكرون عن مجاهد ، فى قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) قال : الحشر : الموت .

والذى قلنا فى ذلك أولى بتأويله ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر أنه يقول لهم ، ومعلوم أن ذلك غير كائن فى القبر ، وأنه إنما هو خبر عما يقال لهم ، ويقولون فى الموقف بعد البعث .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين ، من الآلهة والأوثان ، لهم يوم القيامة ، إذ قال المشركون بالله لها : إياكم كنا نعبد ، كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم : أى إنها تقول : حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون ، فإنه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون ، إنا كنا عن عبادتكم لغافلين ، يقول : ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين ، لانشعر به ، ولا نعلم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) قال : ذلك كلّ شىء يُعبد من دون الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) قال : يقول ذلك كلّ شىء كان يعبد من دون الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ) بالباء ، بمعنى : عند ذلك تختبر كلّ نفس بما قدّمت من خير أو شرّ ، وكان ممن يقرؤه ، ويتأوّله كذلك مجاهد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) قال : تختبر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ، وبعض أهل الحجاز (تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) بالتاء .

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه وتأويله : هنالك تتبع كلّ نفس ماقدمت فى الدنيا لذلك اليوم . ورُوِى بنحو ذلك خبر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من وجه وسَنَد غير مرتضى أنه

قال : « يُمَثَّلُ لِكُلِّ قَوْمٍ ما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَيَتَّبِعُونَهُمْ ، حتى يُورِدُوهُمُ النَّارَ » قال : ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هُنالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) وقال بعضهم : بل معناه : تتلو كتاب حسناته وسيئاته ، يعنى تقرأ ، كما قال جلّ ثناؤه : (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً) .

وقال آخرون : تَبلُو : تعاين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ) قال : ما عملت . تبلو : تعاينه .

❁ والصواب من القول فى ذلك ، أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، وهما متقاربتا المعنى ، وذلك أن من تبع فى الآخرة ما أسلف من العمل فى الدنيا ، هجم به على مورده ، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ فى الدنيا ، وإنّ من خبر من أسلف فى الدنيا من أعماله فى الآخرة ، فإنما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قدّم فى الدنيا من عمله ، فهو فى كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله ، مختبر له ، فبأيّتهما قرأ القارئ كما وصفنا ، فمصيب الصواب فى ذلك .

وأما قوله (وَرُدُّوا إِلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ) فإنه يقول : ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله الذى هو ربهم ومالكهم الحقّ ، لاشكّ فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب ، من الآلهة والأنداد (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وبطل عنهم ما كانوا يتخرّصون من الفرية والكذب على الله ، بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء ، وأنها تقرّبهم منه زُلْفَى .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرُدُّوا إِلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) قال : ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة : ما كانوا يفترون الآلهة ، وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله ، افتراء وكذبا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ؟ أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ (٣١)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الأوثان والأصنام : (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ) الغيثَ والقطر ، ويطلع لكم شمسها ، ويُغْطِش ليلها ، ويخرج ضحاها (وَ) من (الأَرْضِ) أقواتكم وغذاءكم الذى ينبته لكم ، وثمار أشجارها (أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصارَ) يقول : أم من ذا الذى يملك أسماعكم وأبصاركم التى تسمعون بها : أن يزيد فى قواها أو يسلبكموها ، فيجعلكم

صمّا ، وأبصاركم التى تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها، أو يذهب بنورها، فيجعلكم عُميا لاتبصرون . (وَمَنْ يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ) يقول : ومن يخرج الشىء الحىّ من الميت (وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ) يقول : ويخرج الشىء الميت من الحىّ .

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل، والصواب من القول عندنا فى ذلك ، بالأدلة الدالة على صحته فى سورة آل عمران ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ) وقل لهم : من يدبر أمر السماء والأرض وما فيهنّ ، وأمركم وأمر الخلق ، (فَسَيَقُولُونَ اللهُ) يقول جلّ ثناؤه : فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذى يفعل ذلك كله الله (فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخافون عقاب الله على شركم ، وادّعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته ، وعبادتكم معه ، من لايرزقكم شيئا ، ولا يملك لكم ضرّا ولا نفعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذَٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ، فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ، فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)

❁ يقول تعالى ذكره لخلقه : أيها الناس ، فهذا الذى يفعل هذه الأفعال ، فيرزقكم من السماء والأرض ، ويملك السمع والأبصار ، ويخرج الحىّ من الميت ، والميت من الحىّ ، ويدبّر الأمر (اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ) لاشكّ فيه (فَمَاذا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ) يقول: فأىّ شىء سوى الحقّ إلا الضلال، وهو الجوْر عن قصد السبيل . يقول: فإذا كان الحقُّ هو ذا ، فادّعاؤكم غيرَه إلها وربا هو الضلال، والذهاب عن الحقّ، لاشكّ فيه (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يقول: فأىّ وجه عن الهدى والحقّ تُصْرَفون، وسواهما تَسْلُكون وأنتم مقرّون بأن الذى تصرفون عنه هو الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

❁ يقول تعالى ذكره : كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحقّ إلى الضلال (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) يقول : وجب عليهم قضاؤه وحكمه فى السابق من علمه (عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته ، وكفروا به (أَنَّهُمْ لايُؤْمِنُونَ) يقول: لايصدّقون بوحدانية الله، ولا بنبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ؟ قُلِ ٱللهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ، فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤)

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ): يعنى من الآلهة والأوثان (مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟) يقول: من يُنْشِئُ خلق شيء من غير أصل، فيحدث خلقه ابتداء ، ثم يعيد ؛ يقول : ثم يفنيه بعد إنشائه ، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه ، فإنهم لايقدرون على دعوى ذلك لها ، وفى ذلك الحُجّة القاطعة، والدلالة الواضحة، على أنهم فى دعواهم أنها أرباب، وهى لله فى العبادة شركاء، كاذبون مفترون، ف(قُلْ) لهم حينئذ يا محمد (اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ)، فينشئه من غير شىء ، ويحدثه من غير أصل، ثم يفنيه إذا شاء (ثُمَّ يُعِيدُهُ) إذا أراد كهيئته قبل الفناء؛ (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأىّ وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون :

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَأَنَّى تُؤْفَكُون) قال : أنى تُصْرَفون .

وقد بيّنا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله (أَنَّى تُؤْفَكُونَ)، والصوابَ من القول فى ذلك عندنا بشواهده ، فى سورة الأنعام .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ، قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ، أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ، أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟(٣٥)

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين(هَلْ مِنْ شُرَكائِكم) الذين تدعون من دون الله ، وذلك آلهتهم وأوثانهم (مَنْ يَهْدِى إلى الحَقّ) يقول : من يرشد ضالا من ضلالته إلى قصد السبيل ، ويسدّد جائرا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم ؟ فإنهم لايقدرون أن يدّعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا ، أو تهدى حائرا ، وذلك أنهم إن ادّعوا ذلك لها، أكذبتهم المشاهدة ، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة ، فإذا قالوا لا، وأقرّوا بذلك، فقل لهم : فالله يهدى الضالّ عن الهدى إلى الحقّ (أَفَمَنْ يَهْدِى) أيها القوم ضالا (إلى الحَقّ) ، وجائرا عن الرشد إلى الرشد (أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ) إلى ما يدعو إليه (أَمْ مَنْ لا يَهْدِى إلاّ أَنْ يُهْدَى) ؟

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (أَمْ مَنْ لا يَهْدِّى) بتسكين الهاء، وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنين ، وكأن الذى دعاهم إلى ذلك أنهم وجّهوا أصل الكلمة إلى أنه أم من لا يَهْتدى ، ووجدوه فى خطّ المصحف بغير ما قرروا ، وأن التاء حذفت لما أدغمت فى الدال ، فأقرّوا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه ، وشدّدوا الدال، طلبا لإدغام التاء فيها ، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال ، وكذلك فعلوا فى قوله (وَقُلْنا لَهُمْ لاتَعْدُوا فى السَّبْتِ) فى قوله (يَخِصِّمونَ) . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والشام والبصرة (يَهَدِّى) بفتح الهاء وتشديد الدال، وأمّوا ما أمه المدنيون من الكلمة، غير أنهم

نقلوا حركة التاء من يهتدى ، إلى الهاء الساكنة ، فحرّكوا بحركتها ، وأدغموا التاء فى الدال، فشدّدوها . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة (يَهِدّى) بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال ، بنحو ما قصده قرّاء أهل المدينة ، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد . وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين (أمْ مَنْ لا يَهْدِى) بتسكين الهاء، وتخفيف الدال ، وقالوا : إن العرب تقول : هَدَيت : بمعنى اهتديت، قالوا : فمعنى قوله (أم مَنْ لا يَهْدِى) : أم من لا يهتدى (إلاّ أنْ يُهْدى) .

وأولى القراءة فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (أمْ مَنْ لا يَهَدّى) بفتح الهاء، وتشديد الدال، لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وأن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب ، وفيهم المنكر غيره ، وأحقّ الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها ، كلام الله تبارك وتعالى .

فتأويل الكلام إذنْ : أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، أم من لا يهتدى إلى شىء إلا أن يُهْدَى .

وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك : أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلا أن ينقل .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أفَمَنْ يَهْدِى إلى الحقّ أحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ أمْ مَنْ لا يَهَدّى إلاَّ أنْ يَهْدِى) قال : الأوثان ، الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أمَّنْ لا يَهَدّى إلاّ أنْ يَهْدِي) قال : قال الوثن .

وقوله (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) : ألا تعلمون أن من يهدِى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ، من الذى لا يهتدى إلى شىء ، إلا أن يهديَه إليه هاد غيره ، فتتركوا اتباع من لا يهتدى إلى شىء وعبادته ، وتتبعوا من يهديكم فى ظلمات البرّ والبحر ، وتخلصوا له العبادة ، فتفردوه بها وحده ، دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظنا ، يقول : إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته ، بل هم منه فى شكّ وريبة (إنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئًا) يقول : إن الشكّ لا يغنى من اليقين شيئا ، ولا يقوم فى شىء مقامه ، ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) : يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظنّ ، وتكذيبهم الحقّ اليقين ، وهو لهم بالمرصاد ، حيث لا يغنى عنهم ظنهم من الله شيئا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧)

❊ يقول تعالى ذكره : ما ينبغى لهذا القرآن أن يُفْتَرى من دون الله، يقول : ما ينبغى له أن يتخرّصه أحد من عند غير الله ، وذلك نظير قوله (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) بمعنى : ما ينبغى لنبيّ أن يَغُلَّهُ أصحابه. وإنما هذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن هذا القرآن من عنده ، أنزله إلى محمد عبده ، وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا : هو شعر وكَهانة، والذين قالوا : إنما يتعلمه محمد مِن يعيشَ الروميّ . يقول لهم جلّ ثناؤه: ما كان هذا القرآن ليختلقه أحد من عند غير الله ، لأن ذلك لايقدر عليه أحد من الخلق (وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول تعالى ذكره : ولكنه من عند الله أنزله مصدّقا لما بين يديه: أى لما قبله من الكتب التى أنزلت على أنبياء الله، كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، التى أنزلها على أنبيائه (وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ) يقول : وتبيان الكتاب الذى كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرائضه التى فرضها عليهم فى السابق من علمه (لارَيْبَ فِيهِ) يقول: لاشكّ فيه أنه تصديق الذى بين يديه من الكتاب، وتفصيل الكتاب من عند ربّ العالمين ، لاافتراء من عند غيره ولا اختلاق .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨)

❊ يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : افترى محمد هذا القرآن من نفسه ، فاختلقه وافتعله ، قل يا محمد لهم : إن كان كما تقولون إنى اختلقته وافتريته ، فإنكم مثلى من العرب ، ولسانى وكلامى مثل لسانكم ، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن . والهاء فى قوله : مثله كناية عن القرآن. وقد كان بعض نحويّى البصرة يقول : معنى ذلك: قل فأتوا بسورة مثل سُورته ، ثم ألقيت سورة ، وأضيف المثل إلى ما كان مضافا إليه السورة، كما قيل (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ) يراد به : واسأل أهل القرية . وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى أن السُّورة إنما هى سُورة من القرآن، وهى قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فقيل لهم (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) ولم يقل : مثلها ، لأن الكناية أخرجت على المعنى ، أعنى معنى السورة ، لاعلى لفظها ، لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل : فأتوا بسورة مثلها (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول: وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها، من قدرتم أن تَدْعُوا

على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله ، يقول : من عند غير الله ، فأجمعوا على ذلك واجتهدوا ، فإنكم لاتستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين فى أن محمدا افتراه ، فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها ، فإن لم تفعلوا ذلك ، فلا شكّ أنكم كَذَبَة فى زعمكم أن محمدا افتراه، لأن محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم ، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله ، فالواحد منهم عن أن يأتى بجميعه أعجز .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ، كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب (بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن ، من وعيدهم على كفرهم بربهم (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) يقول : ولما يأتهم بعد بيان مايئول إليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله ، كذلك كذّب الأمم التى خلت قبلهم ، بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم ، وكفرهم بربهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عُقْبَى كفر من كفر بالله ، ألم نهلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالغرق ، يقول : فإن عاقبة هؤلاء الذين يكذّبونك ، ويجحدون بآياتى من كفار قومك ، كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كَفَرَة الأمم ، إن لم ينيبوا من كفرهم ، ويسارعوا إلى التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ومن قومك يا محمد من قريش ، من سوف يؤمنْ به ، يقول : من سوف يصدق بالقرآن ، ويقرّ أنه من عند الله (وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) أبدا ، يقول : ومنهم من لايصدّق به ، ولايقرّ أبدا (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) يقول : والله أعلم بالمكذّبين به منهم ، الذين لايصدّقون به أبدا من كل أحد لايخفى عليه ، وهو من وراء عقابه . فأما من كَتَبْتُ له أنه يؤمن به منهم ، فإنى سأتوب عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ، أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ ، وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: وإن كذّبك يا محمد هؤلاء المشركون، وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لى دينى وعملى، ولكم دينكم وعملكم، لايضرّنى عملكم، ولا يضرّكم عملى، وإنما يجازَى كلّ عامل بعمله (أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ) لاتؤاخذون بجريرته (وأنا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) لاأؤاخذ بجريرة عملكم، وهذا كما قال جلّ ثناؤه (قُلْ يا أيُّها الكافِرُونَ. لاأعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. ولا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ) وقيل: إن هذه الآية منسوخة، نسخها الجهاد والأمر بالقتال.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ)... الآية، قال: أمره بهذا، ثم نسخه، وأمره بجهادهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك، (أفأنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لايَعْقِلُونَ) يقول: أفأنت تخلق لهم السمع، ولو كانوا لاسمع لهم يعقلون به، أم أنا؟ وإنما هذا إعلام من الله عباده، أن التوفيق للإيمان به بيده، لاإلى أحد سواه، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ كما أنك لاتقدر أن تُسْمِع يا محمد من سلبته السمع، فكذلك لاتقدر أن تفهم أمرى ونهيى، قلبا سلبتُه فهْم ذلك، لأنى ختمت عليه أنه لايؤمن.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ، أَفَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣)

❁ يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المشركين، مشركى قومك، من ينظر إليك يامحمد، ويرى أعلامك وحججك على نبوّتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق، فلا يهتدى، ولا تقدر أن تهديه، كما لاتقدر أن تحدث للأعمى بصرا يهتدى به (أفأنْتَ تَهْدِى العُمْىَ وَلَوْ كانُوا لايُبْصِرُونَ) يقول: أفأنت يامحمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك، فلا يوفقون لتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون؛ فكما أنك لاتطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك، ولا يقدر عليه أحد سواى، فكذلك لاتقدر على أن تبصّرهم سبيل الرشاد، أنت ولا أحد غيرى، لأن ذلك بيدى وإلىّ، وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم، عن جماعة ممن كفر به من قومه، وأدبر عنه فكذّب، وتعزية له عنهم، وأمر برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا، وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : إن الله لايفعل بخلقه ما لايستحقون منه ، لايعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه ، ولا يعذّبهم إلابكفرهم به (ولَـكِنَّ النَّاسَ) يقول : ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ، مايورثها غضب الله وسخطه ، وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبرجلّ ثناؤه عنهم أنهم لايؤمنون الإيمانَ ابتداء منه بغير جرم سلف منهم ، وإخبار أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها ، فحقّ عليهم قول ربهم (وَطَبَعَ على قُلُوبِهِمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ، يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ، قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ، وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المشركين ، فنجمعهم فى موقف الحساب كأنهم كانوا قبل ذلك ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ، ثم انقطعت المعرفة ، وانقضت تلك الساعة . يقول الله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ ، وَمَا كانُوا مُهْتَدِينَ) ، قد غُبِن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه ، وحظوظَهم من الخير ، وهلكوا . وما كانوا مهتدين ، يقول : وما كانوا موفَّقين لإصابة الرشد ، مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله ، لأنه أكسبهم ذلك مالاقِبَل لهم به من عذاب الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وإما نرينك يا محمد فى حياتك بعضَ الذى نَعِدُ هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ، أو نَتَوفَّينك قبل أن نُرِيَك ذلك فيهم (فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ) يقول : فمصيرهم بكلّ حال إلينا ومُنقلَبهم (ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ على ما يَفْعَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا ، وأنا عالم بها ، لايخفى علىّ شىء منها ، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلىّ ومَرْجِعِهِم ، جزاءَهم الذى يستحقونه .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) من العذاب فى حياتك (أوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبلُ (فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولكلّ أمة خلت قبلكم أيها الناس ، رسولٌ أرسلته إليهم ، كما أرسلت محمدا إليكم ، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ، فإذا جاء رسولهم ، يعنى فى الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فإذا جاء رَسُولُهُمْ) قال : يوم القيامة . وقوله (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ) يقول : قضى حينئذ بينهم بالعدل (وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) من جزاء أعمالهم شيئا ، ولكن يجازى المحسن بإحسانه ، والمسيء من أهل الإيمان ، إما أن يعاقبه الله ، وإما أن يعفوَ عنه ، والكافر يخلَّد فى النار ، فذلك قضاء الله بينهم بالعدل ، وذلك لاشكّ عدل لاظلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُضِيَ بَيْنَهُم بالقِسْطِ) قال : بالعدل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ (٤٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد (مَتَى هَذَا الوَعْدُ) الذى تعدنا أنه يأتينا من عند الله ، وذلك قيام الساعة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنت ومن تبعك ، فيما تعدوننا به من ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

قل : لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : قل : يا محمد لمستعجليك وَعيدَ الله ، القائلين لك : متى يأتينا الوعد الذى تعدنا إن كنتم صادقين : لاأملك لنفسى أيها القوم : أى لاأقدر لها على ضرّ ولا نفع فى دنيا ولا دين ، إلا ما شاء الله أن أملكه ، فأجلبه إليها بإذنه . يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : فإذ كنت لاأقدر على ذلك إلا بإذنه ، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ، ومعرفة قيام الساعة ، أعجز وأعجز ، إلا بمشيئته وإذنه لى فى ذلك . لكلّ أمة أجل ، يقول : لكلّ قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم ، فإذا جاء

وقت انقضاء أجلهم ، وفناء أعمارهم ، لايستأخرون عنه ساعة، فيُمْهَلُون ويُؤَخَّرون، ولا يستقدمون قبل ذلك ، لأن الله قضى ألا يتقدّم ذلك قبل الحين الذي قدّره وقضاه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ؟ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك : أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بياتا ، يقول : ليلا أو نهارا ، وجاءت الساعة ، وقامت القيامة ، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم ؟ يقول الله تعالى ذكره : ماذا يَسْتَعْجِل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله، وهم الصالون بحرّه دون غيرهم، ثم لايقدرون على دفعه عن أنفسهم ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ، ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به ، يقول : صدّقتم به، فى حال لاينفعكم فيها التصديق ، وقيل لكم حينئذ : آلآن تصدّقون به ، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون ، وأنتم بنزوله مكذّبون ، فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون . ومعنى قوله (أَثُمَّ) فى هذا الموضع : أهنالك وليست « ثم » هذه ههنا التى تأتى بمعنى العطف .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ، هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ؟ (٥٢)

يقول تعالى ذكره (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بكفرهم بالله (ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ) : تجرّعوا عذابَ اللهِ الدائمِ لكم أبدا ، الذي لافناء له ولا زوال (هَلْ تُجْزَوْنَ إلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)يقول: يقال لهم: فانظروا (هَلْ تُجْزَوْنَ) أى هل تثابون (إلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : إلا بما كنتم تعملون فى حياتكم قبل مماتكم من معاصى الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ؟ قُلْ : إِى وَرَبِّىٓ ، إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ، وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره: ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، فيقولون لك: أحقّ ما تقول، وما تعدنا به من عذاب الله فى الدار الآخرة، جزاء على ما كنا نكسب من معاصى الله فى الدنيا ؟ قل لهم يا محمد : إى وربى إنه لحقّ ، لاشكّ فيه، وما أنتم بمعجزي الله إذا أراد ذلك بكم ، بهرب أو امتناع ، بل أنتم فى قبضته وسلطانه وملكه ، إذا أراد فعل ذلك بكم ، فاتقوا الله فى أنفسكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِ ، وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : ولو أن لكلّ نفس كفرت بالله ، وظلمها فى هذا الموضع : عبادتها غير من يستحقّ عبادة ، وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ، (ما فى الأرض) من قليل أو كثير لافتدت به ، يقول : لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذا عاينته. وقوله (وأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رأوُا العَذَابَ) يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم ، الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ) يقول : وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل . (وَهمْ لا يُظْلَمُونَ) وذلك أنه لايعاقب أحدا منهم إلا بجريرته ، ولا يأخذه بذنب أحد ، ولا يعذّب إلا من قد أعذر إليه فى الدنيا وأنذر ، وتابع عليه الحجج .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)

يقول جلّ ذكره : ألا إن كلّ ما فى السموات وكلّ ما فى الأرض من شىء ، لله ملك ، لاشىء فيه لأحد سواه ، يقول : فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شىء يملكه ، فيفتدى به من عذاب ربه ، وإنما الأشياء كلها للذى إليه عقابه ، ولو كانت له الأشياء التى هى فى الأرض ، ثم افتدى بما لم يقبل منه بدلا من عذابه ، فيصرف بها عنه العذاب ، فكيف وهو لاشىء له يفتدى به منه ، وقد حقّ عليه عذاب الله . يقول الله جلّ ثناؤه (ألا إنّ وَعْدَ الله حَقّ) يعنى أن عذابه الذى أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حقّ ، فلا عليهم ألا يستعجلوا به ، فإنه بهم واقع لاشكّ . (وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم ، فهم من أجل جهلهم به مكذّبون .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : إن الله هو المحيى المميت ، لايتعذّر عليه فعل ما أراد فعله ، من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعاينون ما كانوا به مكذّبين من وعيد الله وعقابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره لخلقه (يا أيُّها الناس قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى : ذكرى ، تذكركم عقاب الله ، وتخوّفكم وعيده من ربكم ، يقول : من عند ربكم ، لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يفتعلها أحد ، فتقولوا : لانأمن أن تكون لاصحة لها ، وإنما يعنى بذلك جلّ ثناؤه القرآن ، وهو الموعظة من الله . وقوله (وَشِفاءٌ لِمَا فِى الصدُورِ) يقول : ودواء لِما فى الصدور من الجهل ، يشفى به الله جهل الجهال ، فيبرئُ به داءهم ، ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به . (وَهُدًى) يقول : وهو بيان لحلال الله وحرامه ، ودليل على طاعته ومعصيته (وَرَحْمَةٌ) يرحم بها من شاء من خلقه ، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى ، وينجيه به من الهلاك والرّدَى ، وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به ، دون الكافرين به ، لأن من كفر به فهو عليه عمى ، وفى الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود فى لَظَى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ، فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين بك ، وبما أنزل إليك من عند ربك (بِفَضْلِ اللهِ) أيها الناس الذى تفضل به عليكم ، وهو الإسلام ، فبيّنه لكم ، ودعاكم إليه . (وَبِرَحْمَتِهِ) التى رحمكم بها ، فأنزلها إليكم ، فعلّمكم مالم تكونوا تعلمون من كتابه ، وبصركم بها معالم دينكم ، وذلك القرآن . (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يقول : فان الإسلام الذى دعاهم إليه ، والقرآن الذى أنزله عليهم ، خير مما يجمعون من حُطام الدنيا وأموالها وكنوزها .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبى سعيد الُخدرىّ ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بفضل الله : القرآن . وبرحمته : أن جعلكم من أهله .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فُضَيل ، عن منصور ، عن هلال بن يِساف (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بالإسلام الذى هداكم ، وبالقرآن الذى علمكم .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يِساف

(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بالإسلام والقرآن (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون) : من الذهب والفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضل الله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : الإسلام والقرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم وقبيصة ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، مثله.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أما فضله : فالإسلام ، وأما رحمته : فالقرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَبِرَحْمَتِهِ) قال : القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : الأموال وغيرها .

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنى أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) يقول : فضله : الإسلام ، ورحمته : القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : بكتاب الله وبالإسلام (هُو خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال آخرون : بل الفضل : القرآن ، والرحمة : الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا،هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) قال : بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : حين جعلهم من أهل القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، قال : فضل الله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) قال : بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : الإسلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) قال : كان أبى يقول : فضله : القرآن ، ورحمته : الإسلام .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار (فَلْيَفْرَحُوا) بالياء (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء أيضا ، على التأويل الذى تأوّلناه ، من أنه خبر عن أهل الشرك بالله ، يقول : فبالإسلام والقرآن الذى دعاهم إليه ، فليفرح هؤلاء المشركون ، لابالمال الذى يجمعون ، فإن الإسلام والقرآن خير من المال الذى يجمعون .

وكذلك حُدثت عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن أبى التَّيَّاح (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يعنى الكفار .

ورُوِى عن أبىّ بن كعب فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أسلم المِنْقَرِىّ ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبْزَى ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب أنه كان يقرأ (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ) بالتاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم عن الأجلح ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب مثل ذلك ، وكذلك كان الحسن البصرىّ يقول : غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) بالياء الأوّل على وجه الخطاب . والثانى على وجه الخبر عن الغائب ، وكان أبو جعفر القارئ فيما ذُكر عنه ، يقرأ ذلك نحو قراءة أبىّ بالتاء جميعا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك : ما عليه قرّاء الأمصار ، من قراءة الحرفين جميعا بالياء : (فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القرّاء عليه . والثانى : صحته فى العربية ، وذلك أن العرب لاتكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول ، افعل ولا تفعل .

وبعد : فإنى لاأعلم أحدا من أهل العربية إلا وهو يستردِئُ أمر المخاطب باللام ، ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفَرّاء ، فإنه كان يزعم أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له ، واجهت به أم لم تواجه ، إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجَه ، لكثرة الأمر خاصة فى كلامهم ، كما حذفوا التاء من الفعل ، قال : وأنت تعلم أن الجازم والناصب لايقعان إلا على الفعل الذى أوّله الياء والتاء ، والنون والألف ، فلما حُذفت التاء ذهبت اللام ، وأحدثت الألف فى قولك : اضرب وافرح ، لأن الفاء ساكنة ، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن ، فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء ، كما قالوا : ادّاركم واثّاقلتم . وهذا الذى اعتلّ به الفرّاء عليه لاله ، وذلك أن العرب إن كانت قد حذفت اللام فى المواجه وتركتها ، فليس لغيرها إذا نطق بكلامها ، أن يدخل فيه ما ليس منه ، ما دام متكلما بلغتها ، فإن فعل ذلك كان خارجا عن لغتها ، وكلام

الله الذى أنزله على محمد بلسانها ، فليس لأحد أن يتلوه إلا بالأفصح من كلامها ، وإن كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها ، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حيّ ولا قبيلة منها ، وإنما هو دعوى لاثبَت بها ولا حجة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَرَأَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ، قُلْ : ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ؟(٥٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المشركين (أرأيْتُمْ) أيها الناس (ما أنْزَلَ الله لكُمْ مِنْ رِزْقٍ) يقول : ما خلق الله لكم من الرزق فخوّلكموه ، وذلك ما تتغذّون به من الأطعمة (فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً) يقول : فحللتم بعض ذلك لأنفسكم ، وحرّمتم بعضه عليها ، وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرّمونه من حروثهم التى كانوا يجعلونها لأوثانهم ، كما وصفهم الله به ، فقال (وَجَعَلُوا لِلهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيباً ، فَقالُوا هَذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكائِنا) ، ومن الأنعام ما كانوا يحرّمونه بالتبحير والتسييب ، ونحو ذلك مما قدمناه فيما مضى من كتابنا هذا . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل) يا محمد (آللهُ أذِنَ لَكُمْ) بأن تحرّموا ما حرّمتم منه ، (أمْ على اللهِ تَفْتَرُونَ) : أى تقولون الباطل وتكذبون ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : إن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله (قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً) وهو هذا ، فأنزل الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أخْرَجَ لِعِبادِهِ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ) . . . إلى قوله (أمْ على اللهِ تَفْتَرُونَ) قال : هم أهل الشرك .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً) قال : الحرث والأنعام ؟

قال ابن جريج : قال مجاهد : البحائر والسيّب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً) قال : فى البَحيرة والسائبة .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ، فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً) . . . الآية ، يقول : كلّ رزق لم أحرم حرّمتموه على أنفسكم، من نسائكم وأموالكم وأولادكم، آللهُ أَذِنَ لَكُمْ فيما حرّمتم من ذلك، أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ ؟)

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ، (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ،فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً) فقرأ حتى بلغ (أَمْ على اللهِ تَفْتَرُونَ) ؟ وقرأ (وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) . وقرأ (وَقالُوا هَذِهِ أَنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ) . . . حتى بلغ (لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها)،فقال : هذا قوله : جعل لهم رزقا، فجعلوا منه حراما وحلالا ،وحرّموا بعضه ، وأحلّوا بعضه . وقرأ (ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ :مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ،وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ، أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ)؟أيّ هذين حرّم على هؤلاء الذين يقولون وأحلّ لهؤلاء؟ (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا) ؟ . . . إلى آخر الآيات .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ،فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً :) هو الذى قال الله : (وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأَنْعامِ نَصِيباً) . . . إلى قوله (ساءَ مايَحْكُمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره :وما ظنّ هؤلاء الذين يتخرّصون على الله الكذب فيُضيفون إليه تحريم ما لم يحرّمه عليهم من الأرزاق والأقوات التى جعلها الله لهم غذاء ، أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه ، أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟كلا، بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا.(إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ على النَّاس): يقول : إن الله لذو تفضل على خلقه،بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب ،بالعقوبة فى الدنيا، وإمهاله إياه إلى وروده عليه فى القيامة(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لايَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس لايشكرونه على تفضله عليهم بذلك ، وبغيره من سائر نعمه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ، وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ،وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ،إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ، وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ، وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا تَكُونُ) يا محمد (فِى شَأْنٍ) : يعنى فى عمل من الأعمال (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) يقول : وما تقرأ من كتاب الله من قرآن (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) يقول : ولا تعملون من عمل أيها الناس، من خير أو شر (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) يقول : إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم ، إذ تعملونها وتأخذون فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك رُوِى القول عن ابن عباس وجماعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) : يقول : إذ تفعلون .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تُشيعون فى القرآن الكذب .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيّب بن شريك ، عن أبى روق ، عن الضحاك (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول: فتشيعون فى القرآن من الكذب .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ تفيضون فى الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فى الحقّ ما كان .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه ، لأنه تعالى ذكره ، أخبر أنه لايعمل عباده عملا إلا كان شاهده ، ثم وصل ذلك بقوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) فكان معلوما أن قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) إنما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين، أنه له شاهد ، لاعن وقت تلاوة النبىّ صلى الله عليه وسلم القرآن ، لأن ذلك لوكان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت إفاضة القوم فى القرآن ، لكانت القراءة بالياء (إِذْ يُفِيضُونَ فِيهِ): خبرا منه عن المكذّبين فيه .

فإن قال قائل : ليس ذلك خبرا عن المكذّبين ، ولكن خطابٌ للنبىّ صلى الله عليه وسلم أنه شاهدُه إذْ تلا القرآن . فإن ذلك[1] لو كان كذلك لكان التنزيل : إذ تُفيض فيه ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم واحد لاجمع

(١) قوله « فإن ذلك » : هو ابتداء رد المؤلف على الاعتراض الذى قدمه .

كما قال (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) فأفرده بالخطاب . ولكن ذلك [١] فى ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالإفراد ، ثم عوده إلى إخراج الخطاب على الجمع ، نظير قوله : (يا أيها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) وذلك أن فى قوله (إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) دليلا واضحا على صرفه الخطاب إلى جماعة المسلمين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مع جماعة الناس غيره [٢] ، لأنه ابتدأ خطابه ، ثم صرف الخطاب إلى جماعة الناس ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم فيهم ، وخبرٌ عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملا إلا وهو له شاهد ، يحصى عليه ويعلمه ، كما قال (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) يا محمد عمل خلقه ، ولا يذهب عليه علم شىء حيث كان من أرض أو سماء ، وأصلُه من عزُوب الرجل عن أهله فى ماشيته ، وذلك غيبته عنهم فيها ، يقال منه : عزب الرجل عن أهله يعزُب ، ويعزِب ، لغتان فصيحتان ، قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، وبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب ، لاتفاق معنييهما ، واستفاضتهما فى منطق العرب ، غير أنى أميل إلى الضمّ فيه ، لأنه أغلب على المشهورين من القرّاء .

وقوله (مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) يعنى : من زنة نملة صغيرة . يُحكَى عن العرب : خذ هذا ، فإنه أخفّ مثقالا من ذاك : أى أخفّ وزنا ، والذَّرَّة : واحدة الذرّ ، والذرّ : صغار النمل ، وذلك خبر عن أنه لايخفى عليه جلّ جلاله أصغر الأشياء ، وإن خفّ فى الوزن كلّ الخفة ، ومقادير ذلك ومبلَغه ، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه ، وكم مبلغ ذلك ؟ يقول تعالى ذكره لخلقه : فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم ، فإنا شهود لأعمالكم ، لايخفى علينا شىء منها ، ونحن محصروها ومجازوكم بها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلا أَصْغَرَ مِنَ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ) فقرأ ذلك عامّة القرّاء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض ، عطفا بالأصغر على الذرّة ، وبالأكبر على الأصغر ، ثم فتحت راؤهما ، لأنهما لا يُجريان . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ) رفعا ، عطفا بذلك على معنى المثقال ، لأن معناه الرفع ، وذلك أن مِنْ لو ألقيت من الكلام ، لرفع المثقال ، وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرّة ، ولا أصغرُ من مثقالُ ذرّة ، ولا أكبرُ ، وذلك نحو قوله : (مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ) وغيرِ الله .

❊ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح ، على وجه الخفض ، والردّ على الذرّة ، لأن ذلك قراءة قرّاء الأمصار ، وعليه عوامّ القرّاء ، وهو أصحّ فى العربية مَخْرجا ، وإن كان للأخرى وجه معروف .

وقوله : (إلاَّ فِى كِتَابٍ) يقول : وما ذلك كله إلا فى كتاب عند الله ، مبينٍ عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه ، أنه لاشىء كان أو يكون ، إلا وقد أحصاه الله جلّ ثناؤه فيه ، وأنه لايعزب عن الله علم شىء من خلقه ، حيث كان من سمائه وأرضه .

(١) قوله « ولكن ذلك . . . الخ » : هو من استدراك المؤلف على ذلك الاعتراض المتقدم فى قوله « فإن قال قائل » .
(٢) قوله « مع جماعة الناس غيره » عبارة زائدة ، يستغنى عنها الكلام ، أو لعلها سقط منها شىء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يَعْزُبُ) يقول : لايغيب عنه .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) قال : ما يغيب عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ألا إن أنصار الله لاخوف عليهم فى الآخرة من عقاب الله ، لأن الله رضى عنهم ، فآمنهم من عقابه ، وَلا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا . والأولياء: جمع ولىّ ، وهو النصير . وقد بيّنّا ذلك بشواهده .

واختلف أهل التأويل فيمن يستحقّ هذا الاسم ، فقال بعضهم : هم قوم يُذكَرُ الله لرؤيتهم ، لما عليهم من سيما الخير والإخبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن أبى ليلى ، عن الحكم، عن مِقسَم، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يُذكر الله لرؤيتهم .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيّب ، عن أبى الضحى ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال : الذين يُذكر اللهُ لرؤيتهم .

قال : ثنا ابن مَهدىّ وعبيد الله ، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبى الضحى ، قال : سمعته يقول فى هذه الآية (ألاإنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) : قال: من الناس مفاتيح، إذا رءُوا ذُكر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبى، عن مسعر ، عن سهل بن الأسد، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، فقال « الَّذِينَ اذا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ » .

قال : ثنا زيد بن حباب ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى وائل ، عن عبد الله (ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) قال: الذين إذا رءوا ذُكِر الله لرؤيتهم .

قال : ثنا أبو يزيد الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا فرات ، عن أبي سعد ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله ، قال « هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل في قوله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . . . الآية ، قال : إن وليّ الله إذا رُؤي ذكر الله

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو هشام الرفاعيّ ، قال : ثنا أبو فضيل ، قال : ثنا أبي ، عن عُمارة ، ابن القعقاع الضبيّ ، عن أبي زُرعة ، عن عمرو بن جزة البجليّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ ، قيل : من هم يا رسول الله ، فلعلنا نحبهم ؟ قال : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فى اللهِ ، مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ ، على مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، وقرأ : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ ، قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا مَنْ هم ؟ وما أعمالهم ؟ فإنا نحبهم لذلك ، قال : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ ، بِرُوحِ اللهِ ، على غير أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، وقرأ هذه الآية (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) » .

حدثنا الحسن بن نصر الخولانيّ ، قال : ثنا يحيى بن حسّان ، قال : ثنا عبد الحميد بن بَهرام ، قال : ثنا شَهر بن حَوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي مالك الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَأْتِي مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ ، قَوْمٌ لَمْ يَتَّصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ ، تَحَابُّوا فِي اللهِ ، وَتَصَافَوْا فِي اللهِ ، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا ، يَفْزَعُ النَّاسُ فَلَا يَفْزَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : الوليّ : أعني وليّ الله : هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها ، وهو الذى آمن واتقى ، كما قال الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان ابن زيد يقول : حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) مَنْ هم يا ربّ ؟ قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) قال : أبى أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : الذين صدّقوا الله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ، وكانوا يتقون الله، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا) : من نعت الأولياء . ومعنى الكلام : ألا إن أولياء الله: الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

فإن قال قائل : فإذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك، أفى موضع رفع الذين آمنوا ، أم فى موضع نصب ؟ قيل: فى موضع رفع ، وإنما كان كذلك ، وإن كان من نعت الأولياء، لمجيئه بعد خبر الأولياء، والعرب كذلك تفعل خاصة فى إنّ، إذا جاء نعت الاسم الذى عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه، فقالوا : إن أخاك قائم الظريف ، كما قال الله (قُلْ إنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بالحَقِّ، عَلاَّمُ الغُيُوبِ) وكما قال (إنَّ ذلكَ لَحَقٌّ ، تَخاصُمُ أهْلِ النَّارِ) .

وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك ، مع أن إجماع جميعهم على أن ماقلناه هو الصحيح من كلام العرب ، وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .

ثم اختلف أهل التأويل فى البُشْرَى التى بشّر الله بها هؤلاء القوم: ما هى، وما صفتها ؟ فقال بعضهم : هى الرؤية الصالحة ، يراها الرجل المسلم ، أو ترى له ، وفى الآخرة : الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان ، عن شيخ ، عن أبى الدرداء، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: (لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ، يَرَاها المُؤْمِنُ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : أخبرنا الأوزاعىّ ، قال : أخبرنى يحيى بن أبى كثير، قال : ثنى أبوسلمة بن عبد الرحمن ، قال : « سأل عُبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن هذه الآية: (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ سألْتَنِى عَنْ شَىْءٍ ما سألَنِى عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ ، أو قال : غَيْرَكَ ، قال : هِىَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها الرَّجُلُ الصالِحُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوداود عمن ذكره ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن ، عن عُبادة بن الصامت ، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَراها المُسْلِمُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا أبو قِلابة ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا أبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سَلَمة ، عن عُبادة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى وأبوعثمان بن عمر ، قالا : ثنا علىّ بن يحيى ، عن أبى سلمة ، قال : « نُبِّئت أن عُبادة ابن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) فقال : سأَلْتَنِى عَنْ شَىْءٍ ما سأَلَنِى عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ ، هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَراها الرَّجُلُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبى الدرداء (لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) قال : « سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية ، فقال : لقد سألتنى عن شىء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَراها الرَّجُلُ المُسْلِمُ ، أوْ تُرَى لَهُ ، بُشْراهُ فِى الحَياةِ الدُّنْيا ، وبُشْراهُ فِى الآخِرَةِ الجَنَّةُ » .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن عطاء ابن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : « سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) فقال : ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك ، إلا رجلا واحدا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سأَلَنِى عَنْها أحَدٌ مُنْذُ أنْزَلَها اللهُ غيرَكَ إلاَّ رَجُلاً واحِدًا ، هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَراها المُسْلِمُ ، أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع عطاء بن يسار ، يخبر عن رجل من أهل مصر ، أنه سأل أبا الدرداء عن (لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) ، ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السَّكُونى ، عن عثمان بن سعيد .

حدثنى أبو حميد الحمصىّ أحمد بن المغيرة ، قال : ثنى يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عمر بن عمرو بن عبد الأُحموشىّ ، عن حميد بن عبد الله المُزَنىّ ، قال : « أتى رجل عُبادة بن الصامت ، فقال آية فى كتاب الله أسألك عنها ، قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ) فقال عُبادة : ما سألنى عنها أحد قبلك ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مثل ذلك : ما سأَلَنِى عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَراها العَبْدُ المُؤْمِنُ فِى المَنامِ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيا الحَسَنَةُ هِيَ البُشْرَى ، يَرَاها المُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، قال : قال أبو هريرة : « الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهى المبشّرات » .

حدثنا محمد بن حاتم المؤدّب ، قال : ثنا عمار بن محمد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « (لَهُمُ البُشْرَى في الحَياةِ الدُّنْيا) : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها العَبْدُ الصَّالِحُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ فِي الآخِرَةِ : الجَنَّةُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي الشيخ ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال « (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدُّنْيا) : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يُبَشَّرُ بِها العَبْدُ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عُبادة بن الصامت « أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقد عرفنا بُشْرَى الآخرة ، ا بشرى الدنيا ؟ قال : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها العَبْدُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءًا ، أَوْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ » .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدُّنْيا ، فقال : لَقَدْ سأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها المُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وفِي الآخِرَةِ : الجَنَّةُ » .

حدثنا أحمد بن حماد الدولابي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع ابن ثابت ، عن أم كرز الكعبية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ ، وبَقِيَتِ المُبَشِّرَاتُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن رجل ، عن أبي الدرداء ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدُّنْيا) قال : « الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وفِي الآخِرَةِ : الجَنَّةُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل كان بمصر ، قال : « سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال أبو الدرداء : ماسألنى عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما سأَلَنِي عَنْها أَحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها المُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ، وفى الآخِرَةِ : الجَنَّةُ » .

قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء، قال : « سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : ما سألنى عنها أحَدٌ غيرُكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ،عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء في قوله « (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألنى عنها أحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ، يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ ، وفِي الآخِرَةِ ، الجَنَّةُ » .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح ، قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، قال : « سألت أبا الدرداء عن هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : ما سألنى عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألَنى عَنْها أحَدٌ مُنْذُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ إلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها الرَّجُلُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا عبد الله بكر السهمي ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلا من أهل مصر فقيها، قدم عليهم في بعض تلك المواسم ، قال : « قلت : ألا تخبرنى عن قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : سألت عنها أبا الدرداء ، فأخبرنى أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هِيَ الرُّؤْيا الحَسَنَةُ ، يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا أبي ، عن عليّ بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة ابن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فى الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : « هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم وأبو الوليد الطيالسى ، قالا : ثنا أبان ، قال : ثنا يحيى ، عن أبي سلمة، عن عبادة بن الصامت ، قال : « قلت : يا رسول الله ، قال الله تعالى : (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال : لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ ، أوْ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، قالَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها الرَّجُلُ الصَّالِحُ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، قال : « سمعت أبا الدرداء، وسئل عن (الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : ما سألنى عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جبير ، عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، في قوله (لَهُمُ البُشْرَى فى الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : « هِيَ الرُّؤْيا الحَسَنَةُ ، يَرَاها الإنْسانُ أوْ تُرَى لَهُ » .

وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار ، عن أبي الدرداء ، أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء ، قال : سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ »

وقال ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : هى الرؤيا يراها الرجل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : هى الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو ترى له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح .

قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له .

قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن طلحة القناد ، عن جعفر بن أبي المُغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه .

قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كانوا يقولون : الرؤيا من المبشّرات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد « أن رجلا سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما سأَلَنِي عَنْها أحَدٌ مِنْ أُمَّتِي مُنْذُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ قَبْلَكَ ، قال : هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ أوْ تُرَى لَهُ » .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هُشيم ، عن العوّام ، عن إبراهيم التيميّ ، أن ابن مسعود قال : ذهبت النبوّة ، وبقيت المبشّرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل أو ترُى له .

قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) فهو قوله لنبيه (وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بأنَّ لَهُمْ من الله فَضْلاً كَبِيراً) قال : هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تُرى له .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لَهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن عطاء ، فى قوله (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى رؤيا الرجل المسلم يُبشّر بها فى حياته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن درّاجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) : « الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يُبَشَّرُ بِها المُؤْمِنُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن هشام ، عن أبيه فى هذه الآية (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدنْيا وفِي الآخِرَةِ) قال : هى الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل أو تُرى له .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا حميد بن عبد الله « أن رجلا

سأل عُبادة بن الصامت ، عن قول الله تعالى (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ) فقال عبادة : لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحد قبلك ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتنى ، فقال لى : يا عبادَةُ لَقَدْ سألْتَنِى عَنْ أمْرٍ ما سألَنِى عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِى ، تِلْكَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ ، يَرَاها المُؤْمِنُ لِنَفْسِهِ أوْ تُرَى لَهُ » .

وقال آخرون : هى بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، وقتادة (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : هى البشارة عند الموت فى الحياة الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى ، عن أبى بسطام ، عن الضحاك (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : يعلم أين هو قبل الموت .

وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى فى الحياة الدنيا ، ومن البشارة فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له . منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المَلائِكَةَ الَّتِى تَحْضُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، تَقُولُ لِنَفْسِهِ : اخْرُجِى إلى رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ » ، ومنها : بشرى الله إياه ما وعده فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل ، كما قال جلّ ثناؤه (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهار) . . . الآية ، وكلّ هذه المعانى من بشرى الله إياه فى الحياة الدنيا ، بشره بها ، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ، فذلك مما عمه جلّ ثناؤه أن (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) وأما فى الآخرة فالجنة .

وأما قوله (لاتَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ) فإن معناه : أن الله لاخلف لوعده ، ولا تغيير لقوله عما قال ، ولكنه يمضى لخلقه مواعيده ، وينجزها لهم .

وقد حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة عن أيوب ، عن نافع ، قال : أطال الحجاج الخطبة ، فوضع ابن عمر رأسه فى حجرى ، فقال الحجاج : إن ابن الزبير بدّل كتاب الله ، فقعد ابن عمر فقال : لاتستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير (لاتَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ) فقال الحجاج : لقد أوتيتَ عِلْماً أنْ تفعل[1] ، قال أيوب : فلما أقبل عليه فى خاصة نفسه سكت .

وقوله (ذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول تعالى ذكره : هذه البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة هى الفوز العظيم ، يعنى الظفر بالحاجة والطَّلِبة والنجاة من النار .

---

(١) قوله « أن تفعل » كذا المخطوطة رقم ١٠٠ بدار الكتب : ولكن الكلمة عارية عن النقط .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لايحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين فى ربهم ما يقولون ، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام ، فإن العزّة لله جميعا ، يقول تعالى ذكره : فإن الله هو المنفرد بعزّة الدنيا والآخرة ، لاشريك له فيها ، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون ، فلاينصرهم عند انتقامه منهم أحد ، لأنه لايُعازُّه شىء (وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) يقول : وهو ذو السمع لما يقولون، من الفرية والكذب عليه ، وذوعلم بما يضمرونه فى أنفسهم ويعلنونه، مُحْصٍ ذلك عليهم كله ، وهو لهم بالمرصاد . وكسرت « إن » من قوله (إنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً) لأن ذلك خبر من الله مبتدأ ، ولم يعمل فيها القول ، لأن القول عُنِى به قول المشركين ، وقوله (إنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً) لم يكن من قِيل المشركين ، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره (ألا إنَّ لِلّهِ) يا محمد كلَّ (مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ) مِلْكا وعبيدا لامالك لشىء من ذلك سواه ، يقول : فكيف يكون إلها معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام ، وهى لله مِلْك ؟ وإنما العبادة للمالك دون المملوك، وللربّ دون المربوب (وَمايَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكاءَ) يقول جلّ ثناؤه : وأىّ شىء يتبع من يدعو من دون الله ، يعنى غير الله وسواه شركاء . ومعنى الكلام: أىّ شىء يتبع من يقول: لله شركاءُ فى سلطانه وملكه كاذبا ؟ والله المنفرد بملك كلّ شىء فى سماء كان أو أرض . (إنْ يَتَّبِعُونَ إلاّ الظَّنَّ) يقول : ما يتبعون فى قيلهم ذلك ودعواهم إلا الظنّ ، يقول : إلا الشكّ لااليقين. (وَإنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ) يقول: وإن هم إلا يتقوّلون الباطل ، تظننا وتخرّصا للإفك ، عن غير علم منهم بما يقولون .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : إن ربكم أيها الناس الذى استوجب عليكم العبادة (هُوَ) الربّ (الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ)،وفصله من النهار (لِتَسْكُنُوا فِيهِ)مما كنتم فيه فى نهاركم من التعب والنصب ، وتهدءوا

فيه من التصرّف والحركة للمعاش ، والعناء الذى كنتم فيه بالنهار (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرا ، فأضاف الإبصار إلى النهار ، وإنما يُبْصَر فيه ، وليس النهار مما يُبْصِر ، ولكن كان مفهوما فى كلام العرب معناه ، خاطبهم بما فى لغتهم وكلامهم ، وذلك كما قال جرير :

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فِى السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنائِمِ [١]

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به ، ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره ، يقول تعالى ذكره : فهذا الذى يفعل ذلك هو ربكم الذى خلقكم وما تعبدون ، لاما لاينفع ولا يضرّ ، ولا يفعل شيئا .

وقوله (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى اختلاف حال الليل والنهار ، وحال أهلهما فيهما دلالة وحججا على أن الذى له العبادة خالصا بغير شريك ، هو الذى خلق الليل والنهار ، وخالف بينهما ، بأن جعل هذا للخلق سكنا ، وهذا لهم معاشا ، دون من لا يخلق ولايفعل شيئا ، ولايضرّ ولا ينفع ، وقال (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) لأن المراد منه : الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها ، فيعتبرون بها ويتعظون ، ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ، ثم يُعرضون عن عبره وعظاته .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، هُوَ الْغَنِىُّ ، لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ، إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨)

❊ يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا ، وذلك قولهم : الملائكة بنات الله ، يقول الله منزّها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك : سبحان الله، تنزيها لله عما قالوا وادّعوا على ربهم . (هُوَ الْغَنِىُّ) يقول : الله غنىّ عن خلقه جميعا ، فلا حاجة به إلى ولد ، لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عونا له فى حياته ، وذكرا له بعد وفاته ، والله عن كلّ ذلك غنىّ ، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد ، فيكون به حاجة إلى خلف بعده (لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: لله ما فى السموات وما فى الأرض ملكا ، والملائكة عباده وملكه ، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا ؟ يقول : أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون ؟ (إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) يقول : ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهى السلطان (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ) قولا لاتعلمون حقيقته وصحته ، وتضيفون إليه مالايجوز إضافته إليه جهلا منكم بغير حجة ولا برهان ؟

---

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥٤) . وأم غيلان ابنة جرير . والسرى : سيرهم بالليل ، وقوله : « ما ليل المطى بنائم » : أسند النوم إلى الليل إسنادا مجازيا عقليا ، وأراد أنه نفسه لا ينام فى ليل السرى ، والإسناد هنا إلى ظرف الزمان وهو الليل ، لأن النوم يقع فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ . (٦٩) مَتَاعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ، ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهم (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ) ، فيقولون عليه الباطل ، ويدعون له ولدا ، (لا يُفْلِحُونَ) يقول : لايبقون فى الدنيا ، ولكن لهم (مَتاعٌ فِي الدُّنيا) يمتّعون به ، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذى كتب فناؤهم فيه . (ثُمَّ إلَيْنا مَرْجِعُهُمْ) يقول : ثم إذا انقضى أجلهم الذى كتب لهم ، إلينا مصيرهم ومنقلبهم (ثُمَّ نُذِيقُهُم العَذابَ الشَّدِيدَ) وذلك إصلاؤهم جهنم (بِمَا كانُوا يَكْفُرُونَ) بالله فى الدنيا ، فيكذّبون رسله ، ويجحدون آياته ، ورفع قوله (متاعٌ) بمضمر قبله إما ذلك ، وإما هذا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ، فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ، ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا : اتخذ الله ولدا من قومك (نَبَأَ نُوحٍ) يقول : خبر نوح (إذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِى) يقول : إن كان عظم عليكم مقامى بين أظهركم ، وشقّ عليكم (وَتَذْكِيرِى بِآياتِ اللهِ) يقول : ووعظى إياكم بحجج الله ، وتنبيهى إياكم على ذلك (فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إن كان شقّ عليكم مقامى بين أظهركم ، وتذكيرى بآيات الله ، فعزمتم على قتلى أو طردى من بين أظهركم ، فعلى الله اتكالى ، وبه ثقتى ، وهو سندى وظهرى . (فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ) يقول : فأعدّوا أمركم ، واعزموا على ما تقدمون عليه فى أمرى ، يقال منه : أجمعت على كذا ، بمعنى : عزمت عليه ، ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يُجْمِعْ على الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلا صَوْمَ لَهُ » بمعنى : من لم يعزم ، ومنه قول الشاعر :

يا لَيْتَ شِعْرِى والمُنَى لاتَنْفَعُ 		هَلْ أغْدُوَنْ يَوْماً وأمْرِى مُجْمَعُ [1]

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (١٣٨ مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) وأورده صاحب اللسان فى (جمع) . قال : وجمع أمره ، وأجمعه ، وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له . والأمر مجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرا : وقوله تعالى « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » أى وادعو شركاءكم ، قال : كذلك هى فى قراءة عبد الله (يريد عبد الله بن عامر مقرئ =

وروى عن الأعرج فى ذلك ما حدثنى بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) يقول: أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم، ونصب قوله: وشركاءكم بفعل مضمر له ، وذلك : وادعوا شركاءكم ، وعطف بالشركاء على قوله (أَمْرَكُمْ) على نحو قول الشاعر :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا[٢]

فالرمح لا يتقلد ، ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف، فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف ، فكذلك ذلك فى قوله (وَشُرَكَاءَكُمْ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار (وَشُرَكَاءَكُمْ) نصبا. وقوله (فَأَجْمِعُوا) بهمز الألف وفتحها ، من أجمعت أمرى فأنا أجمعه إجماعا ؛ وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه (فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ) بفتح الألف وهمزها (وَشُرَكَاؤُكُمْ) بالرفع على معنى : وأجمعوا أمركم ، وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم .

والصواب من القول فى ذلك : قراءة من قرأ (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) بفتح الألف من أجمعوا ، ونصب الشركاء ، لأنها فى المصحف بغير واو ، ولإجماع الحجة على القراءة بها ، ورفض ما خالفها ، ولا يعترض عليها بمن يجوّز عليه الخطأ والسهو ، وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم .

وقوله (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) يقول : ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم : غمّ على الناس الهلال ، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبيّنوه ، ومنه قول رؤبة :

أهل الشام) لأنه لا يقال : أجمعت شركائى إنما يقال : جمعت قال الشاعر :

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحا

أراد : وحاملا رمحا . وقال الفراء : الإجماع الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصبت الشركاء بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم ، وادعوا شهداءكم . قال أبو إسحاق (يعنى إبراهيم بن السرى الزجاج من نحاة البصريين توفى سنة ٣١١ هـ) : الذى قاله الفراء غلط ، فى إضماره : « وادعوا شركاءكم » لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم . قال : وإذا كان الدعاء لغير شىء (أى لأن الأصنام لا تعقل الدعاء) فلا فائدة فيه . قال : والواو بمعنى مع ، كقولك (لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها) . المعنى : لو تركت الناقة مع فصيلها . قال : ومن قرأ : (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال ويجوز : فاجمعوا أمركم مع شركائكم . وقال الفراء فى معانى القرآن وقد قرأها الحسن (يعنى ابن أبى الحسن البصرى) : وشركاؤكم ، بالرفع ، وإنما الشركاء ههنا آلهتهم . كأنه أراد أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم . قال : ولست أشتهيه ، لخلافه للكتاب . ولأن المعنى فيه ضعيف ، لأن الآلهة لا تعمل ولا تجمع .

(٢) هذا البيت تكرر الاستشهاد به فى هذا التفسير (انظره فى ٣ : ٢٧٥ ، ٧ : ٢٩٤) والرمح لا يتقلد ، وإنما يتقلد السيف ، فلا يكون الرمح معطوفا على سيفا ، ولا مفعولا معه . وقد روا أنه منصوب بمضمر ، أى وحاملا رمحا . وقال محمد بن يزيد المبرد (كما فى تفسير القرطبى ٨ : ٣٦٣) : هو معطوف على المعنى ، والرمح لا يتقلد إلا أنه محمول كالسيف . فمذهب المبرد إذن هو تأويل لفظ متقلدا بلفظ يصلح تسليطه على كل من المعطوف والمعطوف عليه ، مثل لفظة « حاملا » ، وتكون الواو إذن عاطفة .

بَلْ لَوْ شَهِدْتَ النَّاسَ إِذْ تُكُمُّوا　　بِغُمَّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا[١]

وقيل : إن ذلك من الغمّ ، لأن الصدر يضيق به ، ولا يتبين صاحبه لأمره مصدرا يصدره ، يتفرج عنه ما بقلبه ، ومنه قول الخنساء :

وذِى كُرْبَةٍ رَاخَى ابنُ عَمْرٍو خِناقَهُ　　وغُمَّتَــهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ[٢]

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) قالا : لايكبر عليكم أمركم .

وأما قوله (ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ) فإن معناه : ثم امضوا إلىّ ما فى أنفسكم ، وافرغوا منه .

كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) قال : اقضوا إلىّ ما كنتم قاضين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) قال : اقضو إلىّ ما فى أنفسكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله (ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ) فقال بعضهم : معناه : امضوا إلىّ ، كما يقال : قد قضى فلان : يراد : قد مات ومضى .

وقال آخرون منهم : بل معناه : ثم افرغوا إلىّ ، وقالوا : القضاء : الفراغ ، والقضاء من ذلك ، قالوا : وكأن قضى دينه من ذلك : إنما هو فرغ منه . وقد حُكى عن بعض القرّاء أنه قرأ ذلك(ثُمَّ أَفْضُوا إِلَىَّ) بمعنى : توجهوا إلىّ ، حتى تصلوا إلىّ ، من قولهم : قد أفضى إلىّ الوجع وشبهه . وقوله (وَلَاتُنْظِرُونِ) يقول : ولا تؤخرون ، من قول القائل : أنظرت فلانا بما لى عليه من الدين ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه : إنه بنصرة الله له عليهم واثق ، ومن كيدهم وتواثقهم غير خائف ، وإعلام منه لهم أن آلهتهم لاتضرّ ولا تنفع ، يقول لهم : امضوا ما تحدّثون أنفسكم به فىّ على عزم منكم صحيح ، واستعينوا من شايعكم علىّ بآلهتكم التى تدعون من دون الله ، ولا تؤخروا ذلك ، فإنى قد توكلت على الله ، وأنا به واثق أنكم لا تضرّونى إلا أن يشاء ربى ، وهذا وإن كان خبرا من الله تعالى عن نوح ، فإنه حثّ من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به ، وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من الرسالة والبلاغ عنه .

(١) البيتان فى ديوان العجاج طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص٦٣ (وهما مطلع أرجوزة له يذكر مسعود بن عمرو العتكى من الأزد) . ونسبه له القرطبى فى تفسيره ، وابن منظور فى اللسان (كم) قال : وكم الفصيل : إذا أشفق عليه ، فستر حتى يقوى ، قال العجاج : « بل لو شهدت » . . . البيت . . وبين بيتى الشاهد بيت : وهو « بقدر حم لهم حواء » . والغم والغمة : الكرب . وتكموا : أى غطوا بالغم . وحم لهم : قدر .

(٢) الكربة : الغم الذى يأخذ بالنفس . راخى : وسع . وابن عمرو : تريد أخاها صخر بن عمرو بن الشريد السلمى . وخناقه : الحبل الذى يوضع فى الرقبة للخنق . تريد كم مكروب أخذ الغم بمخنقه وكاد يقتله ، نفس أخى عنه كربته وغمه بجوده ، حتى انقشع عنه ما ألم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه : فإن توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى إياكم ، وتبليغ رسالة ربى إليكم ، مدبرين ، فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحقّ ، والإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة فى عبادته ، فتضييع منكم وتفريط فى واجب حقّ الله عليكم ، لابسبب من قِبَلى ، فإنى لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرا ؛ ولا عوضا اعتاضه منكم ، بإجابتكم إياى إلى ما دعوتكم إليه من الحقّ والهُدى ، ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء . (إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ على الله) يقول جلّ ثناؤه : إن جزائى وأجر عملى وثوابه إلا على ربى لاعليكم أيها القوم ، ولا على غيركم . (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ) : وأمرنى ربى أن أكون من المذعنين له بالطاعة ، المنقادين لأمره ونهيه ، المتذللين له ، ومن أجل ذلك أدعوكم إليه ، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ ، وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ ، وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ، وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ؟ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : فكذّب نوحا قومُه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى ، فنجيناه ومن معه ، ممن حَمل معه فى الفلك ، يعنى فى السفينة ، وجعلناهم خلائف ؛ يقول : وجعلنا الذين نجينا مع نوح فى السفينة خلائف فى الأرض من قومه الذين كذّبوه ، بعد أن أغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا ، يعنى حُجَجنا وأدلتنا على توحيدنا ، ورسالة رسولنا نوح ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين ، وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله ، على تكذيبهم إياه ، وعبادتهم الأصنام ، يقول له جلّ ثناؤه : انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم ، فإن عاقبة من كذّبك من قومك ، أن تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذّبوه ؛ يقول جلّ ثناؤه : فليحذروا أن يحلّ بهم مثل الذى حلّ بهم إن لم يتوبوا .

القول فى تأويل قوله

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤)

❊ يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلا إلى قومهم ، فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، وأن ما يدعونهم إليه حقّ ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل ، يقول : فما كانوا ليصدّقوا بما جاءتهم به رسلهم ، بما كذّب به قوم نوح ومَن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم . (كذلكَ نَطْبَعُ على قُلُوبِ المُعْتَدِينَ) . يقول تعالى ذكره : كما طبعنا على قلوب أولئك ، فختمنا عليها ، فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ، ولا يستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم ، بما اجترموا من الذنوب ، واكتسبوا من الآثام ، كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه ، فتجاوز ما أمره به من توحيده ، وخالف مادعاهم إليه رسلهم من طاعته ، عقوبة لهم على معصيتهم ربهم ، من هؤلاء الآخرين من بعدهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِآيَتِنَا ، فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥)

❊ يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل ، الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم ، موسى وهارون ابنى عمران ، إلى فرعون مصر . (وملئه) : يعنى وأشراف قومه وسادتهم . (بآياتنا) : يقول : بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه ، من الإذعان لله بالعبودة ، والإقرار لهما بالرسالة . (فاستكبروا) : يقول : فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون . (وكانوا قوماً مجرمينَ) : يعنى آثمين بربهم ، بكفرهم بالله تعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا : إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ . (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ : أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا ؟ وَلَا يُفْلِحُ السَّٰحِرُونَ (٧٧)

❊ يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا جاءَهُم الحَقُّ مِنْ عِنْدِنا) يعنى : فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون ، وذلك الحجج التى جاءهم بها ، وهى الحقّ الذى جاءهم من عند الله (قالُوا إنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مبينٌ) يعنون : أنه يبين لمن رآه وعاينه ، أنه سحر لاحقيقة له . (قال مُوسَى) لهم : (أتَقُولُونَ للحَقِّ لمَّا جاءَكُمْ) من عند الله : (أسِحْرٌ هَذَا ؟) .

واختلف أهل العربية فى سبب دخول ألف الاستفهام فى قوله (أسِحْرٌ هَذَا ؟) ، فقال بعض نحويّ البصرة : أدخلت فيه على الحكاية لقولهم ، لأنهم قالوا : أسحر هذا ؟ فقال : أتقولون : أسحر هذا ؟

وقال بعض نحويّ الكوفة : إنهم قالوا : هذا سحر ، ولم يقولوه بالألف ، لأن أكثر ما جاء بغير ألف ، قال : فيقال : فلم أدخلت الألف ؟ فيقال : قد يجوز أن تكون من قيلهم : وهم يعلمون أنه سحر ، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته : أحقّ هذا ؟ وقد علم أنه حقّ . قال : وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ، ما أعظمه !

❊ وأولى ذلك فى هذا بالصواب عندى: أن يكون المقول محذوفا ، ويكون قوله (أَسِحْرٌ هَذَا) من قيل موسى منكرا على فرعون وملئه، قولهم للحقّ لما جاءهم: سحر ، فيكون تأويل الكلام حينئذ ، قال موسى لهم (أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) وهى الآيات التى أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه، سحر ، أسحر هذا الحقّ الذى ترونه ؟ فيكون السحر الأول محذوفا ، اكتفاء بدلالة قول موسى (أَسِحْرٌ هَذَا ؟) على أنه مراد فى الكلام ، كما قال ذو الرُّمَّة :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ   لَهُ مِنْ خَذَا آذَانِهَا وَهُوَ جَانِحُ[1]

يريد : أو حين أقبل ، ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، وكما قال جلّ ثناؤه (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) والمعنى : بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، فى أشباه لما ذكرنا كثيرة ، يتعب إحصاؤها . وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) يقول : ولا ينجح الساحرون ولا يبقون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا : أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِى الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

❊ يقول تعالى ذكره: قال فرعون وملؤه لموسى : (أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) يقول :لتصرفنا وتلوينا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من قبل مجيئك من الدين؛ يقال منه: لفت فلان عنق فلان إذا لواها ، كما قال ذو الرمّة :

لَفْتًا وَتَهْزِيعًا سَوَاءَ اللَّفْتِ

التهزيع : الدّق ، واللفت : اللىّ .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَلْفِتَنَا) قال : لتلوينا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) .

وقوله (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِى الْأَرْضِ) يعنى :العظمة،وهى الفِعْلياء من الكبر . ومنه قول ابن الرقاع :

سُؤْدُدًا غيرَ فاحِشٍ لا يُدَانِيهِ تَجَبَّارُهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ[2]

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة . وقوله: لبسن الليل : أدخلن فيه . وخذا آذانها: استرخاؤها . والأخذى: المسترخى الأذن . وجانح: يعنى الليل

(٢) السؤدد : السيادة والرياسة والشرف . وغير فاحش : أى لايبغى معه ولا تجبر ، ولا يخالطه كبرياء . والتجبار : مصدر بمعنى الجبر والقهر . والكبرياء : بوزن فعلياء : العظمة إذا كانت وصفا لله . وإذا وصف بها المخلوقون ، فهى التكبر والاستعلاء على الناس ،مع التجبر والقهر والإذلال والظلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ) قال : الملك .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ) قال : السلطان فى الأرض .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد ، قال : الملك فى الأرض .

قال: ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ) قال : الطاعة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ) قال : الملك .

قال : ثنا إسحاق : قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : السلطان فى الأرض .

وهذه الأقوال كلها متقاربات المعانى ، وذلك أن الملك سلطان ، والطاعة ملك ، غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت فى كلام العرب ، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك . وقوله (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) يقول : وما نحن لكما ياموسى وهارون بمؤمنين، يعنى بمقرّين بأنكما رسولان أُرسلتما إلينا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ : أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠)

﴿ يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لقومه : ائتونى بكلّ من يسحر من السحرة ، عليم بالسحر ؛ فلما جاء السحرةُ فرعون ، قال موسى : ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعِصيِّكم . وفى الكلام محذوف قد ترك ، وهو : فأتَوْه بالسحرة ، فلما جاء السحرة ، ولكن اكتفى بدلالة قوله (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ) على ذلك ، فترك ذكره ، وكذلك بعد قوله(أَلْقُوا ما أنتُمْ مُلْقُونَ) محذوف أيضا، قد ترك ذكره ، وهو فألقَوا حبالهم وعصيهم ، فلما ألقوا قال موسى ؛ ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه، فترك ذكره .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ، إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)

﴿ يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا أَلْقَوْا) ما هم ملقوه (قَالَ) لهم (مُوسَى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) على وجه الخبر من موسى ، عن الذى جاءت به سحرة فرعون أنه سحر ، كأن معنى الكلام على تأويلهم ، قال موسى : الذى جئتم به أيها السحرة هو السحر ، وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين (ما جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ) على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به ، أسحر هو ، أم غيره ؟

❊ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه على وجه الخبر ، لا على الاستفهام ، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكًّا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لاحقيقة له ، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه ، أىّ شىء هو ؟ وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة أنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحقّ الذى كان الله آتاه ، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدّقونه فى الخبر عما جاءوا به من الباطل ، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءو به من ذلك بالحقّ الذى أتاه ، ومبطل كيدهم بجدّه ، وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخرى .

فإن قال قائل : فما وجه دخول الألف واللام فى السحر ، إن كان الأمر على ما وصفت ؟ وأنت تعلم أن كلام العرب فى نظير هذا أن يقولوا : ما جاءنى به عمرو درهم ، والذى أعطانى أخوك دينار ، ولا يكادون أن يقولوا : الذى أعطانى أخوك الدرهم ، وما جاءنى به عمرو الدينار ؟ قيل له : بلى كلام العرب إدخال الألف واللام فى خبر ما والذى ، إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطَب والمخاطِب ، بل لايجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام ، لأن الخبر حينئذ خبر عن شىء بعينه معروف عند الفريقين ، وإنما يأتى ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شىء بعينه ، فحينئذ لاتدخل الألف واللام فى الخبر ، وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة ، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التى جعلها الله علَمًا له على صدقه ونبوّته إلى أنه سحر ، فقال لهم موسى : السحر الذى وصفتم به ماجئتكم به من الآيات ، أيها السحرة ، هو الذى جئتم به أنتم ، لا ما جئتكم به أنا ؛ ثم أخبرهم أن الله سيبطله ، فقال (إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ) يقول : سيذهب به ، فذهب به تعالى ذكره ، بأن سلط عليه عصا موسى ، قد حوّلها ثعبانا يتلقفه ، حتى لم يبق منه شىء (إِنَّ اللهَ لايُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ) يعنى : أنه لايصلح عمل من سعى فى أرض الله بما يكرهه ، وعمِل فيها بمعاصيه ، وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب : ما أتيتم به سحر . وفى قراءة ابن مسعود : ما جئتم به سحر ، وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨٢)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى ، أنه قال للسحرة : (وَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ) يقول : ويثبت الله الحقّ

الذى جئتكم به من عنده ، فيعليه على باطلكم ، ويصححه بكلماته ، يعنى بأمره (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) يعنى الذين اكتسبوا الإثم بربهم بمعصيتهم إياه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)

❊ يقول تعالى ذكره: فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة، إلا ذرية من قومه ، خائفين من فرعون وملئهم .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الذرّية فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذرية فى هذا الموضع : القليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) قال : كان ابن عباس يقول : الذرية : القليل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) الذرّيّة : القليل ، كما قال الله تعالى (كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) .

وقال آخرون: معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بنى إسرائيل، لطول الزمان، لأن الآباء ماتوا وبقى الأبناء ، فقيل لهم ذرّية، لأنهم كانوا ذرية من هلك، ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال: ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) قال : أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) قال : أبناء أولئك الذين أرسل إليهم ، فطال عليهم الزمان ، وماتت آباؤهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرّية من قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) قال : كانت الذرّية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير ، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه ؛

وقد رُوي عن ابن عباس خبر يدلّ على خلاف هذا القول ، وذلك ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) يقول : بني إسرائيل ، فهذا الخبر ينبئ عنه أنه كان يرى أن الذرّية في هذا الموضع هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون .

وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية : القول الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل ، فهلكوا قبل أن يقرّوا بنبوته ، لطول الزمان ، فأدركت ذرّيتهم ، فآمن منهم من ذكر الله بموسى .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب في ذلك ، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى ، فلأن تكون الهاء في قوله من قومه ، من ذكر موسى ، لقربها من ذكره ، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبُعد ذكره منها ، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر .

وبعد : فإن في قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) الدليل الواضح على أن الهاء في قوله (إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) من ذكر موسى ، لا من ذكر فرعون ، لأنها لو كانت من ذكر فرعون ، لكان الكلام على خوف منه ، ولم يكن على خوف من فرعون .

وأما قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ) فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرّية قوم موسى بموسى .

فتأويل الكلام : فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه من بني إسرائيل ، وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم . وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل : فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه ، لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل ، وآباؤهم من القبط ، فقيل لهم الذرّية من أجل ذلك . كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم : أبناء . والمعروف من معنى الذرّية في كلام العرب : أنها أعقاب من نسبت إليه من قِبَل الرجال والنساء ، كما قال الله جلّ ثناؤه (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) وكما قال (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) ثم قال بعد (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ) فجعل من كان من قِبَل الرجال والنساء من ذرّية إبراهيم .

وأما قوله (وَمَلَئِهِمْ) فإن الملأ : الأشراف . وتأويل الكلام : على خوف من فرعون ومن أشرافهم .

واختلف أهل العربية فيمن عُني بالهاء والميم اللتين في قوله (وَمَلَئِهِمْ) فقال بعض نحويي البصرة : عُني بها الذرّية ، وكأنه وجه الكلام إلى : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون ، وملأ الذرية من بني إسرائيل . وقال بعض نحويي الكوفة : عُني بهما فرعون ، قال : وإنما جاز ذلك وفرعون واحد ، لأن الملك إذا ذكر لخوف أوسفر أوقدوم من سفر ، ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، وقال : ألا

ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثر الناس ، تريد بمن معه ، وقدم فغلت الأسعار ، لأنا ننوي بقدومه قدوم من معه . قال : وقد يكون أن يريد بفرعون آل فرعون ، ويحذف آل فرعون فيجوز ، كما قال (وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ) يريد أهل القرية ، والله أعلم .

قال : ومثله قوله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : الهاء والميم عائدتان على الذرية ، ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون ، وملأ الذرّية ، لأنه كان فى ذرّية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه إسرائيلية ، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى . وقوله (أَنْ يَفْتِنَهُمْ) يقول : كان إيمان من آمن من ذرّية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب ، فيصدّهم عن دينهم ، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله ، وقال : (أَنْ يَفْتِنَهُمْ) فوحّد ولم يقل : أن يفتنوهم ، لدليل الخبر عن فرعون بذلك ، أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدّم من قوله (عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) ، وقوله (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : وإن فرعون لجبار مستكبر على الله فى أرضه ، (وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل ، وذلك كفره بالله ، وتركه الإيمان به ، وجحوده وحدانية الله ، وادّعاؤه لنفسه الألوهة ، وسفكه الدماء بغير حلها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه : ياقوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ، وصدّقتم بربوبيته (فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) يقول : فبه فثقوا ، ولأمره فسلموا ، فإنه لن يخذل وليه ، ويسلم من توكل عليه . (إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) يقول : إن كنتم مذعنين لله بالطاعة ، فعليه توكلوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥)

❊ يقول تعالى ذكره : فقال قوم موسى لموسى (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا) أى به وثقنا ، وإليه فوّضنا أمرنا . وقوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قوم موسى إنهم دعوا ربهم فقالوا : يا ربنا لاتختبر هؤلاء القوم الكافرين ، ولا تمتحنهم بنا ، يعنون قوم فرعون .

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى سألوه ربهم ، من إعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم ، فقال بعضهم : سألوه أن لايظهرهم عليهم ، فيظنوا أنهم خير منهم ، وأنهم إنما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجاز ، فى قوله (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لايظهروا علينا ، فيروا أنهم خير منا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، فى قوله (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : قالوا : لاتظهرهم علينا ، فيروا أنهم خير منا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى الضحى (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتسلطهم علينا فيزدادوا فتنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتسلطهم علينا فيفتنونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) : لاتسلطهم علينا فيفتنونا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال: لاتسلطهم علينا فيضلونا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، وقال أيضا : فيفتنونا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لاتعذّبنا بأيدى قوم فرعون ، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا على حقّ ما سلّطنا عليهم ولا عُذّبوا ، فيفتنوا بنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتعذّبنا بأيدى قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حقّ ماسلّطنا عليهم ، ولا عذّبوا ، فيفتنوا بنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، قوله (لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : لاتصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم ، فيفتتنوا ، ويقولوا : لو كانوا على حقّ ماسلطنا عليهم ، وما عذّبوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله تعالى (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) : لاتبتلنا ربنا فتجهدنا ، وتجعله فتنةلهم هذه الفتنة ؛ وقرأ : فتنة للظالمين ، قال المشركون حين كانوا يؤذون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، ويرمونهم ، أليس ذلك فتنة لهم، وسوءا لهم ، وهى بلية للمؤمنين .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن القوم رغبوا إلى الله فى أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء ، وكل ما كان من أمر ، كان لهم مَصَدّةً عن اتباع موسى والإقرار به ، وبما جاءهم به ، فإنه لاشكّ أنه كان لهم فتنة ، وكان من أعظم الأمور لهم إبعادا من الإيمان بالله ورسوله ، وكذلك من المَصَدّةِ كان لهم عن الإيمان ، أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة فى أنفسهم ، من بلية تنزل بهم ، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادّاً لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : ونجنا يا ربنا برحمتك ، فخلصنا من أيدى القوم الكافرين ، قوم فرعون ، لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الأشياء القذرة من خدمتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ، وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ، وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتا ، يقال منه : تبوأ فلان لنفسه بيتا : إذا اتخذه ، وكذلك تبوأ مصحفا : إذا اتخذه ، وبوأته أنا بيتا : إذا اتخذته له (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان عن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : مساجد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : أمروا أن يتخذوها مساجد .

قال : ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا خَصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله تعالى (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا يفْرَقون من فرعون وقومه أن يصلوا ، فقال لهم : اجعلوا بيوتكم قبلة ، يقول : اجعلوها مسجدا ، حتى تصلّوا فيها .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : خافوا فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصرر ، عن إبراهيم (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شبل ، عن خَصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا لايصلون إلا فى البِيَع ، وكانوا لايصلون إلا خائفين ، فأمروا أن يصلّوا فى بيوتهم .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدّى ، عن أبى مالك (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون ، فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : مساجد .

قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبى سنان ، عن الضحاك (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً) قال : مساجد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قال أبى زيد : اجعلوا فى بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا مساجدكم قِبَل الكعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يعنى : الكعبة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (واجْعَلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ، وأَقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : لانستطيع أن نُظهر صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم ، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قِبَل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس

فى قوله : (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) يقول : وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ، ألا ترى أنه يقول (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُم قِبْلَةً) قال : قِبَلَ القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا فى الكنائس الجامعة ، فأمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرًّا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) ثم ذكر مثله سواء .

قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً) مساجد .

قال : ثنا إسحاق، قال : ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً) قال : مصر : الإسكندرية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : وذلك حين منعهم فرعون الصلاة ، فأمروا أن يجعلوا مساجدهم فى بيوتهم ، وأن يوجهوا نحو القبلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : نحو القبلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق ، عن أبى سنان، عن الضحاك (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وأَخِيهِ : أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً) قال : مساجد (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قِبَلَ القبلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : يقابل بعضها بعضا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى قدمنا بيانه ، وذلك أن الأغلب من معانى البيوت ، وإن كانت المساجد بيوتا، البيوت المسكونة، إذا ذكرت باسمها المطلق، دون المساجد ، لأن المساجد لها اسم هى به معروفة، خاصٌّ لها، وذلك المساجد . فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشىء ولا إضافتها إلى شىء، فالبيوت المسكونة . وكذلك القبلة ، الأغلب من استعمال الناس إياها فى قِبَل المساجد وللصلوات ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز توجيه معانى كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها ، المستعمل بين أهل اللسان الذى

نزل به ، دون الخفيّ المجهول ، ما لم تأت دلالة تدلّ على غير ذلك ، ولم يكن على قوله (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل فى كلام العرب ، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذى وصفنا ، وكذلك القول فى قوله : (قِبْلَةً ، وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) يقول تعالى ذكره : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها . وقوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : وبشر مقيمى الصلاة ، المطيعى الله يا محمد ، المؤمنين بالثواب الجزيل منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ، وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨)

❁ يقول تعالى ذكره : وقال موسى : يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم ، وهم الملأ ، زينة من متاع الدنيا وأثاثها ، وأموالا من أعيان الذهب والفضة فى الحياة الدنيا . (رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) يقول موسى لربه : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ، ليضلوا عن سبيلك .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلوا الناس عن سبيلك ، ويصدّوهم عن دينك .

وقرأ ذلك آخرون (لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) بمعنى : ليضلواهم عن سبيلك ، فيجوروا عن طريق الهدى .

فإن قال قائل : أفكان الله جلّ ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليُضلوا عن الناس عن دينه ، أو ليَضلوا هم عنه ، فإن كان لذلك أعطاهم ذلك ، فقد كان منهم ما أعطاهم ، لأجله فلا عتب عليهم فى ذلك ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ماتوهمت .

وقد اختلف أهل العلم بالعربية فى معنى هذه اللام التى فى قوله (لِيُضِلوا) فقال بعض نحويّ البصرة : معنى ذلك : ربنا فضلوا عن سبيلك ، كما قال (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) : أى فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنا ، وإنما التقطوه فكان لهم ؛ قال : فهذه اللام تجىء فى هذا المعنى . وقال بعض نحويّ الكوفة : هذه اللام لام كى [1] . ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كى يضلوا ، ثم دعا عليهم . وقال آخر : هذه اللامات فى قوله ليضلوا ، وليكون لهم عدوًّا ، وما أشبهها بتأويل الخفض : آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم ، والتقطوه لكونه ، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك ، والعرب تجعل لام كى فى معنى

(١) قائل هذا : هو الفراء فى معانى القرآن (انظر مصورة جامعة القاهرة ٢٤٠٥٩ ص ١٣٩) .

لام الخفض، ولام الخفض فى معنى لام كى، لتقارب المعنى ، قال الله تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِم لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) أى لإعراضكم ، ولم يحلفوا لإعراضهم ، وقال الشاعر :

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلاً لِتَسْمُو　　　وَلَكِنَّ المُضَيَّعَ قَدْ يُصَابُ[١]

قال : وإنما يقال : وما كنت أهلا للفعل ، ولا يقال لتفعل إلا قليلا ، قال : وهذا منه .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنها لام كى ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويُضلوا عن سبيلك عبادك ، عقوبة منك ، وهذا كما قال جل ثناؤه (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) ، وقوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) هذا دعاء من موسى ، دعا اللهَ على فرعون وملئه أن يغيّر أموالهم عن هيئتها ، ويبدّلها إلى غير الحال التى هى بها ، وذلك نحو قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) يعنى به : من قبل أن نغيرها عن هيئتها التى هى بها ، يقال منه : طمست عينه أطمِسها ، وأطمُسها طمسا وطموسا ، وقد تستعمل العرب الطمس فى العُفُوّ والدثور ، وفى الاندقاق والدروس ، كما قال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ　　　عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُولُ[٢]

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فى هذا الموضع ، فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنى ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : بلغنا عن القرظىّ ، فى قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعل سكرهم حجارة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : اجعل سُكَّرهم حجارة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : اجعلها حجارة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبوجعفر عن الربيع بن أنس ، فى قوله (اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

---

(١) هذا البيت شاهد لنحاة البصرة على أن اللام فى « لتسمو » للجحد ، وأن الفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وجوبا ، وأن المصدر المؤول مجرور باللام ، والجار والمجرور متعلق بخبر تكن المنفية بلم ، وهو كلمة « أهلا » وقد صرح القائل بهذا الخبر ، والأكثر فى كلام العرب ألا يصرح به نحو « ما كان الله ليعذبهم » التقدير : لم يكن مريدا لتعذيبهم . وخالفهم الكوفيون فى ذلك ، وجعلوا اللام ناصبة بنفسها ، لا بأن مضمرة بعدها .

(٢) البيت لكعب بن زهير (انظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبى ٤ : ١٤٩) . والنضاخة : كثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة خلف أذن الناقة ، وهى يقرب غدة العرق . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من علامات الطريق ، وهى ما يهتدى به المسافرون من أحجار وآبار ونحوها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق . لنشاطها فى سيرها ، وجهدها نفسها فيه ، وأنها عارفة للطريق ، وإن درست أعلامه ، وتغيرت مسالكه ، لكثرة ما سافرت فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن زروعهم تحوّلت حجارة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن حُرُوثاً لهم صارت حجارة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : يقولون : صارت حجارة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى الحماني ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : صارت حجارة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : بلغنا أن حُرُوثا لهم صارت حجارة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : قد فعل ذلك ، وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم ، فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكلّ شيء .

وقال آخرون : معنى ذلك : أهلكها .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) قال : أهلكها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) يقول : دمّر عليهم ، وأهلك أموالهم .

وأما قوله (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) فإنه يعني : واطبع عليها ، حتى لا تلين ، ولا تنشرح بالإيمان .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، وقال موسى قبل أن يأتي فرعون (رَبَّنَا اشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأليمَ) فاستجاب الله له ، وحال بين فرعون وبين الإيمان ، حتى أدركه الغرق ، فلم ينفعه الإيمان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) يقول : واطبع على قلوبهم (حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأليمَ) وهو الغرق .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالضلالة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : بالضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : أهلكهم كفارا .

وأما قوله (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فإن معناه : فلا يصدّقوا بتوحيد الله ويقرّوا بوحدانيته ، حتى يروا العذاب الموجع .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَا يُؤْمِنُوا) بالله فيما يرون من الآيات (حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : سمعت المقرئ يقول (فَلَا يُؤْمِنُوا) يقول : دعا عليهم .

واختلف أهل العربية فى موضع (يُؤْمِنُوا) فقال بعض نحويّ البصرة : هو نصب ، لأن جواب الأمر بالفاء ، أو يكون دعاء عليهم إذ عصوا . وقد حكى عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصب عطفا على قوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) وقال آخرُ منهم : وهو قول نحويّ الكوفة ، موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم ، بمعنى : فلا آمنوا ، كما قال الشاعر :

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بينِ عَيْنَيْكَ ما انْزَوَى		وَلَا تَلْقَنِي إلاَّ وأنْفُكَ رَاغِمُ [١]

بمعنى : فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ، ولا لقيتنى على الدعاء . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهمّ فلا يؤمنوا ، قال : وإن شئت جعلتها جوابا لمسئلته إياه ، لأن المسئلة خرجت على لفظ الأمر ، فتجعل (فَلَا يُؤْمِنُوا) فى موضع نصب على الجواب ، وليس بسهل ، قال : ويكون كقول الشاعر :

---

(١) البيت للأعشى ، أنشده (اللسان : زوى) . قال : وزوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع وقبضه ، قال الأعشى :

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدِى كأنَّما		زَوَى بينَ عَيْنَيْهِ علىَّ المَحاجِمُ

ثم أورد بعده بيت الشاهد كما رواه المؤلف . وهو يهجو يزيد بن مسهر الشيبانى ، كما فى ديوانه طبعة القاهرة ص ٧٩ يقول : إنه ينفر منى حين يلقانى ، ويتجهم لى مقطبا وجهه ، كأنما وضعت بين عينيه المحاجم ، وما أبالى أن يديم الله غصه بى ، وأن أكون شجا فى حلقه .

يا ناقَ سِيرِى عَنَقاً فَسِيحا إلى سُلَيْمانَ فَنَسْتَرِيحا[١]

قال : وليس الجواب بسهل فى الدعاء ، لأنه ليس بشرط .

والصواب من القول فى ذلك : أنه فى موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا ، وإنما اخترت ذلك لأن ما قبله دعاء ، وذلك قوله (رَبَّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ) ، فإلحاق قوله (فَلا يُؤْمِنُوا) إذ كان فى سياق ذلك بمعناه أشبهُ وأولى .

وأما قوله (حتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ) فإن ابن عباس كان يقول : معناه : حتى يروا الغرق : وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال ابن عباس (فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ) قال : الغرق .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)

وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهارون دعاءهما ، على فرعون وأشراف قومه وأموالهم ، يقول جلَّ ثناؤه (قالَ) الله لهما (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) فى فرعون وملئه وأموالهم .

فإن قال قائل : وكيف نسبت الإجابة إلى اثنين ، والدعاء إنما كان من واحد ؟ قيل : إن الداعى وإن كان واحدا ، فإن الثانى كان مؤمِّنا ، وهو هارون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما ، لأن المؤمِّن داع ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن رجل ، عن عكرمة فى قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمِّن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين ، وأنشد فى ذلك :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِى لا تُعْجِلانا بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحا[٢]

(١) هذان البيتان من شواهد النحويين على نصب المضارع بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالطلب ، وهو قوله : سيرى . وهما لأبى النجم العجلى الراجز ، يقصد سليمان بن عبد الملك الأموى . والعنق بفتحتين : ضرب من السير ، والفسيح الواسع انظر شرح التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ، (طبعة الأميرية ٢ : ٣٠٢) . وانظره أيضا فى معانى القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ، ٣٩٠) .

(٢) هذا البيت لمضرس بن ربعى الفقعسى الأسدى (انظره فى اللسان : جزز . وفى شرح شواهد شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الأستراباذى طبعة حجازى بالقاهرة ، وهو الشاهد رقم ٢٣٣ ص ٤٨١ وما بعدها) والبيت من مقطوعة ذكرها الرضى ، وذكر منها صاحب اللسان ثلاثة أبيات ، آخرها بيت الشاهد . والرواية فيه « لا تحبسانا » فى موضع « لا تعجلانا » عن الخالديين . قال : إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . وكذلك رواه الكسائى أيضا ، كما فى الصحاح . —

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زكريا بن عدىّ ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح قال (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : دعا موسى ، وأمَّن هارُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى وزيد بن حُباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمَّن هارون .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن شيخ له ، عن محمد بن كعب ، قال : دعا موسى ، وأمَّن هارون .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : دعا موسى ، وأمَّن هارون .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، وعبد الله بن أبى جعفر ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قال : دعا موسى وأمَّن هارون ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن رجل ، عن عكرمة فى قوله (قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) قال : كان موسى يدعو وهارون يؤمِّن ، فذلك قوله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) لموسى وهارون .

قال ابن جريج : قال عكرمة : أمَّن هارون على دعاء موسى ، فقال الله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فاسْتَقِيما) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان هارون يقول : آمين ، فقال الله (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما) فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها .

وأما قوله (فاسْتَقِيما) فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون، بالاستقامة والثبات على أمرهما، من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته ، إلى أن يأتيهم عقاب الله ، الذى أخبرهما أنه أجابهما فيه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (فاسْتَقِيما) : فامضيا لأمرى ، وهى الاستقامة .

قال ابن جريج يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .

وقوله (وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) يقول : ولا تسلكانّ طريق الذين يجهلون حقيقة

كما قال سويد بن كراع العكلى يهجو عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه :

فإنْ تَزْجُرانِي يابْنَ عَفَّانَ أنْزَجِرْ   وَإنْ تَدَعانِي أحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعا

ويروى : « لحاطبى » فى مكان « لصاحبى » وذكر ياقوت أنه قرأها بخط اليزيدى . ويروى « أجدز » بالدال ، أبدل تاء الافتعال دالا ، لمكان الزاى بعدها . وهذا موضع الشاهد فى البيت عند الرضى . وأخطأ الكسائى فى نسبة البيت ليزيد بن الطثرية . ورواية اللسان : « ولا تحبسنا » بخطاب الواحد ، وعليها فلا شاهد فى البيت . أى لا تحبسنا عن شى اللحم ، بأن تقلع أصول الشجر ، بل خذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه ، وأسرع لنا فى الشى .

وعدى، فاستعجلان قضائى، فان وعدى لاخلف له، وإن وعيدى نازل بفرعون، وعذابى واقع به وبقومه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا، حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ، وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : وقطعنا ببنى إسرائيل البحر حتى جاوزه (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ) يقول : فتبعهم فرعون (وَجُنُودُهُ) يقال منه : أتبعته وتبعته بمعنى واحد . وقد كان الكسائى فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول : إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أوشرا فالكلام أتبعهم بهمز الألف ، وإذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم، فإنه من اتبعت مشدّدة التاء غير مهموزة الألف (بَغْيًا) على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بنى إسرائيل (وَعَدْوًا) يقول : واعتداء عليهم ، وهو مصدر من قولهم : عدا فلان على فلان فى الظلم، يعدو عليه عَدْوا ، مثل : غزا يغزو غزْوا . وقد رُوى عن بعضهم أنه كان يقرأ (بَغْيا وَعُدُوًّا) وهو أيضا مصدر من قولهم : عدا يعدو عُدُوًّا ، مثل علا يعلوا عُلُوًّا (حتى إذَا أدْرَكَهُ الغَرَقُ) يقول : حتى إذا أحاط به الغرق؛ وفى الكلام متروك قد ترك ذكره، بدلالة ماظهر من الكلام عليه ، وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدّوا فيه ، فغرّقناه ، حتى إذا أدْرَكَهُ الغرق .

وقوله (قالَ آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوإسْرَائيلَ ، وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون ، حين أشرف على الغرق ، وأيقن بالهلكة : (آمَنْتُ) يقول: أقررت (أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائيلَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأ بعضهم ، وهو قراءة عامة المدينة والبصرة أنه بفتح الألف من أنه، على إعمال آمنت فيها ونصبها به . وقرأ آخرون : آمنت إنه ، بكسر الألف من إنه على ابتداء الخبر ، وهى قراءة عامة الكوفيين .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال: ثنا موسى بن عُبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال: اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى من مصر، حين خرجوا وهم ست مئة ألف ، فلما أدركهم فرعون فرأوه ، قالوا : ياموسى ، أين المخرج؟ فقد أدركنا، قد كنا نلقى من فرعون البلاء، فأوحى الله إلى موسى (أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ) ويبس لهم البحر ، وكشف الله عن وجه الأرض ، وخرج فرعون على فرس حصان أدهم ، على لونه من الدُّهم ثمان مئة ألف سوى ألوانها من الدوابّ ، وكانت تحت جبريل

عليه السلام فرس وديق[1]، ليس فيها أنثى غيرها، وميكائيل يسوقهم، لايشذّ رجل منهم إلا ضمه إلى الناس، فلما خرج آخر بنى إسرائيل، دنا منه جبريل ولصق به، فوجد الحصان ريح الأنثى، فلم يملك فرعون من أمره شيئا، وقال : أقدموا، فليس القوم أحقّ بالبحر منكم، ثم أتبعهم فرعون، حتى إذاهمّ أوّلهم أن يخرجوا، ارتطم ونادى فيها : (آمَنْتُ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ ، وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) ونُودى : (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ).

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ؛ وعن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال . رفعه أحدهما إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إنَّ جِبْرَائِيلَ كانَ يَدُسُّ فِى فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ ، مَخافَةَ أنْ يَقُولَ لاإلهَ إلاَّ اللهُ » .

حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقَزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « جَعَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَدُسُّ أوْ يَحْشُو فِى فَمِ فِرْعَوْنَ الطِّينَ ، مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن كثير بن زاذان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « قالَ لى جِبْرَائِيلُ : يا مُحَمَّدُ لَوْ رَأيْتَنِى وأنا أغُطُّهُ وأدُسُّ مِنْ حَمْئِهِ فِى فِيهِ ، مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللهِ فَيَغْفِرُ لَهُ » يعنى فرعون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا أغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قالَ : آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ ، فقالَ جِبْرائِيلُ : يا مُحَمَّدُ لَوْ رأيْتَنِى وأنا آخُذُ مِنْ حَمَأةِ البَحْرِ وأدُسُّهُ فِى فِيهِ ، مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنى عمرو ، عن حكام ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا قالَ فِرْعَوْنُ لاإلهَ إلاَّ اللهُ ، جَعَلَ جِبْرَائِيلُ يَحْشُو فِى فِيهِ الطِّينَ والتُّرابَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرنى من سمع ميمون بن مهران يقول فى قوله (آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ) قال : أخذ جبرائيل من حمأة البحر ، فضرب بها فاه ، أو قال : ملأ بها فاه ، مخافة أن تدركه رحمة الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسين بن علىّ عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خطب الضحاك بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله ، فلما أدركه الغرق (قالَ : آمَنْتُ أنَّهُ لاإلهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) قال الله (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ) ؟

(١) يقال فرس وديق ، وبغلة وديق : إذا أرادت الفحل وحرصت عليه .

قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن عدىّ بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن فرعون لما أدركه الغرق ، جعل جبرائيل يحثو فى فيه التراب ، خشية أن يغفر له .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن عيسى بن المغيرة ، عن إبراهيم التيمىّ ، أن جبرائيل عليه السلام قال : ما خشيت على أحد من بنى آدم الرحمة إلا فرعون ، فإنه حين قال ما قال خشيت أن تصل إلى الربّ فيرحمه ، فأخذت من حمأة البحر وزَبَده ، فضربت به عينيه ووجهه .

قال أخبرنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن يعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال جبرائيل عليه السلام : لقد حشوت فاه الحمأة ، مخافة أن تدركه الرحمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ءَآلْـٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١)

❊ يقول تعالى ذكره معرّفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته ، وإساءته إلى نفسه أيام صحته ، بتماديه فى طغيانه ومعصيته ربه ، حين فزع إليه فى حال حلول سخطه به ، ونزول عقابه ، مستجيرا به من عذابه الواقع به ، لما ناداه وقد علته أمواج البحر ، وغشيته كرب الموت : (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ) له ، المنقادين بالذلة له ، المعترفين بالعبودية : الآن تقرّ لله بالعبودية ، وتستسلم له بالذلة ، وتخلص له الألوهة ، وقد عصيته قبلَ نزول نقمته بك ، فأسخطته على نفسك ، وكنت من المفسدين فى الأرض ، الصادّين عن سبيله ، فهلا وأنت فى مَهَل ، وباب التوبة لك منفتح ، أقررت بما أنت به الآن مقرّ ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ (٩٢)

❊ يقول تعالى ذكره لفرعون : فاليوم نجعلك على نَجْوة من الأرض ببدنك ، ينظر إليك هالكا من كذّب بهلاكك (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : لمن بعدك من الناس عِبْرة يعتبرون بك ، فينزجرون عن معصية الله والكفر به ، والسعى فى أرضه بالفساد . والنجوة : الموضع المرتفع على ماحوله من الأرض ، ومنه قول أوس بن حَجَر :

فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ ... والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ[1]

(١) فى (اللسان : عقا) العقوة : الساحة ، وما حول الدار والمحلة ، جمعها : عقاء . يقال : نزل بعقوته ، وما بعقوة هذه الدار مثل فلان ، أى بساحتها . وفى اللسان : نجا : النجوة : ما ارتفع من الأرض ، ونسب بيت الشاهد إلى عبيد بن الأبرص . والمستكن : المستتر فى الكن ، والكن والكنة والكنان (بكسر الكاف فيهن) : وقاء كل شىء وستره . والكن : البيت أيضا ، والجمع : أكنان وأكنة . والقرواح : الأرض البارزة للشمس ، قال عبيد : « فمن بعقوته » (كذا فى اللسان : قرح) وأنشد البيت ونسبه لعبيد أيضا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد وغيره ، قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، قال : فأخرجه الله إليهم ، ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن سعيد الجريرىّ ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس ، أو أحدث الناس عن بنى إسرائيل ، قال : فحدثنا أن أوّل جنود فرعون لما انتهى إلى البحر ، هابت الخيل اللهب ، قال : ومَثَّل لحصان منها فرس وديق[1] ، فوجد ريحها ، أحسبه أنا ، قال : فانسلّ فاتبعته ، قال : فلما تامّ آخر جنود فرعون فى البحر ، وخرج آخر بنى إسرائيل ، أمر البحر فانطبق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : ما مات فرعون ، وماكان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه ، قال : فرَمَى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر ، يتراءاه بنو إسرائيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بدنه : جسده ، رمى به البحر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما جاوز موسى البحر بجميع من معه ، التقى البحر عليهم ، يعنى على فرعون وقومه ، فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لايكون فرعون غَرِق ، ولا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه ، فأخرجه ، فنبذه البحر ، حتى استيقنوا بهلاكه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : أنكر ذلك طوائف من بنى إسرائيل ، فقذفه الله على ساحل البحر ، ينظرون إليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) قال : لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله آية وعظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمىّ ، عن أبيه ، عن أبى السَّلِيل ، عن قيس بن عَباد أو غيره ، بنحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن معمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

---

(١) الوديق من الخيل والبغال والأتن : التى تريد الفحل .

قال : ثنا محمد بن بُكَير ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد (فالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال : بجسدك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كذب بعض بنى إسرائيل بموت فرعون ، فرمى به على ساحل البحر ، ليراه بنو إسرائيل ، قال : كأنه ثور أحمر .

وقال آخرون : تنجو بجسدك من البحر ، فتخرج منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) يقول : أنجى الله فرعون لبنى إسرائيل من البحر ، فنظروا إليه بعد ما غرق .

فإن قال قائل : وما وجه قوله : ببدنك ، وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه ببدنك ؟ قيل : كان جائزا أن ينجيه بهيئته حيا ، كما دخل البحر ؛ فلما كان جائزا ذلك ، قيل : فاليوم ننجيك ببدنك ، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ، ولكن ميتا .

وقوله (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : وإن كثيرا من الناس عن آياتنا ، يعنى : عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصة . لغافلون : يقول : لساهون ، لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ، وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ، فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا بنى إسرائيل منازل صدق ، قيل : عَنَى بذلك الشأم وبيت المقدس ، وقيل : عَنَى به الشأم ومصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُبَوَّأَ صِدْقٍ) قال : منازل صدق : مصر والشأم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُبَوَّأَ صِدْقٍ) قال : بوأهم الله الشام وبيت المقدس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) الشام ، وقرأ (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) ، وقوله (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقنا بنى إسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب .

وقوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ العِلْمُ) يقول جلّ ثناؤه : فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل ، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين ؛ وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبىّ صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوّة محمد ، والإقرار به وبمبعثه ، غير مختلفين فيه بالنعت الذى كانوا يجدونه مكتوبا عندهم ، فلما جاءهم ماعرفوا كفر به بعضهم ، وآمن به بعضهم ، والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا ، فذلك قوله : فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه نبيا لله ، فوضع العلم مكان المعلوم .

وكان بعضهم يتأوّل العلم ههنا : كتاب الله ووحيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ [1]) قال : العلم : كتاب الله الذى أنزله ، وأمره الذى أمرهم به ، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم . بغيا بينهم ، أهل هذه الأهواء ، هل اقتتلوا إلا على البغى ؟ قال : والبغى وجهان : وجه النفاسة فى الدنيا ، ومن اقتتل عليها من أهلها ، وبغى فى العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ، ويرى نفسه مصيبا عالما ، فيبغى بإصابته وعلمه على هذا المخطئ .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل فيك يوم القيامة ، فيما كانوا فيه من أمرى فى الدنيا يختلفون ، بأن يدخل المكذّبين بك منهم النار ، والمؤمنين بك منهم الجنة ، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِنْ قَبْلِكَ، لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كنت يا محمد فى شكّ من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا فى نبوّتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه ، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ، ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم : فى التوراة والإنجيل ، فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل ، كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم ، دون أهل الكذب والكفر بك منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) نظم هذه الآية (حتى جاءهم العلم إن ربك . . .) الخ وأما آية الجاثية : (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا . . .) الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال: التوراة والإنجيل، الذين[1] أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فآمنوا به ، يقول : فاسئلهم إن كنت فى شك بأنك مكتوب عندهم.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله تعالى (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ ، فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال: هو عبد الله بن سَلام كان من أهل الكتاب ، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد ، قوله (فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : هم أهل الكتاب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) يعنى أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب ، ممن أدرك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قال قائل : أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شك من خبر الله أنه حق يقين ، حتى قيل له : (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ)؟ قيل: لا ، وكذلك قال جماعة من أهل العلم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ) فقال : لم يشكّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يسأل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : ما شكّ ، وما سأل .

حدثنى الحارث ، قال: ثنا القاسم بن سَلام ، قال: ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن الحسن فى هذه الآية ، قال : لم يَشُكَّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يسأل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أُنْزَلْنا إِلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) ذُكِر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاأشُكُّ ، ولا أسألُ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ) قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاأشُكُّ ولا أسألُ » .

فإن قال: فما وجه مُخْرَج هذا الكلام إذن، إن كان الأمر على ماوصفت ؟ قيل: قد بينا فى غير موضع

(١) فى العبارة اختصار كثير ،ولعل الأصل:قال :الكتاب : التوراة والإنجيل . والذين يقرءون الكتاب :الذين أدركوا . . . الخ .

من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه : إن كنت مملوكي فانته إلى أمرى ، والعبد المأمور بذلك لايشكّ سيده القائل له ذلك أنه عبده؛ كذلك قول الرجل منهم لابنه: إن كنت ابنى فبِرَّنى، وهو لايشك فى ابنه أنه ابنه، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهد ، وأن منه قول الله تعالى: (وَإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) وقد علم جلّ ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك ، وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا فى حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى بذلك من أمره كان عالما ، ولكنه جلّ ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا ، إذ كان القرآن بلسانهم نزل .

وأما قوله (لَقَدْ جاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) . . . الآية ، فهو خبر من الله مبتدأ ، يقول تعالى ذكره: أقسم لقد جاءك الحقّ اليقين من الخبر ، بأنك لله رسول ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك،ويجدون نعتك عندهم فى كتبهم . (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِين) يقول: فلاتكونن مِنَ الشَّاكِين فى صحة ذلك وحقيقته ، [و]لوقال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوّته صلى الله عليه وسلم، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه، تنبيها له على موضع تعرّف حقيقة أمره ، الذى يزيل اللبس عن قلبه ، كما قال جلّ ثناؤه (يا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ، إنَّ اللهَ كانَ عَلِيما حَكِيما) كان قولا غير مدفوعة صحته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٩٥)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تكوننّ يا محمد من الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته، فتكون ممن غُبِن حظَّه ، وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٩٧)

❊ يقول تعالى ذكره : إن الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهى لعنته إياهم ، بقوله (ألا لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ) فثبتت عليهم ، يقال منه : حقّ على فلان كذا يحقّ عليه : إذا ثبت ذلك عليه ووجب .

وقوله (لايُؤْمِنُونَ وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) يقول: لايصدّقون بحجج الله ، ولا يقرّون بوحدانية ربهم، ولا بأنك لله رسول، ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها، حتى يعاينوا العذاب الأليم ، كما لم يؤمن فرعون وملؤه ، إذ حقّت عليهم كلمة ربك، حتى عاينوا العذاب الأليم ، فحينئذ قال: (آمَنْتُ أنَّه لاإلَهَ إلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيلَ) حين لم ينفعه قيله ، فكذلك هؤلاء الذين حقت

عليهم كلمة ربك من قومك ، من عَبَدة الأوثان وغيرهم ، لايؤمنون بك فيتبعونك ، إلا فى الحين الذى لاينفعهم إيمانهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إن الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ) قال : حقّ عليهم سخط الله بما عصوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ) حقّ عليهم سخط الله بما عصوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : فهلا كانت قرية آمنت ، وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبىّ .

ومعنى الكلام : فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها ، واستحقاقها عقابه ، فنفعها إيمانها ذلك فى ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق ، بعد تماديه فى غيّه ، واستحقاقه سخط الله بمعصيته (إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ) فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة ، وحلول السخط بهم . فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى ، الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ماوصفت من أن قوله (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها) بمعنى : فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود ، فكيف نَصَبَ قوم ، وقد علمت أن ماقبل الاستثناء إذا كان جَحْدا كان ما بعده مرفوعا ، وأن الصحيح من كلام العرب : ما قام أحد إلا أخوك ، وما خرج أحد إلا أبوك ، قيل : إن ذلك إنما يكون كذلك ، إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ماقبله ، وذلك أن الأخ من جنس أحد ، وكذلك الأب . ولكن لو اختلف الجنسان ، حتى يكون مابعد الاستثناء من غير جنس ماقبله ، كان الفصيح من كلامهم النصب ، وذلك لوقلت : ما بقى فى الدار أحد إلا الوتد ، وما عندنا أحد إلا كلبا أو حمارا ، لأن الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ، ومنه قول النابغة الذبيانى :

. . . . أعْيَتْ جوَابًا وَما بالرَّبْعِ مِنْ أحَدِ

ثم قال :

إلاَّ أوَارِىَّ لأيا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْىُ كالحَوْضِ بالمظلومة الجَلَدِ[1]

(١) هذا الشاهد من كلام النابغة الذبيانى : زياد بن معاوية . وقد سبق الاستشهاد به فى الجزء الخامس من التفسير ص ٢٧٧ .

فنصب الأوارىّ إذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نَصَبَ قوم يونس، لأنهم أمة غير الأمم الذين استثنوا منهم من غير جنسهم وشكلهم ، وإن كانوا من بنى آدم ، وهذا الاستثناء الذى يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ،ولو كان قوم يونس بعض الأمة الذين استثنوا منهم ، كان الكلام رفعا ،ولكنهم كما وصفت.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها) يقول : لم تكن قرية « آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله ، إلا قرية يونس .

قال ابن جريج : قال مجاهد : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها، كما نفع قوم يونس إيمانهم ، إلا قوم يونس.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فى الحَياةِ الدُّنْيا ، وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ) يقول : لم يكن هذا فى الأمم قبلهم ،لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب ، فتركت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم ، وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ، قذف الله فى قلوبهم التوبة، ولبسوا المُسُوح ، وألْهَوا[١] بين كل بهيمة وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله أربعين ليلة ؛ فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة على مامضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب ، بعد أن تدلى عليهم ، قال : وذُكِر لنا أن قوم يونس كانوا بنِينَوَى : أرض الموصل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ) قال بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تلّ ، وفرّقوا بين كل بهيمة وولدها، يدعون الله أربعين ليلة ، حتى تاب عليهم.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمّانىّ ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال : غَشِىَ قوم يونس العذاب ، كما يغشى الثوب القبر .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن صالح المُرّىّ ، عن قتادة ، عن ابن عباس: إن العذاب كان هبط على قوم يونس، حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثى ميل ، فلما دَعَوا كشف الله عنهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وإسحاق .

قال : ثنا عبد الله ، عن وَرْقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) قال : كما نفع قوم يونس، زاد أبو حذيفة فى حديثه ، قال: لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس متّعناهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ثنا رجل قد قرأ القرآن فى صدره فى إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحدّث عن قوم يونس

(١) ألهوا : فرقوا . والهمزة فيه بدل من الواو . وفى حيث نقادة الأسدى : « غير أن لا توله ذات ولد عن ولدها» . (اللسان) .

حين أنذر قومه فكذّبوه، فأخبرهم أن العذاب يصيبهم، ففارقهم، فلما رأوا ذلك، وغشيهم العذاب، لِكِنِّهم[1] خرجوا من مساكنهم، وصعدوا فى مكان رفيع، وأنهم جأروا إلى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب، وأن يرجع إليهم رسولهم، قال: فى ذلك أنزل: (فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها، إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الخِزْيِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا، وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ)، فلم تكن قرية غشيها العذاب، ثم أمسك عنها، إلا قوم يونس خاصة؛ فلما رأى ذلك يونس، لكنه ذهب عاتبا على ربه، وانطلق مغاضبا، وظنّ أن لن نقدر عليه، حتى ركب فى سفينة، فأصاب أهلها عاصف الريح، فذكر قصة يونس وخبره.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبوحذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، قال: لما رأوا العذاب ينزل، فرّقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والأنعام، ثم قاموا جميعا، فدعوا الله وأخلصوا إيمانهم، فرأوا العذاب يكشف عنهم، قال يونس حين كشف عنهم العذاب: أرجع إليهم وقد كذبتهم، وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة، فعند ذلك خرج مغضبا، وساء ظنه.

حدثنى الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن عبد الملك، عن سعيد بن جبير، قال: لما أرسل يونس إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، وترك ماهم عليه، قال: فدعاهم فأبَوا، فقيل له: أخبرهم أن العذاب مُصَبِّحُهُم، فقالوا: إنا لم نجرّب عليه كذبا، فانظروا، فإن بات فيكم فليس بشىء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم، فلما كان فى جوف الليل أخذ مِخْلاته، فتزوّد فيها شيئا، ثم خرج، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، كما يتغشى الإنسان الثوب فى القبر، ففرّقوا بين الإنسان وولده، وبين البهيمة وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله، فقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وصدّقنا، فكشف الله عنهم العذاب، فخرج يونس ينظر العذاب، فلم يرشيئا، قال: جرّبوا علىّ كذبا، فذهب مغاضبا لربه، حتى أتى البحر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: ثنا ابن مسعود فى بيت المال، قال: إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرّقوا بين كلّ والدة وولدها، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه، فكفّ الله عنهم العذاب، وغدا يونس ينظر العذاب، فلم ير شيئا، وكان من كذّب ولم تكن له بينة قُتِل، فانطلق مغاضبا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا صالح المُرّى، عن أبى عمران الجَوْنىّ، عن أبى الجَلْد جيلان[2]، قال: لما غشى قوم يونس العذاب مَشَوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فماترى؟ فقال: قولوا يا حىّ حين لا حىّ، وياحىّ محيى الموتى، وياحىّ لاإله إلا أنت، فكشف عنهم العذاب، ومُتِّعوا إلى حين.

(١) لكنهم: اللام حرف جر والكن: البيت والمأوى، أى غشيهم العذاب وهم فى بيوتهم.
(٢) أبوالجلد: جيلان بن فروة الأسدى بصرى، روى عنه أبوعمران الجونى وغيره (تاج العروس).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : بلغنى فى حرف ابن مسعود : فلولا ، يقول : فهلا .

وقوله (لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول : لما صدّقوا رسولهم ، وأقرّوا بما جاءهم به بعد ما أظلهم العذاب ، وغشيهم أمر الله ، ونزل بهم البلاء ، كشفنا عنهم عذاب الهوان والذلّ فى حياتهم الدنيا (وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : وأخرنا فى آجالهم ، ولم نعاجلهم بالعقوبة ، وتركناهم فى الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم ، ووقت فناء أعمارهم التى قضيت فناءها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه (وَلَوْ شَاءَ) يا محمد (رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) بك ، فصدّقوك أنك لى رسول ، وأن ماجئتهم به ، وماتدعوهم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العبودة له ، حقّ ، ولكن لايشاء ذلك ، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا ، أنه لايؤمن بك ولا يتبعك ، فيصدّقك بما بعثك الله به من الهدى والنور ، إلا من سبقت له السعادة فى الكتاب الأوّل ، قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهنّ ، وهؤلاء الذين عَجِبوا من صدق إيحائنا إليك هذا القرآن ، لتنذر به من أمرتك بإنذاره ، ممن قد سبق له عندى أنهم لايؤمنون بك فى الكتاب السابق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ونحو هذا فى القرآن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَحرِص أن يؤمن جميعُ الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله أنه لايؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة فى الذكر الأوّل ، ولا يضلّ إلا من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الأوّل .

فإن قال قائل : فما وجه قوله (لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) فالكلّ يدل على الجميع ، والجميع على الكلّ ، فما وجه تكرار ذلك ، وكلّ واحدة منهما تغنى عن الأخرى ؟ قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ؛ فقال بعض نحويّى أهل البصرة : جاء بقوله جميعا فى هذا الموضع توكيدا ، كما قال : (لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ) ففى قوله : إلهين دليل على الاثنين ، وقال غيره : جاء بقوله : جميعا ، بعد كلهم ، لأن جميعا لاتقع إلا توكيدا ، وكلهم يقع توكيدا واسما ، فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم . قال :

ولو قيل: إنه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد ، لجاز ههنا ، قال : وكذلك (إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ) العدد كله يفسر به ، فيقال : رأيت قوما أربعة ، فلما جاء باثنين ، وقد اكتفى بالعدد منه ، لأنهم يقولون : عندى درهم ودرهمان ، فيكفى من قولهم : عندى درهم واحد، ودرهمان اثنان ، فإذا قالوا دراهم ، قالوا ثلاثة ، لأن الجمع يلتبس،والواحد والاثنان لايلتبسان، لم يثنّ الواحد والتثنية على تنافى الجمع ،لأنه ينبغى أن يكون مع كلّ واحد واحد ، لأن درهما يدلّ على الجنس الذى هو منه ، وواحد يدلّ على كلّ الأجناس ، وكذلك اثنان يدلان على كل الأجناس ، ودرهمان يدلان على أنفسهما ، فلذلك جاء بالأعداد، لأنه الأصل .

وقوله (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنه لن يصدقك يامحمد ولن يتبعك ، ويقرّ بما جئت به، إلاّ من شاء ربك أن يصدقك ، لابإكراهك إياه ، ولا بحرصك على ذلك ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك ، مصدّقين على ما جئتهم به من عند ربك ، يقول له جلّ ثناؤه : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ـ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وما كان لنفس خلقتها من سبيل إلى تصديقك يامحمد، إلا بأن آذن لها فى ذلك، فلا تجهدنّ نفسك فى طلب هداها ، وبلغها وعيد الله ، وعرّفها ما أمرك ربك بتعريفها ، ثم خلّها ، فإن هداها بيد خالقها .

وكان الثّوريّ يقول فى تأويل قوله (إلاّ بإذْنِ اللهِ) ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، فى قوله (وَما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلاّ بإذْنِ اللهِ) قال : بقضاء الله .

وأما قوله (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ على الّذِينَ لايَعْقِلُونَ) فإنه يقول تعالى ذكره : إن الله يهدى من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد ، ويأذن له فى تصديقك فيصدّقك ويتبعك ، ويقرّ بما جئت به من عند ربك ، ويجعل الرجس ، وهو العذاب ، وغضب الله على الذين لايعقلون ، يعنى الذين لايعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته، التى دلّ بها جلّ ثناؤه على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم،وحقيقة مادعاهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ) قال : السخط .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)

❊ يقول تعالى ذكره (قُلْ) يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك ، السائليك الآياتِ على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان (انْظُرُوا) أيها القوم (ماذا فى السَّمٰوٰتِ) من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ، من شمسها وقمرها ، واختلاف ليلها ونهارها ، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها ، (و)فى (الأرْضِ) من جبالها وتصدّعها بنباتها،وأقوات أهلها ، وسائر صنوف عجائبها ، فإن فى ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم ، موعظةً ومعتبرا ، ودلالة على أن ذلك من فعل من لايجوز أن يكون له فى ملكه شريك ، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات . يقول الله جلّ ثناؤه (وَمَا تُغْنِى الآياتُ والنذُرُ عَنْ قَوْمٍ لايُؤْمِنُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وما تغنى الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه ، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى لهم فى أمّ الكتاب أنهم من أهل النار ، لايؤمنون بشىء من ذلك ، ولا يصدّقون به (وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتى يَرَوُا العَذَابَ الألِيمَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ، قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ ، إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٢)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، محذّرا مشركى قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم ، نحو الذى حلّ بنظرائهم من قبلهم ، من سائر الأمم الخالية من قبلهم ، السالكة فى تكذيب رسل الله ، وجحود توحيد ربهم سبيلهم ، فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك ، المكذّبون بما جئتهم به من عند الله ، إلا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثلَ أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذى هم عليه من الشرك والتكذيب ، الذين مضوا قبلهم ، فخلَوا من قوم نوح وعاد وثمود ، قل لهم يامحمد : إن كانوا ذلك ينتظرون ، فانتظروا عقاب الله إياكم ، ونزول سخطه بكم ، إنى من المنتظرين هلاككم وبواركم ، بالعقوبة التى تحلّ بكم من الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إلاَّ مِثْلَ

أيامِ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إلاَّ مِثْلَ أيَّامِ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، قُلْ فانْتَظِروا إنّى مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرينَ) قال : خوّفهم عذابه ونقمته وعقوبته ، ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه ، فقال الله (ثُمَّ يُنَجِّى رُسُلَنا والَّذينَ آمَنُوا ، كذلكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِى المُؤْمِنينَ)

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله ، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم ، ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ، ثم ننجى هناك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن آمن به وصدّقه واتبعه على دينه ، كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم ، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا ، حين حقّ على أممهم (كذلكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ المُؤْمِنينَ) يقول : كما فعلنا بالماضين من رسلنا ، فأنجيناها والمؤمنين معها ، وأهلكنا أممها ، كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين ، فننجيك وننجى المؤمنين بك ، حقا علينا غير شكّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ، وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك : إن كنتم فى شكّ أيها الناس من دينى الذى أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنه حقّ من عند الله ، فإنى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، من الآلهة والأوثان ، التى لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغنى عنى شيئا ، فتشكوا فى صحته . وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف .

وإنما معنى الكلام : إن كنتم فى شكّ من دينى ، فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه ، وإنما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الأصنام التى لا تعقل شيئا ، ولا تضرّ ولا تنفع . فأما دينى ، فلا ينبغى لكم أن تشكُّوا فيه ، لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق ، فيميتهم إذا شاء ، وينفعهم ويضرّ من يشاء ، وذلك أن عبادة من كان كذلك ، لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة . وأما عبادة الأوثان فينكرها كلّ ذى لبّ وعقل صحيح .

وقوله (وَلكِنْ أعْبُدُ اللهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ) يقول : ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم

فيميتكم عند آجالكم . (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول: وهو الذى أمرنى أن أكون من المصدّقين بما جاءنى من عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥)

يقول تعالى ذكره: وأمرت أن أكون من المؤمنين، وأَنْ أقم . وأنِ الثانية عطف على أَنِ الأولى ، ويعنى بقوله (أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) أقم نفسك على دين الإسلام ، حنيفا مستقيما عليه ، غير معوجّ عنه إلى يهودية ولا نصرانية ، ولا عبادة وثن (وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول: ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة ربه الآلهة والأنداد ، فتكون من الهالكين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره: ولا تَدْعُ يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لاينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولا يضرّك فى دين ولا دنيا ، يعنى بذلك الآلهة والأصنام ؛ يقول : لاتعبدها راجيا نفعها، أو خائفا ضرّها، فإنها لاتنفع ولا تضرّ ، فإن فعلت ذلك ، فدعوتها من دون الله ، فإنك إذن من الظالمين ، يقول : من المشركين بالله ، الظالم لنفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ، وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ ، يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يصبك الله يا محمد بشدّة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا ربك الذى أصابك به، دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد . (وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ) يقول: وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور (فَلَا رادَّ لِفَضْلِهِ) يقول: فلا يقدر أحد أن يحُول بينك وبين ذلك، ولا يردّك عنه، ولا يحرِمُكَهُ ، لأنه الذى بيده السرّاء والضرّاء، دون الآلهة والأوثان، ودون ماسواه (يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول : يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسرّاء والضرّاء ، من يشاء ويريد من عباده ، وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب مِنْ عباده ، من كفره وشركه، إلى الإيمان به وطاعته ، الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه ، أن يعذّبه بعد التوبة والإنابة .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى ، لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للناس (يا أَيُّها النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى : كتاب الله ، فيه بيان كلّ ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم (فَمَنِ اهْتَدَى) يقول : فمن استقام فسلك سبيل الحقّ ، وصدّق بما جاء من عند الله من البيان (فإنّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) يقول : فإنما يستقيم على الهدى ، ويسلك قصد السبيل لنفسه ، فإياها يبغى الخير بفعله ، ذلك لاغيرها (وَمَنْ ضَلّ) يقول : ومن اعوجّ عن الحقّ الذى أتاه من عند الله ، وخالف دينه ، وما بعث به محمدا ، والكتاب الذى أنزله عليه (فإنّما يَضِلُّ عَلَيْها) يقول : فإن ضلاله ذلك إنما يجنى به على نفسه،لاعلى غيرها ، لأنه لايؤخذ بذلك غيرُها ، ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ، (وَما أنا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) يقول : وما أنا عليكم بمسلَّط على تقويمكم . إنما أمركم إلى الله ، وهو الذى يقوّم من شاء منكم ، وإنما أنا رسول مبلّغ ، أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره:واتبع يا محمد وحى الله الذى يوحيه إليك،وتنزيله الذى يُنْزله عليك ، فاعمل به ، واصبر على ما أصابك فى الله من مشركى قومك ، من الأذى والمكاره:وعلى ما نالك منهم،حتى يقضىَ الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل ، وهو خير الحاكمين ، يقول : وهو خير القاضين ،وأعدل الفاصلين ، فحكم جلّ ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر ، وقتلهم بالسيف،وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقى منهم،أن يَسْلُكَ بهم سبيل من أهلك منهم ، أو يتوبوا و ينيبو إلى طاعته :

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ . وَاصْبِرْ حتى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ) قال : هذا منسوخ . حتى يحكم الله : حكم الله بجهادهم ، وأمره بالغلظة عليهم .

والله الموفق للصواب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

تفسير السورة التي يذكر فيها هود

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الٓر . كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله (الر) ، والصوابَ من القول فى ذلك عندنا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ) يعنى : هذا الكتاب الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن ، ورفع قوله : كتابٌ بنية : هذا كتاب . فأما على قول من زعم أن قوله (الر) مراد به سائر حروف المعجم التى نزل بها القرآن ، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها ، وأن معنى الكلام : هذه الحروف كتاب أحكمت آياته ، فإن الكتاب على قوله ، ينبغى أن يكون مرفوعا بقوله (الر) .

وأما قوله (أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : أحكمت آياته بالأمر والنهى ، ثم فصلت بالثواب والعقاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنى أبو محمد الثقفىّ ، عن الحسن ، فى قوله (كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمت بالأمر والنهى ، وفصّلت بالثواب والعقاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الكريم بن محمد الجُرْجانىّ ، عن أبى بكر الهُذَلىّ ، عن الحسن (الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ) قال : أحكمت فى الأمر والنهى ، وفُصّلت بالوعيد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن رجل ، عن الحسن (الر . كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ) قال : بالأمر والنهى (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : بالثواب والعقاب .

ورُوى عن الحسن قول خلافُ هذا ، وذلك ماحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى بكر ، عن الحسن ، قال : وحدثنا عُباد بن العوّام ، عن رجل ، عن الحسن ، (أُحْكِمَتْ) بالثواب والعقاب ، (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بالأمر والنهى .

وقال آخرون : معنى ذلك : أحكمت آياته من الباطل ، ثم فُصّلت ، فبين منها الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الر . كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه، فبين حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : أحكمها الله من الباطل ، ثم فصلها : بينها .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : أحكم الله آياته من الدَّخَل والخلل والباطل، ثم فصلها بالأمر والنهى ، وذلك أن إحكام الشىء : إصلاحه وإتقانه ، وإحكام آيات القرآن : إحكامها من خلل يكون فيها ، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَله . وأما تفصيل آياته فإنه تمييز بعضها من بعض، بالبيان عما فيها من حلال وحرام ، وأمر ونهى . وكان بعض المفسرين يفسر قوله (فُصِّلَتْ) بمعنى : فسرت ، وذلك نحو الذى قلنا فيه من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نُمَير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد (ثُمَّ فُصِّلَتْ) قال : فسرت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال قتادة : معناه : بُيِّنَتْ ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبلُ ، وهو شبيه المعنى بقول مجاهد .

وأما قوله (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) فإن معناه : حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها ، خبير بما يئول إليه عواقبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) يقول : من عند حكيم خبير .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)

يقول تعالى ذكره : ثم فصلت بألا تعبدوا إلا الله وحده لاشريك له ، وتخلعوا الآلهة والأنداد . ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس : إننى لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام ، وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته ، وإخلاص العبادة والألوهة له .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم فُصِّلت آياته ، بأن لاتعبدوا إلا الله ، وبأن استغفروا ربكم ، ويعنى بقوله (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال مايرضِى ربكم عنكم ، فيسترَ عليكم عظيم ذنوبكم التى ركبتموها بعبادتكم الأوثانَ والأصنام ، وإشراككم الآلهة والأنداد فى عبادته .

وقوله (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى ربكم ، بإخلاص العبادة له ، دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه ، بعد خلعكم الأنداد ، وبراءتكم من عبادتها ، ولذلك قيل : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) ولم يقل : وتوبوا إليه ، لأن التوبة معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله ، والاستغفار : استغفار من الشرك الذى كانوا عليه مقيمين ، والعمل لله لايكون عملا له إلا بعد ترك الشرك به ؛ فأما الشرك فإن عمله لايكون إلاللشيطان ، فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه ، بعد الاستغفار من الشرك ، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم ، وهم على شركهم مقيمون .

وقوله (يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعا حَسَنًا إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ، ورزقكم من زينتها ، وأنسأ لكم فى آجالكم إلى الوقت الذى قضى فيه عليكم الموت .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إلى أجَلٍ مُسَمًّى) فأنتم فى ذلك المتاع ، فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه ، فإن الله منعم يحبّ الشاكرينَ ، وأهل الشكر فى مزيد من الله ، وذلك قضاؤه الذى قَضَى . وقوله (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يعنى الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) وهوالموت .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) قال : الموت .

وأما قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ) فإنه يعنى : يثيب كلَّ من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره ، محتسبا بذلك ، مريدا به وجه الله ، أجزل ثوابه وفضله فى الآخرة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : ما احتسب به من ماله ، أو عمل بيده أو رجله ، أو كلمه ، أو ما تطوّع به من أمره كله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال: ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه ، وما تطوّل به من أمره كله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : وما نطق به من أمره كله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أى فى الآخرة .

وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقول فى تأويل ذلك ما حُدثت به عن المسيّب بن شريك ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن مسعود ، فى قوله (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فإن عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا ، بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها فى الدنيا ، أُخِذ من الحسنات العشر واحدة ، وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول : هلك من غلب آحادُه أعشارَه .

وقوله (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) يقول تعالى ذكره : وإن أعرضوا عما دعوتَهم إليه من إخلاص العبادة لله ، وترك عبادة الآلهة ، وامتنعوا من الاستغفار لله ، والتوبة إليه ، فأدبروا مولّين عن ذلك ، فإنى أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه ، عظيم هوله ، وذلك (يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) . وقال جلّ ثناؤه (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) ولكنه مما قد تقدمه قول ، والعرب إذا قدمت قبل الكلام قولا خاطبت ، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب ، ثم رجعت بعد إلى الخطاب ، وقد بينا ذلك فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : إلى الله أيها القوم مآبكم ومصيركم ، فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه ، من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام ، فإنه مخلدكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على إحيائكم بعد مماتكم ، وعقابكم على إشراككم به الأوثان ، وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ، يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) ، فقرأته عامة الأمصار : (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) على تقدير يَفْعِلُون من ثنيت ، والصدور منصوبة .

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله ؛ فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين ، كان إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، غَطَّى وجهه ، وثنى ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عبد الله بن شدّاد فى قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) قال : كان أحدهم إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال [١] بثوبه على وجهه ، وثنى ظهره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : كان المنافقون إذا مرّوا به ، ثنى أحدهم صدره ، ويطأطئْ رأسه ، فقال الله (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) . . . الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، قال : سمعت عبد الله بن شداد يقول ، فى قوله (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال : كان أحدهم إذا مرّ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ثنى صدره ، وتغشى بثوبه ، كى لايراه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله ، وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال : شكًا وامتراء فى الحقّ ، ليستخفوا من الله إن استطاعوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) شكا وامتراء فى الحقّ (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : من الله إن استطاعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكًا .

---

(١) قال بثوبه على وجهه : غطاه به وستر به .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) قال : تضيق شكا وامتراء فى الحقّ ، قال : (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قالَ : من الله إن استطاعوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (ألا إنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ . ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ) قال : من جهالتهم به ، قال الله (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ) فى ظلمة الليل فى أجواف بيوتهم (يَعْلَمُ) تلك الساعة (ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُون ، إنَّهُ عَلِيمٌ بذات الصدُورِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين (ألا إنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ) قال : كان أحدهم يحنى ظهره ، ويستغشى بثوبه .

وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ألا إنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) . . الآية قال : كانوا يَحنُون صدورهم ، لكيلا يسمعوا كتاب الله ، قال تعالى (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ) وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حَنَى صدرَه ، واستغشى بثوبه ، وأضمر همه فى نفسه ، فإن الله لايخفى ذلك عليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ) قال : أخفى ما يكون الإنسان إذا أسرّ فى نفسه شيئا ، وتغطّى بثوبه ، فذلك أخفى ما يكون ، والله يطلع على ما فى نفوسهم ، والله يعلم ما يسرّون وما يعلنون .

وقال آخرون : إنما هذا إخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ، ويبدون له المحبة والمودّة ، وأنهم معه وعلى دينه ؛ يقول جلّ ثناؤه : ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ، ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه لايخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم .

وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ألا إنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) قال : هذا حين يناجى بعضهم بعضا . وقرأ (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ) . . . الآية . ورُوى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (ألا إنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) على مثال : تَحْلَوْلِي الثمرة : تفعَوعِل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قال : كانوا لايأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم ، كراهة أن يُفْضُوا بفروجهم إلى السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت محمد بن عباد ابن جعفر يقول : سمعت ابن عباس يقرؤها (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قال : سألته عنها ، فقال : كان ناس يستحيون أن يتخلَّوْا ، فيفضوا إلى السماء ، وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء .(١)

ورُوِى عن ابن عباس فى تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرت عن عكرمة ، أن ابن عباس ، قرأ (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) وقال ابن عباس : تَثْنَوْنِي صدورهم : الشك فى الله وعمل السيئات (يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) : يستكبر ، أو يستكنّ من الله ، والله يراه (يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (ألا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ) قال عكرمة : تَثْنَوْنِي صدورهم ، قال : الشك فى الله وعمل السيئات ، فيستغشى ثيابه ، ويستكنّ من الله ، والله يعلم ما يسرّون وما يعلنون .

❊ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ماعليه قرّاء الأمصار ، وهو (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) على مثال يفعلون ، والصدور نصب بمعنى : يحنون صدورهم ويُكبّونها .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : يكبون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : يكتمون ما فى قلوبهم (ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ) ما عملوا بالليل والنهار .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يقول : تثنونى صدورُهم ، وهذا التأويل الذى تأوّله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس ، إلا أن الذى حدثنا هكذا ذكر القراءة فى الرواية ، فإذْ كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

فأولى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويل من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم ، أو تناجَوْه بينهم .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن قوله (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن الهاء فى قوله (مِنْهُ) عائدة على اسم الله ، ولم يجر لمحمد ذكر قبل ، فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهى فى سياق الخبر عن الله ؛ فإذ كان ذلك كذلك ، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى ، وإذا صحّ أن

(١) يريد أنهم كانوا يستحيون أن يتبرزوا فى الخلاء ، أو يصيبوا نساءهم . . . الخ .

ذلك كذلك ، كان معلوما أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به . فلما أخبرهم جلّ ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلانيتها على أىّ حال ، كانوا تغشَّوا بالثياب ، أو ظهروا بالبَرَاز ، فقال (أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يعنى : يتغشّون ثيابهم : يتغطّونها ويلبسون ، يقال منه : استغشى ثوبه وتغشاه ، قال الله : واستغشَوا ثيابهم ، وقالت الخنساء :

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا وتارَةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِى[1]

(يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) يقول جلّ ثناؤه : يعلم ما يسرّ هؤلاء الجهلة بربهم ، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنَوها على ما فيها وثنَوها ، وما تناجَوه بينهم فأخفوه (وَمَا يُعْلِنُونَ) سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم . (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بكلّ ما أخفته صدور خلقه ، من إيمان وكفر ، وحقّ وباطل ، وخير وشرّ ، وما تستجنه مما لم يُجنّه بعد .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يقول : يُغطون رءوسهم .

قال أبو جعفر : فاحذروا أن يطّلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون فى صدركم الشكّ فى شىء من توحيده ، أو أمره أو نهيه ، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق ، فتهلكوا باعتقادكم ذلك .

والله أعلم

تمّ الجزء الحادى عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء الثانى عَشَر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا)

استدراك

١ ــ الشاهد : لَفْتًا وتَهْزِيعًا سَوَاءَ اللَّفْتِ

الوارد فى ص ١٤٦ ليس لذى الرمة ، كما قال المؤلف ، وإنما هو لرؤبة بن العجاج ، من أرجوزة له ، قالها فى نفسه مطلعها : «يابنتَ عمرو لا تسنّى بِنْتى» (ديوانه طبعة ليبسك سنة ١٩٠٣) وهو البيت الحادى والعشرون فيها . قال شارحه (لعله ابن حبيب) فى شرح ديوانه المخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٥١٦ أدب ص ١١٢ : اللفت : اللىّ ؛ لفته يلفته لفتا : إذا لواه وصرفه . والتهزيع : التكسير . وقوله « سواء اللفت » يقول : التهزيع غير اللفت ؛ ومهزع : مكسراه .

٢ ــ بيت عدىّ ابن الرقاع فى ص ١٤٦ صواب كتابته هكذا :

سُؤْدُدًا غَيْرَ فاحِشٍ لا يُدَانِيـــهِ تَجْبَارُهُ ولا كِبْرِيَاءُ

---

(١) البيت للخنساء ، أنشده صاحب اللسان فى (رعى) قال : ورعى النجوم رعيا وراعاها : راقبها وانتظر مغيبها ، قالت الخنساء : أرعى النجوم . . . البيت . وفى (اللسان : غشى) : استغشى بثوبه ، وتغشى : أى تغطى . وأطمارى : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق . ومنه فى الحديث : « رب ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » . أى رب ذى خلقين أطاع الله ، حتى لو سأل الله أجابه .

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY